كتاب

مَنارات السّائرين وَمقامات الطائرين

تأليف

أبو بكر عبد الله بن شاهاور الرازي

تحقيق وتقديم

سعيد عبد الفتاح



الطبعـــــة الأولى ١٩٩٣

دار سعاد الصباح
ص.ب : ٢٧٢٨٠
الصفاة ١٣١٣٣ - الكويت
القاهرة - ص.ب : ١٣ المقطم ٢٦٧ دقى
تليفون : ٣٤٩١٧٢٧ ٣٤٩٧٧٧٩ ٧٠٩٥٨٣
فاكس : ٧٠٩٥٦٣ ٥٠٦١٠٣٠

رقم الإيداع : ١٩٩٣/٥٥٨٢
I.S.B.N. 977—274—013—3

الاشراف الفنى : حلمى التونى

كتاب

مَنارات السّائرين
ومَقامات الطائرين

الإهداء

إلـى أبـى وأمـى داعيـا اللـه

أن يمد لى فى عمريهما ويحفظهما

من كل سوء.

ابنكما

سعيد

مقدمة المحقق

لا يمكن للمرء أن ينكر حاجتنا إلى التوسع فى إحياء كتب التراث لما فى ذلك من تأكيد على أنه بعث لجسم الحياة المعاصرة وعقلها. وإننا ما زلنا فى حاجة لأن تتواصل سلسلة الحلقات أولها بآخرها لنتمكن من النظر إلى امتداد حركة الفكر فى ثقافتنا العربية.

والتصوف فى تراثنا، وثقافتنا من أهم الجوانب التى لا يمكن إغفالها، أو المرور عليها، إذا ما تحدثنا عن الثقافة والفكر. ولعل تراثنا الوحيد الذى يتميز، ضمن ما تتميز به الثقافات، بعمق تفكيره الصوفى، وفتحه آفاقا لا تتوفر لكثير من ثقافات العالم.

ولأن هذا التراث ـــ الصوفى ـــ هام وضرورى نظراً لما يفتحه من آفاق ورؤى للمشكلات المعاصرة. سواء من قبيل الشطح، الذى تميز به، أو المنهج المجرد أو السلوك الفردى، الذى يشيع فى الروح : التقليل من حدة التوتر أمام التهام الماديات للمشاعر الإنسانية، والقيم النبيلة. فإن فى هذا الكتاب (منارات السائرين ومقامات الطائرين) إضافة إلى ذلك طرحا لحركة التفكير الصوفى بعامة حتى منتصف القرن السابع الهجرى. إذ عمد مؤلفه إلى تقديم كتاب حاوٍ للرؤى والتصورات الصوفية الهامة، يستعرضها بشكل منسق ومنهج ملتزم حاول فيه حشد أكثر الآراء والشطحات التى امتلأ بها الواقع الصوفى على مدى أكثر من خمسة قرون.

وكما يقول المؤلف فى مقدمته: (... مستنبطا معانيه من إشارات القرآن، وتلويحات الأخبار، ورموز المشايخ الكبار، مؤسسا مبانيه على مشاهدات الأنوار،

ومكاشفات الأسرار... سالكا فيه طريقة لم أُسبق إليها، وإن صُنِّفَتْ فى هذا الباب كتب كثيرة من أرباب الحقائق وملوكها.) .

وإذا أردنا التوقف قليلا عند منهج الكتاب. والنظر إلى طبيعته فإنه لا بد أن نتأمل كيف جمع المؤلف هذه الآراء والأفكار والشطحات من مختلف المدارس، والطرق، والاتجاهات الصوفية المختلفة، وإن حاول أن يتخفى هو وراء ستار التصوف السنى. ولأنه حدد المقامات التى تحدث عنها بعشرة مقامات، فقط، فقد حاول الالتزام بها كأبواب رئيسية إلاّ أنه صنع لنفسه توسعاً داخليا خاصاً يطل من خلاله، وظهر ذلك فى كثير من مقاماته أو أبوابه إذ وصل بعضها إلى عشرة فصول. وأحيانا يفتح لنفسه مجالاً أوسع داخل كل فصل منها. بالإضافة إلى أن بعض المقامات أعطاه الحق للشطح به هنا أو هناك.

وقدم الكتاب بفاتحة قسمها إلى ثلاثة فصول تدور كلها حول مفهوم الحقيقة المحمدية؛ اعتمد فيها على حديث «جابر بن عبد الله الأنصارى» عندما سأل الرسول الكريم ﷺ عن أول شيء خلقه الله؛ فقال له : نور نبيك يا جابر.

وقدم النور على أنه العقل، والقلم، والقرآن. وكلها تصح تسمية للحقيقة المحمدية الأولى، التى يرى فيها أساس العالم. ومن أجمل ما قدم المؤلف من مقامات، مع أهميتها كلها، مقام الولاية، ومقام الإنسان. وكذا رأيه فى الفصل الثالث من الباب السابع حول العبور عن مقامات خواص جواهر العنصرية. وهى:

(الترابية، والمائية، والهوائية، والنارية) .

وذلك فى نظرة صافية للعلاقة بين الروح والمادة؛ حين قال ما معناه: إن القالب المكون من هذه العناصر الأربعة المتناقضة جعل الروح مقيدة بقيودها قلقة بتصارع هذه العناصر بعضها مع بعض.

ويقول فى الفصل الرابع من نفس الباب:

«إنه لما رأت الملائكة قالب آدم مُلقّى مركبا من العناصر الأربعة المتضادة قبل نضج الروح فيه. فشاهدوا بنظر الملكى فى ملكوت جسده صفات بشريته البهيمية، التى تتولد من تركيب أضداد العناصر. وقاسوا على ما شاهدوا من قبل.»

أى قاسوا كيف يمكن لهذه العناصر المتضادة ألاّ تكون متصارعة، وغير هذا. كثيراً ما تتفرق شطحات المؤلف وسط منهج كتابه.

ثم يختتم الكتاب بخاتمة يعيد فيها بعض التفصيلات حول منهج الكتاب، ويزيد عليها بعض الأفكار والتعليقات الهامة ليؤكد على ضرورة النظر فى الكون.

وقد تنوعت ثقافة المؤلف فى جمعه للآراء والأفكار والشطحات والأشعار. بعد تضمينه عددا كبيرا من الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية مما أوقفنا على عدد كبير من المراجع ننظر فى مظانها ونخرجها.

وإننى سأترك للقارئ الكريم الاقتراب من الكتاب والنظر إلى فهرسة المؤلف لمقاماته العشرة. وهى على التوالى:

مقام المعرفة ـــ مقام التوحيد ـــ مقام النبوة ـــ مقام الولاية ـــ مقام الإنسان ـــ مقام الخلافة المختصة بالإنسان ـــ مقامات الإنسان عند رجوعه إلى ربه ـــ مقامات النفس ـــ معرفة القلب ومقاماته فى التصفية ـــ معرفة الروح ومقاماته.

والنظر فى هذه المقامات يحتاج إلى طول تأمل لما فى هذه الآراء من أهمية. وارتباطها بمقام ما من المقامات.

وإنى لأرجو بهذا الكتاب أن أكون قد قدّمت شيئا مفيداً إلى المكتبة العربية تفخر به، بعد أن كان مسجونا فى غياهب المخازن ودور الكتب لم تمتد إليه يد، من قبل، لتزيح عنه غبار النسيان .والله من وراء القصد.

المحقق

(مؤلف الكتاب)

هو (أبو بكر: عبد الله بن محمد بن شاهور الأُسدى الرازى: ابن داية).

وقد توقف ناسخ النسخة (ت) عند «الأسدى»، وتوقف ناسخ النسخة (ط) عند «الرازى»

أما فى فهرس المكتبة الأزهرية جـ٣ ص٦٣٧ أثناء الإشارة إلى الكتاب فقد قيل:

(منارات السائرين ومقامات الطائرين)

لداية الأسدى: وهو العلامة نجم الدين أبو بكر عبد الله بن محمد بن الشاهانور الرازى المعروف بداية.

وقال (عمر رضا كحالة) صاحب معجم المؤلفين ١٢٢/٦

إنه ولد سنة ٥٦٤هـ وتوفى سنة ٦٥٤هـ

١١٦٨م — ١٢٥٦م

ولم يذكر صاحب هدية العارفين تاريخ مولده ولكنه قال عنه إنه من خلفاء نجم الدين الكبرى وتوفى ببغداد سنة ٦٥٤هـ وولد بخوارزم.

وفى شذرات الذهب لابن العماد ص ٢٦٥/٥ قال إنه توفى أيضا نفس التاريخ سنة ٦٥٤هـ أى أن كل المصادر، حتى بروكلمان، اتفقت على صحة تاريخ وفاته.

انظر :

Brok : 91 - 448 - 449. SI : 8.3, 8.4

ولم يذكر صاحب شذرات الذهب إلا شيئا يسيرا عنه إذ قال، فى ذكر من مات فى سنة ٦٥٤هـ. :

«وفيها الحافظ ابن شاهاور عبد الله بن محمد بن شاهاور بن أنوشروان بن أبى النجيب الرازى.

كان حافظا فاضلاً غزير العلم، صاحب مقامات وكرامات وآثار».

هذا كل ما قاله.

مؤلفاته :

١ ـ بحر الحقائق والمعانى فى تفسير السبع المثانى.

٢ ـ كشف الحقائق وشرح الدقائق.

٣ ـ معيار الصدق فى مصداق العشق.

٤ ـ سلوك أرباب النعم.

٥ ـ تحفة الحبيب.

٦ ـ حسرة الملوك.

٧ ـ مرصاد العباد من المبدأ إلى المعاد (فارسى) فى السلوك.

٨ ـ منارات السائرين ومقامات الطائرين.

٩ ـ زبدة العوالى وحلية الأمالى. ذكره المؤلف فى المنارات ولم تذكره أى من المصادر الأخرى مما يدل على أن للمؤلف كتبا أخرى. ربما نكشف عنها قريبا.

هذه المؤلفات لم يذكرها كلها مصدر واحد وإنما بعض المصادر اتفقت مع بعضها البعض فى ذكر عدد من الكتب ولم تذكر الأخرى. فضممناها.

نسخ الكتاب الخطية :

١ ـ النسخة الأولى:

هى النسخة رقم (١٥١٩ تصوف طلعت) نسخة مخطوطة بقلم معتاد واضح بخط [محمد بن عبد الله الكتانى] فرغ منها فى اليوم السادس والعشرين من شهر ربيع الأول سنة ٨٤٧هجرية أولها مجدول بمداد أحمر، وبها أثر عرق، وبها ترقيع. فى (١٢٤ق) ورقة. ومسطرتها ٢٥ سطراً فى حجم الربع، وقد أكمل الترقيع بها السيد/ محمد عمر بخط حديث وورق حديث أيضا مختلف. حوالى خمس عشرة صفحة من ص١ إلى ص١٥ أى الورقة (٨ ب). حصلت منها على صورة ورقية تحت ميكروفيلم رقم (١٩٠٥٧).

وقد رمزت لهذه النسخة بالرمز (ت)

٢ ـ النسخة الثانية :

هى النسخة رقم (١٣٦٦ تصوف طلعت) نسخة مخطوطة بقلم معتاد أولها محلى باللازورد، وباقيها مجدول بالمداد الأحمر والأزرق فى (١٣٦ ورقة) ومسطرتها ١٩ سطراً فى حجم الثمن. ليس بها اسم الناسخ ولا تاريخ النسخ وأُرجح أنها نسخت فى القرن التاسع أو العاشر تقريباً وقد حصلت منها على نسخة ورقية تحت رقم ميكروفيلم (٧٢٠٦).

ورمزت لها بالرمز (ط).

٣ ـ النسخة الثالثة :

هى نسخة المكتبة الأزهرية. وجدتها فى فهرس حـ٣ ص٦٣٧. نسخة فى مجلد بقلم نسخ بخط (إمام الدين بن نعمة الله بن محمد لاهور سنة ٩٤٤هـ. بها آثار رطوبة. فى (١٧٦ ورقة) ومسطرتها ١٧ سطراً. تحت رقم (٩٣٣) حليم ٣٣٥٦٧.

وقد قام معهد إحياء المخطوطات التابع لجامعة الدول العربية بتصويرها وحصلت منه

على نسخة ورقية عن طريق التصوير تحت ميكروفيلم رقم (١٠٢٢).

ورمزت لها بالرمز (ز).

منهج التحقيق:

صادفت كثيراً من المشكلات أثناء ضبط نص هذا الكتاب إذ النسخ الثلاث التى اعتمدت عليها لا تخلو واحدة منها من نقص وكان من الطبيعى، لكى أقدم الكتاب كما أراد له مؤلفه، أن أوفق بين النسخ وأن أعيد النظر كثيراً فى مشكلات النساخ إذا النسخة (ت) بالإضافة إلى ما فيها من نقص ما يقرب من خمس عشرة صفحة فى المقدمة، ولا ندرى من أين استكملها (السيد/ محمد عمر) ومع هذا كان لا بد أن أعتبرها الأصل إذ هى أقدم النسخ. وقد وضح لى أثناء المقابلة أنها فعلا أصح النسخ على ما بها من نقص، وكذا داخل النص سطور كثيرة.

أما النسخة (ط) فقد عانيت من مشكلات كثيرة بها. يرجع بعضها إلى رسم الحروف، وبعضها إلى عيب النسخ والنقص الشديد، مع ما تتميز به من خط جيد، وتنسيق أما النسخة (ز) فكانت مشكلاتها تقارب مشكلات النسخة (ط) وتزيد عليها أنها لا تهتم كثيرا بإضافة الحروف إلى الكلمات مثل كلمة (لا تكون) فتكتب (تكون) ومع أن هذا يغير المعنى كثيراً إلا أن الناسخ كان مصراً على مثل هذه المشكلات. ولو حاولت التعليق على مثل هذه الأمور لامتلأ الكتاب بالإشارات وزاد عن المطلوب.

وفى رسم بعض الحروف للنسخة (ط) مثلا أجد كلمات كثيرة تكون فيها الهاء الأخيرة «هاء» فيكتبها تاءً مفتوحة هكذا (ت) وقد أشرت إلى بعض هذا فى الهامش وضربت صفحا عن كثير كثير جداً.

وفى ألفاظ الثناء. الخاصة بالذات العليا مثل (سبحانه وتعالى). (عز وجل) ... إلخ فهى أيضا مختلفة بين النسخ الثلاث. فكنت أشير إلى بعضها وأثبت أحيانا ما هو مدون بالنسخة (ت).

كذلك فى النسخة (ط). لفظ الثناء على النبى كان الناسخ يختصرها هكـذا (عـ م) أى (عليه الصلاة والسلام). فلم أشر إلا قليلا إلى مثل هذا.

كذلك ألفاظ الثناء والترحيم على الأعلام مثل (رضى الله عنه) أو (رحمه الله)..إلخ .. وغيرها كثير. كنت لا أدقق فيها كثيراً بعدما أتأكد وجود شبيهها فى النسخة (ت) التى اعتبرتها أصلا.

ومع هذا فقد رأيت أحيانا ذكر بعض المشكلات الخاصة بالنسخة (ت) ضمن باقى النسخ حتى تتضح طبيعة النسخة من خلال الهامش.

وعن الأسطر أو الفقرات التى كانت تسقط من أىّ من النسخ حاولت إدخالها فى النص الأصلى وواضعا هذا الجزء بين قوسين، ومشيراً إلى رمز النسخة التى أخذت عنها الزيادة، وكذلك الحذف أى النقص فى نسخ أخرى (ز)، (ط) مثلا. فأضعه بين قوسين فى المتن ثم أشير فى الهامش إلى النسخة التى بها النقص.

لم أحاول التدخل فى النص بحذف أو زيادة إلا ما يقتضيه السياق مثل حذف حرف أو إضافته لضبط السياق على أن أشير إلى ذلك فى الهامش أيضا بعد وضعه بين معقوفتين [-] وذكره فى الهامش بعد اطمئنانى على النص:

* قمت بتخريج الآيات القرآنية من مصحف الحرمين.

* والأحاديث الشريفة من كتب السنة معتمدا على المعجم المفهرس لألفاظ الحديث. وموضحا صحيحه من موضوعه ...إلخ.

* الوقوف على الأشعار. وأنصاف الأبيات. وعمل فهرس لها.

* كتابة بعض التعريفات السريعة على الأعلام معتمدا على ذكر نبذ سريعة عنهم.

* بعض الإشارات عن الفرق والطرق والجماعات... إلخ.

* حاولت إظهار طبيعة كل نسخة فى الهامش قدر الإمكان ثم ألحقت فهرسا شاملا فى نهاية الكتاب كما يتطلبه منهج التحقيق العلمى الحديث يتضمن الآتى:

١ ــ فهرس الآيات القرآنية مبينا اسم السورة ورقمها ورقم الآية ومكية أو مدنية.

٢ ــ فهرس الأحاديث النبوية الشريفة والقدسية. مرتباً ترتيباً أبجديّاً ومخرجاً من مظانه.

٣ ــ فهرس الأشعار القوافى وأنصاف الأبيات.

٤ ــ فهرس الأعلام.

٥ ــ فهرس البلدان والفرق والجماعات والطرق.

٦ ــ فهرس الكتب للمؤلف وغيره الواردة بالكتاب.

٧ ــ فهرس للمراجع التى أعانت على التحقيق.

٨ ــ فهرس لمحتوى الكتاب.

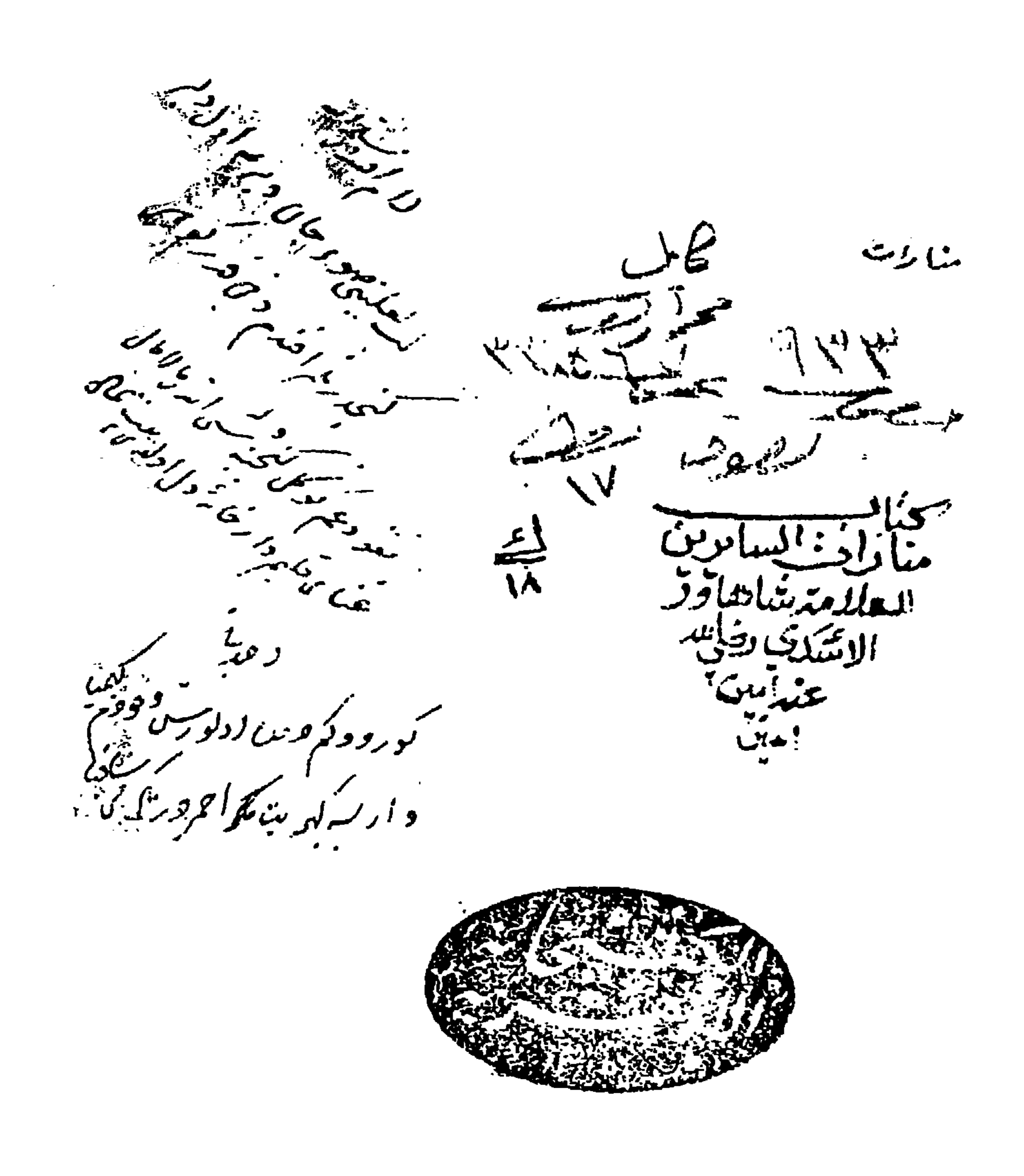
تعثّر أثناء الطبع إضافة تخريج الأحاديث بالهامش فقمت بعمل ملحق فى فهرس الأحاديث ذكرت فيه كل حديث بعد تخريجه مرتباً ترتيباً أبجديّاً. فلينظر التخريج آخر الكتاب.

وبعد هذا الجهد الذى أحتسبه فى صالح عملى أرجو الله أن يتقبله منى وأن يتجاوز عما فاتنى غير عامد له وله المثوبة وإليه المآب.

المحقق

سعيد عبد الفتاح

أكتوبر ١٩٩٢.



ص ١ من النسخة (ز)

موقوف على هذه الخصال الاربعة والله ولي التوفيق وقيل وقف رجل
على الشبلي فقال اي الصبر اشد على الصابرين فقال الصبر في الله
فقال لا فقال الصبر لله فقال لا فقال الصبر مع الله فقال لا فغضب الشبلي
فقال ويحك فايش فقال الرجل الصبر عن الله فصرخ الشبلي صرخة
كاد ان يتلف روحه وعندي ان لمعنى الصبر عن الله ثلث اوجه احدها
بما صبر اهل الاهوا والبدع والمستغرقين في بحر الغفلات والشهوات
الراغبين في التمتعات الحيوانية النفسانية الصابرون عن الله وطلبه
بالجهالة والضلالة وثانيهما صبر صاحب تلوين في مقام المشاهدة تارة
تكون في ضؤ نهار التجلي وتارة يكون في ظلمة ليل الستر ففي حالة الستر
لا بد له من الصبر عن الله فهو اشد صبر على الصابرين وثالثهما صبر صاحب
تمكين هو فاني في الله باقي به يستغرق في بحر الوحدة غايبا عن وجوده
بالكلية بحيث لا احساس له عن نفسه ولا عن غيره متحيرا نايها
من الانانية والهوية فان جذبة الطبيعة الى الانانية جذبته
بطشة الربوبية الى الهوية وان جذبته سطوة العناية الى الهوية
جذبته الطبيعة الى الانانية فهو منجذب عن كل الوصفين مذبذب
لا من الانانية ولا من الهوية فان طلبته في الانانية وجدته في
الهوية وان طلبته في الهوية وجدته في الانانية وقد دندن حول

هذا قال

ص ٦٢ أ من النسخة (ز)

هذا من قال   انا من اهوى ومن اهوى انا . نحن روحان حللنا بدنا
فاذا ابصرتنا ابصرته   واذا ابصرته ابصرتنا   ثم ان فتح البصيرة ليشاهد
نفسه بتعين الغير عن الهوية ولو فتح البصيرة لرؤية الهوية يستدعى رؤية
الهوية وجود الرائي وهو اثنينية فلنفي الاثنينية يلزم الصبر عن الله
ورؤيته وهو اشد صبر على الصابرين وهذا مقام الحيرة الذي كان كما
ليته مخصوصة بالنبي صلى الله عليه وسلم حين يقول رب زدني تحيرا
ومن اختصاصه صلى الله عليه وسلم بهذا المقام خصه الله تعالى بقوله
فاعلم انه لا اله الا الله واستغفر لذنبك يعني لما افنيتك عن انانيتك
وابقيتك بهويتي فلم يبقى لك ولغيرك وجود في نظرك الا وجودي
فعلمت انه لا اله الا انا ولا وجود الا وجودي كما قال الجنيد ما في
الوجود سوا الله استغفر لذنبك اى لذنب علمك لان العلم يستدعي
العالم والمعلوم والعلم ثلثة فذنب علمك انه اثبت لك وجودا ووجودك ذنب لا تقاس به ذنب ثم اعلم ان لكل عمل من مكسب الانسان
وصفته جزاء متناهيا لكسب الانسان هو صفته ولكل عمل من مواهب
الله وتخلق بخلقه جزاء الغير متناه فالصبر لما كان من مواهب الله
وتخلق بخلقه كان له جزاء غير متناه كما قال تعالى انما يوفى الصابرون
اجرهم بغير حساب ولهذا كان جزاء الصبر اخص الجزاء كقوله تعالى

ص ٦٢ ب من النسخة (ز)

كاتبه مولانا امام الدين
ابن نعمة الله بن محمد لاهوري
غفر الله له ولوالديه ولجميع
المؤمنين والمؤمنات انه
قريب مجيب الدعوات
م ٩٩

الصفحة الأخيرة من النسخة (ز)

كتاب منارات السايرين الى الله ومطار الطايرين بالله تاليف العالم
المحقق والعارف المدقق ابو بكر عبد الله بن محمد بن شاهور
الاسدي الرازي نفعنا الله به والمؤمنين به آمين

الصفحة الأولى من النسخة (ط)

سواء وذلك انّ لكلّ جسم طبيعي حركة تخصّه وذلك انّ الجسم ما كان منه موجودا وما كان منه متكوّنا وانّ قوامه بصورة خاصّة هي به وصورته الخاصّة هي المقوّمة لذاته هي طبيعته وطبيعته مبدأ الحركة الخاصّة به وحركته الخاصّة هي التي تحرّكه الى تمامه وتمام كلّ شيء هو الغاية ووافقه وكذلك كلّ شيء متحرّك يتحرّك الى تمامه فهو بالشوق والذي يشتاق فهو معلول ممّا يشتاق اليه والعلّة تتقدّم على المعلول بالطبع فلذلك صار الاستدلال بالحركة اظهر الاشياء واولاها بالدلالة على الصانع عزّ وجلّ ونعود فنقول انّ الحركة المطابقة للاجسام الطبيعيّة هي ستّ حركة الكون والفساد والنموّ والنقصان والاستحالة والنقلة وذلك لانّ الحركة نقلة وتبدّل امّا والتبدّل لذو جسم اذا كان طبيعيّا لا يخلو ان يكون امّا بكمّيّته وامّا بكيفيّته وامّا بجوهره وامّا التبدّل بالمكان فامّا ان يكون بكلّه او بجزئه فان كان بجزئه كانت حركة مستديرة ونفرض للمستدير ان يتحرّك ايضا امّا محيطا الى المركز كانت حركته نقصا وامّا من المركز الى المحيط كانت حركته نموّا وامّا المتبدّل بالكيفيّة فلا يخلو امّا ان يحفظ جوهره او لا يحفظ فان حفظ جوهره كانت حركته استحالة وان لم يحفظ جوهره كانت حركته فسادا وهذه الحركة الاخيرة اذا نظر اليها ان نقلت الى الجوهر الثاني اعني ما استحال اليه سمّيت كونا ثمّ نقول انّ لكلّ متحرّك بحركة من انواع الحركات متحرّكا سواء وانّ محرّك جميع الاشياء غير متحرّك وانّه علّة تمامها وعلّة حركتها وذلك لانّ كلّ متحرّك يتحرّك بغيره محرّك فذلك المتحرّك لا يخلو من ان يكون حيّا او غير حيّ فان كان حيّا او غير حيّ فان كان حيّا وادّعى مدّع انّ حركته من ذاته لا من غيره قلنا له ان كان كذلك لكنّا اذا نزعنا جزءا من اجزائه الشريفة بقيت حركة

الصفحة (٨ أ) من النسخة (ط)

الحي وحركة الجزء المنزع جميعا وليس الامر كذلك بل هو بالضد فليس اذا ذات
جوهر الحي هو المحرك بل غيره وان كان المحرك غير حي فهو اما نبات واما جماد فان
كان نباتا فيلزم في حركته ما يلزم من حركة الحي ايضا وان كان جمادا فانه اما ان يكون
احد العناصر الاربعة او واحدا من مركباتها فان كان احد العناصر لزم فيه ان كانت
حركته من ذاته ان لا يقف اذا بلغ موضعه الخاص به اذا انتهى اليه وان وقف
فيه لزم ان يقف في غيره كما يقف الحيوان حيث يريد وليس الامر على ذلك فليست
حركة العناصر من ذاتها فهي اذا من غيرها وكذلك حال المركبات من العناصر فان قال
قائل ان حركة العناصر انما هي لطلبها المكان الذي يحصرها لانه هو المطلوب المشتاق
وكل مطلوب مشتاق فهو المحرك لطالبه فمن هذه الجهة ايضا محرك العناصر
غيرها ويمكن ان نبين على هذه الجهة ان الحيوان انما يتحرك بالشهوة او بالكراهة
اما بالشهوة فليدنو من المشتهى شوقا اليه واما بالكراهة فليبعد من المكروه هربا منه
فمحركه اذا غيره ثم ننظر في هذا المحرك ايضا فان لزمه نوع من انواع الحركة لزم فيه ما لزم
في المتحرك الاول ولا يزال كذلك الى ان ينتهي الى محرك لا يتحرك بنوع من انواع الحركة
وهو مبدأ وعلة لوجود جميع الاشياء وبه قوام كل جوهر ووجود كل موجود واذا
تبين ذلك فقد علم ان الوجود في جميع الاشياء بالعرض وهو في المبدع الاول بالذات
وقد اجتمعت العلماء والحكماء على ان كل ما يوجد في شيء ما بالعرض فهو في شيء آخر بالذات
وذلك ان العرض في الشيء اثر والاثر حركة ولا بد له من مؤثر فقط فالوجود اذا ذاتي
المبدع الاول الواحد الصمد جل جلاله لانه لم يقبله من غيره ومنه قبله جميع الاشياء التي دونه
وبه قوام صور الموجودات واذا كان الوجود فيه كما قلنا ذاتيا فليس يجوز ان يتوهم معه ما

الصفحة (٨ ب) من النسخة (ط)

بشرط ان يكون على يقين دون ظن وتخمين فالظن تخطيء وتصيب ولا يكون
ممن رأى الف صواب غطاه واذا وجد سهوا نادى عليه
وابداه كما قيل صم اذا سمعوا خيرا ذكرت به
وان ذكرت بسوء عندهم اذنوا
ختم الكتاب بالخير ختم الله
اجالنا بالخير والله اعلم
بالصواب واليه المرجع
والمآب

الصفحة الأخيرة من النسخة (ط)

الى بفله المحبة لانه كان حبيب الله عليه غلبه الحيا فى نوفمين وهو الذل فكان احدى شقيقه الحيا و الاخرى العقل فلا يفك احدهما عن صاحبه فاينما يوجد العقل يوجد الحيا و اينما يفقد العقل يفقد الحياء وقد جا فى الخبر ان الله تعالى لما نظر الى روح النبى صلى الله عليه وسلم ينظر المحبة غلب عليه الحيا فعرق روحه فخلق الله تعالى من قطر ان عرقه الانبيا عليهم السلام وقوله صلى الله عليه وسلم خلق الورد الاحمر من عرقى لعل من اصل هذا العرق فى اصله ومن نتايج هذه الحقيقة ان من نظر الا من نظر المحبة الى محبوبه غلب عليه الحيا و احمر وجهه و يعرق وقيل الحيا على وجوه حيا الجناية كادم عليه السلام لما قيل له افرارا منا قال بل حيا منك وحيا التقصير كالملائكة يقولون ما عبدناك حق عبادتك وحيا الاجلال كاسرافيل عليه السلام تسربل بجناحيه حيا من الله تعالى وحيا الكرم كالنبى صلى الله عليه وسلم كان يستحى من امته ان يقول اخرجوا فقال الله تعالى عز وجل ولا مستانسين لحديث وحيا الحشمة كعلى بن ابى طالب رضى الله عنه حين سال المقداد حتى سال رسول الله صلى الله عليه وسلم من حكم المذى لمكان فاطمة عليها السلام منه وحيا الاستحقار كموسى عليه السلام قال انه عرض لى الحاجة من الدنيا فاستحيى ان اسالك يا رب فقال له عز وجل سلنى ولو ملح عجينك و علف شاتك وحيا الرب سبحانه وتعالى يدفع الى العبد كتابا مختوما بعد ما عبر الصراط و ان افيه فعلت ما فعلت ولقد استحييت ان اظهر عليك فاذهب فانى قد غفرت لك وعن ابى سليمان الدارانى يقول قال الله تعالى عبدى انك ما استحييت منى انسيت الناس عيوبك وانسيت بقاع الارض ذنوبك ومحوت من ام الكتاب زلاتك ولا اناقشك فى الحساب يوم القيمة قلت الحيا حيا ان حيا روحانى

الصفحة (٩١) من النسخة (ت)



ودناءة انسانية الانسان بما استفاد الروح عن حياء الرب
تعالى خصوصية للخلافة فان الله حيي كريم ويحتمل ان يكون
هذا الايمان وصفة للكافر كما كان لزليخا القت ثوبا على
وجه صنم في زاوية البيت اذ همت بيوسف عليه السلام فقال
ماذا تفعلين فقالت استحيي منه وهي كافرة في تلك الحالة وحيا
رباني منشاه نور الايمان كما قال عليه السلام الحياء من
الايمان وهو برهان الرحمن كما كان ليوسف عليه السلام في
قوله تعالى وهم بها لولا ان رأى برهان ربه قيل البرهان
حياؤه من الله تعالى لما رأى ذلك الفعل من زليخا قال انا
اولى ان استحيي من الله تعالى وهذا النوع من الحياء لا يكون
الا للمؤمن ومنه ما جاء في وصفه صلى الله عليه وسلم انه كان
اشد حياء من العذراء في خدرها وقد خص النبي صلى الله عليه وسلم بهذا
الحيا من الصحابة عثمان بن عفان رضي الله عنهم بقوله احياكم عثمان
ثم اعلم انه ما عبر سالك مقاما من المقامات الا بحياء وهذا النوع
على حسب حالاته وحضوره مع الله تعالى وقربه منه فان الحيا من
نتايج الحضور والقرب والمشاهدة فحيا الحضور لاهل البداية واما
وشدة الندامة على ما جرى منه والتوبة عنه ولوم النفس عن
المخالفات المنهيات وترك الموافقات المامورات والرجوع منه
الى الله تعالى وعبوديته وحياء القرب لاهل الوسايط بما يباعد
من الله ويحجب عنه كما قال صلى الله عليه وسلم من استحيى من الله حق الحيا
فليحفظ الراس وما حوى اي السمع والبصر واللسان والفم والبطن
وما وعى اي النفس والقلب والقلب والفرج ومن اراد الاخرة ترك
زينة الدنيا اي حلالها وحرامها مما زين للناس وليذكر الموت والبلى
اي يموت قبل ان يموت كما قيل مت بالارادة تحي بالحقيقة
وحيا المشاهدة لاهل النهاية واماراته ذوبان الوجود حياء

الصفحة (٩٢) من النسخة (ت)

[illegible] للناس ومع عظم شانهم [illegible] للامة لم [illegible]
قدرا واولى [illegible] او لكرمه [illegible] يا من انشا بحق العالم وامرها
بما بين ادم ولختار منهم محمد المصطفى وجعله محجة بينهما على انه
جعل امته التي كانت خير امة طرائق قددا وجعل الناجي منهم
لصلوا والباقون ودوا والوبر دونكم من بعد ايمانكم كفارا حسدا فافنوا
فوائد دا فتاهوا في تيه الجهالة وتمادوا في الغي والضلال فسدوا ولم
ينالوا من امرهم رشدا التلخيص مفاتيح قلوبهم في خزائن الغيب لا
يعلمها الا عالم الغيب فلا يظهر على غيبه احدا ۝
الهنا اهدنا صراطك المستقيم • وثبتنا على دينك القويم • في متابعة
سيد المرسلين وخاتم النبيين صلى الله عليه وعلى اله اجمعين ربنا لا تكلنا
الى انفسنا طرفة عين ولا اقل من ذلك وافرغ علينا سجال انعامك
وخذ بايدينا عنا وامنن علينا بجود وجودك منا مسته غرقين في
بحر فضلك ونوالك بدوام تجلي جمالك وجلالك يا اله العالمين وخير
الناصرين برحمتك يا ارحم الراحمين واكرم الاكرمين والحمد لله الذي
وفقنا لانجاز ما وعدنا في اتمام كتاب منارات السائرين الى الله و
مقامات الطائرين بالله فمن امعن النظر وانعم الفكر ووقف لكشف
اسراره ومعانيه ونشر ما في مطاويه ولم تزهه العصبية والحمية
التي ذهبت به انصف واعترف باني وان كنت من المتاخرين لانني اتيت بما لم
يات به احد من المتقدمين تصحيحا لقول النبي صلى الله عليه وسلم امتي كالمطر
لا يدرى اوله خير ام اخره ولا يعلم قدر ما اودعت فيه الا العلماء
بالله تعالى الراسخون في العلم الذين هم اوتاد الارض وعمد السماء بل
الذين هم اقطاب العالم وحجج الله على الخلق عليهم سلام الله ورحمته و
بركاته واقول ما قال الله تعالى ان هذه تذكرة فمن شاء اتخذ الى
ربه سبيلا على اني لم ادع فيه العصمة عن امكان السهو والغلط
فان الانسان معرض للنسيان كما قيل

الصفحة قبل الأخيرة من النسخة (ت)

وسميت إنسانا لأنك ناسيا ... وأول ناس آدم أول الناس

والمرجو من كرم الناظرين المتأملين فيه ان اطلع عالم منصف على موضع سهوا وغلطا ان يصلحه بقلمه بفضله وكرمه بشرط ان يكون على يقين دون تخمين وظن فان الظن يخطي ويصيب ولا يكون ممن اذا راى الصواب غطاه واذا وجد سهوا نادى عليه وابداه كما قيل

قوم اذا سمعوا خيرا ذكرت به وان ذكرت بسوء عندهم اذنوا

ختم الله كتاب آجالنا بالخير والسعادة وجعلنا ممن سبقت لهم من الله الحسنى وزيادة

وكان للفراغ من نسخه في الثاني والعشرين من [illegible] سنة سبع واربعين [illegible]

على يد العبد الفقير الحقير الراجي عفو ربه القدير [illegible] محمد بن عبد الله [illegible] الحنفي [illegible] مصليا على نبيه [illegible]

تم وكمل بحمد الله تعالى وعونه

يا خالق الخلق طورا بعد أطوار وغافر الذنب من سر وإجهار
اغفر لكاتبه أيضا وناظره والمستعير له إن رد والقاري

الصفحة الأخيرة من النسخة (ت)

مقدمة المؤلف *

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

الحمد لله المتوحد فى ذاته، المتفرد فى صفاته، المبدع فى مبدعاته، المبدئ فى مخترعاته. الذى خلق ببديع كلمته، وصنيع حكمته، أول ما خلق روح المصطفى. ثم خلق منه أرواح الأنبياء، والأولياء، وأولى[1] الأحلام والنُّـهى؛ فجعله أبَ[2] الأرواح، كما جعل آدم أبَ[3] الأشباح. ثم خلق منه العالم بما فيه إنسانا كبيراً، وجعل شخص آدم فيه عالما صغيراً. ووشّـحه بالرحمة، والرأفة. ورشّـحه للمعرفة والخلافة[4]. وكرمه[5] بالإعانة على حمل الأمانة، وجعله مستعدا لهذا الشأن العظيم، والثناء[6] الجسيم. فجعله صدف درّة حبيبه المجتبى، ونبيه المصطفى، والمبعوث إلى كافة الورى. الذى سماه محمداً. وخاط خلعة النبوة على قدّه؛ فجعله مُقْتَدَى وآتاه كتابا: ينابيع الحكم فوارة فى دَرَجه، وشموس الغيوب طالعة من برجه. فأصبح والعالم فى سرّباله، وكل العلوم فى سرّباله، صلوات الله عليه، وعلى آله؛ الذين هم

---

* إضافة من المحقق .

(١) فى (ز) ، (ت) : (أول) .

(٢) فى (ز) ، (ت) : (أبا) .

(٣) فى (ز) ، (ت) : (أبا) .

(٤) ساقطة فى (ت) والإضافة من (ط ، ز) .

(٥) فى (ز) ، (ت) : (لزمه) .

(٦) فى (ز) : (والشأو) .

أئمة الهدى، ومصابيح الدجى. (وعلى أصحابه؛ الذين هم ورثة مواريثه، ونقلة أحاديثه)[١]. وعلى أزواجه الطيبات الطاهرات، أمهات المؤمنين والمؤمنات، وسلم تسليما كثيرا.

أما بعد :

فقال شيخنا، ومولانا[٢]. الإمام الربّانى، صفوة الله وخاصته «أبو بكر : عبد الله ابن محمد بن شاهاور الأسدى، رضى الله عنه، وشكر سعيه:

قد التمس منى بعض خُلّصِ أصحابى ممن تمسك بذيل إرادتى، ولزمنى. بأن أصنِّف كتابا كاملا فى شرحِ مقامات العارفين. شاملاً لكرامات السالكين، جامعا لمنازلَ السائرين، ساطعا لمراحل الحائرين؛ ليكون مفيدا للمستفيد المبتدى، وممدا للمستمد المنتهى. سالكا فيه طريق الإيجاز مجداً [٣] فى مواعيده الإنجاز، ساعيا فى كشف الأغطية عن حقائقها، راعيا إيراد أمثلة محسوسة لدقائقها، ناصبا أعلاما [٤] موضحة لطرائقها.

وإنى وإن كنت قد صنفت قبل هذا بنيف وثلاثين سنة كتاب «مرصاد العباد من المبدأ إلى المعاد» [٥] وهو مستجمع أكثر شرائط الملتمس، ولأرباب السلوك أكبر

---

(١) ساقطة ما بين القوسين من (ز) .

(٢) فى (ظ) (فقال شيخنا وسيدنا الإمام العالم الربانى، الحافظ محى السنة، ناصر الشريعة، سلطان المشايخ والمحققين، هادى الملوك والسلاطين، حجة الله على الخلق، نجم الملة والدين، جنيد الوقت.. أبو بكر عبد الله بن محمد بن شاهاور الأسدى الرازى متع الله المسلمين بطول بقائه، ورضى عنه) أما النسخة (ز) فما فيها هو بالضبط كما فى نسختنا (ط) التى اعتمدناها أصلا. ويبدو لى أن الذى أكمل الورقات الناقصة أكملها من هذه النسخة. لتقارب كبير بينهما.

(٣) فى (ط) : (محدبا).

(٤) التصحيح من النسختين (ز ، ت).

(٥) كتاب (مرصاد العباد من المبدأ إلى المعاد) من تصنيفه.. وفى فهرس المكتبة الأزهرية إشارة تقول: هذا مختصر كتاب (مرصاد العباد من المبدأ إلى المعاد) اختصره الإمام الغزالى وهذا لا يصح. لأن الإمام الغزالى توفى سنة ٥٠٥هـ والمؤلف ٦٥٤هـ فضلا عن أن المؤلف قد ذكره فى هذا الكتاب.
انظر فهرس المكتبة الأزهرية. التصوف حرف (م).

المقتبس، ولكنه مؤلف بالعجمية. وقد حرم من فوائده أهل العربية. فأردت أن يكون هذا الكتاب مؤلفا بالعربية الفصيحة، بدلا عن العجمية المليحة؛ ليكون على موائد فوائده العلماء المتبحرون، والفضلاء المعتبرون. فاستخرت الله، وأسعفت ملتمسه، وعرفت مقتبسه بقدر الإمكان بعد الإمعان. مستعينا بالله فى إلمامه (1)، مستهديا منه فى إتمامه. مستنبطا معانيه من إشارات القرآن، وتلويحات الأخبار، ورموز المشايخ الكبار. مؤسساً (2) مبانيه على مشاهدات الأنوار، ومكاشفات الأسرار؛ من غرائب المواهب، وعجائب المراتب. سالكا فيه طريقة لم أُسْبَق إلى سلوكها. وإن صُنِّفَتْ فى هذا الباب كتبٍ كثيرة من أرباب الحقائق وملوكها. ورحم الله عبدا، إذا عَرف اعترف، وإذا استنصِف أنصف. حين أوضح معالم الدين بحيث يحصل للطالب الراغب منه برد اليقين؛ فيكون منارا للسائرين إلى الله، ومطارا للطائرين بالله. بتوفيق الله الموفق والمعين، إن شاء الله رب العالمين.

وسميت هذا الكتاب (3) بهذا الاسم. [منارات السائرين إلى الله ومقامات الطائرين بالله]. ولعمرى إنه جرى بهذا الاسم قُرِئ (4) بهذا الوسم. فإن السائر يسير بأنوار مناره، والطائر يطير بأطوار مطاره.

وجعلت للكتاب (5)، فاتحة، وخاتمة، ووضعت للمقامات عشرة أبواب. تبرُّكا بقوله تعالى ﴿ **تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ** ﴾ (6). ويشتمل كل باب منها على عدة فصول.

وهذا فهرست الأبواب والفصول(7) :

---

(1) فى (ز) ، (ت) : (إتمامه).

(2) فى (ز) : (مأسسا).

(3) فى (ز ، ت) : (سميت الكتاب).

(4) غير واضحة فى (ط).

(5) فى (ز) : (الكتاب) .

(6) آية رقم (١٩٦) من سورة البقرة (مدنية).

(7) فى (ت ، ز) : (فهرست الأبواب) فقط

* **الباب الأول : فى مقام المعرفة[1].**

وفيه ثلاثة فصول :

الفصل الأول : فى مقام معرفة العوام.

الفصل الثانى : فى مقام معرفة الخواص.

الفصل الثالث : فى مقام معرفة أخص الخواص.

* **الباب الثانى : فى مقام التوحيد .**

وفيه ثلاثة فصول :

الفصل الأول : فى مقام توحيد العوام، وهو مقام المبتدئ.

الفصل الثانى : فى مقام توحيد الخواص، وهو مقام المتوسط.

الفصل الثالث : فى مقام توحيد أخص الخواص[2]، وهو مقام المنتهى.

* **الباب الثالث : فى مقام النبوة.**

وهو يشتمل على عشرة فصول :

الفصل الأول : فى كيفية ارتقاء الحواس الخمس إلى الحس المشترك ومنه [3] إلى ما فوقه إلى أن يصير الروح به قابلا للوحى.

الفصل الثانى : فى كيفية [4] الوحى.

الفصل الثالث : فى أصناف الوحى .

الفصل الرابع : فى أن العقل ملك مطاع بالطبع متهيئ لقبول الوحى والإيمان به.

---

(١) فى (ز) : (بتاء مفتوحة) وفى ت (مقامات) والصحيح (مقام).
(٢) فى (ز) ، (ت) : (الأخص).
(٣) فى (ز) ، (ت) : (ومنها).
(٤) فى (ز) : (بتاء مفتوحة).

الفصل الخامس : فى المنام[1] الصادق، والفرق بين المنام ووقائع[2] القوم[3].

الفصل السادس : فى دلائل النبوة، والفرق بين الرسول والنبى.

الفصل السابع : فى الفرق بين النبوة والكهانة[4].

الفصل الثامن : فى الفرق بين المعجزة، والكرامة، والسحر، والشعوذة[5].

الفصل التاسع : فى إثبات نبوة المصطفى (صلوات الله عليه).

الفصل العاشر : فى فضيلة نبينا (صلى الله عليه وسلم) على جميع الأنبياء وختم النبوة به.

* الباب الرابع : فى مقام الولاية.

وهو يشتمل على ستة فصول :

الفصل الأول : فى مراتب مقامات الولى.

الفصل الثانى : فى مقام[6] التقوى.

الفصل الثالث : فى مقام الزهد.

---

(١) فى (ز) ، (ت) : (منام).

(٢) فى (ز) ، (ت) : (وتابع).

(٣) فى (ز) ، (ت) : (القول).

(٤) فى (ز) : بتاء مفتوحة. وفى النسخة (ز) كثيراً ما تأتى التاء هكذا مفتوحة فى غير موضعها وسأكتفى بالإشارة إلى هنا وبأننى سأقوم بتغييرها دون الإشارة إلى ذلك فى الهامش حتى لا أثقله.

(٥) فى (ز) : (الشعبذة).

(٦) فى (ز) ، (ت) : (مقامات) . وكل لفظ (مقام) فى هذا الباب كتب : (مقامات) مما يؤكد وجهة نظرنا فى أن الناسخ للورقات الناقصة فى النسخة (ت) هو الذى كتب (مقامات).

الفصل الرابع : فى مقام الصبر.

الفصل الخامس : فى مقام الرضا.

الفصل السادس : فى مقام المحبة.

*** الباب الخامس : فى مقام[1] الإنسان.**

وفيه ثلاثة فصول :

الفصل الأول : فى أن الإنسان هو العالم الكبير بالروح.

الفصل الثانى : فى أن شخص الإنسان عالم صغير.

الفصل الثالث : فى تسوية القالب، وتعلق الروح.

*** الباب السادس : فى مقام الخلافة المختصة بالإنسان.**

وهو مشتمل على ثلاثة فصول :

الفصل الأول : فى ماهية الخلافة.

الفصل الثانى : فى اختصاص الإنسان بالخلافة.

الفصل الثالث : فى تفاوت الخلافة ودرجاتها.

*** الباب السابع : فى مقامات الإنسان عند رجوعه إلى ربه.**

وفيه أربعة [2] فصول :

الفصل الأول : فى كيفية رد الروح إلى القالب.

الفصل الثانى : فى رجوع الروح إلى الحضرة.

الفصل الثالث : فى العبور عن مقامات خواص جواهر العنصرية، (وهى أربعة مقامات: الترابية، والمائية، والهوائية، والنارية)[3].

---

(١) فى (ز) ، (ت) : (مقامات).

(٢) فى (ز) ، (ت) : (أربع).

(٣) ما بين القوسين سقط من (ت ، ز).

الفصل الرابع : فى العبور عن خواص جواهر المركبات والنباتات فى الرجوع.

* الباب الثامن : فى مقامات النفس، ومعرفتها [1].

وفيه عشرة[2] فصول :

الفصل الأول : فى معرفة النفس، وماهيتها.

الفصل الثانى : فى تزكية النفس عن صفاتها الذميمة.

الفصل الثالث : فى صفة الكبر وعلاجها [3] بالتواضع.

الفصل الرابع : فى صفة الحرص، وعلاجها بالقناعة.

الفصل الخامس : فى صفة الحسد وعلاجها بالنصيحة والرحمة والشفقة.

الفصل السادس : فى صفة الشهوة، وعلاجها بالعفة والاجتناب عن الشهوات، وبالجوع.

الفصل السابع : فى صفة الغضب، وعلاجها بالحلم.

الفصل الثامن : فى صفة البخل، وعلاجها بالسخاء.

الفصل التاسع : فى صفة الحقد، وعلاجها بالعفو وسلامة القلب.

الفصل العاشر : فى مراتب التوبة على حسب مقامات النفس. (وهى أربع مراتب. المرتبة الأولى : التوبة وهى للنفس الأمّارة) [4].

---

(١) فى (ز) ، (ت) : (ومعرفتها).

(٢) فى (ز) ، (ت) : (عشر).

(٣) فى النسخة (ط) : (وعلاجه). وواضح هنا أنه يشير إلى الكبر لا إلى لفظ (صفة) ويتبع كل الصفات لفظ التأنيث حتى الفصل العاشر.

(٤) ما بين القوسين سقط من النسخة : (ز) ، (ت).

* **الباب التاسع : فى معرفة القلب ومقاماته فى التصفية.**

وفيه فصلان :

الفصل الأول : فى معرفة القلب.

الفصل الثانى : فى مقامات القلب [1].

* **الباب العاشر : فى معرفة الروح ومقاماته.**

وفيه فصلان :

الفصل الأول : فى معرفة الروح وماهيته.

الفصل الثانى : فى مقامات الروح [2].

---

(١) (وفيه ثلاثة عشر فصلا) زائدة فى (ز) ، (ت) هكذا. والحقيقة أنها ليست فصولاً، وإنما هى فقرات لها عناوين جانبية. ولم يذكر داخل النص أية إشارة على تقسيم الفصول، لذا لم أثبتها هنا فى الفهرست.

(٢) إشارة كالسابقة تماما. فى (ز) ، (ت) : وفيه ثلاثة عشر فصلا. وهى كما سبق.

فاتحة الكتاب

اعلم أيدَك الله بروح منه، وأحياك بنوره، أن لهذا الملتمَس مقدمات ينبغى أن تُعرف أولا حتى تستفتح منها هذه المطالب، وهى معرفة مراتب الموجودات الصادرة من مبدعها [1] وموجدها. على سبيل الاختصار، وهى [2]: الحضرة الإلهية، المسماة عند بعضهم بواجب الوجود. ونعنى بواجب الوجود؛ أن يكون وجوده من ذاته لا من غيره. ووجود غيره منه. فيكون كل ما سواه ممكن الوجود. والممكن : ما يكون طرفا وجوده، وعدمه متساويين. فلا بد له من مرجح طرف وجوده على عدمه. والمرجح : هو الله الواحد الأحد الصمد. لم يلد، ولم يولد، ولم يكن له كفوا أحد[3].

فصل

ثم اعلم، أن العالم بما فيه من الغيب والشهادة، مكوّن من[4] الفيض الأول؛ الذى عبّر عنه بكلمة «كُنْ». كما قال الله تعالى ﴿ **إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ** ﴾ [5]. وأوّلُ شَيْءٍ تَكَوَّنَ بتكوين الفيض الأَوّل : الروح الأعلى. والنور الأربى، وهو روح سيد الأولين، والآخرين. محمد المصطفى، عليه وعلى آله

---

(١) فى (ز) ، (ت) : مبدئها).

(٢) فى (ز) ، (ت) : (وهو).

(٣) استخدم المؤلف هنا نص سورة الإخلاص فى سياق كلامه ولذا لم أشر إليه على أنه نص قرآنى. لأن سورة الإخلاص هى :

﴿ **قل هو الله أحد * الله الصمد * لم يلد * ولم يولد * ولم يكن له كفواً أحد** ﴾.

(٤) فى (ز) ، (ت) : (بتكوين).

(٥) آية رقم (٤٠) من سورة النحل مكية.

أفضل الصلوات، وأزكى التحيات. ونوره كما قال عليه السلام «أول ما خلق الله روحى»[1]. وفى رواية «نورى». وإنما قال فى رواية أخرى «أول ما خلق الله العقل». لأن العقل هو نوره بالحقيقة. فافهم جداً. وإنما قال فى رواية أخرى: «أول ما خلق الله القلم». لأن روحه كان قلم الحق، سبحانه وتعالى [2]، فكما أن القلم يستفيض من المداد للكتابة. كان روحه مستفيضا من الفيض الأول، ويفيض على المكونات. فكأن المكونات كتاب[3] كتبه الله تعالى بقلم[4] روحه ومداد أنوار فيضه الأول؛ فلهذا السرّ قال النبى، عليه والسلام، «خلق الله القلم من نور، ومداده النور»[5]. وكل عالم من العوالم المختلفة حرف من حروف كتابه. والإنسان الكامل كلمة من كتابه. مركبة من حروف العوالم المختلفة كلها. كما سمّى الله تعالى «عيسى» عليه السلام، بالكلمة. فقال : «روح الله وكلمته» [6]. وكان بهذا الاعتبار كل نبى كلمة. وكان نبينا [صلى الله عليه وسلم] [7] هو الكتاب كله. وقد كشف القناع عن هذا السر بقوله [صلى الله عليه وسلم]:

«لما خلق الله القلم، قال له : اكتب.

قال: وما أكتب.

---

(١) حديث الرسول: أول ما خلق الله روحى. نورى. العقل. انظر فهرس تخريج الأحاديث، نهاية الكتاب

(٢) فى (ز) : ما بين القوسين سقط وكتب [القلم الحق تعالى].

(٣) فى (ز) : (ويفيض على المكونات كتابا) وواضح أن الناسخ سقط منه (فكأن المكونات) وفى (ت) : (فكأن المكونات كتابا).

(٤) فى (ز) ، (ت) : (بالقلم).

(٥) حديث : خلق الله القلم من نور ومداده النور، انظر فهرس تخريج الأحاديث نهاية الكتاب.

(٦) هنا تحريف فى الآية القرآنية. والصحيح هو:

﴿ يا أهل الكتاب لا تغلوا فى دينكم ولا تقولوا على الله إلاّ الحق إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه فآمنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيراً لكم إنما الله إله واحد سبحانه أن يكون له ولد له ما فى السموات وما فى الأرض وكفى بالله وكيلا﴾ آية ١٧١ من سورة النساء (مدنية).

(٧) ساقطة فى (ز) ، (ت).

قال : اكتب لا إله إلاّ الله، محمد رسول الله.» [1]

يشير به إلى أنه لا مكون للمكونات إلاّ الله، سبحانه وتعالى[2]، لأنه كونها بفيض جوده، ولا وجود للمكونات إلاّ بمحمد (صلى الله عليه وسلم). لأنه برسالته إلى المكوّنات. استفاض من الفيض الأول، وأفاض عليهم فتكوّنوا برسالته. كما تتكون الحروف والكلمات برسالة القلم المستفيض من المداد، وتبليغه إلى المصحف.

وقد صرح النبى (صلى الله عليه وسلم) بتحقيق هذا المعنى فى حديث «جابر ابن عبد الله الأنصارى» [3] رضى الله عنه قال: سألت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) عن أول شىء خلق الله.

قال : «هو نور نبيك يا جابر، خلقه، ثم خلق منه كل خير، وخلق بعده كل شىء. وحين [4] خلقه أقامه قُدَّامَه فى مقام القرب اثنتى عشرة [5] ألف سنة، ثم جعله أربعة أقسام. فخلق العرش من قسم، والكرسى من قسم. وحملة العرش وخزنة الكرسى من قسم. وأقام القسم الرابع فى مقام الحب اثنتى عشرة [6] ألف سنة. ثم جعله أربعة أقسام. فخلق القلم من قسم، واللوح من قسم والجنة من قسم. وأقام القسم الرابع فى مقام الخوف اثنتى عشرة [7] ألف سنة. ثم جعله أربعة أجزاء. فخلق الملائكة من جزء، وخلق الشمس من جزء، وخلق القمر والكواكب من جزء، وأقام الجزء الرابع فى مقام الرجاء اثنتى عشرة ألف سنة،ثم جعله أربعة أجزاء. فخلق

---

(١) حديث لما خلق الله القلم قال له اكتب قال وما أكتب؟ قال اكتب لا إله إلاّ الله محمد رسول الله. ينظر فهرس تخريج الأحاديث نهاية الكتاب.

(٢) ساقطة من (ز) ، (ت).

(٣) حديث (جابر بن عبد الله الأنصارى). ينظر فهرس تخريج الأحاديث نهاية الكتاب.

(٤) فى (ز) : (وخير).

(٥) فى (ز) ، (ت) : (اثنا عشر).

(٦) فى (ز) : (اثنى عشر).

(٧) فى (ز) : كالسابقة، وسأكتفى بهذه الاشارة فهى كما مضى لمثلها.

العقل من جزء، وخلق العلم والحلم من جزء، والعصمة والتوفيق من جزء، وأقام الجزء الرابع فى مقام الحياء اثنتى عشرة ألف سنة. ثم نظر الله إليه فترشح النور عرقا فقطرت منه مائة ألف وعشرين[1] ألفا وأربعة آلاف قطرة من النور. فخلق الله تعالى من كل قطرة روح نبى أو رسول ثم تنفست أرواح الأنبياء، عليهم السلام[2]، فخلق الله تعالى من أنفاسهم نور الأولياء والسعداء، والشهداء، والمطيعين من المؤمنين إلى يوم القيامة. فالعرش والكرسى من نورى والكريبّون من نورى، والروحانيون من الملائكة من نورى، وملائكة السموات السبع من نورى، والجنة وما فيها من النعيم من نورى، والشمس والقمر والكواكب من نورى، والعقل والعلم والتوفيق من نورى، وأرواح الرسل والأنبياء من نورى، والشهداء والسعداء من نتائج نورى.. ثم، خلق الله اثنى عشر حجابا فأقام النور وهو الجزء الرابع، فى كل حجاب ألف سنة. وهى مقامات المعبودية [3]، وهى حجاب الكرامة، والسعادة، والهيبة، والرحمة، والرأفة، والعلم، والجلم، والوقار، والسكينة، والصبر، والصدق واليقين. فَعَبَدَ الله به ذلك النور فى كل حجاب ألف سنة. فلما خرج النور من الحجب ركّبه الله تعالى فى الأرض فكان يضيىء منها ما بين المشرق والمغرب، كالسراج فى الليل المظلم. ثم خلق الله آدم من الأرض، وركّب فيه النور فى جبينه ثم انتقل منه إلى شيث، وكان ينتقل من طاهر إلى طيب، ومن طيب إلى طاهر. إلى أن أوصله [4] إلى صلب عبد الله بن عبد المطلب، ومنه إلى رحم [5] أمى آمنة. ثم أخرجنى إلى الدنيا فجعلنى سيد المرسلين، وخاتم النبيين ورحمة الله [6] للعالمين، وقائد الغر المحجلين. هكذا كان

(١) فى (ز) : (وعشرون)

(٢) سقطت من (ز).

(٣) فى (ز) : (العبودية).

(٤) فى (ز) : (وصل).

(٥) سقطت من (ز).

(٦) لفظ الجلالة سقط من (ز).

بدء[1] خلق نبيك يا جابر [2]».

فثبت أن المكونات تكونت بإضافة فيض نور النبى (صلى الله عليه وسلم). الذى هو مستفيض من الفيض الأول. فكان مثل روحه (صلى الله عليه وسلم). مع المكونات مثل البذر مع الشجر فإن أصلها، وفرعها، وجذعها، وأوراقها، وثمراتها متفرعات. ونتائج من البذور. فيصّح عن الزارع لو قال للبذور لولاك لما زرعت الشجرة. كما قال تعالى لنبيه (صلى الله عليه وسلم) لولاك لما خلقت الكون[3].

ثم:

اعلم أنه كما أن للبذر لطافة مودعة فيه بالحكمة البالغة لقبول تعلق النفس النامية، التى هى من عالم الملك، وله مكان من جنسه ليستقر فيه، ولا بد له من مادة ليستمد منها المدد لاستكمال الشجرة، وهى الأرض فكذلك كان لروح محمد (صلى الله عليه وسلم). لطافة مودعة فيه لقبول تعلق الفيض الإلهى به وهو غير (جنس روحه وله مكان من) [4]جنسه، ليستقر فيه، وهو الوجود الروحانى، ولا بد له من مادة يستمد منها لاستكمال شجرة المكونات، وهى الفيض الأول. أعنى أمر «كُنْ». فإنه يمده إلى الأبد، ثم نقول: الأمر بالنسبة إلى الآمر، هو الفيض الأول. وبالنسبة إلى المأمورات فهو المفيض. وأول فيضه الروح. كما قال الله تعالى: ﴿ **قل الروح من أمر ربى** ﴾ [5] فبهذه النسبة فالروح هو الفيض الأول، ومنه ينشأ عالم الأرواح بأسره فروح النبى (صلى الله عليه وسلم) بهذا الاعتبار آدم الأرواح وأبوها. كما كان آدم، عليه السلام، آدمَ الأشباح وأباها [6].

---

(١) فى (ز): (بدو).

(٢) حديث جابر، ينظر فهرس تخريج الأحاديث نهاية الكتاب.

(٣) قال تعالى لنبيه (لولاك لما خلقت الكون)، ينظر فهرس تخريج الأحاديث نهاية الكتاب.

(٤) ما بين القوسين سقط من النسختين (ط)، (ت).

(٥) آية رقم ٨٥ من سورة الإسراء مكية.

(٦) فى (ط): (وأبوها).

فصل

ثم اعلم أن أقسام المكونات تنقسم[1] إلى قسمين : روحانيات، وجسمانيات. وقد تسمى بالغيب والشهادة. وتارة تسمى بالعلويات والسفليات، وأخرى تسمى بالدنيا والعقبى، والآخرة والأولى. ومرة تسمى بالملك والملكوت. فالملك ما يظهر من الكون وتدركه الحواس الخمس. وهو قابل للقسمة والتجزىء. والملكوت ما بطن من الكون ولا تدركه الحواس الخمس، ولا يقبل القسمة والتجزىء؛ لأنه ليس بجسم ولاعرض. بل هو جوهر قائم بذاته. والدليل عليه أن الجسم إذا قبل صورةً ما، لم يمكنه أن يقبل صورة غيرها [2] من جنسها إلاّ بعد أن يخلع الصورة الأولى ويفارقها على التمام. ومثال ذلك أن الفضة إذا قبلت صورة الجام لم يمكنها أن تقبل صورة الكوز إلاّ بعد أن يزول عنها صورة الجام، ويخلعها خلعا تامًا. وكذلك الشمع، إذا قبل صورة نقش ما، لم يمكنه أن يقبل صورة نقش آخر إلا بعد أن تنمحى صورة النقش الأول، وتفارقه مفارقة تامة، وعلى هذا جميع الأجسام. وهذه قضية صادقة مشهورة لا يحتاج فيها إلى دليل.. فإنا إذا وجدنا شيئا حاله بخلاف حال الأجسام فى المعنى الذى ذكرناه. أعنى أنه يقبل صوراً كثيرة من غير أن يبطل شيء منها. تبين لنا أنه ليس بجسم فإن بان لنا أنه كلما كثرت هذه الصور[3] فيها ازدادت قوة على قبول غيرها، ثم جرى ذلك منها على هذا النظام إلى غير نهاية، ازددنا بصيرة ويقينا أنه ليس بجسم، فالروح الإنسانى الذى هو من الملكوت الأعلى بهذه الصفة، وذلك أنه إذا قبل صورة معقول ما، أو ثبتت تلك الصورة ازداد بها قوة على تصور معقول آخر إليها من غير أن تفسد الصورة الأولى ثم كلما كثرت صور[4] المعقولات فيه اقتدر بها على قبول غيرها. وقوى فى هذا القبول قوة متزايدة بحسب تزايد المعقولات.

---

(١) فى (ز) ، (ت) : (تقسم).

(٢) فى سائر النسخ : (بغيرها).

(٣) فى (ط) : (الصورة).

(٤) فى (ط) : (صورة).

فصل

ثم إنه من الأمور المسلمة [1] أن الإنسان إنما تميز[2] عن البهائم وغيرها بهذا المعنى الموجود له لا بتخاطيطه، ولا بشيء من أشكاله البدنية، ومن الدليل على أن ذلك كذلك أن هذا المعنى هو الذى يقال به فلان أكثر إنسانية من فلان، إذا كان فيه أبين وأظهر. ولو كانت الإنسانية بالتخاطيط، وغيرها من جملة البدن، لكان إذا تزايدت فى إنسان قيل بها فلان أكثر إنسانية من فلان. ولسنا نجد[3] الأمر كذلك، وبهذا [4] المعنى الذى ذكرناه. يسمى مرة بما نسميه روحا إنسانيا، ومرة نفسا ناطقة، ومرة قوة عاقلة، ومرة قوة مميزة. ولسنا نشاح فى الأسماء، فليسم بأى اسم كان. ولكن الاسم الذى به سمّاه الله تعالى ورسوله أولى به وأليق، وهو الروح. ومما يدل أيضا، أن هذا المعنى — أى الروح — ليس بجسم. أن جميع أعضاء الإنسان، وغيرها من الحيوان. صغر فيه أم كبر، ظَهَرَ منه أو بَطَنَ. إنما هو آلة مستعملة لغرض لم يكن يتم إلاّ بها. وإذا كان البدن كله آلات، ولكل آلة منها فعل خاص لايتم إلاّ بها. اقتضى مستعملا يستعمله. كما نجد آلات الصائغ والنجار، وغيرهما. وليس يجوز أن يقال : إن بعض البدن يستعمل بعضه هذا الاستعمال، لأن ذلك البعض الذى يشار إليه، ويظن أنه يستعمل الآلات الباقية. هو أيضا، آلة. وجزء من آلة. وجميعها مستعملة. فمستعْملُها غيرها. وإذا كان مستعملها غيرها ولم يكن جزءاً منها. وجب أن يكون غير جسم. ليتم له ألاّ يشغله مكان الجسم ولأن آلات

---

(١) فى (ز) : (الملمة).

(٢) فى (ز) : (يميز).

(٣) فى (ز) : (وليس)

(٤) فى (ز) : (وهكذا).

الجسمية فى مواضعها. لأنه لا يحتاج إلى مكان، ويستعملها كلها على اختلاف الأغراض المستعملة فيها. فى حال واحد من غير غلط، ولا عجز ليتم من الجميع أمر واحد. فإن هذه الأحوال ليست أحوال الأجسام، ولا موضوعة فى أحكامها.

ثم نقول إن الروح ليس بعرض ولا مزاج. لأن المزاج والأعراض توجد فى الجسم كلها تابعة للجسم. والتابع للشيء، هو أخسٌ منه، وأقل حظا من الوجود لأنه لا يوجد إلاّ بوجوده. فإن كان أخسّ منه. فكيف يستخدمه، ويستعمله. كما يستعمل الصانع آلته. ويصير رئيسا عليه، ومتحكما فيه.. هذا قبيح شنيع.

ثم نشرع فى شرح المقامات.

الباب الأول

فـــى

« مقام المعرفة »

وفيه ثلاثة فصول

مقام المعرفة

قال الله تعالى ﴿وماقدروا الله حق قدره﴾ [١].

جاء في التفسير : وما عرفوا [٢] الله حق معرفته.. عن عائشة (رضى الله عنها). أن النبى (صلى الله عليه وسلم) . قال:

«إن دعامة البيت أساسه. ودعامة الدين المعرفة بالله، واليقين، والعقل القامع.

فقلت : بأبى وأمى. ما العقل القامع [؟].

قال : الكف عن معاصى الله، والحرص على طاعة الله.»[٣].

وقال داود، عليه السلام : «يا رب، لماذا خلقت الخلق. قال : كنت كنزا مخفيا، فأحببت أن أُعْرَف فخلقت الخلق لأُعْرَف»[٤].

اعلم. أن ألسنةَ الفصحاء عن ذكر حقائق أمور المعرفة محتبسة، وقلوبَ العرفاء عن

---

(١) آية رقم (٩١) من سورة الأنعام مكية.

(٢) فى (ت) : (وما عرف)، وكذلك (ز).

(٣) حديث الرسول إن دعامة البيت أساسه ....، ينظر فهرس الأحاديث نهاية الكتاب.

(٤) هذ الحديث ينسب كثيراً إلى النبى محمد (ﷺ) ولذا فكتب الحديث تثبت أنه موضوع على النبى (ﷺ) ولذا فنسبة هذا إلى النبى (داود) عليه السلام تؤكد عدداً من المعانىْ:
أ ــ أن كثيرا من الكتب تذكر هذا مسبوقا بهذه العبارة (وقال عليه السلام). فيقع فى الأذهان على أنه للنبى محمد (ﷺ) أما نسبة هذا إلى داود عليه السلام فى هذا السياق يؤكد اطلاع المؤلف، كما قال فى مقدمته، على كتب كبار القوم وتلويحات الأخبار..إلخ.
ولذا فلن أنسبه هنا إلى النبى محمد (ﷺ).

شرح دقائقها مختتنسة. حارت عن التكشف بكيفيتها عقول العقلاء. وطارت عن استدراكِ كلِّيتها بصائر العلماء. فرجعت العقول منه خاسرة، خائبة، وانقلبت البصائر إليهم خاسئة، هائبة. تعظيما وإجلالا لتلك المعاهد، وتخشعا، وتذللا لتلك المقاصد. جلّ جناب القدس عن درك العقول. وعزّ سرادق الكبرياء عن الحضور بالوصول. وكبر عنقاء الوصول[1] عن الاصطبار[2] بالحصول.

لَقَدْ طُفْتُ فِي تِلْكَ الْمَعَاهِدِ كُلِّـها * وَسَـيَّرْتُ طَـرْفِي بَـيْنَ تِلْكَ العَوالِمِ

فَلَمْ أَرَ إلاَّ وَاضِعا كَفَّ حائِرٍ * على ذقنٍ أَوْ قَارِعاً سِنَّ نَادِمِ[3]

ولكن غاية الأمر[4] مع عظم شأنه، وعزيز برهانه.[5] قد جعل الله للسائرين إليه منارات، ورتب للطائرين به مقامات. فبلغهم[6] من ذلك على قدر ما طابت لهم ريح العناية، وسارت بهم على فلك الاستقامة؛ حتى وصلوا إلى[7] معادن جواهر الهداية. فبذلوا ليحصّلوا، وانفصلوا ليتّصلوا. فهبت نفحات ألطاف الربوبية، فانحرفت حجب أستار البشرية عن وجه العبودية. عند سطوات نكهات[8] أوصاف الألوهية. فكشف عن قلوبهم غطاء ظلمة الفكرة، وكوشفوا بأنوار المعرفة. فعاشوا بعد أن طاشوا، وطاشوا بعد أن عاشوا. فتارة بتجلي جماله عاشوا، وأخرى بتجلي جلاله طاشوا. فهم مترددون بين روضة عيش وغدير طيش. إلى أن قطعوا مفاوز العيش، وعبروا عن بحار الطيش. فلم يبق العيش، ولا الطيش. ففنوا عن أنانيتهم بهويته. وبقوا بلا هم بربوبيته.

---

(١) في (ط) : (الوصال).

(٢) في (ز) : (الاصطياد).

(٣) في (ز) : (أو قارعا من سن نادم)، (وكف بحائر)، (وصيرت).

(٤) في (ز) : (ولكن نشاء).

(٥) في (ز) : (وعزّ برهانه).

(٦) في (ز) : (فمبلغهم).

(٧) في (ز) : (إلا) ومصححه على الهامش. مما يدل على أن هذه النسخة قد تم مقابلتها.

(٨) في (ز) : (نكبا).

واعلم أن مقامات المعرفة مبنية على ثلاثة فصول:

(الفصل الأول : فى مقام معرفة العوام.

الفصل الثانى : فى مقام معرفة الخواص.

الفصل الثالث : فى مقام معرفة أخص الخواص)[1].

---

(١) ما بين القوسين زيادة من النسخة (ز).

الفصل الأول

فى مقام معرفة العوام

وهى معرفة عقلية[1]. وقد تساوى فيه [2] المسلم، والكافر، واليهود، والنصارى، والمجوس، والملاحدة، والفلاسفة، والطبائعية، والدهرية [3]. فإن لهم شركة فى العقل، وقد اتفق كلهم على وجود إله بلا خلف، وإنما وقع الخلاف فيما بينهم فى صفات الألوهية، لا فى الذات. وهذا الخلاف أيضا واقع فيما بين المسلمين. ولكل طائفة منهم مذهب فى إثبات الصفات ونفيها. فلا [4] نشرع فى شرحه لئلا يخرجنا من حد [5] الإيجاز. والذى يدل على اتفاق المؤمن والكافر فى إثبات ذات[6] الله تعالى.. قوله تعالى ﴿ **ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله** ﴾ [7]. ولقد قال الذين يعبدون الأصنام أيضا ﴿ **ما نعبدهم إلاّ ليقرّبونا إلى الله زلفى** ﴾ [8].

(١) فى (ز) وهى المعرفة العقلية.

(٢) إشارة إلى الاستواء فى مقام المعرفة.

(٣) المعطوفات بعد لفظ المسلم والكافر غير صحيحة وكان يجب أن يقول: «واليهودى، والنصرانى، والمجوسى، والملحد، والفيلسوف، والطبيعى أو الطبائعى، والدهرى» وهكذا. لكنه عطف فرقاً على أفراد.

(٤) فى (ز) : (ولانشرع).

(٥) ساقطة فى (ز).

(٦) فى (ز) (الذات).

(٧) آية رقم (٢٥) من سورة لقمان مكية.

(٨) آية (٣) من سورة الزمر مكية.

واعلم. أن هذا النوع من المعرفة أعنى المعرفة، العقلية ليست بمنجية [1] من النار، إلاّ أن يكون الاستدلال العقلى مؤيدا بنور الإيمان، ومؤكدا بالأعمال الصالحة (والله أعلم).

والمعرفة العقلية ما يكون ثابتا بالدليل الواضح على وجود الصانع البارى، ووحدانيته فى الإلهية جل جلاله.

ثم اعلم:

أن أولى الاستدلالات على وجود الصانع ووحدانيته بالحركة، وأنها أظهر الأشياء دلالة عليه. وهو أن أحد الأصول المبنّية للعقل التى قال بها من اتبع الحق: إنه لا يحدث شىء من الأشياء من غير علة. ولا يتحرك متحرك إلا عن محرك له سواه. وذلك أن لكلِ جسم طبيعى حركة تخصّه، وذلك أن الجسم ما كان منه موجودا، وما كان منه مُتَكَوّنا. وإنما قوامه بصورته الخاصة التى هى به. وصورته الخاصة هى المقومة لذاته هى طبيعته، وطبيعة مبدأ الحركة الخاصة به، وحركته الخاصة به هى التى تحركه إلى تمامه. وتمام كل شىء. هو ما لاءمه ووافقه، وكذلك كل متحرك يتحرك إلى تمامه وإلى ما يوافقه. ولهذا قيل: إن كل متحرك يتحرك إلى تمامه فهو بالشوق. والذى يشتاق فهو معلول مما يشتاق إليه. والعلة تتقدم على المعلول بالطبع. فلذلك صار الاستدلال بالحركة أظهر الأشياء. وأَوْلاها بالدلالة على الصانع عز وجل. ... ونعود فنقول: إن الحركة المطابقة [2] للأجسام الطبيعية هى ست: حركة الكون، والفساد، والنمو، والنقصان، والاستحالة، والنقلة. وذلك أن للحركة نقلا[3]، وتبدُّلاً ما. والتبدُّل فى جسم إذا كان طبيعيا. لا يخلو من أن يكون عرضا. إمّا بمكانه، وإمّا بكيفيته، وإما بجوهره. وأمّا التبدل بالمكان فإمّا أن يكون بكله أو

---

(١) فى (ت)، (ط) : (بناجية).

(٢) فى (ز) : (المطلقة).

(٣) فى (ز) : (نقلة).

بجزئه[1]. فإن كان بكله كانت حركته مستقيمة، وإن تبدل بجزئه[2] كانت حركته مستديرة.. ونفرض للمستدير أن يتحرك أيضا إما من محيطه إلى مركزه (وإمّا من مركزه إلى محيطه. فإن تحرك من مركزه إلى محيطه كانت حركته نمواً وإن تحرك من محيطه إلى مركزه كانت حركته نقصانا).[3] وأمّا [4] المتبدل بالكيفية فليس يخلو. إما أن يحفظ جوهره أو لا يحفظ. فإن حفظ جوهره كانت حركته استحالة، وإن لم يحفظ جوهره كانت حركته فسادا. وهذه الحركة الأخيرة إذا نظر إليها بقى إلى جوهره الثانى. أعنى ما استحال إليه سميت كونا. ثم نقول: إن لكل متحرك بحركة من أنواع الحركات محركا سواه [5]. وإن محرك جميع الأشياء غير متحرك. وإنه علّة تمامها، وعلة حركتها. وذلك لأن كل متحرك تحرك بغير محرك. فذلك المتحرك لا يخلو من أن يكون حيا، أو غير حى. فإن كان حيا. وادعى مدع أن حركته من ذاته، لا من غيره، قلنا له: لو كان كذلك لكنا إذا نزعنا جزءا من أجزائه الشريفة بقيت حركة الحى. وحركة الجزء المنزع جميعا. وليس الأمر كذلك بل هو بالضد.

فليس إذاً ذات جوهر الحى هو المحرك بل غيره. وإن كان[17] المحرك غير حى. فهو إمّا نبات، وإمّا جماد. فإن كان نباتا؛ فيلزم فى حركته ما يلزم من حركة الحى أيضا، وإن كان جمادا. فإنه : إمّا أن يكون أحد العناصر الأربعة، أو واحدا من مركباتها. فإن كان أحد العناصر. لزم فيه إن كانت حركته من ذاته ألا يقف إذا بلغ موضعه الخاص به إذا انتهى إليه. وإن وقف فيه لزم أن يقف فى غيره كما يقف الحيوان حيث يريد. وليس الأمر على ذلك فليست حركة العناصر من ذاتها. فهى إذا من غيرها.

---

(١) فى (ز) : (بجزء ٥).

(٢) كالسابقة تماماً.

(٣) الجملة الموجودة بين قوسين كانت متداخلة فى (ط) ، (ت).

(٤) فى (ز) : (فأمّا).

(٥) فى (ط) : متحركا.

(٦) فى (ز) : (كانت).

وكذلك حال المركبات من العناصر. فإن قال قائل: إن حركة العناصر إنما هي لطلبها المكان الذى يخصه [1]، لأنه هو المطلوب المتشوق إليه [2] وكل مطلوب[3] متشوق إليه[4] فهو المتحرك[5] لطالبه. فمن هذه الجهة أيضا، محرك العناصر غيرها. ويمكن أن نبين على هذه الجهة أن الحيوان إنما يتحرك بالشهوة، أو بالكراهة.. أمّا بالشهوة فليدنو من المشتهى شوقا إليه. وأمّا بالكراهة فليبعد من المكروه هربا منه. فمحركه إذاً غيره.. ثم ننظر فى هذا المحرك أيضا، فإن لزمه نوع من أنواع الحركة لزم فيه ما لزم فى المتحرك الأول، ولا يزال كذلك إلى أن ينتهى إلى محرك لا يتحرك بنوع من أنواع الحركة. وهو مبدأ أو علة. لوجود جميع الأشياء. وبه قوام كل جوهر ووجود كل موجود. وإذا تبين ذلك، فقد علم أن الوجود فى جميع الأشياء بالعَرَض. وهو فى المبدع الأول بالذّات.

وقد اجتمعت العلماء والحكماء، على أن كل ما يوجد فى شىء ما بالعرض. فهو فى شىء آخر بالذات. وذلك أن العرض فى الشىء أثر، والأثر حركة، ولا بد له من مؤثر فقط. فالوجود إذاً ذاتى المبدع الأول، الواحد الصمد، جل جلاله. لأنه لم يقبله من غيره، ومن قبله جميع الأشياء التى دونه، وبه قوام صور الموجودات. وإذا كان الوجود فيه كما قلنا ذاتيا فليس يجوز أن يتوهم معدوما. فهو واجب الوجود. وما كان واجب الوجود، فهو دائم الوجود. وما كان دائم الوجود، فهو أزلى. وإذا كان كذلك. فلا يجوز أن يتوهم شىء من أنواع الموجودات لم يكن وجوده منه. لأنه، عز وجل. الذى فاض به، وأعطاه ما دونه. فهو إذاً من الوجود فى أعلى رتبة. ووجودات سائر الأشياء كلها فائضة عنه ومستفادة منه.

---

(١) فى (ط) : (يحضره).

(٢) ساقطة فى (ط).

(٣) ساقطة فى (ط).

(٤) ساقطة فى (ط).

(٥) فى (ز) : (المحرك).

وبيان أنه تعالى واحد.. أنه لو كان الفاعلون أكثر من واحد للزم أن يكونوا مركبين، وذلك أنهم اشتركوا في أنهم فاعلون، واختلفوا بالذوات. ولا بد أن يكون الشيء الذي به خالف أحدهم الآخر غير ما وافقه به. فيجب من ذلك أن يكون كل واحد منهم مركبا من جوهر، وفصل. والتركيب حركة. لأنه أثر ولا بد له من مؤثر على ما تبين من قبل. فيجب من ذلك أن يكون للفاعل فاعل. وهذا يمر بلا نهاية. فبالضرورة يرتقي إلى فاعل واحد. يفعل بعض أفعاله بذاته، وبعضها بتوسط أشياء من مفعولاته.

والله أعلم.

الفصل الثانى

فى مقام المعرفة النظرية وهى

(معرفة الخواص)

وهم أهل البصائر والرَّوِيَّة، من أرباب القلوب السليمة الزكية. فإنهم ينظرون من روزنة القلوب، فى ملكوت الأشياء. كما قال الله تعالى ﴿ **أولم ينظروا فى ملكوت السماوات والأرض**﴾ (١) فيرون الآيات المودعة فى كل شىء. فتدل الآيات على معرفة الله، ووحدانيته. كما قيل:

وفى كل شىء له آية * تدل على أنه الواحد(٢)

وإن القلب إذا سلم عن الآفات، وأعرض عن الدنيا، وأقبل إلى المولى، وصقل بمصقل الذكر عنه، كدورات صفات البشرية. تنور بنور الذكر؛ وهو كلمة : لا إله إلاّ الله. وهى مركبة من نفى، وإثبات. فبنفيها تنفى شواغل القلب، وظلماتها.. وبالإثبات تثبت شواهد أنوار المذكور. فينكشف الغطاء عن بصر بصيرة القلب، فيرى بها جمال آيات الحق تعالى.. كما قال الله تعالى: ﴿ **ماكذب الفؤاد ما رأى**﴾ (٣).

---

(١) آية رقم ١٨٥ من سورة (الأعراف) مكية.

(٢) بيت الشعر لأبى العتاهية. بينما كثير من المصادر تنسبه إلى (أبى نواس). انظر محمد محمود الدش. أبو العتاهية : حياته وشعره.

(٣) آية (١١) من سورة (النجم) مكية.

ومن هنا قال من قال: ما نظرت فى شىء إلاَّ ورأيت الله فيه.. فمعرفة العوام بدلائل المعقول، ومعرفة الخواص بشواهد المدلول. فأين من يعرف الحق تعالى بإراءة العقل ممن يعرفه الحق بإراءة آياته فى مرآة الآفاق، وقبله. كما قال الله تعالى ﴿**سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق**﴾ (١).

---

(١) آية (٥٣) من سورة (فصلت) مكية.

الفصل الثالث

فى مقام المعرفة الشهودية

وهى (معرفة أخص الخواص)

وهم أصحاب مشاهدات الجمال، وأرباب مكاشفات الجلال الذين استخصهم الله بهذه السعادة، واصطفاهم لهذه السيادة. بلا هم وهم فى كتم العدم محبوسون من عهد القدم. وخياط القضاء بخياطة القدر. وخيط المشيئة على حانوت الأزل، بيد العناية، وقوة القدرة، وصناعة الحكمة. كان يخيط خلعة المعرفة على قدّهم؛ من ثوب قد نسج من سدى يحبّهم ولحمة يحبونه. كما قال الله تعالى «فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق لأعرف»[1]. فكان وجود العالم بما فيه فى الخلفية تبعا لهذه المعرفة. فلا يدرى أهى درة فى صدف المحبة، أو المحبة درة صدف المعرفة.. فإن المحبة بغير المعرفة لا يمكن وصولها. وإن المعرفة بغير المحبة لا يمكن حصولها. فلما أمعنت[2] النظر، وأتقنت[3] الفكر كوشف لى أن المعرفة صدف درة المحبة. لأن المحبة من صفات الله تعالى. والمعرفة من صفة العبد. ولهذا سبقت المحبة على المعرفة حيث قال: «فأحببت أن أعرف». فقد أضاف المحبة إلى نفسه، ونسب المعرفة إلى غيره.

---

(١) انظر الحديث السابق عن قول سيدنا داود. عليه السلام. ونسبة هذا الحديث إليه بدلا من نسبته إلى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فى ص ٤٥ من هذه الطبعة.

(٢) فى (ز) : (أنعمت).

(٣) فى (ز) : (وأمعنت الفكر).

والمحبة قديمة، والمعرفة حادثة. والقديمة أولى بالدرّية، والحادث أحرى بالصدفية. وقد كشف القناع عن وجه هذا المعنى النبى (صلى الله عليه وسلم).

«إن الله خلق آدم فتجلى فيه»[1] وحيث قال : إن الله خلق آدم على صورته. أى على صفته. فتحقق من هذا أن العالم صدف ودرته «آدم» عليه السلام، و«آدم» صدف ودرته «محمد» (صلى الله عليه وسلم). وشخص «محمد» صدف، وقلبه درته. وقلبه صدف، والمعرفة درته. والمعرفة صدف، والمحبة درته. ولهذا سمى حبيب الله. واختص بهذا الاسم دون سائر الخليقة. من الملائكة المقربين، والأنبياء، والمرسلين. وهو المشار إليه بكناية المحبة، والمعرفة فى قوله تعالى «فأحببت أن أعرف».. والناس تبع له فى نيل هذين المقامين. ومن هنا كان النبى (صلى الله عليه وسلم). يقول:

«أنا سيد ولد آدم، ولافخر»[2].

ويقول : «آدم ومن دونه تحت لوائى يوم القيامة، ولا فخر»[3]. ولواؤه هو المقام المحمود. الذى خصه الله تعالى به من كمال المعرفة، والمحبة. وما بلغ إليه من سواه. وهم تحت مقامه.

والله أعلم.

ثم اعلم. أن لكل نبى وولى تمتعا من مقام هذه المعرفة، على قدر شهودهم. الذى قدر الله لهم. واستعدادهم فى قبول الفيض الإلهى، بلا واسطة حجاب. ولا يبلغ السائر الصادق إلى هذه المرتبة السَّنيَّة. إلاّ بالعبور على مقامات النفس، والقلب،

---

(١) حديث الرسول إن الله خلق آدم فتجلى فيه. وخلق آدم على صورته. ينظر فى فهرس تخريج الأحاديث نهاية الكتاب.

(٢) حديث أنا سيد ولد آدم ولافخر، ينظر فى فهرس تخريج الأحاديث نهاية الكتاب..

(٣) وحديث : آدم ومن دونه تحت لوائى يوم القيامة، ينظر فى فهرس تخريج الأحاديث نهاية الكتاب..

والسر، والروح. والخفي مؤيدا بالتأييد الإلهي. كما يجيىء شرحه في مواضعه، إن شاء الله تعالى. ثم السّير يتبدل بالطير. فالسير يكون فى مقامات البشرية السفلية بالجذبة فالجذبة تبعّده عن أنانيته، وتقربه إلى هويته. إلى أن تورث الجذبة المشاهدة. فالمشاهدة أحضرته معه، وغيّبته عنه. إلى أن تثمر المشاهدة المعاينة فالمعاينة تجمعه به، وتفرقه عنه. إلى أن ظهر بالعيان. فالعيان يسحقه[1]، والعين يمحقه. ثم يحق الحق ويزهق الباطل[2]. فيكاشف بأنوار غيب الغيب.. فيطالع أسرار ربوبية الملك والملكوت. ويَلِهُ حيران فى تيه العظمة[3] والجبروت. حتى يتجلى له شمس الربوبية عن سماء العبودية. فأشرقت أرض البشرية بنور ربها وترقى المقام إلى تلألؤ أنوار الألوهية المستفادة من سر الله، نور السموات والأرض. ثم هبت نفحات ألطاف الربوبية، وانفتح فى عين الشمس باب الهوية، وانغمس فيه المنغمس ثم لا تسأل.

شعر:

قد كان ما كان ستراً لا أبوح به * فظن خيراً ولا تسأل عن الخبر

فاستضاءت الآفاق[4] الجسدانية بضوء الشريعة، وظهرت المشكاة النفسانية بلوامع الطريقة، وتنورت الزجاجة القلبية بأنوار حقيقة الروحانية، وأشرق المصباح الروحانى بنار نور الإلهية [5] وبدت [6] شجرة الوحدانية. ونودى موسى السر من الشجرة: ﴿ **أن ياموسى إنى أنا الله رب العالمين** ﴾ [7] فانمحت الجهات.. وتلاشت الصور،

---

(١) فى (ز) : (يستحقه).

(٢) فى (ز) : (ثم يحققه ويزهق باطله).

(٣) فى (ز) : (ويَلِهُ فى العظمة) : من الولَه.

(٤) فى (ز) : (الآفات).

(٥) فى (ز) : (وأشرق مصباح الروحية بنا أنوار اللهية)

(٦) فى (ز) : (وبدة). وهذه إشارة لما تختص به النسخة (ز) وهى كثيرة. ولعل فى هذه الإشارة غنى عن ذكر الكثير منها. وقد يشار إلى التاء المفتوحة بتاء مغلقة كما فى الإشارة السابقة.

(٧) آية رقم (٣٠) من سورة القصص مكية .

وانطمست الأبعاض، وانعدمت الأجزاء وسطت عزة الوحدانية، وتجلى نور الصمدانية الربانية. فدكدك[1] جبل الإنسانية، وخر موسى الروحانية صعقا. فاحترقت الغيرية بنار الغيرتية[2]. وارتفعت الشركة، وبقيت الوحدة متعززة برداء الكبرياء والعزة، متزرة بإزار العلاء والعظمة. وحده لا شريك له ﴿ **كل شىء هالك إلاّ وجهه له الحكم وإليه ترجعون**﴾ [3]. هذا أوان ﴿ **وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى**﴾ [4]. هذا وقت ﴿ **وما ينطق عن الهوى**﴾ [5]. ألاَ وهو سرٌّ. «كنت له سمعا، وبصرا، ولسانا. فبى يسمع ويبصر. وبى ينطق»[6]. ولعمرى إن هذا حال من كوشف أسرار[7].. «كنت كنزا مخفيا»[8]. فلما كشف الغطاء، وذهب الخفاء، ورفع الخباء، وطويت الأرض والسماء. ظهر الخفاء، ودام اللقاء، فـ ﴿ **ما كذب الفؤاد ما رأى**﴾ [9]. ولا القلب ما روى. فرعى فى رياض المعرفة، وشرب من حياض المحبة، وسقى بكأس الجمال شراب الجلال من بحر الوصال. فاستراح من ضروب القيل والقال، وكثرة السؤال، وتغير الأحوال. إذ تجافى عن المحاط المطلق، المحيط به. والغيب المحاط المحيط به غيب المحيط المطلق. فتحقق له حقيقة ﴿ **ألا إنه بكل شىء محيط**﴾ [10].

---

(١) فى (ز) : (فتدكدك).

(٢) فى (ز) : (الغيرة).

(٣) آية رقم (٨٨) من سورة (القصص) مكية.

(٤) آية رقم (١٧) من سورة (الأنفال) مدنية.

(٥) آية رقم (٣) من سورة (النجم) مكية.

(٦) حديث كنت له سمعا وبصراً ينظر فى فهرس الأحاديث نهاية الكتاب.

(٧) فى (ت) : (الأسرار).

(٨) انظر الاشارة السابقة حول قول النبى داود (عليه السلام).

(٩) آية رقم (١١) من سورة النجم مكية.

(١٠) آية رقم (٥٤) من سورة (فصلت) مكية.

كما أقول :

أبان الحق ليس به خفاء * وباح السر وانكشف الغطاء

فنفسى زايلت والروح بادت * فلم يبق التكدر والصفاء

تجلت سطوة الجبروت حتى * فنينا ثم قد فنى الفناء

بقاء الحق أفنانا وأفنى * بفناء فنائنا ذاك البقاء

فهذا مقام المعرفة الشهودية الحقيقية، التى يعرف فيه الرب بالرب. كما قال (عليه السلام) : «عرفت ربى بربى. ولولا فضل ربى ما عرفت ربى»[1]..

رزقنا الله وإياكم. كمالية هذا المقام، وثبت الله أقدامنا على الصراط المستقيم. يوم تزل الأقدام.

---

(١) حديث عرفت ربى بربى ولولا فضل ربى ما عرفت ربى
ربما كان قول (أبى بكر الصديق).

الباب الثانى

فــى

« مقام التوحيد »

وفيه ثلاثة فصول

الفصل الأول

فى

مقام توحيد العوام

وهو مقام المبتدى.. قال الله تعالى ﴿ **قل هو الله أحد * الله الصمد * لم يلد ولم يولد * ولم يكن له كفوا أحد**﴾ [1]. فلما سأل العوام الجهال عن النبى (صلى الله عليه وسلم) أنسب لنا ربك من أى شيء هو [؟] من ذهب، أو من فضة [؟].»

فأنزل الله تعالى هذه السورة، وأمره أن يصفه تعالى بأمر ملائم لعقولهم، على حسب مقامهم. وعرّف لهم نفسه به مخبرا عن معنيين وهما : إثبات صفات الكمال، وسلب صفات النقصان. فأثبت أنه هو الله أحد. وهو للحصر[2]. أى هو الله الذى أحدىٌ فى ذاته بالإلهية. ليس له ثان فى الإلهية[3] والأحدية. فأما نفى الاثنينية عنه فى الإلهية. فقد تقدم الدليل عليه. وأما نفى الاثنينية[4] لأحديته فلأن أحديته لا تشبه[5] أحدية شيء آخر. وذلك أن كل شيء فى أحديته قابل للتصنيف، والتضعيف. بحيث لو نصّف أو ضعّف ذلك الشيء لا يتغير عن جنسيته التى اختص

---

(١) سورة الإخلاص كاملة.

(٢) فى (ز) : (للمصرى).

(٣) فى (ز) : (إلهية).

(٤) فى (ز) : (الاثنينية لو نصف).

(٥) فى (ز) : (يشبه).

بها مثله كمثل دينار واحد، أو ثوب واحد، لو نُـصف أحدهما. يبقى منه نصفه، ولو ضُـعف يصير مثنى، ولا يتغير من الجنسية المختصة بالدينار، أو الثوب، بخلاف أحدية الإلهية. فإنها تتغير بالتصنيف والتضعيف عن الإلهية وصفتها. لأن من وصف الإلهى أن لا يكون ناقصا ولا زائدا كما ثبت فى الدليل[1]. وقوله تعالى ﴿ **الله الصمد**﴾. دال على هذا المعنى. لأن الصمد هو الكامل الذى لا يحتاج إلى شئ لكماليته. وكل شىء ناقص بالنسبة إلى كماله، محتاج إليه فى إتمامه.. وقوله ﴿ **لم يلد ولم يولد * ولم يكن له كفوا أحد**﴾ [2]. يدل على سلب صفات النقص. ليعلم أن معرفته مبنية على إثبات صفات الكمال، وسلب صفات النقص. لأرباب النظر وكان أصل أحد. وحد. فقلبت الواو همزة. والواو المفتوحة قد تقلب همزة، كما تقلب المكسورة، والمضمومة. ومنهم امرأة اسما بمعنى وسما من الوسامة.

ومعنى الواحد فى اسمه سبحانه، قيل هو الذى لا يصح فى وصفه الوضع والدفع بخلاف قولك إنسان واحد. لأنك تقول إنسان بلا يد، ولا رجل. فيصح رفع الشىء منه، والحق سبحانه بخلاف ذلك. ويقال التوحيد على لسان العلم. الحكم بأن الشىء واحد. وأيضا العلم بأن الشىء واحد وقالوا [3]. وحّدته إذا وصفته بالوحدانية. كما يقال شجعت فلانا إذا نسبته إلى الشجاعة..

وقيل التوحيد ثلاثة :

الأول:

ـ توحيد الحق للحق: وهو علمه بأنه واحد (وخبره عنه بأنه واحد)[4].

---

(١) فى (ز) : (لما ثبت بالدليل).

(٢) انظر الإشارة أول الفصل.

(٣) فى (ز) : (يقال)

(٤) ما بين القوسين زائد من (ز).

الثانى:

ـ توحيد الحق للخلق [١]: وهو حكمه سبحانه بأن العبد موحد وخلقه [٢] توحيد العبد.

والثالث:

ـ توحيد الخلق للحق : وهو علم العبد بأن الله[٣] واحد، وحكمه، وإخباره عنه بأنه واحد.

واعلم أن التوحيد فرض على المؤمنين. بقوله تعالى:

﴿ فاعلموا أنما أنزل بعلم الله وأن لا إله إلا هو ﴾ [٤].

ففرض[٥] التوحيد:

اعتقاد القلب أن الله، عز وجل، واحد لا من طريق عدد، وأول لا ثانى له. أزلى لا أزلية لقدَمه. أبدى لا غاية لأبديته. آخر فى أوليته. أولى[٦] فى آخريته. ظاهر فى باطنيته، باَطن فى ظاهريته. وهو حى، وله حياة. ومريد له إرادة. وقادر له قدرة. وسميع له سمع. وبصير له بصر. ومتكلم له كلام. وعليم له علم. وباق له بقاء.

وأن صفاته، وأسماءه، وأنواره. غير مخلوقة ولا منفصلة عنه. وأنه أمام كل شىء، ووراء كل شىء، وفوق كل شىء، ومع كل شىء. من نفس الشىء. وإنه مع ذلك غير محل للأشياء. وليست الأشياء محلا له. ولا يشبه الأشياء، وأنه على العرش

---

(١) فى (ز) : (توحيد الحق للحق).

(٢) فى (ز) : (خلف).

(٣) فى (ز) : (تعالى) زائدة.

(٤) آية رقم (١٤) من سورة هود مكية.

(٥) فى (ز) : (فرض).

(٦) فى (ز) : (أول).

استوى[1]، كيف شاء بلا تكييف. استواء يليق بذاته. وأنه تعالى ينزل إلى سماء الدنيا، نزولاً يوافق[2] لصفاته.. ﴿ **إليه يصعد الكلم الطيب** ﴾[3]، وهو باين من جميع خلقه، يحتاج إليه العرش، وحملته. وهو حاملهم بقدرته. كيف يشاء. غير محتاج إلى شيء من خلقه.. كان الله ولم يكن معه[4] شيء، له الأسماء الحسنى، والصفات العلى. لازال، ولم يزل بها. موصوفاً[5]. لا أغيار فتفارقه[6]، كما قالته الكرامية[7]. ولاذاته[8] متماثلة، كما قالته النصارى[9] والهذيلية[10] من

---

(١) فى (ز) : (الستوى).

(٢) فى (ت) : (ولا يوافق).

(٣) آية رقم (١٠) من سورة فاطر مكية.

(٤) التصحيح هنا من (ز) . ففى (ت) كانت : (أحد).

(٥) التعديل من (ز) ففى (ت) : (موصوف).

(٦) فى (ز) : (فى فارقة).

(٧) الكرامية : وهى فرقة تتبع (محمد بن كرّام السجستانى) زعيمها المعروف وهى ثلاثة أصناف: حقائقية، وطرائقية، وإسحاقية. وهى ثلاث فرق لا يكفر بعضها بعضاً. وإن كفرتها فرق أخرى. وأسباب ذلك أنهم يرون أن ابن كرام دعا أتباعه إلى تجسيم معبوده، وقال إنه جسم له حد ونهاية من تحته، والجهة التى منها يلاقى عرشه. وقد ذكر فى كتابه (عذاب القبر) أن الله تعالى مماس لعرشه، وأن العرش مكان له، وزعموا أنه لا يحدث فى العالم جسم ولا عرض إلا بعد حدوث أعراض كثيرة فى ذات معبودهم.
انظر الفرق بين الفرق للبغدادى ص٢٢٥ مكتبة دار التراث تحقيق (محيى الدين عبد الحميد).

(٨) فى (ز) : (ولا زادته).

(٩) النصارى: هم أتباع النبى (عيسى ابن مريم) عليه السلام لكنهم انقسموا على أنفسهم ورأوا فيه آراء كثيرة.

(١٠) الهذيلية: هم أتباع (أبى الهذيل محمد بن الهذيل المعروف بالعلاف) تكفره سائر الفرق من المعتزلة وغيرهم على أقواله مثل قوله بفناء مقدورات الله، عز وجل، حتى لا يكون بعد فناء مقدوراته قادرا على شيء وقال:
إن نعيم أهل الجنة وعذاب أهل النار يفنيان ويبقى أهل الجنة وأهل النار خامدين. وقد كتبت الكتب ترد عليه فكتب المرداد كتابا كبيراً فيه فضائح أبى الهذيل. وللجبائى أيضا كتاب فى الرد عليه، (ولجعفر بن حرب) المشهور من زعماء المعتزلة كتاب سماه (توبيخ أبى الهذيل).
انظر الفرق بين الفرق للبغدادى مكتبة دار التراث تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد.

المعتزلة[1]. ولا أحوال تعرف [2]، كما قالته البهشمية [3].. ليس بجسم فيكون محدثا مركبا. كما قالته المجسمة [4]. ولا جوهر فيكون محلا حاملا. منزه [5] عن الصفات الموجبة للحدوث[6]، والآفات، موصوف[7]. بما وصف به نفسه. هو ورسوله. تعالى

---

(١) المعتزلة : اختلف سلف الأمة من الصحابة والتابعين حول أصحاب الذنوب هل هو (مؤمن أو كافر) فخرج (واصل بن عطاء) عن قول الجميع وقال : لا مؤمن ولا كافر بل هو فاسق. وجعل الفسق بين المنزلتين. فلما سمع (الحسن البصرى) ذلك طرده من مجلسه. فاعتزل عند سارية من سوارى مسجد البصرة وانضم إليه قرينه (عمرو بن عبيد بن باب) فقال الناس فيهما إنهما اعتزالا قول الأمة وسمى أتباعهما من يومئذ (معتزلة) ثم تفرقت المعتزلة بعد ذلك إلى عشرين فرقة. كل فرقة منها تكفر سائرها لكنهم اتفقوا فى أمور كثيرة واختلفوا فى بعضها. فكان اتفاقهم مثلا حول القول بحدوث كلام الله وأن كلام الله مخلوق. كذلك أمره ونهيه. وكذلك نفيها صفات الله الأزلية عنه.
انظر (الفرق بين الفرق). ص ١٣١، ١٣٥.

(٢) فى (ز) : (لا تعرف).

(٣) البهشمية : هى الفرقة المنسوبة إلى (أبى هاشم الجبائى) من أئمة المعتزلة مات ببغداد فى شهر شعبان سنة ٣٢١ من الهجرة. قال فى كتابه (استحقاق الذم) إنه سمى من لم يفعل ما وجب عليه ظالما، وإن لم يوجد منه ظلم، وكذلك سماه كافرا وفاسقا فى الوقت الذى جعل تارك الصلاة والزكاة حكمه حكم ترك العطية. وقوله استحقاق الذم والشكر على فعل الخير. انظر أقواله فى التوبة وغيرها من كتاب [الفرق بين الفرق] للبغدادى تحقيق (محمد محيى الدين عبد الحميد) مكتبة التراث بدون تاريخ.

(٤) المجسمة :
هى نفسها فرقة (الكرامية) التى ذكرناها سابقا وذكرهم لتجسيم المعبود وبأنه له حد، ونهاية، وجهة. واتفق معهم فى هذا القول (الثنوية) : فى أن معبودهم الذى سموه نورا يتناهى من الجهة التى تلاقى الظلام.

(٥) فى (ت) : (متنزه).

(٦) فى (ز) : (والحدوث)

(٧) فى (ز) : (موصوفا).

عن أن يكون فى المخلوقات كما وصفه جهم[1] ومتبعوه.. خلق آدم بيديه كما قال تعالى ﴿ **يا إبليس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدى** ﴾ [2].. وكلتا يديه يمين. كما قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم)[3].. ﴿ **كل شىء هالك إلا وجهه** ﴾[4]. نفذت مشيئته كما سبق الأشياء علمه. فما شاء كان. وما لم يشأ لم يكن. خالق المحدثات، وصانع المصنوعات. كما قال تعالى[5] ﴿ **وخلق كل شىء فقدره تقديرا** ﴾ [6] لا خالق معه يشاركه فى خلقه. كما قال: ﴿ **هل من خالق غير الله** ﴾ [7]..

والخلق لا يستطيعون أن يخرجوا من علمه، ولا يقدرون على اكتسابهم إلا بعونه. وهم محتاجون إلى الله تعالى فى كل جزء من أفعالهم فى أن يعطيهم حولا وقوة. وأن ما وجدوه من الإيمان والطاعات فبهدايته، وتوفيقه، ولطفه. وما تركوه من السيئات فبعصمته وتسديده، وما كان من كفرهم، ومعصيتهم فبخذلانه ومشيئته.

---

(١) جهم : هو (جهم بن صفوان الراسبى) كان تلميذا للجعد بن درهم الذى كان أول من قال بخلق القرآن. وسمّوا أتباع جهم بالجهمية. وكان يقول إن الجنة والنار تفنيان وتبيدان وأن الإيمان هو المعرفة بالله تعالى فقط، وأن الجهل به هو الكفر وقال : لا فعل، ولا عمل لأحد غير الله تعالى. وإنما تنسب الأعمال للمخلوقين على المجاز. وقد ألف (ابن قيم الجوزية) كتابا فى الرد عليه سماه [الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة] أى الذين يعطلون الصفات. وقد اختصره الشيخ (محمد بن الموصلى) فنّد فيه الردود على أقوال جهم بن صفوان.

انظر [الفرق بين الفرق] للبغدادى. انظر كتاب (الصواعق المرسلة) نشر مكتبة المتنبى ١٩٨١.

(٢) آية رقم ٧٥ من سورة (ص) مكية.

(٣) حديث الرسول :

كلتا يدى ربى يمين ينظر فى فهرس الأحاديث النبوية نهاية الكتاب.

(٤) آية رقم (٨٨) من سورة (القصص) مكية.

(٥) سقطت من (ز) .

(٦) آية رقم (٢) من سورة (الفرقان) مكية.

(٧) آية رقم (٣) من سورة (فاطر) مكية.

يعترفون أنهم لايملكون لأنفسهم نفعا، ولا ضراً، إلاَّ ما شاء الله. قال الله، عز وجل[1]: ﴿ **قل لا أملك لنفسى نفعا ولا ضرا إلا ما شاء الله** ﴾ [2]. وأن الله تعالى ينعم على من يشاء من خلقه، ويؤلم من يشاء. ويغنى، ويفقر، ويؤتى ملكه من يشاء. وينزعه ممن يشاء. وهو فى جميع ذلك عدل غير جائر؛ لأنه المالك القاهر. الذى كانت الأشياء به، وليس فوقه آمر، ولا زاجر[3] بذلك نطق الكتاب ﴿ **يعذب من يشاء ويرحم من يشاء** ﴾ [4] ويعز من يشاء، ويذل من يشاء، ويعتقدون أنه تعالى يراه أولياؤه فى الآخرة، وأن الكافرين محجوبون عنه. ويسألون النظر إلى وجهه الكريم تأسيا برسولهم[5]. وهو من أعظم نعيم أهل الجنة عندهم. لا يوازنه نعمة، ويقرون بعذاب القبر، ويتعوذون بالله منه، ويرون أن السؤال فى القبر حق، والبعث بعد الموت حق. والحساب والميزان حق. وتطاير الكتب، والحوض حق. والوقوف بين يدى الله حق. وشفاعة المصطفى حق لأهل الكبائر. ويخافون على مسيئهم، ويرجون لمحسنهم. ولا يكفرون أهل المعاصى من الموجودين المؤمنين، كما يكفرهم الخوارج[6]. ولا يخرجونهم من الإيمان كما يذهب إليه

---

(١) فى (ز) : (تعالى).

(٢) آية رقم (١٨٨) من سورة الأعراف مكية.
أما النسخة (ز) فقد أوردت الآية رقم (٤٩) من سورة يونس مكية ونصها :
﴿ **قل لا أملك لنفسى ضراً ولا نفعا إلاَّ ما شاء الله** ﴾ وهو نفس النص كما ترى غير أن النفع سابق فى الآية الأول عن الضر. بينما فى هذه الآية، التى أوردتها هنا فى الهامش. سابق فيها الضر على النفع.

(٣) فى (ز) : (ولأن أجر).

(٤) آية رقم (٢١) من سورة العنكبوت مكية.

(٥) فى (ز) : (برسلهم).

(٦) الخوارج : اختلفت فرق الخوارج حول بعضها البعض فصارت عشرين فرقة. (انظر تقسيم الفرق فى هامش قادم) والخوارج جمع خارج. وقد قال قوم منهم : إن التكفير إنما يكون بالذنوب التى ليس فيها وعيد مخصوص. وقالوا إن صاحب الكبيرة كافر. ورأى بعض الفقهاء أن ما يجمع الخوارج على افتراق مذاهبها. تكفير علىّ، وعثمان، والحكمين، وأصحاب =

المعتزلة (١). ولا أنهم لا يدخلون النار كما قال بعض المرجئة (٢). بل هم بين خوفه، ورجائه. ويكلون أمرهم إلى خالقهم، فإن شاء عذبهم، وإن شاء عفى عنهم. ويؤمنون بإخراج قوم من النار بشفاعة المصطفى. وإن لم تؤمن به المعتزلة. وبعض الرافضة (٣). متبعون لكتاب ربهم، ولما ثبت عن نبيهم ملازمون للجماعة، مطيعون لسلطانهم. ولا يرون الخروج عليهم كما تراه الخوارج، والمعتزلة، والروافض. ويؤدون حقوقهم، ويصبرون فيما لهم وعليهم. ويفضلون أصحاب نبيهم، وآله. ويعرفون حقوقهم.

= الجمل وكل من رضى بتحكيم الحكمين. وارتكاب الذنوب، ووجوب الخروج على الإمام الجائر. وقد سموا بأسماء منها : الخوارج، والحرورية، والنواصب، والشراة، والحكمية، والمارقة.

فالخوارج : جمع خارج وهو الذى خلع طاعة الإمام، وأعلن عصيانه.

والحرورية : نسبة إلى حروراء. قرية بظاهر الكوفة.

والنواصب : جمع ناصب. وهو الذى يغالى فى بغض الإمام على بن أبى طالب.

والشراة : جمع شار. وقد زعموا أنهم شروا أنفسهم، واختلفوا فى أول من تشرى منهم.

والحكمية : أى الذين برؤا من الحكم أثناء موقعة الجمل.

وتنقسم الخوارج إلى فرق كثيرة [انظر الفرق بين الفرق] للبغدادى.

(١) المعتزلة : سبقت الإشارة إليهم.

(٢) المرجئة : ثلاثة أصناف : صنف منهم قالوا بالإرجاء فى الإيمان وبالقدر على مذاهب القدرية.

وصنف منهم قالوا بالإرجاء فى الإيمان ومالوا إلى قول جهم فى الأعمال والأكساب. فهم من الجهمية والمرجئة.

وصنف منهم خالص فى الإرجاء من غير قدر : وهم خمس فرق هى : يونسية، وغسّانية، وثوبانية، وتومنية، ومريسية. والإرجاء بمعنى التأخير.

(٣) الرافضة: يقول البغدادى: أما الرافضة فإن السبئية منهم أظهروا بدعتهم فى زمان علىّ، رضى الله عنه، فقال بعضهم لعلى: أنت الإله. فأحرق علىّ بعضا منهم، ونفى ابن سبأ إلى ساباط المدائن. وهذه الفرقة ليست من فرق الإسلام لتسميتهم عليا إلها. ثم افترقت الرافضة بعد زمان علىّ أربعة أصناف: زيدية، وإمامية، وكيسانية، وغلاة. وافترقت الزيدية فرقاً، والإمامية فرقا، والغلاة فرقاً كل فرقة منها تكفر سائرها.

وجميع فرق الغلاة منهم خارجون عن فرق الإسلام.

أما فرق الزيدية، والإمامية : فمعدودون فى فرق الأمة. فالزيدية افترقست ثلاث فرق. =

وينشرون مناقبهم، وفضائلهم. ويمسكون عما شجر بينهم تعظيما لهم. ويرون الأسلم لدينهم.[1] ويقدمون «أبا بكر»[2] رضى الله عنه. فى الإمامة والفضل ثم «عمر»[3]. ثم «عثمان»[4]. ثم «عليا»،[5] كرم الله وجوههم. لا يميزون بينهم

= والإمامية : عشرون فرقة.

والغلاة : الذين قالوا بإلهية الأئمة، وأباحوا محرمات الشريعة وأسقطوا وجوب الفرائض منها فرق : كالبيانية، والمغيرية، والجانية، والمنصورية ... إلخ.

انظر [الفرق بين الفرق] ص ٤١ ـ ٤٣.

(١) فى (ز) : (وإرادة السلامة).

(٢) أبو بكر: هو [عبد الكعبة أو عبد الله بن أبى قحافة أول من أسلم من الرجال ولقب بأبى بكر الصديق] تولى خلافة المسلمين بعد وفاة الرسول (صلى الله عليه وسلم) وقد قال عنه الرسول الكريم (لو كنت متخذا خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا)وذكره الرسول فى أوائل العشرة المبشرين بالجنة ومعه عمر، وعثمان وعلى، وقال عنه أيضا : أرحم أمتى بأمتى أبو بكر.. وعن وفاته قال أهل السير إنه توفى ليلة الثلاثاء لثمان بقين من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة من الهجرة.

انظر : [الرياض النضرة فى مناقب العشرة] تأليف المحب الطبرى الجزء الأول ـ مكتبة الجندى ـ القاهرة. ١٩٧٠.

(٣) عمر : هو [عمر بن الخطاب بن نفيل بن العزى بن رياح] ثانى الخلفاء الراشدين بعد أبى بكر الصديق. وأول من لقب بأمير المؤمنين وصار لقب الفاروق علما عليه لعدله وتفريقه بين الحق والباطل وقد ذكره الرسول الكريم (صلى الله عليه وسلم) من العشرة المبشرين بالجنة بعد أبى بكر الصديق. وكناه رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بأبى حفص وكان ذلك يوم بدر. وعن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أنه ذكر موقفه يوم القيامة وموقف أبى بكر ثم ينادى مناد أين الفاروق عمر؟ وكان إسلامه بعد خروج من خرج من أصحاب الرسول إلى الحبشة. ولإسلامه قصة طويلة [انظر الرياض النضرة] طبعة الجندى جـ٢.

(٣) عثمان : هو [أمير المؤمنين وثالث الخلفاء الراشدين عثمان بن عفان بن أبى العاص بن أمية ابن عبد شمس] كان أول من هاجر إلى أرض الحبشة مع زوجته رقية بنت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ثم تابعه سائر المهاجرين إلى أرض الحبشة. وهاجر الهجرة الثانية إلى المدنية. وقام بتجهيز جيش العسرة من ثلاثمائة بعير فى سبيل الله. فنزل الرسول من على المنبر وقال: ما على عثمان ما عمل بعد هذه. وكررها. وقالوا إنه جهزه من تسعمائة وخمسين بعيرا وأتم الألف بخمسين فرسا. بويع بالخلافة بعد دفن أمير المؤمنين عمر بثلاثة أيام وكان ذلك فى العاشر من المحرم سنة ٢٤هـ [انظر الرياض النضرة] جـ٣. طبعة الجندى.

(٥٣) على : هو [أبو الحسن بن على بن أبى طالب بن عبد المطلب بن هاشم]رابع الخلفاء الراشدين أول من لقب بالإمام. وهو المشهور عنه أنه لم يسجد لصنم فى الجاهلية قط ولذا =

كالرافضة (١). ولا ينكرون فضل «عثمان» و«علي» كالمارقة (٢). يعترفون أنهم الخلفاء الراشدون، والمهديون. خير الخلق بعد النبيين، والمرسلين. ويرون الجمعة والجماعة خلف كل بر وفاجر، والمسح على الخفين فى السفر والحضر. اقتداءً بنبيهم (صلى الله عليه وسلم). وصدقوا بخروج(٣) الدجال، ونزول «عيسى»(٤)، عليه السلام(٥)، ومعراج النبى (صلى الله عليه وسلم)(٦). فى اليقظة. والرؤيا حق. والسحر، وظهور الآيات، وكرامات الأولياء حق. وأن الدعاء حق. وأن الصدقة عن الموتى،(٧) والاستغفار ينفعهم. بفضل الله، وأن الله هو الرزّاق حراما كان، أو حلالا. وأن الله هو المسعر (٨)، وغلاء الأسعار، ورخصها بيده، والآجال مقدرة.لا يموت

= يقال فى الثناء عليه [كرم الله وجهه]. وقال عنه رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : «يهلك فيه رجلان محبٌ مطرٍ ، وكذاب مفترٍ». وكان من أئمة القضاة فى الفقه الذين اشتهروا بذلك. (فقد أتته امرأة وهو على المنبر فقالت: ترك أخى ستمائة دينار وأعطيت ديناراً (وتظلمت من ذلك) فقال لها : لعل أخاك ترك زوجة وأمًّا وبنتين، واثنى عشر أخاً وأنت. قالت : نعم. فقال: وقد استوفيت حقك] وهذه مسألة مشهورة عنه. انظر (نهاية الأرب فى فنون الأدب للنويرى حـ٢٠ هيئة الكتاب (١٩٧٥).

(١) الرافضة سبقت الإشارة إليهم.

(٢) المارقة : هم أنفسهم فرق الخوارج وبعض الفرق من الروافض انظر [الفرق بين الفرق] للبغدادى. مكتبة التراث.

(٣) فى (ط) : (الخروج)

(٤) فى (ز) ، (ط) : (عيسى ابن مريم).

(٥) ساقطة من (ط).

(٦) ساقطة من (ط).

(٧) فى (ز) ، (ط) : (وأن الدعاء والصدقة عن الموتى) وفى (ز) : (الموة) هكذا (!).

(٨) يبدو لى أنه لا بد من وقفة قصيرة هنا. فقد أوّل هذا الشيخ الفاضل حديث الرسول الكريم هنا على نحو غريب، أراه أيضا عند مدّعى العلم هذه الأيام.
فالحديث : (لاتُسَعّروا فإن المُسَعِّرَ هو الله)
والتسعير هنا المقصود فى الحديث ليس بالقطع التسعيرة وإنما هو من السعير. أى النار. ومعنى لاتسعّروا إذن. أى لا تحرقوا. =

ميت إلا بأجله.. قد سلموا لما ثبت من أخبار نبيهم. إيمانا بلا تشبيه، ولا تأويل، ولا تعطيل. كقول النبى (صلى الله عليه وسلم) «ينزل الله إلى سماء الدنيا»[1]، «وأن القلوب بيد الله يقلبها كيف يشاء»[2].. بلا كيف. وكذلك بكل ما ثبت عن نبيهم قائلون ، ومسلمون. لا يرون المراء والخصومات. متبعون، غير مبتدعين. وأن الله، سبحانه، لم يزل موجودا بصفاته كلها. كما لم تزل له [3]. وأن صفاته قائمة به لم تزل[4] كذلك.. ولا يزال بلا نهاية، ولا غاية. وأن ما سوى أسمائه، وصفاته وأنواره، وكلامه من الملك والملكوت، والحروف محدث[5]. كلها كانت بعد أن لم تكن. بأوقات مختلفة. محدثة على وفق الإرادة، والحكمة البالغة الأزلية.

هذا الذى ذكرناه جملة، من مذهب أهل السنّة، والجماعة من الصحابة، والتابعين، الذين اتبعوهم بإحسان. ومعتقد السلف الصالح. وعلى هذا قد اندرج أئمة الهدى، والعلماء الراسخون، والمشايخ المعتبرون [6]؛ من أرباب الحقيقة. ليقتدى به المريد الصادق، والطالب الموافق. ويجعله منار سبيله. وواضح دليله. محترزا من مذاهب أهل البدعة، والأهواء المختلفة.

= ويصدق هذا الحديث آخر للرسول الكريم وهو:
(لايحرق بالنار إلاّ خالق النار) أو فيما معناه. والغريب أننى وجدت نفس التفسير للحديث، أو قريب منه فى لسان العرب لابن منظور حين تناول مادة (سعر). وفيما يبدو لى أن ابن منظور اعتمد على أقوال مثلها لم يمحصها جيداً.

(١) حديث ينزل الله إلى سماء الدنيا ينظر فى فهرس الأحاديث النبوية نهاية الكتاب.

(٢) فى (ز) : (يشأ).
والحديث : القلوب بيد الله يقلبها كيف يشاء. أو معناه.

(٣) فى (ت) : (يزل).

(٤) فى (ت) : (يزل). وتكررت أفعال واجبة التذكير أنثها المؤلف أكتفى بإيراد بعض الأمثلة السابقة.

(٥) فى (ز) : (محدثة كله كان بعد أن لم يكن).

(٦) فى (ط) : (المعتدون).

كما قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : فيما أوصى:

«فإنه من يعش منكم فسيرى اختلافا كثيرا. فعليكم بسنتي، وسنة الخلفاء الراشدين المهديين [1] وعضوا عليها بالنواجذ. وإياكم ومحدثات الأمور.... فإن [2] كل بدعة ضلالة» [3].

ففي قوله: فسيرى اختلافا كثيرا.. إشارة إلى ظهور البدع والأهواء. فالصراط المستقيم إلى الله تعالى. ما كان عليه[4]. صلى الله عليه وسلم. هو ومتبعوه.. كما قال تعالى[5]:

﴿ قل إنني هداني ربي إلى صراط مستقيم﴾ [6].. وقال: **﴿ وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولاتتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله﴾** [7].. وقال[8]: **﴿ قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني﴾** [9]. فالله تعالى كما أمر بلزوم[10] المتابعة. أمر بمجانبة أهل الأهواء. فقال : **﴿ ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه﴾** [11]. وقال رسول الله (صلى الله عليه

(١) في (ز) : (من بعدي) زائدة.

(٢) في (ت) : (لأن) وواضح طبعا حذف جزء من الحديث (كل محدثة بدعة) وكل بدعة ضلالة. وكل ضلالة في النار).

(٣) الحديث: عليكم بسنتي وسنة الخلفاء المهديين من بعدي وعضوا عليها بالنواجذ. فإن كل بدعة ضلالة.

(٤) ساقطة في (ت).

(٥) ساقطة في (ط).

(٦) في (ز) المستقيم وهو تحريف.
والآية رقم (١٦١) من سورة الأنعام مكية.

(٧) آية رقم (١٥٣) من سورة الأنعام مكية.

(٨) ساقطة في (ز) .

(٩) في (ز) : (ومنتبعني) وهذا تصحيف.
والآية رقم (١٠٨) من سورة يوسف مكية.

(١٠) في (ز) : (بلوزم).

(١١) آية رقم (٢٨) من سورة الكهف مكية.

وسلم)[1]:

«لايؤمن أحدكم حتى يكون هواه [2] تبعا لما جئت به»[3].

وقال «ابن مسعود»[4] رضى الله عنه[5].

«اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كفيتم. وقال: «من كان مستنا فليستن بمن مات. أولئك أصحاب محمد (صلى الله عليه وسلم) كانوا خير هداة [6]. أبرّها قلوبا، وأعمقها علما، وأقلها تكلفا قوما اختارهم الله لصحبة نبيه (صلى الله عليه وسلم) ونقْل دينه، فتشبهوا بأخلاقهم، وطريقهم. فهم كانوا على الهدى المستقيم، وقد أخبر النبى (صلى الله عليه وسلم) عن افتراق هذه الأمة، وظهور الأهواء والبدع فيهم، وحكم بالنجاة لمن اتبع سنته، وسنة أصحابه.

فقال:

«إن بنى إسرائيل تفرقت على اثنتين وسبعين ملة، وتفترق [7] أمتى على ثلاث وسبعين كلهم فى النار إلا ملة واحدة..

---

(١) فى (ط) : اختصرها إلى (عـ م) وهى كثيرة فى (ط) وسأكتفى بها.

(٢) ساقطة فى (ط).

(٣) الحديث : لايؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به ينظر فى فهرس الحديث نهاية الكتاب.

(٤) (ابن مسعود) : توفى سنة ثنتين وثلاثين من الهجرة النبوية كان يقول لأصحابه أنتم أطول صلاة وأكثر اجتهادا من أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وهم كانوا أزهد منكم فى الدنيا وأرغب منكم فى الآخرة وكان الرسول يقول عنه : (من سره أن يقرأ القرآن رطبا كما أنزل فليقرأه على قراءة ابن مسعود).

انظر (دول الإسلام جـ١ والطبقات الكبرى للشعرانى جـ١ صـ١٩).

(٥) ساقطة فى (ز) و (ط).

(٦) فى (ط) : (هذه).

(٧) فى (ط) : (وتفرق).

قالوا: من هم[1] يا رسول الله [؟].

قال : ما أنا عليه وأصحابي﴾..

فعلى الطالب الراغب مجانبة أهل الأهواء، والبدع. لئلا يعتقد شيئا من البدع، فلا يفلح أبدا.. فإن من[2] شرط السائرين إلى الله تعالى أن يكونوا على الصراط المستقيم. ليبلغوا مقاصدهم، ويفيد اجتهادهم، ويكون سعيهم مشكورا. ولا يكونوا من جملة من يقول تعالى فيهم:

﴿ **وقدمنا إلى[3] ماعملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا**﴾.[4] ومن أراد أن يقف على مذاهب المبتدعين من أهل[5] الأهواء؛ الذين تفرقوا على اثنتين وسبعين

---

(١) في (ز) : (منهم).

(٢) ساقطة في (ط).

(٣) في (ز) : على.

(٤) آية رقم (٢٣) من سورة الفرقان مكية.

(٥) في (ط) : (ومن أراد أن يقف فجميع ذلك ثلاث وسبعون فرقة على ما أخبر المصطفى عـ م).

أما في (ز) فقد ورد فيه الآتي: ذكر المذاهب والفرق بأسمائها.

وما خبر عن مذاهب هؤلاء المبتدعين من أهل الأهواء الذين تفرقوا على اثنتين وسبعين فرقة بأسمائهم (بأساميهم كذا) موجزا مختصراً ليفرقوا هم أهل الحق فيجتنبوا عنهم وعن مذاهبهم، إن شاء الله تعالى، قال الإمام الرباني، رضى الله عنه: «أصول الفرق كلها على عشر فرق (فرقة) منهم أهل السنة والجماعة. فمن المبتدعة* الخوارج: وهم على خمس عشرة فرقة. النجدات ـ العطوية (هكذا) ـ الأزارقة ـ الهذيلية ـ الأباضية ـ البيشمية ـ العجاردة ـ البدعية ـ الميمونية الشهراخية (كذا) ـ الصمقرية (هكذا) ـ الأخنسية ـ الفضيلية الحازمية (كذا) ـ الصلتية* والشيعة وهم اثنتان وثلاثون فرقة وهي ثلاثة أصناف: الغالية، والزيدية، والرافضة.

* والغالية اثنتا عشر فرقة (هكذا) : البدائية ـ والطارية ـ والحربية ـ والمغيرية ـ والخطابية (كذا) ـ والمعمرية ـ والفضيلية ـ والمتناسخية ـ والشريعية ـ والسبابية ـ والمفوضية.
* والزيدة على ست فرق: الجاروذية (كذا) ـ والسليمانية ـ والبترية ـ والنعيمية ـ واليعقوبية ـ والطائفة.
* والرافضة أربع عشرة فرقة : القطيعية ـ والكيسانية ـ والمغيرية ـ والكربية (كذا) ـ والمحمدية =

. . . .

= والحنفية ـ والنارسية ـ والإسماعيلية ـ والقرامطة ـ والشمطية ـ والعمارية ـ والممطورية (كذا) ـ والموسوية ـ والإمامية ـ والزرارية.

* والمعتزلة وهم ست فرق (فرقة) هكذا :
الهذيلية ـ والنظامية ـ المعمرية ـ الجبائية ـ الكعبية ـ البهشمية.

* والجمية فرقة واحدة.

* والضرارية فرقة واحدة.

* والنجارية فرقة واحدة.

* والكلابية فرقة واحدة.

* والمرجئة اثنتا عشرة فرقة : الجهمية ـ الصالحية ـ الشمرية ـ اليونسية ـ الثوبانية ـ النجارية ـ الغيلانية ـ التشبيبة ـ الحنيفية ـ المغارية ـ الموسوسية ـ الكرامية.

* والمشبهة ثلاثة فرقة (هكذا) :
الهاشمية ـ المقاتلية ـ الاسمية.

فجميع ذلك ثلاث وسبعون فرقة، على ما أخبر المصطفى (صلى الله عليه وسلم وعلى آله وأصحابه).

هذا بالضبط ما وجد من أسماء فرق وتقسيمات لها في النسخة (ز). وكما هو واضح للقارئ المدقق الخلط الشديد الذى وقع فيه الناسخ. فنحن أمام أمرين هما :

أولا : أن الناسخ ربما هو الذى أضاف هذه الفرق تجميعا غير محقق ولا مقسم لها التقسيم الصحيح.

ثانيا : أو يكون المؤلف نفسه فى نسخته الأصلية كتب هذه الفرق من الذاكرة. ولذا ظهر فيها الخلط الكثير فى انتساب الفرق إلى أصولها، أو تكرار الفرق. كما هو واضح.

ونحن أمام هذا لا بد أن نعيد ترتيب هذه الفرق ترتيبا صحيحا كما ورد فى كتاب (الفرق بين الفرق) ـ للبغدادى لأنه رتبها ترتيبا حسب مقولات الفرق فوضح التقسيم.

يقول البغدادى :

■ افترقت الرافضة أربعة أصناف : زيدية ـ وإمامية ـ وكيسانية ـ وغلاة.

* فالزيدية، ثلاث فرق، هى : الجارودية ـ السليمانية ـ البترية.

* والكيسانية فرقتان. أو بمعنى آخر تفرقت فرقاً يجمعهم شيئان :
١ ـ قولهم بإمامة محمد ابن الحنفية.
٢ ـ قولهم بجواز البَدَاء على الله تعالى.
ومنهم الكربية، والراوندية، وغيرها.

* وأمّا الإمامية المفارقة للزيدية والكيسانية والغلاة فإنها خمس عشرة فرقة وهى:
المحمدية ـ الباقرية ـ الناووسية ـ الشميطية ـ العمارية ـ الإسماعيلية ـ المباركية ـ الموسوية =

. . . .

= القطعية ـ الاثنا عشرية ـ الهشامية ـ الزرارية ـ اليونسية ـ الشيطانية ـ الكاملية.

* أمّا الغلاة : البيانية ـ المغيرية ـ الجناحية ـ المنصورية ـ الخطابية ـ الحلولية.

■ أمّا الخوارج فهي عشرون فرقة : المحكمة الأولى ـ الأزارقة ـ النجدات ـ الصفرية ـ العجاردة.

* وقد افترقت العجاردة فيما بينها فرقاً كثيرة منها: الخازمية ـ الشعيبية ـ المعلومية ـ المجهولية ـ المعبدية ـ الرشيدية ـ المكرمية ـ الحمزية ـ الإبراهيمية ـ الواقفة.

* وافترقت الأباضية منها فرقاً :

حفصية، وحارثية، ويزيدية، وأصحاب طاعة لا يراد الله بها.

* واليزيدية منهم أتباع (يزيد بن أبى أنيسة) .

وكذلك الميمونية.

■ المعتزلة : افترقت عشرين فرقة، كل فرقة منها تكفر سائرها. وهى : الواصلية ـ العمروية ـ الهذيلية ـ النظّامية ـ المردارية ـ المعمرية ـ الثمامية ـ الجاحظية ـ الخابطية ـ الحمارية ـ الخياطة ـ الشحامية ـ أصحاب صالح قبة ـ المريسية ـ الكعبية ـ الجبائية ـ البهشمية.

■ وأما المرجئة : فثلاثة أصناف :

١ ـ صنف قالوا بالإرجاء فى الإيمان والقدر. فهم معدودون فى القدرية والمرجئة.

٢ ـ وصنف قالوا بالإرجاء فى الإيمان ومالوا إلى قول جهم. فهم من جملة الجهمية والمرجئة.

٣ ـ وصنف خالص فى الإرجاء من غير قدر وهم خمس فرق : يونسية ـ غسانية ـ ثوبانية ـ تومنية ـ مريسية.

■ أما النجارية : فإنها أكثر من عشر فرق ومرجعها إلى ثلاث فرق هى : البرغوثية ـ الزعفرانية ـ مستدركة.

■ البكرية فرقة واحدة.. وكذلك الضرارية ـ والجهمية.

■ الكرامية بخراسان ثلاث فرق: حقائقية ـ طرائقية ـ إسحاقية لكن هذه الفرق الثلاث لا تكفر بعضها فعددناها فرقة واحدة.

● فهذه الجملة تشتمل على ثنتين وسبعين فرقة منها : عشرون روافض ـ عشرون خوارج ـ عشرون قدرية ـ عشرون مرجئة ـ ثلاث نجارية ـ وبكرية، وضرارية، وجهمية، وكرامية.

ويلاحظ أن هذا العدد اثنتان وتسعون فرقة وما أراده أن هناك من هذه الفرق تفرق بالاسم فقط لكنه دخل فى نفس المقولة. إذا عددته على هذا النحو لكان اثنتين وسبعين فرقة.

أمّا الفرقة الثالثة والسبعون فهى أهل السنة والجماعة التى أشار إليها المؤلف.

انظر كتاب (الفرق بين الفرق) للبغدادى ص ٤٢، ٤٣، ٤٤، ٤٥ وانظر فيما بعد مقولات كل فرقة .. وذكرت ذلك منه ولولا الإطالة لذكرت المقولات.

فرقة فليطالع كتاب (الملل والنحل) للشهرستانى[1]. فإنها مشروحة فيه. شرحا وافيا، كافيا، شافيا..

والله أعلم.

---

(١) (الملل والنحل) للشهرستانى: من أهم الكتب فى التراث العربى القديم: يحدثنا عن تاريخ الفلسفة يونانية أو شرقية مع عرض ممتاز لمختلف الفرق والطوائف الإسلامية وغير الإسلامية.
[انظر هامش جـ١ من كتاب نشأة الفكر الفلسفى فى الإسلام]

الفصل الثانى

فى

مقام توحيد الخواص

(وهو مقام المتوسط)

وهو توحيد بالحال فضلا عن المقال، وذلك بأن يتحلى[1] القلب بحلية[2] علم التوحيد على ما قال تعالى ﴿ **فاعلموا أنما أنزل بعلم الله وأن لا إله إلا هو** ﴾[3]. أمرهم بعلم التوحيد. وذلك مبنى على تجريد القلب عن تعلقات الكونين. فيكون[4] قابلا لنور الوحدانية فيستفيد منه علم التوحيد، وهذا مقام الإحسان؛ الذى سأله جبريل[5]، عليه السلام، للنبى (صلى الله عليه وسلم)..

فقال : ما الإحسان.

---

(١) فى (ت) : (يتجلى).

(٢) فى (ت) : (بجلية).

(٣) آية رقم (١٤) من سورة هود مكية.

(٤) فى (ط) : (ليكون).

(٥) فى (ط) : (جبرائيل).

قال: الإحسان، أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك»[١].

وإنما يتهيأ[٢] التجريد للقلب، بعد أن يتجرد[٣] القالب عمّا لَـهُ بُدٌّ منه. غير ما ألجأته[٤] إليه الضرورات الإنسانية. لئلا يكون شاغلا للقلب عن قطع التعلقات. ولا يتيسر للقلب قطع التعلقات إلا بمعونة الذكر. وهو ذكر: لا إله إلا الله. فإن للذكر في هذا المعنى تأثيرا عظيما. فلهذا قال تعالى ﴿ **واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون**﴾[٥]. فالفلاح فلاح القلب عن تعلقات الكونين..

وللذكر آداب وشرائط، سنبينها [٦] في موضعه إن شاء الله [٧]. فبملازمة ذكر اللسان يصفو [٨] القلب. ثم بدوام الذكر يتنور القلب بنور الذكر. ودوام الذكر يستدعي العزلة، والخلوة.

وللخلوة شرائط وآداب. نذكر شرحها إن شاء الله تعالى. فإذا تخلى العبد عن الخلق متوجها إلى الله تعالى بصدق النية، وتردد الذكر بلا فتور، ولا قصور. بحيث لا يفتر عنه في طريق الوضوء، وحالة الأكل يأخذ قلبه عن لسانه، ولسانه عن قلبه. حتى تصير الكلمة متأصلة في القلب. مزيلة لحديث النفس مستولية على قطع العلائق. إلى أن يتشربها القلب فلا يسكت عنها بسكوت اللسان.

---

(١) الحديث . ما الإحسان ... أن تعبد الله كأنك تراه، ينظر في فهرس الأحاديث نهاية الكتاب.

(٢) في (ط) : (فإنما ينهى).

(٣) في (ز) : (تجرد).

(٤) في (ط) : (الجئته).

(٥) آية رقم (٤٥) من سورة الأنفال ـ مدنية.

(٦) في (ط) : (سنبينه) وكذا في (ز).

(٧) في (ط) : (تعالى) زائدة.

(٨) في (ط) : (يصبر) وكذا في (ز) (يصير القلب زاكرا).

ثم. يتجوهر القلب بجوهر الذكر فينتفى بنفيه حجب تعلقات الكونين، ويثبت بإثباته شواهد المذكور. فى مرآة القلب عند اتحاد القلب والذكر. فيكاشف بالوحدانية.

فيقول : رأى قلبى ربى.

فيتحقق له علم التوحيد بعين اليقين.

وقال «الجنيد» [1]: علم التوحيد مباين لوجوده، ووجوده مفارق لعلمه.

وقال «الجريرى» [2]: ليس لعلم التوحيد إلاّ لسان التوحيد.

وقال «الحصرى» [3]: أصولنا فى التوحيد خمسة أشياء:

---

(١) (الجنيد) : سيد الطائفة أبو القاسم الجنيد. كان أبوه يبيع الزجاج فلذلك يقال له القواريرى. أصله من نهاوند مولده ومنشؤه بالعراق كان فقيها يفتى الناس على مذهب أبى ثور. صحب خاله السرى السقطى والحارث المحاسبى، ومحمد بن على القصاب. كان من أئمة القوم كلامه مقبول على جميع الألسنة. توفى يوم السبت سنة ٢٩٧هـ. وقبره ببغداد. من أقواله: إن الله يخلص إلى القلوب من بره على حسب ما تخلص إليه القلوب.
انظر: كتاب الطبقات الكبرى للشعرانى الجزء الأول ص ٧٢ المكتبة التوفيقية.. الحسين القاهرة.

(٢) الجريرى : هو (أبو محمد أحمد بن محمد بن الحسين الجريرى). كان من أكابر أصحاب الجنيد. وصحب سهل بن عبد الله التسترى. ومن كلامه أيضا: من استولت عليه نفسه صار أسيراً فى حكم الشهوات محصوراً فى سجن الهوى، وحرّم الله على قلبه الفوائد فلا يستلذ بكلام الله. مات (رضى الله عنه) سنة ٣١١من الهجرة. بعد أن أقعد مكان الجنيد لتمام حاله وصحة طريقته.
انظر : (الرسالة القشيرية ص ٢٥، وانظر الطبقات الكبرى جـ١ ص ٨٠).

(٣) الحصرى وفى (ط) : (الخضرى).
هو (أبو الحسن على بن إبراهيم الحصرى). بصرى الأصل. سكن بغداد ومات بها يوم الجمعة فى ذى الحجة ٣٧١هـ. كان شيخ العراق فى وقته ولم ير مثله فى قوله. صحب الشبلى وإليه كان ينتمى ــ وكان يصحب غيره من المشايخ.
انظر (الطبقات الكبرى جـ١ ص ١٠٥ والرسالة القشيرية ص ٣٢) .
وانظر كتاب (كشف المحجوب) للهجويرى ص ٣٣٥ طبعة دار التراث العربى.

ـ رفع الحدث.

ـ إفراد القدم.

ـ هجر الأخوان.

ـ مفارقة الأوطان.

ـ ونسيان ما علم وجهل.

الفصل الثالث

في

مقام توحيد الأخص

(وهو مقام المنتهى)

قال الله تعالى[1] ﴿ **فاعلم أنه لا إله إلا الله واستغفر لذنبك** ﴾ [2] اعلم أن مقامات التوحيد ثلاث:

التوحيد : وهو ما يحصل للطالب المبتدئ عن صدق المقال. وقد مرّ شرحه.

والوحدانية : وهي ما يصدر عن الحال بإراءة[3] الحق في مرآة الآفاق. للمتوسط. كما بينا.

والوحدة : وهي المقام المحمود الذي اختص به «محمد» (صلى الله عليه وسلم). بقوله تعالى :

﴿ **عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا** ﴾ [4] دون سائر الخلائق. اللهم إلا

---

(١) في (ز) : لنبيه (صلى الله عليه وسلم) وفي (ط) لنبيه عـ م

(٢) آية زقم (١٩) من سورة محمد مدنية.

(٣) في (ط) : (بإرادة).

(٤) آية رقم (٧٩) من سورة الإسراء مكية.

بعض خواص الأولياء من أمته، ومتابعيه بتبعيته. وذلك من كمالية علم التوحيد. المبنى على التفريد بعد آداء حق التجريد. وهو أن يفردك الحق عنك بفردانيته عند استيلاء سلطان الذكر، حين يخرج من قشر الحرف والصوت فيفنى بسطوة نفيه وجود الذاكر ويبقيه بسلطنة إثباته ببقاء المذكور. فينوب المذكور عن الذاكر بدوام الذكر. على مقتضى[1] قوله : ﴿ **فاذكرونى أذكركم** ﴾ [2] .. فيصير حينئذ الذاكر مذكورا. والمذكور ذاكرا. ويتبدل الأين بالعين، والمباينة بالمعاينة. والاثنينية بالوحدة. هذا أوان أن يسمع بسمعه. ويبصر ببصره. ويتكلم بكلامه. ويعلم بعلمه. أنه لا إله إلا الله، ويستغفر عن ذنب حسبان أنه يعلم أنه لا إله إلا الله كما هو. لأن علمه غير متناه والذى يدل على اختصاص النبى (صلى الله عليه وسلم) وخواص أمته بحقيقة علم التوحيد المخصوص بلا إله إلاّ الله. وإن كانت الأمم الماضية. يباشرون هذه الكلمة، ويعتقدونها ما روينا فى كتاب (عوارف المعارف) [3] :

عن عبد الرحمن بن زيد عن أبيه[4] : أن عيسى ابن مريم، عليه السلام، قال[5] :

---

(١) فى (ز) : مقتضا.

(٢) آية رقم ١٥٢ من سورة البقرة مدنية.

(٣) عوارف المعارف: من كتب التصوف الهامة يتكون من ثلاثة وستين بابا. تدور كلها فى علوم القوم وفضيلتهم وأحوالهم. وماهية التصوف وسبب تسميته بهذا الاسم، والمتصوف والمتشبه بالمتصوف. وفضيله هذا العلم. وفى القول والسماع، واصطلاحات المتصوفين، وأهل الخصوص. وغير ذلك.

تأليف: أبو حفص عمر بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عمويه الصوفى والفقيه الشافعى المتوفى سنة ٦٣٣هـ الشهير بالسهروردى. انظر كتاب (عوارف المعارف) على هامش كتاب (إحياء علوم الدين) للغزالى طبعة دار البيان العربى.

(٨) عبد الرحمن بن زيد: هو (عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب) والده زيد بن الخطاب أخى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب) وقيل إن زيداً كان يكنى بأبى عبد الرحمن فلما ولد له ولد سماه عبد الرحمن انظر (المعارف لابن قتيبة ص ١٨٠) تحقيق الدكتور/ ثروت عكاشة الطبعة السادسة الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٩٢.

(٥) سقطت فى (ط).

«رب أنبئنى[1] عن هذه الأمة المرحومة».

قال : أمة «محمد» صلى الله عليه وسلم. علماء أخفياء، حلماء [2] كأنهم أنبياء. يرضون منى بالقليل من العطاء، وأرضى منهم بالقليل من العمل. وأدخلهم الجنة بلا إله إلاّ الله. يا عيسى، هم أكثر سكان الجنة، لأنها لم تذل ألسن قوم قط بلا إله إلاّ الله كما ذلت ألسنتهم. ولم تذل رقاب[3] قط بالسجود كما ذلت رقابهم».

وعن «عبد الله بن عمرو بن العاص»[4] رضى الله عنه. قال:

«إن هذه الآية مكتوبة فى التوارة:

يا أيها النبى إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا، وحرزا للمؤمنين، وكنزا للأميين. أنت عبدى ورسولى. سميتك المتوكل. ليس بفظ ولا غليظ، ولاسخاب[5] فى الأسواق. ولايجزى[6] بالسيئة [7]، ولكن يعفو ويصفح[8]، ولن أقبضه حتى تقام به

---

(١) فى (ز) ، (ت) : (أنبأنى).

(٢) فى (ط) : (حكماء).

(٣) فى (ز) ، (ط) : (رقاب قوم).

(٤) (عبد الله بن عمرو بن العاص) : أسلم قبل أبيه (عمرو بن العاص). وكان يكنى: أبا محمد. وشهد مع أبيه موقعة «صفين» يضرب بسيفين، رحل إلى الشام فأقام بها حتى توفى يزيد بن معاوية. وقيل إنه توفى بمصر، ودفن فى دار الصغيرة. وكانت وفاته سنة ٦٥ من الهجرة. قيل إنه كان بين (عبد الله بن عمرو) وبين أبيه (عمرو بن العاص) اثنتا عشرة سنة فقط. [انظر كتاب دول الإسلام ـ وانظر المعارف لابن قتيبة ص ٢٨٦].

(٥) هذه الكلمة فى النسخة (ط) كتب فوقها كلمة : (دواب).
والسخّاب لغة من الصياح والصخب ـ انظر لسان العرب لابن منظور مادة (سخب) طبعة دار المعارف ١٩٧٩.

(٦) فى (ت) : (وليجزى).

(٧) فى (ز) ، (ط) : (السيئة) زائدة.

(٨) فى (ز) : (ويصفحوا).

الملة المعوجة. بأن يقولوا لا إله إلاّ الله. ويفتحوا أعينا عميا، وأذانا صماً، وقلوبا غلفا»[1] .. يعنى أعينا عميا عن رؤية[2] جمال الحق. وآذانا صما عن سماع كلام الحق، وقلوبا غلفا مغطاة عن إدراك علم التوحيد والمعرفة.

(١) فى (ط) : (آذانا صما عن كلام علم الحق، وقلوبا مغطاة عن إدراك علم التوحيد والمعرفة).
(٢) فى (ز) : (دبة).

الباب الثالث

فــى

« مقام النبوة »

(وهو يشتمل على عشرة فصول)

الفصل الأول

فى

كيفية ارتقاء الحواس الخمس[1]
إلى الحس[2] المشترك، ومنه إلى ما فوقه
إلى أن تصير الروح به قابلا للوحى

اعلم. إنَّا وإن كان قصدنا فى هذا الباب الكلام على النبوات، ولكننا لا نصل إلى تحقيقه إلاَّ بعد ذكر مراتب الموجودات، واتصال بعضها ببعض، والحكمة السارية فى جميعها التى نشأت من قِبَلِ الله[3] الواحد. فأعطت كل مرتبة قسطها، ووزنها بميزان العدل كما سنبينه فى موضعه، إن شاء الله تعالى. فاقتصرنا من جميعها على شرح الحواس الخمس التى هى :

حاسة السمع، والبصر، والشم، والذوق، واللمس وهى حاصلة فى الحيوان الكامل. فى الحواس الخمس. وهى مع ذلك متفاوتة المراتب:

ـ فمنها الجافية الحواس البليدة.

---

(١) سقطت فى (ز).

(٢) فى (ز) : (بالحس).

(٣) فى (ط) : (تع) اختصار تعالى.

ـ ومنها الذكية المطيعة،[١] التى تستجيب للتأديب.[٢] وتقبل الأمر والنهى. وتستعد لقبول أثر النطق، والتميز.

كالفرس من البهائم. والبازى من الطيور.

ـ ثم يرتقى فى[٣] أفقه الأعلى إلى أول مرتبة الإنسان.. وهذه المرتبة[٤]. وإن كانت شريفة من مراتب الحيوانات. وهى أعلاها وأفضلها، وهى رتبة[٥] خسيسة من مرتبة الإنسان، وهى مراتب القرود، وأشباهها. من الحيوانات التى قاربت الإنسانية. وليس بينها وبينها إلا [٦] اليسير الذى إن تجاوزته صار إنسانا. فإذا بلغه انتصبت قامته. وظهر فيه من قوة التمييز إلى الشىء [٧] اليسير، الذى تناسب حالته، وقربه من أفق البهائم. ولكنه على حال يهتدى فضل اهتداء إلى المعارف. ويقوى فيه أثر النفس، ويقبل التأديب؛ بالفهم، والتمييز.[٨] وهذا الأثر وإن كان شريفا بالإضافة إلى ما دونه من رتب[٩] البهائم، فهو خسيس دنىّ [١٠] جدا. بالإضافة إلى الإنسان الكامل الناطق.

ثم للحواس الخمس ارتقاء إلى الحس المشترك ليجمعها ويؤلفها فى ذاته، ولولا هو لتفرقت علوم الحواس، ولم يكن لها ما يؤلفها، ولاما يحفظها. بعد أن تزول آثارها.

---

(١) فى (ت) : (المطبقة) وفى (ز) المظيفة .

(٢) فى (ز) : (يستجيب التأديب).

(٣) فى (ط) : (من).

(٤) فى (ز) ، (ط) : (الرتبة).

(٥) فى (ط) : (فهى).

(٦) فى (ط) : (إلا الشىء).

(٧) فى (ز) ، (ط) : (التميز الشىء).

(٨) فى (ز) : (وبالتميز).

(٩) فى (ط) : (مراتب).

(١٠) سقطت من (ط).

فنقول[1]:

إن النفس لما تحركت الحركة المنسوبة إلى أسفل لم يكن ممكنا للجسم المركب، على جفائه [2] وغلظه.[3] أن يتصل بالنفس على لطفها، وبعدها من الجوهر الحسي[4] إلا بوسائط يلطف فيها الحس أولا فأول.[5] حتى ينتهى إلى غاية ما. يمكنها أن تنتهى إليه. فحينئذ يمكن أن يقع بينهما الاتصال؛ الذى يصير أحدهما قابلا أثرا [6] من الآخر.

ومثال ذلك، أن المعدة إذا لطفت الغذاء بالهضم، وحصل منه فى القلب دم رقيق[7] ألطف، ما أمكن، من الغذاء. عادت الحرارة التى فى القلب عليه فزادته تلطيفا، وأجرته فى العروق الجوفية.[8] التى تسمى شريانات. وهو ألطف ما يكون من الدم. وحصل منه فى العرق الأجوف الذى[9] يرتقى إلى الدماغ فيجرى فيه جريان الماء فى الأنابيب.. أعنى أنه يبقى فيه فضاء ما. فلا يختنق[10] فيه بأن يملأه. وذلك الدم حار قريب العهد بالقلب فيرتفع منه بخار لطيف يحصل فى فضاء العروق الأجوف الخالى من الدم. كلما ارتفع لطف هذا [11] البخار، حتى يحصل فى

(١) فى (ز) : (فيقول).

(٢) فى (ز) : (جفايته).

(٣) فى (ط) : (وغلظ).

(٤) فى (ط) : (الجسم).

(٥) سقطت من (ز) ، و(ط).

(٦) فى (ت) ، (ط) : (أبدا).

(٧) فى (ز) : (وفيق).

(٨) فى (ز) ، (ط) : (الأجوف).

(٩) فى سائر النسخ : (التى).

(١٠) فى (ز) : (ولا يخنق).

(١١) فى (ز) : (هذه).

الدماغ فيتشعب إلى عروق دقاقٍ كثيرة. شبيهة بالشعر فى الدقة. ويتفرق فى الدماغ فيعدل برده، بحره. ويعتدل هو[1] أيضا ببرد ذلك ويصير منه ما يسمى روحا حيوانيا[2]. وبحسب صفاء هذا[3] الروح، وتهذبه. فحالاته تكون[4] صدور قوى الروح الإنسانى عنه، واستعداده لقبول آثاره من الحس (والفهم. وتنشئ الطبيعة حينئذ من الدماغ أعصابا يكون بها الحس)[5] والحركة الإرادية فى جميع البدن، وبها يتميز الحيوان من النبات. فمنها العصبة الجوفاء التى تنقسم إلى ثقبى[6] العينين. وينفذ فيها ذلك الروح، وقد تهذب غاية تهذبه، ولطف جداً فيكون به البصر.

ومنها التى تأتى الأذن فيكون بها السمع، وكذلك الباقيات، فإذا حصل فى كل واحد من الحواس أثر من[7] المحسوس تأدى منه إلى الحس المشترك. وهو قوة من قوى النفس فى أفق هذا الجوهر اللطيف من الجسم يقبل هذه الآثار كلها، وكما أن كل حس من الحواس الخمس يختص بنوع من المحسوس فيقبل آثاره ثم يميز (بين أشخاصه فكذلك الحس الجامع المشترك يقبل الآثار من الحواس كلها ثم يميز)[8] بينها. إلاّ أن الفرق بينهما :

أن الحواس الخمس إنما تقبل الصور من المحسوسات بالدفعات، ويتأثر منها. والحس المشترك إنما يقبل الصور من الحواس فى دفعة واحدة من غير أن يتأثر منها

---

(١) فى (ط) : (هى).

(٢) فى (ز) : (حيوانا).

(٣) فى (ط) : (هذه). والملاحظ أن النسخة (ط) الوحيدة التى تجعل الروح مؤنثة بينما النسخة (ت) تذكرٌ الروح على طول الكتاب. والنسخة (ز) تذكرٌ أحيانا وتؤنث أحيانا أخرى.

(٤) فى (ز) : (فى آلاته يكون) وفى (ط) (فى الآية يكون).

(٥) ما بين القوسين سقط من (ت).

(٦) فى (ت) : (قبتى).

(٧) سقطت من (ت).

(٨) ما بين القوسين سقط من (ت).

بما يحصل فيه من تلك الصور، لأنه فى نفسه صورة. والصورة لا تقبل الصورة على طريق التأثر، بل على طريق آخر، وبنحو أعلى وأشرف. ولذلك لم يدرك الجميع بلا زمان، ولا تجزئة [1]، ولا انقسام ولا تختلط [2] الصور هناك، ولا تتزاحم كما تتزاحم فى الأجسام. وترتقى هذه القوة إلى قوة تسمى المتخيلة. وربما يظن أنهما واحد.[3] وهذه القوة يظهر فعلها فى جزء[4] الدماغ المقدم. ثم ترتقى إلى قوة أخرى للنفس تسمى الحافظة. وهى كالخزانة التى تحفظ الأشياء الكثيرة. استحضر منها ما يحتاج إذا امتد الزمان. فهذه القوة يظهر فعلها فى الجزء المؤخر من الدماغ وهناك قوة أخرى للنفس وهى قوة الفكر تقع بها حركة الروية، والتوجه نحو العقل. ويختص بهذه القوة الإنسان دون سائر الحيوان. ويظهر فعلها فى البطن الأوسط من بطون الدماغ. وليس للحيوانات الباقية هذا الجزء من الدماغ. وإنما لها تانك [5] القوتان فى ذينك الجزءين فقط. ولذلك[6] لاروية لها. فإذا حصلت تلك الصورة فى هذه القوة حتى تقبلها وتنظر[7] فيها، فقد ارتقت إلى أفق الإنسان. وفى هذه المرتبة تظهر الإنسانية. وعلى قدر هذه الحركة، واستقامتها وصحة نظرها وتميزها.[8] تكون مرتبة الإنسان. وتميزه عن البهائم، وعلى قدر استكمالها بالحركة، وقبولها أثر العقل يكون مقداره من الإنسانية. فإذا جعل الإنسان أقصى سعيه بما يستفيده من حواسه أن يرقيها إلى هذه القوة، ويحركها. أبداً فى طلب أسبابها. ومبادئها الأُوَل. أعطاه حينئذ العقل حقائقها فاستكملت صورة الإنسانية فيه، وتصورت نفسه بحقائق

---

(١) فى (ت) : (ولا تجربة).

(٢) فى (ط) : (ولا تخلط)

(٣) فى (ز) : (يظن أنها واحدة).

(٤) فى (ط) : (بجزء).

(٥) فى (ت) : (تأمل).

(٦) فى (ت) : (وكذلك).

(٧) فى (ز) ، (ت) : (يقبلها وينظر فيها).

(٨) فى (ت) : (وتمييزه).

الأشياء وتلك الحقائق هى أبدية الوجود غير داخلة تحت الكون ولا تحت المدة والزمان لأنها بسائط. فتصير محاولات هذا الإنسان كلها ومساعيه فيها بطريق الرياضات النفسانية، والمجاهدات الشرعية كما سيجيىء شرحها إن شاء الله تعالى[١].

ويبلغ الإنسان فى هذه المرتبة متصاعدا فيها إلى غاية أفقه التى إن تجاوزها لم يكن إنسانا، بل صار[٢] ملكا كريما وينبغى أن يتصور ذلك كما تصورت الوسائط الأخرى فى أواخر أفقها، وأوائل آفاق ما هو فوقها، إلى أن تدركه العناية الأزلية. وهبت نفحات ألطاف الحق فانخرقت الحجب النوارنية الروحانية بهبوبها. وتأثر الروح العلوى بشواهد الأنوار[٣] الربانية. ويتقوى بقوة لم تكن فى استعداد الإنسان[٤] مجبولة، وهى لطيفة ربانية روحانية. تسميها المشايخ خفيا. لأنها كانت مخفية متكمنة، لا يخرجها من القوة إلى الفعل[٥] إلا سطوات الأنوار الربانية. فبالارتقاء إلى مقام الخفى[٦] يستعد للترقى من أواخر الأفق الإنسانى إلى أوائل آفاق ما فوقها. فيستعد لقبول الفيض الربانى بلا واسطة، وهذا مقام الإنباء [٧]: بأن ينبئه [٨] الحق تعالى بإراءة [٩] آياته فى آفاق نفسه عما يشاء كما يشاء. أما الأولياء بالإلهام. وأما الأنبياء بالوحى بحسب استعداد كل واحد منهم.

والله أعلم

---

(١) سقطت من (ط) .

(٢) سقطت من (ط) .

(٣) فى (ت) : (الأنوال) .

(٤) فى (ط) : (الاستعداد الروحانى) .

(٥) فى (ز) : (العقل) .

(٦) فى (ز) : (إلا مقام) ، وفى (ط) : (إلى المقام) .

(٧) فى (ز) ، (ط) : (الأنبياء) .

(٨) فى (ز) : (ينبأه) .

(٩) فى (ط) : (بإرائة) .

الفصل الثانى

فى

كيفية الوحى

اعلم.. أن ما ذكرناه[1] من مقام الأنبياء هو غاية شرف الإنسانية.

والأفق الأعلى منه. فلم يبق له الارتقاء عن هذا المقام بسعيه وجهده بل تتخلط[2] إليه الأمور الإلهية،والجذبات الربانية وحيا أو إلهاما. كما قال تعالى[3] لنبيه «محمد»[4] (صلى الله عليه وسلم). ﴿ **وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نورا نهدى به من نشاء من عبادنا** ﴾ [5] أى: ما كنت تدرى مع كمال عقلك، وغاية حسن استعدادك. ما يكون الكتاب، والإيمان.. يشير إلى أن الإنسان بالعقل الكامل لا يطلع على حقائق القرآن، ونور الإيمان.. ولكن جعلناه. يعنى الكتاب، والإيمان. نورا نهدى به من نشاء من عبادنا بالوحى المنزل إليهم. ومثال ذلك؛ أن الإنسان إنما ارتقى من قوة

---

(١) فى (ز) : (أنما).

(٢) فى (ط) : (تتخبط).

(٣) فى (ط) : (قال الله).

(٤) غير موجودة فى (ز) ، (ط) .

(٥) فى (ز) : من عباده. والآية رقم ٥٢ من سورة الشورى مكية.

الحس[1] إلى قوة التخيل. وارتقى من قوة التخيل إلى قوة الفكر. ومن قوة الفكر إلى إدراك حقائق الأمور التى فى العقل.

وذلك أن هذه القوى متصلة اتصالا روحانيا، كما بينا فيما مضى، فربما عرض لها من قوة قبول بعضها من بعض الآثار أن ينعكس فى بعض الأمزجة[2] منحطة كما تصاعدت على سبيل الفيض فيؤثر حينئذ العقل فى القوة الفكرية. وتؤثر القوة الفكرية فى القوة المتخيلة، وتؤثر القوة المتخيلة فى الحس فيرى الإنسان أمثلة الأمور المعقولة. أعنى حقائق الأشياء ومبادءها، وأسبابها. كأنها خارجة عنه. وكأنه[3] يراها ببصره ويسمعها بأذنه. وكما أن النائم يرى أمثلة الأشياء المحسوسة فى القوة المتخيلة، ويظن أنه يراها من خارج، وربما كانت صحيحة مبشرة أو منذرة فى المستأنف[4]، وربما رأى الأمور بأعيانها من غير تأويل، وربما رآها مرموزة تحتاج إلى تأويل كذلك حال هذا المستيقظ إذا استقرت[5] فيه هذه القوة العالية أخذته عن المحسوسات حتى كأنها[6] غابت عنها فيشاهد فى القوة المتخيلة ما انحدر إليها من علو الخفى من إراءة[7] الله تعالى[8] إياه إلى العقل، ومن العقل إلى الفكر، ومن الفكر إلى المتخيلة.. ويسمع ما لا يشك[9] فيه.

(١) فى (ت، ط) : (الحق).

(٢) غير واضحة فى (ت).

(٣) فى (ز) ، و(ط): (وكأنها).

(٤) فى (ز) : (المستقبل).

(٥) فى (ط) : (استقر).

(٦) زائدة من (ز) .

(٧) فى (ط) : (الخفاء بإراثة) زائدة.

(٨) غير موجودة فى (ز) .

(٩) فى (ط) : (ما لا شك).

ولأن تلك الأمور ليست في زمان فمستقبلها وماضيها واحد. لأنها حاضرة معا. فالأمور لائحة له [1]. فيشاهد مستقبلها كما يشاهد ماضيها فإذا أخبربها كانت صحيحة، وكانت وحيا.

والله أعلم.

(١) في (ط) : (لها).

الفصل الثالث

فى

أصناف الوحى

قال الله تعالى:

﴿ وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا﴾ (1).

فالله تبارك وتعالى جعل أقسام كلامه مع عباده ثلاثة:

ـ وحيا: بلا واسطة.

كما أخبر عن حال النبى (صلى الله عليه وسلم). بقوله:

﴿ فأوحى إلى عبده ما أوحى﴾ (2).

ـ وكلاما (3): من وراء حجاب.

كما أخبر عن حال موسى (عليه السلام). بقوله تعالى :

﴿ وكلم الله موسى تكليما﴾ (4).

---

(1) آية رقم (51) من سورة الشورى مكية.

(2) آية رقم (10) من سورة النجم مكية.

(3) فى (ز) : (وكلامه).

(4) آية رقم (164) من سورة النساء مدنية.

والذى يدل على أنه كلمه من واء حجاب قوله تعالى حكاية عن موسى (عليه السلام).

﴿ قال ربى أرنى أنظر إليك﴾ [١].

أى ارفع الحجاب عنى لأنظر إليك.

ـ وإرسال الرسول : وهو جبريل[٢] (عليه السلام).

وغيره من الملائكة، يرسلهم إلى الرسل عليهم السلام. كما قال تعالى :

﴿ الحمد لله فاطر السموات والأرض جاعل الملائكة رسلا﴾ [٣].

(ثم) : جعل أصناف الوحى ثلاثة ،

الأول ـ وحيا[٤] للعجماء :

وهو بالإجراء[٥]. كما[٦] أخبر عن حال النحل بقوله تعالى **﴿ وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذى من الجبال بيوتا﴾**[٧] الآية. فآثار الوحى فى معاملاتها ظاهرة. فلو لم يكن أنها اتخذت البيوت المسدسة الهندسية، التى يعجز العقلاء عن اتخاذ مثلها.

---

(١) آية رقم (١٤٣) من سورة الأعراف مكية .

(٢) فى (ط) : (جبرائيل).

(٣) آية رقم (١) من سورة فاطر مكية.

(٤) فى (ت) فقط : (وحى) وهو يصح ولكنى لم أضع نقطتين فوق بعضهما بعد كلمة ثلاثة وذلك لأنه يجوز أيضا أن يكون المفعول الثانى للفعل جعل فهو متعدى لمفعولين. ولذا يصح نصب (وحيا). أو نقول: جعل أصناف الوحى وحيا للعجما إلى آخره.
وبقية الألفاظ كما سبق كلاما وغيره معطوفات للتقسيم.

(٥) فى (ز) : بالأجز وفى (ت) بالأجزاء. وهى بمعنى أن الله سبحانه وتعالى يجرى وحيه على مخلوقاته كما أجرى مع النحل أو على النحل.

(٦) فى (ز) : (لما).

(٧) الآية رقم (٦٨) من سورة النحل مكية.

بأجراء [1] الوحي الرباني. وإلا فكيف يصدر من حيوان[2] يكون بمعزل من العقل مثل تلك المعاملات.

الثاني ـ وحيا للأولياء:

وهو بالإلهام. كما قال تعالى:

﴿ وإذ أوحيت إلى الحواريين أن آمنوا بى وبرسولى قالوا آمنا﴾ [3]. فلو لم يكن إيمان الحواريين بالإلهام الرباني إلى قلوبهم، لكفروا[4]. كما أخبر الله تعالى عن حالهم وحال غيرهم من بنى إسرائيل بقوله تعالى:

﴿ قال الحواريون نحن أنصار الله فآمنت طائفة من بنى إسرائيل وكفرت طائفة﴾ [5].

يعنى فآمنت طائفة الحواريين من بنى إسرائيل بالإلهام الرباني، وكفرت طائفة منهم إذ لم يلهموا به.

والثالث ـ وحيا للأنبياء :

وهو بالإيحاء من الله تعالى. تارة بواسطة جبريل كما قال تعالى:

﴿ نزل به الروح الأمين * على قلبك﴾ [6]..

وأخرى. بغير واسطة[7] في النوم. كما قال تعالى :

﴿ إنى أرى فى المنام أنى أذبحك﴾ [8].

---

(١) فى (ز) : (بأجر).

(٢) فى (ت)، (ز) : (حيوانا).

(٣) آية رقم (١١١) من سورة المائدة مدنية.

(٤) فى (ز) ، (ت) : (وإلا لكفروا).

(٥) آية رقم (١٤) من سورة الصف مدنية.

(٦) آيتان رقم (١٩٣ ، ١٩٤) من سورة الشعراء مكية.

(٧) فى (ط)، (ز) : (واسطته).

(٨) آية رقم (١٠٢) من سورة الصافات مكية.

وقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم).

« رؤيا الأنبياء وحي» [1].

وقد ورد عن بعض الحكماء الإسلاميين[2]: أن أصناف الوحي يجب أن تكون بعدد أصناف قوى النفس. وذلك أن الفيض الذى يأتى النفس، إما أن تقبله بجميع قواها أو ببعضها. وقوى النفس. تنقسم بالقسمة الأولى إلى قسمين وهما :

الحس. والعقل.

وكل واحد من هذين القسمين[3] ينقسم إلى أقسام كثيرة. وأقسامها إلى أقسام أخر[4] كثيرة.. حتى تنتهى إلى الجزئيات. التى لا-نهاية لها.

وإنما غرض هذه الأقسام[5] بحسب الآلات والمدركات الكثيرة. فأما قواها : التى هى الحواس.

فمنها ما هو فى أفق النبات.

ومنها ما هو فى أفق الحيوان البهيمى.

ومنها ما هو فى أفق الإنسان.

وأعلاها مرتبة، ما هو فى أفق الإنسان. أعنى حسُّ البصر والسمع. وذلك أن أول ما يقبله الحيوان من أثر النفس، ويتميز[6] به عن النبات هو حس اللمس. الذى يوجد فى أنواع الصدف. ثم حس الذوق، والشم. اللذين فى أصناف الدود[7].

(١) حديث : (رؤيا الأنبياء وحى).

(٢) فى (ز) ، (ط) : (الإسلامية).

(٣) الزيادة من (ط).

(٤) غير موجودة فى (ز) .

(٥) فى (ط) : (وإنما عرض هذا الانقسام).

(٦) فى (ز) : (ويميز).

(٧) فى (ز) : (أصناف الدودة).

وكثير من الفراش. ثم تأخره[1] إذا قبل صورة السمع، والبصر صار منه الحيوان الشريف (الذى شرحنا من أمره، ما شرحنا)[2]. وإنما صار هذان الحسّان شريفين[3]، لأنهما أبسط، وأقل مخالطة للهيولى. وذلك أنهما يقبلان صور الأمور من غير استحالةإليها.

فأما تلك الحواس الأخر فإنها لا تقبل الأثر إلا بمخالطة وممازجة[4] واستحالة هيولانية [5]، وإذا كانت صور الحقائق التى تأتى النفس من فوق غير ملابسة [6] لشيء من الهيولى[7] لم تتجاوز حس البصر والسمع، لأنه ليس فى طاقة الحواس الأخر أن تقبلها بنوع من الأنواع، ولا بجهة من الجهات. وعلى أن تلك المعانى البسيطة الشريفة، التى انتهت إلى السمع والبصر صار فيها ظل الهيولى[8]، ولذلك تظهر فى معرض منها، ولم يمكن بعد ذلك أن تتجاوز منها إلى كثافة أخرى لأن[9] فى ذلك خروجا عن ذواتها[10]، وهذا محال.

فقد تبين أن أصناف الوحى بعدد أصناف قوى النفس إلاّ ما استتار به من الحواس الثلاث، التى هى فى أفق الحيوان البهيمى القريب من النبات. وأقواها ما اشتملت عليه النفس بقواها الباقية كلها. ثم اشتملت عليه ببعضها إلى أن ينتهى إلى ما

---

(١) فى (ز) : (بآخره).

(٢) غير موجود فى (ز).

(٣) فى (ط) : (شريفان).

(٤) زائدة من (ز).

(٥) (هيولانية) زائدة من (ز) . والاستحالة طلب التحول.

(٦) فى (ز) : (غير ملامسة).

(٧) فى (ز) ، (ت) : (الهيولا).

(٨) التصحيح من (ط).

(٩) فى (ت) : (بأن).

(١٠) فى (ت) : (دراتها).

تقبله[١] بقوة واحدة من قواها . وبالله التوفيق

هذا من كلام الحكيم. والله أعلم

* وأمّا ما جاء[٢] على لسان العلم من أصناف الوحى:

= فمنها : الرؤيا الصالحة فى النوم.

كما روت «عائشة» رضى الله عنها، قالت:

«أول ما بدئ به رسول الله، صلى الله[٣] عليه وسلم، من الوحى: الرؤيا الصالحة فى النوم. فكان لا يرى[٤] رؤيا إلاّ جاءت مثل فلق الصبح: ضوؤه[٥]، وإنارته»[٦].

يعنى ما يرى فى النوم بالليل[٧] جاءه[٨] بالنهار حقا ظاهراً لا يحتاج إلى التأويل والتعبير[٩].

= ومنها : ما يبدو فى اليقظة فيسمع صوتا، أو يرى ضوءاً. كما روينا عن «ابن عباس» رضى الله عنهما[١٠]، قال:

«أقام رسول الله، صلى الله عليه وسلم، بمكة خمس عشرة سنة[١١]، وفى

---

(١) فى (ز) : (يقبل).

(٢) سقطت من (ز).

(٣) فى (ط) : (تعالى) زائدة.

(٤) فى (ط) : (وكان).

(٥) فى (ط) : (أى ضوء الصبح).

(٦) الحديث عن عائشة.

أول ما بدئ به رسول الله الرؤيا الصالحة.

(٧) فى (ط) : (فى الليل).

(٨) فى (ط) : (جائه).

(٩) فى (ط) : (والله أعلم) زائدة.

(١٠) ساقطة من (ط) و (ز).

(١١) فى (ط) : (خمسة عشر).

رواية، ثلاث عشرة. يسمع الصوت، ويرى الضوء سبع سنين ولا يرى شيئا. وثماني[1] سنين يوحى إليه، وأقام بالمدينة عشراً منها[2] ما يرى ملكا فيكلمه كما جاء في حديث «عائشة» رضى الله عنها. «حتى جاءه[3] الحق وهو فى غار حراء فجاءه الملك فقال : اقرأ.

قال: ما أنا بقارئ. قال : فأخذنى فغطنى حتى بلغ منى الجهد ثم أرسلنى فقال: اقرأ. قلت: ما أنا بقارئ. فأخذنى فغطنى الثانية حتى بلغ[4] منى الجهد ثم أرسلنى فقال: اقرأ. قلت : ما أنا بقارئ فأخذنى وغطنى[5] الثالثة، ثم أرسلنى فقال: ﴿ **اقرأ باسم ربك الذى خلق * خلق الإنسان من علق * اقرأ وربك الأكرم** ﴾ [6].

فرجع بها رسول الله، صلى الله عليه وسلم، يرجف فؤاده. فدخل على «خديجة بنت خويلد» فقال: زملونى. زملونى. فزملوه حتى ذهب عنه الروع»[7].

الحديث

= ومنها : ما يظهر له الملك. فى أفق الفلكية[8].

وكما روينا [9]عن «جابر»[10]، رضى الله عنه،. قال:

---

(١) فى (ز) ، (ط) : (وثمان).

(٢) فى (ط) : (ومنها) مما يحدث لبسا على أنها فقرة جديدة ولكنها ليست كذلك.

(٣) فى (ط) : (جاءه).

(٤) الإضافة هنا من (ط).

(٥) الإضافة هنا من (ط).

(٦) الآيات (١ ، ٢ ، ٣) من سورة العلق مكية.

(٧) الحديث كله سقط من النسخة (ت) . والحديث : قال ما أنا بقارئ فأخذنى فغطنى حتى بلغ منى الجهد ثم أرسلنى... إلخ.

(٨) فى (ز) : (الملائكة)، وفى (ط) : (الملكية).

(٩) فى (ت) ، (ط) : (وما روينا).

(١٠) فى (ط) : عن (جابر بن عبد الله).

وهو جابر بن عبد الله الأنصارى صاحب الحديث السابق انظره فى فاتحة الكتاب، وانظر الهامش.

قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم). وهو يحدث عن فترة الوحى: «بينا أنا واقف فرفعت رأسى إلى السماء، فإذا الملك [١] الذى جاءنى[٢] بحراء جالس على كرسى[٣] بين السماء والأرض.

(قال رسول الله، صلى الله عليه وسلم، فخشيت منه فرقا فرجعت فقلت: زملونى. زملونى. دثرونى.[٤] فأنزل الله تعالى ﴿ **ياأيها المدثر * قم فأنذر * وربك فكبر * وثيابك فطهر * والرجز فاهجر** ﴾ [٥] ثم تتابع الوحى .

= ومنها : ما ينفث الملك فى الروع[٦].

كما جاء فى الحديث.

«أن الروح الأمين نفث فى روعى، أى نفسى وخلدى [٧].

أنه لن تموت نفس حتى تستوفى رزقها» [٨].

= ومنها : ما نزل[٩] جبريل به على قلبه (صلى الله عليه وسلم).

---

(١) فى (ت) ، (ز) : (وإذا).

(٢) فى (ط) : (جائنى).

(٣) فى (ز) : (على كرية) وفى (ط) : (كرسيه).

(٤) الفقرة ما بين القوسين ساقطة من (ت).

(٥) آية من (١ـ٥) من سورة المدثر مكية.

(٦) فى (ط) : (ما ينفث الوحى فى الروع).

(٧) فى (ز) : (روعى نفس وخلدى).

(٨) زائدة من (ز) .

والحديث : الروح الأمين نفث فى روعى أنه لن تموت نفس حتى تستوفى رزقها.

(٩) فى (ز) : (ينزل).

= ومنها : ما يلقيه الله تعالى فى القلب بغير واسطة جبريل كما جاء فى الأحاديث الربانية. كقوله، عليه السلام، «من تقرب إلىّ شبراً تقربت إليه ذراعاً»[1]. الحديث.

= ومنها : ما يأتى به جبريل، عليه السلام.

متمثلا فى صورة إنسان، كما كان يأتى فى صورة دحْية،وصورة الأعرابى.

= ومنها : ما يأتى به غيره من[2] الملائكة (كما كان يأتى)[3] فى صور مختلفة.

= ومنها : ما كان سرّاً بين الله تعالى[4]، ورسوله (صلى الله عليه وسلم)[5]. فلم يحدث به أحداً.

= ومنها : ما يحدث به الناس. وذلك على صنفين:

ـ فمنه ما كان مأموراً بكتابته[6] قرآنا.

ـ ومنه ما لم يكن مأموراً بكتابته[7] قرآنا. فلم يكن من القرآن.

والله أعلم.

---

(١) حديث من تقرب إلى شبراً تقربت إليه ذراعاً.

(٢) فى (ت، ز) : (بها غيره).

(٣) ما بين قوسين زيادة من (ز).

(٤) غير موجودة فى (ز)، (ط).

(٥) غير موجودة فى (ط).

(٦) فى (ط) : (بكتبته).

(٧) فى (ط) : (بكتبته).

الفصل الرابع

فى

أن العقل ملك مطاع بالطبع

متهيئ لقبول الوحى، والإيمان به

اعلم : أن الله تعالى خص العقل برتبة هى أعلى مراتب المبدعات وأن جميعها محتاجة إليه، وهو الذى يمدها بفضائله، وإن كان بعضها لأجل بعده[١] عنه. وقلة حظه منه. يتمرد عليه (وعلى ذلك)[٢] فإنه لا محالة يخضع له إذا ظهر له أدنى ظهور. فمثله كمثل الملك الذى يحتجب عن بعض عبيده، ويطلع عليهم[٣] من حيث لا يرونه. فإذا خالفوا أمره واجترأوا [٤]على بعض ما نهى[٥] عنه إنما ذلك لأنهم لا يرونه، ولا يعلمون أنه يراهم. فإن أحسّوا به أدنى إحساس، انقبضوا ضرورة، وهابوه طبعا. ويظهر هذا المعنى ظهوراً تاماً[٦] فى البهائم فإنها تخدم الإنسان وتهابه بالطبع.

وتتبع العُدّة[٧] الكثيرة الراعى الواحد، وربما كانت قوة واحد منها تزيد على قوى

---

(١) فى (ز) : (بعضه).

(٢) ما بين القوسين زيادة من (ط).

(٣) فى (ط) : (ويطلع عليه).

(٤) فى (ز) : (وأجروا).

(٥) فى (ط) : (ينهى).

(٦) فى (ز)، (ت) : (ظهورا ما).

(٧) غير واضحة فى (ت).

عدة كثيرة منهم. وكذلك حالها فى عظم الأجسام والجرأة [1] والبطش، وعلى هذا يجرى أمر الناس بعضهم مع بعض.

فإن عامتهم إذا وجدوا بينهم[2] واحدا أكثر حظا من العقل فإنهم يهابونه، ويخضعون له. ويتبعونه منقادين مستسلمين كشبه البهائم، إذ[3] الطبيعة واحدة. بعينها، وكذلك يفعل أولئك العقلاء لمن[4] هم فوقهم فى العقل من الطاعة والانقياد، وشدة الهيبة.[5] ولقوة هذا الأمر[6] الطبيعى ربما ظن[7] بواحد من الناس أكثر مما فيه من العقل فينقاد له.

فقد بان ما أردنا بيانه من مرتبة العقل، وأنه ملك مطاع بالطبع.

* فأما الدليل على أنه متهيئ لقبول الوحى والإيمان به.

فقول النبى (صلى الله عليه وسلم):

«أول ما خلق الله العقل. فقال له : أقبل.. فأقبل، ثم قال له : أدبر. فأدبر.. ثم قال: وعزتى وجلالى ما خلقت خلقا أحب إلىّ منك. بك أعرف، وبك آخذ، وبك أعطى، وبك أعاقب، وبك أثيب»[8].

---

(١) فى (ط) : (والجرائة).

(٢) فى (ز) : (منهم).

(٣) فى (ز) : (إذا).

(٤) فى (ت)، (ط) : بمن).

(٥) فى (ز)، (ط) : (التهيب).

(٦) ساقطة من (ز).

(٧) غير واضحة فى (ت).

(٨) حديث أول ما خلق الله العقل:

سبقت الإشارة إليه ويراجع فى فهرس الأحاديث النبوية نهاية الكتاب.

وفى رواية:

«وبك أُعبَد». فصح أنه متهيىء لقبول الوحى. إذ كان هو أول من اختص من الله تعالى[١] بالوحى، والخطاب والمحبة، والمعرفة، والعبادة، والعبودية، والنبوة بأنباء الحق[٢]. إذ أنبأه عن معرفة نفسه، ومعرفة ربه.

وإذا أمعنت[٣] النظر، وأُيدت بنور الله تحقق[٤] لك: أن الذى هو المعبر[٥] بالعقل، والموصوف باختصاص الوحى، والخطاب، والمحبة، والمعرفة، والعبادة، والعبودية، والنبوة. هو (روح)[٦] حبيب الله تعالى، ونبيه محمد (صلى الله عليه وسلم) أفضل الصلوات[٧].

فإنه الذى قال: «أول ما خلق الله عز وجل[٨] روحى» وفى رواية «نورى»..

فروحه الشريفة [٩] جوهر نورانى، ونوره هو العقل، وهو عرض قائم بجوهره. ومن هنا قال[١٠] (صلى الله عليه وسلم).

«كنت نبيا، وآدم بين الروح والجسد»[١١]. أى، لم يكن بعد روحا ولا جسداً..

---

(١) فى (ز)، (ط) : (عن الله).

(٢) فى (ز) : (الحق تعالى).

(٣) فى (ز)، (ط) : (أنعمت).

(٤) فى (ز) : (يتحقق).

(٥) فى (ت): (المعتبر) وفى (ز) : (معبر).

(٦) زيادة من (ز) .

(٧) غير موجودة فى (ط)، (ز).

(٨) غير موجودة فى (ط)، (ز).

(٩) غير موجودة فى (ط)، (ز).

(١٠) فى (ز) : (قال النبى).

(١١) حديث: كنت نبيا وآدم بين الروح والجسد، ينظر فى فهرس الأحاديث النبوية نهاية الكتاب.

ومن هنا قال: «من عرف نفسه فقد عرف ربه».[1] لأنه عرف نفسه بتعريف الله. إذ قال له «ما خلقت خلقا أحب إليّ منك». وعرف الله أيضا. بتعريف الله نفسه إياه. إذ قال: «وعزتي وجلالي. ما خلقت أحب إلَيّ منك». فعرف أنه الإله؛ الذى من صفاته العزة والجلال. والخالقية. والمحبة.[2] وهو المعرف[3] لكل عارف، وله القدرة، والحكم على الأخذ والإعطاء، والثواب والعقاب، وهو المستحق العبادة[4] وقد أخذ[5] عن بعض الكبراء من الأئمة.

«إن أول المخلوقات ملك كروبيٌّ يسمى العقل[6]. وهو صاحب القلم، بدليل توجه الخطاب إليه فى قوله: أقبل فأقبل.. ثم قال له: أدبر. فأدبر.. ولما سماه قلما قال له: اجر بما هو كائن إلى يوم القيامة.

وتسميته قلما. كتسمية صاحب السيف[7]، سيفا. وقد سمى النبى (صلى الله عليه وسلم) «خالد بن الوليد»[8]. «سيف الله» وهذا أول لقب فى الإسلام. فلا

(١) حديث من عرف نفسه فقد عرف ربه، ينظر فى فهرس الأحاديث النبوية نهاية الكتاب.
(٢) فى (ز) : (والمحبية).
(٣) فى (ز) : (وهو المعروف).
(٤) فى (ز) : (للعبادة).
(٥) فى (ز) : (جاء).
(٦) فى (ز) : (يشمل عقل).
(٧) فى (ز) : (الصيف).
(٨) فى (ز) : (الخالد).
وخالد بن الوليد هو : [خالد بن الوليد بن المغيرة: من بنى مخزوم] ويكنى بأبى سليمان. لم يشهد بدرا، ولا أحدا، ولا الخندق. أسلم سنة ثمان من الهجرة هو (وعمرو بن العاص) و(عثمان بن طلحة). ولما أسلم كان مثلا فى الشجاعة والإقدام. افتتح «عين التمر». وحمى المسلمين يوم مؤتة. ونال على لقب «سيف الله» من الرسول (صلى الله عليه وسلم). كان بالشام أولاد كثيرون قيل إن الطاعون قتل منهم أربعين رجلاً. ومات خالد بن الوليد فى حمص على فراشه سنة إحدى وعشرين هجرية وقيل عشرين وهو يقول: [لقيت كذا وكذا فما فى جسدى موضع إلا وفيه ضربة سيف أو طعنة رمح وها أنذا أموت على فراشى كما يموت العير فلا نامت أعين الجبناء]
انظر [المعارف، دول سلام].

يبعد أن يسمى روح النبى (صلى الله عليه وسلم) ملكا لغلبة صفات الملكية عليه، كما يسمى جبريل روحا لغلبة الروحانية عليه. كقولهم: (فلان شعلة نار) لحدة ذهنه.

وسمي[1] عقلا، لوفور عقله وقلما لكتابة المكونات به، ونورا لنورانيته. وقد سماه الله تعالى نوراً فى القرآن بقوله: ﴿ **قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين**﴾ [2].

فالنور «محمد» (صلى الله عليه وسلم). وقد يكون العقل فى اللغة بمعنى العاقل، كالعدل بمعنى العادل. فعلى هذا التقدير والتأويل ، يكون روح النبى (صلى الله عليه وسلم). هو المخلوق الأول.. ولكنه بهذه الاعتبارات، ملك، وعقل، ونور، وقلم.

فالقلم[3] قريب المعنى من العقل.

قال الله تعالى : ﴿ **علم بالقلم** ﴾ [4].

جاء فى التفسير عن بعضهم. أى بالعقل. لأن الأشياء تعلم بالعقل.

لطيفة:

وفى قوله للعقل: أقبل فأقبل ثم قال له أدبر فأدبر. إشارة إلى أن للعقل إقبالا وإدبارا. فورث إقباله المقبلون. وهم صنفان: السابقون المقربون من الأنبياء، والأولياء، وهم أصحاب الميمنة. وهم أهل الجنة.

---

(١) فى (ز): (ويسمى).

(٢) آية رقم (١٥) من سورة المائدة مدنية.

(٣) فى (ز) : (والقلم).

(٤) جزء من آية رقم (٤) من سورة (العلق) مكية ونصها:

﴿ **الذى علم بالقلم**﴾ وهى أول سورة نزلت من القرآن.

وورث إدباره. المدبرون. وهم أصحاب المشأمة. وهم أهل النار. يدل عليه قوله تعالى: ﴿ **وكنتم أزواجا ثلاثة**﴾ [1] الآية..

والله أعلم.

(1) آية رقم (٧) من سورة الواقعة مكية.

الفصل الخامس

فى

المنام الصادق

(وأنه جزء من النبوة[1]. والفرق بين المنام ووقائع القوم.)[2]

* عن «عبادة بن الصامت» رضى الله عنه. قال:

«سألت[3] رسول الله (صلى الله عليه وسلم) عن قوله تعالى:

﴿ لهم البشرى فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ﴾ [4].

قال: الرؤيا الصالحة. يراها المؤمن. أو تُرى له»[5].

وقال (صلى الله عليه وسلم):

«الرؤيا الحسنة جزء من ستة وأربعين جزءا من النبوة»[6].

---

(١) هذا الجزء سقط من (ز).

(٢) ما بين القوسين سقط من (ط).

(٣) فى (ط): (سئلت).

(٤) آية رقم (٦٤) من سورة يونس مكية.

(٥) الحديث: عن عبادة بن الصامت سألت رسول الله عن قوله تعالى لهم البشرى فى الحياة الدنيا قال الرؤيا الصالحة، راجع فهرس الأحاديث النبوية نهاية الكتاب.

(٦) الحديث قوله (ﷺ) (الرؤيا الحسنة جزء من ستة وأربعين جزء من النبوة) وانظر فهرس الأحاديث النبوية نهاية الكتاب.

قوله : من النبوة.

أراد تحقيق أمر الرؤيا، وتأكيده، وإنما كانت جزءاً [١] من النبوة فى حق الأنبياء دون غيرهم. وقيل معناه أنها جزء من أجزاء علم النبوة. وعلم النبوة باق، والنبوة غير باقية.

* عن «أبى هريرة»، رضى الله عنه. يقول:

سمعت النبى (صلى الله عليه وسلم) يقول:

«لم يبق من النبوة إلاّ المبشرات.

قالوا: يا رسول الله، وما المبشرات. [؟]

قال: الرؤيا الصالحة.»[٢].

وقال بعض أهل العلم فى قوله: «جزء من ستة وأربعين جزءا من النبوة» إن مدة وحى الرسول (صلى الله عليه وسلم). من حين بدئ [٣] إلى أن فارق الدنيا. كان ثلاثا [٤] وعشرين سنة، وكانت ستة أشهر منها فى أول الأمر[٥] يوحى إليه فى النوم. وهو نصف سنة. فكانت مدة وحيه فى النوم جزءاً [٦] من ستة وأربعين جزءا من جملة أيام الوحى..

* وقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم):

---

(١) (ز) : (جزؤ).

(٢) الحديث عن أبى هريرة لم يبق من النبوة إلا المبشرات قالوا وما المبشرات قال الرؤيا الصالحة، ينظر فى فهرس الأحاديث النبوية نهاية الكتاب.

(٣) فى (ز) : (يدعى).

(٤) فى (ط) : (ثلاثة).

(٥) فى (ط) : (فى أول الأول).

(٦) فى (ط) : (جزء).

«إذا كان آخر الزمان لم تكد رؤيا المؤمن تكذب. فأصدقهم رؤيا أصدقهم حديثا»[1].

= والرؤيا ثلاثة[2]:

- رؤيا بشرى من الله عز وجل.

- ورؤيا مما يحدث به الرجل نفسه.

- ورؤيا من تحذير[3] الشيطان.

وإذا رأى أحدكم ما يكره. فلا يحدث به، وليقم فليصل[4] والقيد فى المنام ثبات فى الدين.، والغل أكرهه [5].

* والمعبرون يقولون:

أصدق الرؤيا فى الوقت الربيع. عند اعتدال الليل والنهار.

* وأما حقيقة النوم، فنقول:

---

(١) حديث: إذا كان آخر الزمان لم تكد رؤيا المؤمن تكذب فأصدقهم رؤيا أصدقهم حديثا، ينظر فى فهرس الأحاديث النبوية نهاية الكتاب.

(٢) فى (ط) : (ثلاث).

(٣) فى (ز) : (تخزين).

(٤) فى (ط) : (وليصلى).

وهذا نص حديث [وإذا رأى أحدكم ما يكره فلا يحدث به وليقم فليصل].

(٥) فى هامش النسخة (ط) كتب الآتى :

[أى أكره ما يرى لأنه كفر كقوله تعالى: ﴿ غُلت أيديهم ولعنوا بما قالوا ﴾ الآية]

أما فى (ز) : كراهة.

هو تعطيل النفس آلات الحواس إجماماً [1] لها. وإنما وجب هذا الإجمام فيها لأنها آلات جسمانية[2]، وصور في[3] مواد. فيعرض لها من الكلال والفتور بكثرة الاستعمال ما يعرض لجميع الأجسام. فيضطر فيها إلى الإزاحة لتعود إلى حالتها، ولتتلاقى [4] الطبيعة في تلك الحال ما عرض لها من نقص وخلل. فتتممه.

ومثال ذلك:

أن العين إذا اشتغلت بالنظر فإنما [5] يتم فعلها بالروح المتهذب. في الشريانات التي في بطون الدماغ، وهو يأتي إلى العَصَبة المجوفة المنقسمة إلى ثقبتي العين، وهو من اللطف بحيث يتخلل من ذلك الثقب في طبقات العين، ويخرج معه الشعاع بالقوة الذى يتبعه، ويستكمل بالضوء الذى يصادفه من خارج العين. في الهواء من الشمس، أو من غيرها. فيقبل من صور الأشياء التي حصلت في الجرم الصقيل من ناظر العين ما يسمى رؤية وبصرا.. فإذا تخلل ذلك الروح المتهذب الصافي [6] بأجمعه تبعه الكدر منه، والغليظ، ولذلك يحسّ الإنسان في تلك الحال بألم يعرض في عينيه، وكأنه يجد فيها شبيها بالرمد، والخشونه. لأن مثل العين في تلك الحال. مثل حوض فيه ماء صاف. رائق. فخرج من منفذه أولا[7]. ثم تبعه الكدر. فإن سد ذلك المنفذ، ولم يسمح إليه ماء أخرجه[8] أمره على[9] الاستقامة. وإلا فسد وفنى ماء الحوض.

---

(١) في (ط) كتب تحتها: (راحة).

(٢) في (ز) : (الجسمانية).

(٣) سقطت من (ط).

(٤) في (ز) : يوجد حرف [في] زائد.

(٥) في (ت) : (فإنها).

(٦) في (ت) : (الطافي).

(٧) مكروة في (ت).

(٨) في (ز) : (آخر جرى).

(٩) في (ز) : (إلى).

فكذلك حال العين. إذا فنى الروح الصافى منها. وجب أن تسد ثقبها [١]، وتطبق جفنها [٢]، إلى أن يستجمع فيها من الروح الصافى ما يكون سبب إبصارها. ولا تزال هذه متداولة للعين ما دام أمرها جاريا على المجرى الطبيعى. وإذا كان ذلك كذلك. فالإجمام واجب فى العين. وسائر الحواس، وإن كان فى العين أوجب.

وهذا الإجمام هو النوم. فأمّا سببه، فقد ذكرناه ونعود الآن فنقول:

إن النفس فى تلك الحال التى تتعطل فيها الحواس لا تهدأ [٣] من الحركة. فإذا لم تجد الجزئيات من خارج عادت إلى ما حصلته، واستفادته من الحواس. واستحفظته فى القوة الحافظة التى سميناها الذاكرة، وهى كالخزانة لها. فأخذت تتصفحه، وأقبلت تستعرضه فربما ركبت تلك الأشياء بعضها على بعض، وهو شبيه بالعبث[٤] من فعلها، وهو ما يرى الإنسان فى نومه كأنه يطير، وكان جملا مركبا على طائر، وثورا على بدن إنسان وضروب التركيبات الباطلة. وجميع هذه تسمى أضغاث أحلام.

فأما إذا تحركت النفس فى حال النوم نحو العقل، ولم تستغل بتصفح ما استفادته من الحواس. رأت حينئذ الأشياء المعدومة[٥] على الكون فى الأحوال المستقبلة. فإن كان هناك حظ من هذا المعنى وافر، كان ما يرى صادقا بغير تأويل. لأنها ترى الشيء بعينه. وإن كان الحظ قليلا، كان ما تراه مرموزا يحتاج إلى تأويل. وهذه الحال غير[٦] أحوال النبوة. لأن النبى (صلى الله عليه وسلم) يكون هذه حاله. فى

---

(١) فى (ز) : (بقها).

(٢) فى (ز) : (جفيها).

(٣) فى (ط) : (لاهتداء).

(٤) فى (ز) : (بالغيب).

(٥) فى (ت) : (المعزومة)، وفى (ط) : (المعرّفة).

(٦) فى (ز) : (بغير).

يقظته ونومه. ويكون مستمرا به. فأما ما غيره من أبناء[1] الناس. فإنما يعرض لهم ذلك في النوم، وفي بعض الأحيان وليس يتم لهم ذلك بالقصد، ولا عند التعمد[2] له ولكن على ذلك لو لم ير الإنسان في عمره كله إلا مناما واحدا لوجب[3] أن ينتبه منه على فعل النفس، وأن يشعر به، ولو أدنى شعور ويعلم منها ماذا أشير له منها إلى سعادتها، وما هي معرضة[4] له من الخلود والنعيم فيه[5]. وسكن إليه وعمل عليه. فإن النفس إذ تركت عن صفاتها الذميمة، وأخلاقها الردية بالتزهد عن الدنيا، والعزلة[6] عن الخلق، ومجانبة الهوى، واستعمال أركان الشريعة، والتربية على قانون الطريقة. وملازمة الذكر ·تلطف وتصفو، وتنورت بنور الذكر، واطمأنت إليه تشعشعت[7] بصيرتها، كشعاع البصر. فلما تعطلت الحواس بالنوم أو بالمراقبة، وعزلت[8] النفس عن الخروج إلى المحسوسات رجعت إلى عالم الملكوت، ولها عروج في العلويات بحسب صفائها وقوتها في الترقي. والسير في عالم الملكوت[9]. فيعلو شعاع بصيرتها إلى عوالم الروحانيات كشعاع البصر إلى السماوات. فيشاهد في كل عالم آية أدوعها الله فيه.

كما قال تعالى:

---

(١) في (ت)، (ز) : (إفناء).

(٢) في (ط) : (التعمل).

(٣) في (ت) ، (ز): (لوجوب).

(٤) في (ز) : (وما معرضه).

(٥) في (ز) : (فهمه).

(٦) في (ز) : (وعزلة).

(٧) في (ز) : (تشعشت).

(٨) في (ز) : (وعزلة).

(٩) في (ط) : (عوالم) وفي (ز) : (العوالم).

سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم﴾ (١)

وقال : ﴿ **وكذلك نرى إبراهيم ملكوت السموات والأرض وليكون من الموقنين﴾** (٢) .

فتكون للنفس فى هذه المقامات معاريج على قدر تبدل صفاتها بالسير عن خصائصها، وبحسب تلطف ذاتها بالتزكية عن أوصافها كما سيجيىء شرحه، فى موضعه إن شاء الله تعالى(٣) .

فيرى النائم فى منامه، والسالك فى واقعته أنه يعرج إلى الهواء. ثم يعرج إلى السماء الأولى(٤) . ثم(٥) إلى الثانية. والثالثة والرابعة، والخامسة، والسادسة، والسابعة. ثم إلى العرش يرى أنه يعرج بأقل من طرفة عين من أسفل السافلين إلى أعلى عليين. ومن أعلى عليين يطير إلى أسفل السافلين إلى أن يبلغ مرتبة بالطير بعد كمال السير يشاهد فيها، ويكاشف بما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر.

ثم اعلم. أن تأويلات وقائع السائرين إلى الله تعالى(٦) لا تناسب(٧) تأويلات منامات أهل الدنيا، وأربابها. فإن أكثر مناماتهم يكون متخيلا من وساوس الشيطان، وهواجس النفس. فأما وقائع أرباب السلوك، وأصحاب السير فعلى ثلاثة أوجه:

ـ نفسانى.

---

(١) آية رقم (٥٣) من سورة فصلت (مكية).

(٢) آية رقم (٧٥) من سورة الأنعام (مكية).

(٣) غير موجودة فى (ز).

(٤) فى (ز) : (الأولة).

(٥) غير موجودة فى (ز) .

(٦) ساقطة من (ز).

(٧) فى (ط) : (تناسب).

- وروحانى.

- وربانى.

* **فالنفسانى**، على نوعين:

أحدهما: ظهور صفات النفس فى كسوة الخيال بصور[1] الحيوانات المناسبة[2] لتلك الصفات. فإن كان الغالب على النفس صفة الحرص. تريها الخيال فى صورة الفأرة، والنملة. وغيرها من الحيوانات الحريصة.

وإن كان الغالب عليها صفة الشره، تريها فى صورة الخنزير، والدب.

وإن كان الغالب عليها البخل. تريها فى صورة الكلب والقردة.

وإن كان الغالب عليها الحقد والعداوة تريها فى صورة الحية.

وإن كان الغالب عليها الغضب تريها فى صورة الفهد.

وإن كان الغالب عليها الكبر تريها فى صورة النمر.

وإن كان الغالب عليها الشهوة تريها فى صورة الحمار، والديك، والفحول.. وهلم جراً. من الصفات البهيمية، والسبعية، والشيطانية.

فما كانت الغالبة عليها تريها فى صورة حيوان متصف بتلك الصفة الغالبة عليه. ليكون السالك واقفا على عيوب نفسه. فيعالجها بتبديلها، وإزالة غلبتها، وذلك من نتائج نظر العناية.[3]

كما قال النبى (صلى الله عليه وسلم)

«إذا أراد الله بعبد خيراً بصره بعيوب نفسه»[4]

---

(١) فى (ز) : (بصورة).

(٢) فى (ت) : (المتناسبة).

(٣) فى (ت) : (العناية) وفى (ز) (العنايت).

(٤) حديث : إذا أراد الله بعبد خيراً بصره بعيوب نفسه ، ينظر فى فهرس الأحاديث النبوية نهاية الكتاب.

* **والنوع الثانى :**

الاطلاع على صفات النفس. باستيلاء هذه الحيوانات والسباع عليها، أم بانقيادها له. أم باستيلائه عليها بالقتل، والإهلاك. ليستدل بذلك على أحوال النفس فى الصلاح والفساد.

* **والروحانى.** على نوعين:

أحدهما : ما يكون للخيال فيه تصرف.

والثانى : ما يتجرد عن وصمة الخيال. فما يكون للخيال فيه تصرف فهو من الوقائع القلبية، بحسب صفاء القلب، وترقّـيه، ومرضه، وسلامته من شوائب صفات النفس، وتنوّره بنور الذكر.

فيرى فى الابتداء، فى صورة المياه منها جارية مثل العيون، والأنهار، والأودية. وهى تدل على السير والترقى على قدر قوة الجريان، وكثرة الماء وصفائه.

ومنها دائمة: كالحياض، والإخاذات[1]، وهى تدل على جمعية القلب وحضوره[2].. وأمّا البحار فلها تأويلات مختلفة. بعضها يدل على خويصة [3] نفس الرائى. بحسب كل مقام.

ومنها: ما يدل على قوته فى الجمعية، وصفاء القلب.

ومنها: ما يدل على وصوله إلى عالم الأرواح، وسيره فى الملكوت.

---

(١) فى (ز) : (الإجارات) وهو تصحيف.

والإخاذات: الغدران التى تأخذ ماء السماء فتحبسه على الشاربة. الواحدة: إخاذة. انظر لسان العرب لابن منظور مادة.« أخذ » طبعة ١٩٧٩ دار المعارف بالقاهرة.

(٢) فى (ز) : (والحضور).

(٣) الشىء البعيد فى قاع نفسه.

ومنها بئر خوصاء: بعيدة القعر لا يُروى ماؤها، انظر اللسان مادة : خوص.

ومنها: ما يدل على عالم ربانى، يستفيد منه ويغترف من فوائده[1]. ويستنير من نور ولايته، ويتخلق بأخلاقه. ولذلك يرى المزارع، والبساتين، والأشجار المثمرة، والرياحين، والأزهار. فبحسب نشوئها، ونموها، واستواء ثمراتها، ونقصانها. وإصابة آفاتها. تدل على ترقى القلب وثمرات الذكر. والأعمال الصالحات، والرياضات، والمجاهدات ونقصاناتها تدل على أنواع الفترة، والوقفة، والخلل فى المعاملات، وما يرى من أنواع الجواهر، والمعادن، والمواضع[2] المعمورة المزخرفة. وكل شيء له جمال، وبهاء ولطافة[3]. فهو أيضا على[4] هذا القبيل.

وفى الوسط: يرى الطيران والمعاريج[5] إلى السموات، ويشاهد الأنوار، كالسرج والشموع، والمشاعل، والنيران المشتعلة. ثم مثل الأضواء، واللوامع، والبروق ثم الكواكب، والأقمار، والشموس..

ثم يرى الملائكة فى صور مختلفة، ويرى الأنبياء (عليهم الصلاة والسلام)[6] والأولياء، والعلماء، والصلحاء، والمشايخ، والخلفاء والسلاطين. والملوك.. وهذه كلها بإراءة الروح.

ولكل واحد منها تأويلات بحسب المقامات، وما يعلم تأويلها إلا الله والراسخون فى العلم[7].

---

(١) فى (ز) : (فى).

(٢) سقطت من (ط).

(٣) فى باقى النسخ غير (ط) : (وبها لطافة).

(٤) فى (ز) : (من).

(٥) فى (ز) : (والمعارج).

(٦) غير موجودة فى (ز).

(٧) تحوير لغوى لنص آية قرآنية ﴿ وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون فى العلم﴾ آية رقم (٧) من سورة آل عمران مدنية.

ولو شرعنا فى شرحها لطال الكتاب، وخرج من شرطنا..

ـ وأما الذى يتجرد من وصمة الخيال، فهو المعانى المكشوفة، والحقائق المشهورة. والعلوم الدقيقة.. ثم تكون تجليات الروح وصفاته أنوارا مجردة. عن المواد والصور[1]. ماحيةً ظلمات صفات البشرية الذميمة. مبدلة بصفات الروحانية النورانية الحميدة..

والربّانى : على نوعين:

أحدهما: بإراءة آياته فى الملك والملكوت والكشف[2]. وشواهد أنوار غيب الغيب، والرموز، والإشارات، والإلهامات، والكشف عن حقائق الأشياء، والعلوم اللدنية[3]. وإراءة ماهية الأشياء كما هى .

النوع الثانى:

ما يتعلق بتجلى صفات الجمال[4] والجلال الذى مقتضاه[5] فناء[6] أوصاف الوجود، ثم تجلى الذاتى[7]، الذى من خصوصيته إفناء الوجود، كما سنبين شرحه إن شاء الله تعالى[8].. فظهر الفرق بين منامات الناس، ووقائع القوم فلا تطول فيه الكلام.. فمن أراد الوقوف على أنواعها فليطالع «مرصاد العباد»[9].

والله الموفق[10].

---

(١) فى (ز) : (والصوب).
(٢) سقطت من (ز) .
(٣) فى (ز) : (العلوم الدينية).
(٤) فى (ز) : (الكمال).
(٥) فى (ز) : (يقتضاه).
(٦) فى (ت) : (ثناء) والإضافة من (ط).
(٧) فى (ط) : (الذات).
(٨) غير موجودة فى (ز).
(٩) كتاب للمؤلف بهذا الاسم. انظر الإشارة السابقة عن الكتاب.
(١٠) غير موجودة فى (ط)، وكذا (ز).

الفصل السادس

فى

دلائل النبوة، والفرق بين الرسول والنبى

قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): «ما من نبى من الأنبياء إلاّ وقد أعطى من الآيات ما آمن على[1] مثله البشر، وإنما كان الذى أوتيته وحيا أوحاه الله[2] إلىّ. فأرجو أن أكون أكثرهم أتباعاً يوم القيامة»[3].

اعلم.[4] أن الله تعالى. جعل المعجزات، وهى ما تكون خارقة للعادة على يد مدعى النبوة. مقترنة[5] بدعواه برهانا قاطعا على النبوة. وذلك الفعل يقوم مقام قول الله تعالى له: أنت رسولى على رءوس الأشهاد. تصديقا لما ادعاه مثاله: أن إنسانا قام فى ملأ من الناس، بحضرة ملك مطاع. فقال يا معشر الحاضرين إنى رسول هذا الملك. وآية صدقى[6]، أن الملك يقوم ويرفع التاج من على رأسى[7]. فيقوم الملك فى الحال ويرفع التاج من [على][8] رأسه عقيب دعوى هذا المدعى. أليس ذلك الفعل

---

(١) ساقطة فى (ط).

(٢) الإضافة من (ط).

(٣) الحديث : ما من نبى من الأنبياء إلا وقد أعطى من الآيات ما آمن على مثله البشر وإنما كان الذى أوتيته وحيا أوحاه الله إلى فأرجو أن أكون أكثرهم أتباعا يوم القيامة، ينظر فى فهرس الأحاديث النبوية نهاية الكتاب.

(٤) فى (ط) : (ثم أعلم).

(٥) فى (ز) : (مفترنا).

(٦) فى (ز) : (صديق).

(٧) فى سائر النسخ (من رأسه).

(٨) الإضافة من المحقق.

منه ينزل منزلة صدقت أنت رسولي. وإنما يراعى فيه أمور ثلاثة:

ـ الفعل الخارق للعادة، واقترانه بالدعوى، وسلامته[1] عن المعارضة. إذ لو رفع التاج بقول غيره، أو بعد ذلك بمدة لا يكون هو حجّة لهذا المدّعى.

فهذه الثلاثة مجموعها :

= برهان قاطع على صدق المدعى بالرسالة نازلة منزلة التصديق بالقول وهو مثل حصول العلم فى سائر الأشياء من شواهد المقال، وقرائن الحال.

= .. واعلم أن خرق العادة على انفراده لا يكون معجزة ما لم تقترن به القرائن. من التحدى وغيره. فإن خرق العادة قد يقع بالسحر والشعبذة.. وقد يكون بالكرامة للولى. ومثاله حمرة الوجه فإنه قد يكون من غلبه الدم، ومن السكر، ومن الخجل. وإنما تتبين بوجود القرائن.. فإن كان معها تغير المزاج فهى من الدم وإن كان معها اختلاط عقل، وتمايل فهى من السكر. وإن كان من حادثة دالة على الخجالة. فهى من الخجل. كذلك الفعل الخارق للعادة.. إن كان من دعوى نبى فهو معجزة. وإن كان [2] من غير ذلك فهو كرامة. وإن كان [3] مع حيلة، وإعداد آلة فهو سحر. وسيأتى الفرق بين هذه الأشياء. إن شاء الله تعالى[4].

* فأمّا الفرق بين النبى المرسل، وغير المرسل:

فمن وجهين:

ـ أمّا الصورة : فبأن يكون مخصوصا من الله تعالى بالرسالة إلى قوم معين[5]. كما

---

(١) من (ز) : (وسلامة).

(٢) غير موجودة فى (ز).

(٣) فى (ز) : (وإن قال).

(٤) ساقطة من (ز)، (ط).

(٥) فى (ت) : (معينين).

كان في حق «يونس» عليه السلام ﴿ وأرسلناه إلى مائة ألف أو يزيدون ﴾ [١].

وقال: ﴿ وما أرسلنا من رسول إلاّ بلسان قومه﴾ [٢].

وينزل عليه جبريل. عليه السلام بالوحي. ويكون عليه كتاب منزل من الله تعالى أو صحف. ويكون صاحب شريعة بإذن الله تعالى وأمره.

ـ وأمّا المعنى : فإنه يتميز من غير المرسل. بأن يسمع بإذنه من الله تعالى كلامه، ويبصر[٣] بعينه في اليقظة شواهد الحق على حسب ما ذكرنا. من كيفية ذلك. فيما تقدم. وإن كان هو، وهذا أقوى ما يكون من أحوال الوحي[٤]. لأن ذلك المعنى الفائض عليه من فوق ابتداء من قوته المميزة. أعني العقل فأثر فيه. وبلغ من قوة أثره ذلك أن تأدى من قوة إلى قوة. حتى انتهى إلى أقصى قواه من أسفل التي من أفق الحيوان. أعني حس البصر. وحس السمع. وأما لجهة أخرى دون ذلك. وهو أن يسمع ولا يبصر فيصير كأنه من وراء حجاب. كما قال تعالى:

﴿ وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب﴾ [٥]. فإذا سمع ذلك الوحي. وجد في قلبه له روعة ثم تبعه سكون. يقع منه [٦] اليقين (وفي كلتا الحالتين)[٧]. يؤمّ الحمل الذين هم أبناء جنسه على الطريقة المثلى التي تؤدى بهم[٨] إلى الصراط المستقيم. وتأديبهم بالآداب التي تجرى من نفوسهم مجرى الطب من الأبدان. لتسلم نفوسهم من الجهل، وعملهم من الخطأ. وسعيهم من الضلال.

---

(١) آية رقم (١٤٧) من سورة الصافات مكية.

(٢) آية رقم (٤) من سورة إبراهيم مكية.

(٣) في (ز) : (ويصر).

(٤) في (ز) : (من أحوال له لوحي).

(٥) آية رقم (٥١) من سورة الشورى مكية.

(٦) في (ت) : (معه).

(٧) الإضافة من (ز) لكنها كتبت : (وفي كلتي الحالتين).

(٨) في (ت) : (تؤديهم) وفي (ز)، (ط) : (تؤدبهم).

وتقودهم إلى الشريعة التى شبهت بشريعة الماء. أعنى الطريق إليه. فإن العرب تسمى الطريق إلى الماء شريعة. فالشريعة أيضا هى الطريق إلى الله تعالى.

فالنبى (صلى الله عليه وسلم). لهذا الأمر مطيع لله تعالى يركب فيه كل صعب. ذلول. ويستهين[1] فيه بالموت[2] وأنواع الشدائد. ويحتمل ضروب الأذى، والمكاره. ومن خاصيته. أن يكون له قوة عظيمة. فى الإقناع بالكلام، وتأييد عظيم فى قوة كل إنسان إلى رأيه. وصرف الخواطر إلى ما يورده على الأسماع. بإقناعاته. وله قدرة على ضرب الأمثال، وإبراز تلك الحقائق التى هى مقررة عنده، فى معارض مختلفة. وتشبيهات ملائمة. ثم إنه مختص بسير وأخلاق مذكورة فى سير الأنبياء وأخلاقهم. ومجتمع فيه خصال كريمة، وفضائل يتميز بها عن غيره. ولا تكون مجتمعة فى سواه.

* وأمّا النبى الغير مرسل[3]. فإنما يلوح له ما يلوح من حقائق الأمور ويتجلى له فى الأفق الذى ينتهى إليه ما يكون فيضا من فوق ولا يكون مرتقيا إليه من أسفل بالتعليم والتدريج. ولا يكون مأمورا بأمر يتحمله، ولا يبلغ[4] من قوته[5] فيما يلوح له من الأمور أن يتجاوز القوة الفكرية، ويتأدى إلى الخيالية[6]، وما يليها. إلا أنه ربما خوطب بما يسمعه ويسمى مناجاة. أو يسمع من الهواتف، وهو إنسان شريف جدا من بين الناس مخصوص بفيض يأتيه من الحق، وبأن يوحى إليه فى المنام ويكون مقرراً لأديان الرسل. داعيا إلى شرائعهم. ويحكم بين الناس بالكتب المنزلة عليهم كما أمر.

والله أعلم.

---

(١) فى (ز) : (ويشتهين).

(٢) فى (ز) : (الموة) كثيرة هى التعليقات على خط النسخة (ز) وأمثال ذلك كثير. فالتاء المفتوحة مغلقة، والمغلقة مفتوحة. ولذا فإننى أعلق هنا بالهامش مكتفيا بهذه الإشارة كما أوردت مثلها سابقا. وانظر المقدمة حول هذا الموضوع للمحقق.

(٣) فى (ز) : فأما النبى غير مرسل).

(٤) فى (ز) : (ولا بلغ).

(٥) فى (ز) : (من قوة).

(٦) (خياله) : هكذا فى (ز).

الفصل السابع
فى
الفرق بين النبوة والكهانة

اعلم أن مستند النبوة، هى الحضرة الربونية. وأن مستند الكهانة. هى[1] النفس الإنسانية.

بأن للنبوة مقامات ومراتب تستند[2] إلى الحضرة.

وللكهانة مقام ومرتبة واحدة تستند إلى النفس.

كما سنبينه إن شاء الله تعالى.

فأمّا مقامات النبوة، ومراتبها.

ـ فأحدها[3]: أن لنفس النبى قوة جبلية مركوزة فى أصل فطرتها قابلة لمشاهدات النقوش الغيبية الروحانية، والأنوار الربانية. كاملة فى هذا المعنى. بحيث لا تخطئ له فراسة، ولا رؤية ولا يقع الكذب، والتفاوت فيما يخبر، ويروى[4].

ـ وثانيها[5]: أن نفسه قابلة للفيض الإلهي بواسطة جبريل[6] وغيره من الملائكة

---

(١) فى (ط) : (هو).

(٢) فى (ت) : (مستند).

(٣) فى (ط) : (فأحديها)، وفى (ت) : (فإحداها).

(٤) فى (ت)، (ز) : (يرى).

(٥) فى (ت) : (وثانيتها).

(٦) فى (ط) : (جبرائيل).

(عليهم السلام). وبلا واسطة. بأن يسمع كلام الحق تعالى.

ـ وثالثها: أن الله تعالى يتجلى لبعضهم ببعض الصفات، كما تجلى لموسى عليه السلام بالصفة السمعية ليسمع كلامه[1]، وتجلى لعيسى، عليه السلام. بالصفة المحيية ليحيى الموتى.

ـ ورابعها:[2] أن من الأنبياء، عليهم السلام، من يتجلى له الله تبارك وتعالى بذاته وجميع صفاته، وهو نبينا (صلى الله عليه وسلم). تجلى له ليلة المعراج، فأخبر عن تلك الحالة بقوله: «لى مع الله وقت لا يسعنى فيه ملك مقرب ولا نبى مرسل»[3].

ـ وخامسها [4]: أن النبى معجزة لنفوذ[5] تصرفه في الأعيان، وتقليبها عن طبعها، وصورتها، وإظهار الأشياء المعدومة وإخفاء الموجودة، كأحوال عصا[6] موسى، عليه السلام.

وأخبر الله تعالى عن حالة (نبينا صلى الله عليه وسلم)[7] بقوله:

﴿ إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم﴾ [8].

وقال: **﴿ وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى﴾** [9].

---

(١) في (ز) : (يسمع).

(٢) في (ت) : (ورابعتها).

(٣) حديث : (لى مع الله وقت لا يسعنى فيه ملك مقرب ولا نبى مرسل) ينظر في فهرس تخريج الأحاديث نهاية الكتاب.

(٤) في (ت) : (وخامستها).

(٥) في (ت) : (بنفوذ).

(٦) في (ط) : (عصى).

(٧) ما بين القوسين سقط من (ط).

(٨) آية رقم (١٠) من سورة الفتح مدنية.

(٩) آية رقم (١٧) من سورة الأنفال مدنية.

أخبر عن فنائه فى الله بالكلية، وبقائه بالله.

* وأمّا مرتبة الكهانة :

فلنفس الكاهن قوة غريزية جبلية قابلة لمطالعة نقوش الملكوت الروحانية [١] غير كاملة فى هذا المعنى، فإنه يخبر عن الأشياء الغيبية الروحانية من غير الربانية فيكون فى بعضها صادقا، وفى بعضها كاذبا. وليست له مرتبة غير هذا. ولا نفوذ لتصرفه فى الأعيان. وإن كان فى الأخبار صادقا. وكان فى الزمن[٢] الأول يعنون بالكهانة العلم. وكانوا يسمون العالم بالعبرانية كاهنا. وكان فى التوارة اسم «هارون» أخى[٣] «موسى» عليهما السلام كهناديا. يعنى عالما ربانيا.

فلما جاء الله بالإسلام، ونسخ أمر الكهانة صار هذا الاسم مذموما. لانقراض تلك الأديان. إذ كان فى العرب رجال ونساء يتكهنون لهم، وكانوا يختلفون إليهم فى استعلام خبر الغائب، وتدبير الأمر المحذور واشتباه النسب، وكان الكاهن يسجع لهم، ويخبرهم به، وكانت سوابح الأسجاع فى خواطرهم. كسوانح[٤] الطير والوحش لأصحاب الطيرة، والواردات للرهابنة[٥]، وأصحاب الصوامع. وقد رويت فى ذلك قصص، وأخبار كثيرة. وربما تحاكموا إلى الكاهن فيخبئون[٦] له خبيئة يمتحنون بها صدقه. فإن استخرج الخبيئة رضوا بحكمه. حتى قيل إن قوما أخذوا جرادة صفراء، وأدرجوها فى قطعة شَنٍّ.[٧] وعلقوها فى عنق كلب لهم اسمه سوّار. فلما أتوا

---

(١) فى (ز) : (الروحانى).

(٢) فى (ز) : (زمان).

(٣) فى (ط) : (أخ).

(٤) فى (ت) : (كسوء).

(٥) فى سائر النسخ (الرهابين). وهو تصحيف. والمقصود من الرهبنة هنا.

(٦) فى (ز) : (فيخبأون).

(٧) فى (ز) : (قطلة ش) والتشكيل من (ط).

الكاهن قالوا [1] قد خبأنا لك خبيئة[2] فأخبرنا ما هى. قال: «خبأتم شيئا طار شبيه الدينار» قالوا: نريد أبين من هذا.

قال: خبأتم جرادة فى عروة مزادة، فى عنق سوار ذى قلادة.

فقالوا: قد[3] أصبت. فاحكم بيننا.

وكانوا يسمون الكاهن: الطاغوت.

قال «أبو عبيد» فى قوله تعالى ﴿ **والذين اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها** ﴾ [4]. إنما أنثها لأنه يريد به الكاهنة[5].

قال النبى (صلى الله عليه وسلم).

«اجتنبوا النجوم فإنها تدعو إلى الكهانة»[6].

واختلفوا فيما يقول الكاهن، من أين علمه.

قال بعضهم: إنما يكون ذلك ممن قوة بعض النفوس الألمعية فى أصل الخلقة والجبلة زعم المنجمون أن ذلك لوقوع سهم الغيب فى درجة المطالع، أو برج التاسع.

وقال بعضهم: إن الكاهن مخدوم الجن فيأتونه[7] بالأخبار، وهذا أقرب إلى الصواب.

---

(١) فى (ز) : (قالوا له).
(٢) فى (ز) : (خبة).
(٣) فى (ط) : (لقد).
(٤) آية رقم ١٧ من سورة الزمر مكية.
(٥) فى (ز) : (الكاهن) : وهو يقصد هنا : الكهانة كما فى حديث النبى (صلى الله عليه وسلم).
(٦) الحديث اجتنبوا النجوم فإنها تدعو إلى الكهانة، ينظر فى فهرس الأحاديث النبوية نهاية الكتاب.
(٧) فى (ز) : (فيأتوه).

وقيل: إنه لم ير قط كاهن إلاّ وفيه خبل، ونقص فى الخلقة، والصحيح من ذلك أنهم يقولون مما يلقى إليهم الشيطان من استراق[1] السمع حين يرمى بالشهب. فإن الشياطين إذا استرقوا السمع ربما يحترق بعضهم بها، وربما يتساقط بعضهم إلى نواحى الأرض، وقد بقى معه بعض أخبار الغيب مما استرقه من الملائكة المدبرات أمراً. من السماء الأولى. فيلقى ذلك إلى روع الكهنة. فيخبروا الكهنة بها.

قال الله تعالى: ﴿ **وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم** ﴾ [2]. وأولياؤهم هم الذين يقارنونهم فى مشاكلة خبث النفس وخبل الخلقة، ونقصان العقل، وفساد الدين[3] وهم هؤلاء[4] الكهنة.

وقال بعض الحكماء الإسلاميين[5]:

إن الفرق بين النبوة والكهانة. إنما يتبين بعد تبيين حقيقة الكهانة.. وذلك أنها قوة من قوى النفس أكثر ما يظهر فى أوقات الأنبياء، عليهم السلام. وقبيل ورودهم. وذلك أن الفلك إذا أخذ يتشكل بشكل ما يتم[6] به فى العالم حدث عظيم، أو يكمل به أمر كبير[7] عرض بين[8] بابتداء ذلك الشكل، وآخره الذى هو غايته. وتمامه فى الأرض أحداث شبيهة بما يريد أن يتم، ولكنها تكون غير تامة، لأنها شبهات[9] وأيضا غير تام. فإذا استكمل ذلك الشكل فى الفلك، وصار إلى غايته. تم

(١) فى (ز) : (اسراق).
(٢) آية رقم (١٢١) من سورة الأنعام مكية.
(٣) فى (ز) : (الذى).
(٤) فى (ز) : (هوا).
(٥) فى (ز)، (ط) : (الإسلامية).
(٦) فى (ت) : (يقم).
(٧) فى (ز) : (كثير).
(٨) فى (ز) : (من).
(٩) فى (ت) : (لأن شبها).

به فى العالم ما يقتضيه ذلك الشكل، وإنما يكون ذلك فى ساعة قصيرة من الزمان كسرعة تبدل الأشكال فى الفلك، وكثرة حركاتها المختلفة فتصير تلك القوة، التى يوجبها ذلك الشكل فى شخص واحد أو فى شخصين، أو ثلاثة. ويستوعب ذلك الشخص تلك القوة ويستوفيها على التمام والكمال. أما من قرب من ذلك الشكل، ولم يستوفه لتغيره بالحركة فإنه يكون ناقص القوة بحسب بعده من الشكل.

ولذلك تكون النبوة أكثر ما تظهر فى الزمان الطويل لشخص واحد. وربما فى بعض الأزمنة أن يوحى إلى اثنين أو ثلاثة وربما اجتمعوا فى مدينة، وربما تفرقوا فى عدة مدن. بحسب ما تقتضيه المصلحة العامة. والنظر الإلهى لكافة الناس.

فإذا ظهرت النبوة التى هى ما قصد إليه بذلك الشكل تبين حينئذ قصور تلك القوى التى تقدمت أو تأخرت عنه وعجزها ونقصانها عن ذلك التمام. ولذلك أيضا يكون ما يظهر بزمان كل نبى جنس ما يريد أن يتم على يده. ومن نوع ما يتحقق به فى ذلك النهج، وعلى تلك الطريقة. وقد تنبه المتكلمون فى زماننا هذا على ما ذكرنا[١] فقالوا:

إنما يبعث الله عز وجل إلى كل قوم نبى يأتيهم[٢] من جنس ما يدعون الفضل فيه، والبراعة، والتبريز بالعجز الذى لا يطيقونه ولا فى إمكانهم[٣] مثله ليكون أبهر للحجة[٤]، وأوكد للدلالة[٥]، وأجدر أن لا تقول الناس جئتنا[٦] بما لا نعرف منه

---

(١) فى (ز)، (ط) : (ما ذكرته).

(٢) فى (ط) : (يأتيه).

(٣) فى (ت) : (أمنيتهم)، وفى (ط) : (مكنتهم) أى قدرتهم كما فى هامش (ط) وفى (ز): (ولا فى منتهم) والإضافة هنا من المحقق.

(٤) فى (ط) : (فى الحجة).

(٥) فى (ط) : (فى الدلالة).

(٦) فى (ز) : (حينا).

شيئا، ولو عرفنا منه ما تعرفه لأتينا لمثله معنى قريبا لما ذكرناه.

فهذا المعنى الذى ذهب إليه المتكلمون، وإن كان صحيحا فإنه هو إتمام[1] بما ذكرناه، وكأنهم حكموا به، ورأوا ظله.

ثم نعود إلى صفة الكاهن فيقول:

إن صاحب هذه القوة إذا أحس بها من نفسه تحرك إليها بالإرادة. ليكملها[2] وهى فى نفسه ناقصة فيبرزها. فى أمور حسية. وينشرها من علامات تجرى مجرى الفال، والزجر، وطرق الحصى. وما أشبه ذلك. وربما استعان[3] بالكلام الذى فيه تكلف من سجع وموازنة لتنصرف نفسه عن الحواس إليه، فيتداخل نفسه ويقوى فيه ذلك الأثر ويهجس فى قلبه عن تلك الحركة فى نفسه ما تقذفه على لسانه. فربما صدق ووافق الحق. وربما كذب وذلك أنه تمم نقصه بأمر مباين غير ملائم. فعرض له الصدق والكذب جميعا. وإذا عرض هذا صار غير موثوق به. وربما يكذب الكاهن من تلقاء نفسه، وبالتعمد خوفا من أن يبور سوقه[4]، وتكسد[5] بضاعته. فيستعجل[6] حينئذ الرزق، ويخبر بما لا أثر له فى نفسه ولا يجد له حركة ليموّه أمره، فيضطر إلى الظنون، والتخمينات. وينبغى أن يتصور أن الكهانة لها عرض كثيرة فإن درجات أصحابها متفاوتة بحسب قربهم من غاية الإنسانى وبعدهم عنه. وعلى قدر قبولهم الأثر الأعلى، وعلى كل حال فإنهم متميزون على الأنبياء عليهم السلام بما ذكرنا من مقامات النبوة وبالكذب الذى لا بد يعتريهم، وبما يدعونه من المحالات المحمولة على قدر ما أعطوه. فإن اتفق لواحد منهم ما يلوح له أقر النبى

---

(١) فى (ت) : (إلمام)، وفى (ز) : (المنام).
(٢) فى (ت) : (ليكلمها).
(٣) فى (ت) : (استعار).
(٤) فى (ز) : (توفه).
(٥) فى (ز) : (ويكسر).
(٦) فى (أ) : (فيستعمل).

(صلى الله عليه وسلم) فإنه يعرض فضله وصدقه، ويكون أول مؤمن به ويتبع أمره، ويشتد له كما روى عن «سواد بن قارب»[1] و«طليحة»[2]. وغيرهما من الكهنة الذين آمنوا فيما بعد، وحسن إسلامهم، وثبتوا عليه إلى وقت وفاتهم.

والله أعلم.

---

(١) (سواد بن قارب) : كان كاهنا فى الجاهلية ثم أسلم وبينما كان عمر بن الخطاب جالسا فى الناس فى مسجد رسول الله. (صلى الله عليه وسلم) إذ أقبل سواد فسلم على أمير المؤمنين فسأله: هل أسلمت. قال نعم يا أمير المؤمنين قال له فهل كنت فى الجاهلية كاهنا. فقال الرجل سبحان الله يا أمير المؤمنين كنا فى الجاهلية على شر من هذا حتى أكرمنا الله برسوله وبالإسلام وقد كنت فى الجاهلية أقول. ألم تر إلى الجن وإبلاسها وإياسها من دينها، ولحوقها بالقلاص وأحلاسها. [انظر السيرة النبوية تحقيق مصطفى السقا وآخرون الطبعة الثانية مصطفى الباب الحلبى].

(٢) (طليحة): هو طليحة الأسدى الكاهن المشهور.

الفصل الثامن

فى

الفرق بين المعجزة، والكرامة، والسحر، والشعبذة

[المعجزة] (١)

وقد ذكرنا معنى المعجزة وحقيقتها. فقد(٢) صح أن المعجزة محض فضل الله تعالى لا مدخل لقدرة العبد فيها (٣). فإن العاقل يستيقن أن عظاما بالية إذا اجتمعت، وتراكبت(٤). وقامت شخصا يتكلم لا مدخل لقدرة البشر فيه، وكذلك انشقاق القمر فى السماء بإشارة الإصبع حيث يراه الناس فى نواحى الأرض(٥).

وبلغنا أنه قيل «لجالينوس» عند ظهور المسيح، عليه السلام: إنه يبصر الأعمى. فقال : أنا أبصره..

قيل: إنه يبرئ الأكمه، والأبرص.

فقال: هذا عجيب.

---

(١) إضافة من المحقق.

(٢) فى (ط)، (ز) : (وقد).

(٣) فى (ط) : (عبد فيه).

(٤) فى (ط)، (ز) : (تراكمت).

(٥) فى (ز) : (فى جميع نواحى).

قيل: وإنه أحيا[1] الميت من[2] قبره.

قال: ليس هذا في قوة البشر.. احملوني إليه. فهذا تأييد الحق[3].

فحملوه إليه فمات في طريقه «بجنديسابور»[4].

[الكرامة]

واعلم أن كرامات الأولياء ثابتة، وحق عند أهل الحق من أهل السنة والجماعة.

وهي على نوعين:

= كرامة بين العبد والرب. من المواهب التي لا بسعة[5] ملك مقرب، ولا نبي مرسل. وهي الكرامة الحقيقية مما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر. وهذه مما لا يطلع عليه أحد[6] إلا الله تعالى، والعبد بين المحبين سر ليس يغشيه[7].. وهذه مما يتعلق بالوصول والوصال[8].

= وكرامة [9] يطلع عليها الخلق، وهي من جنس خرق العادات المشتبهة بالمعجزة. وقد ذكر الأئمة [10] بين المعجزة والكرامة فروقا كثيرة.

* فمنها. قالوا: إن المعجزة تقع عند قصد النبي وتحديه. والكرامة قد تقع من غير قصد الولي.

---

(١) في (ت) : (أحي).

(٢) في (ز) : (عن).

(٣) في (ز) : (تأييد إلهي).

(٤) في (ز) : (يخبر شابور) وفي (ت، ط) (جندشابور) والصحيح هي (جند يسابور).

(٥) في (ط) ، (ز) : (لا يسعه فيها).

(٦) في (ز) : (أحداً).

(٧) في (ز) : (أسرار ليس بعشه).

(٨) ساقطة من (ز).

(٩) في (ز) : (والكرامة).

(١٠) في (ز) : (أئمة).

وقيل: قد يجوز أن تقع الكرامة أيضا. يقصد الولى، وإنما الفرق بينهما أن المعجزة تقع مع التحدى، والكرامة لا يتحدى بها الولى.

وقيل: بل يجوز أن تقع الكرامة أيضا للولى بالتحدى.

قلت[1]: وهذا النوع من الكرامة بالتحدى شاهدت كثيرا من[2] الشهيد صاحب الكرامات، والآيات «على اليونانى القزوينى»[3]، رحمة الله عليه، وهو أحد مشايخى. كان كبير[4] الشأن، عديم النظير فى عهده. وقد سألته عن هذه الحالة، وقلت له[5]:

ـ إنا سمعنا أن الولى يجتهد فى إخفاء حاله وكرامته.

والنبى يجتهد فى إنشاء حاله وإظهار[6] معجزاته.

فقال:

ـ إنى مأمور بإظهار الكرامة نصيحة للخلق. فإنهم بعدوا عن عهد النبوة. ورؤية الآيات. فأظهر الله تعالى على يدى[7] آياته لتكون مؤكدة لمعجزات النبى (صلى الله عليه وسلم). بل هى أيضا من جملة معجزاته. أظهرها لتجديد[8] إيمان الخلق، وتصديقهم لنبوته.

---

(١) فى (ط) : (قال الشيخ المصنف رضى الله عنه)

وفى (ز) : (قال شيخنا الإمام الربانى المصنف رضى الله عنه).

(٢) فى (ط) : (من الشيخ الشهيد).

(٣) فى (ط) : (على البويانى القروى).

(٤) فى (ز) : (كثير).

(٥) فى (ز) : (وقلته) وفى (ط) : (وقلت) فقط.

(٦) ساقطة من (ط).

(٧) فى (ز) : (يد).

(٨) فى (ز) : (التجديد).

وقيل: إنما الفرق بينهما هو أن ما كان معجزة للنبى لا يكون كرامة للولى.

وقيل: بل يجوز أن يكون للولى، أيضا. من الكرامة ما كان معجزة للنبى.

قلت: وهذا النوع أيضا، شاهدت من الشيخ «على» رحمة الله عليه. وذلك أن من معجزة النبى (صلى الله عليه وسلم) أنه وضع يده فى ماء قليل. فكان الماء ينبع من بين أصابعه حتى شرب[1] منه خلق كثير. فكذلك[2] رأيت من الشيخ أكثر من مرة. أنه أخذ قدحاً وجعل فيه قليلا من الماء فوضع بين يدى جماعة. وقال: ارقبوه. فإذا الماء كان ينبع من القدح حتى صار ملآنا من الماء. وله رائحة أطيب من رائحة «الماء ورد» وذلك حين التمسوا منه شيئا لدواء المريض، وشفائه. فكان كل من يشرب من ذلك الماء يشفى بإذن الله تعالى من مرضه. وشربت منه مع جماعة جمة. والحمد لله.

وقيل: إنما الفرق هو أن المعجزة لا تقع إلا بعد دعوى ولايكون مع سكوته معجزة.

والكرامة: يجوز أن تقع مع سكوته. ومع نطقه (وقال المصنف رضى الله عنه: ويجوز أيضا للنبى أن تقع معجزة مع سكوته ومع نطقه)[3] لأن الجدى المسموم المشوى حين تكلم مع النبى (صلى الله عليه وسلم) أن لا تأكل منى، فإنى مسموم. كان عند سكوت النبى (صلى الله عليه وسلم). لا عند دعواه بذلك.

وإنما الفرق بينهما:

أن المعجزة تكون عقيب دعوى النبى (صلى الله عليه وسلم). بالنبوة. ولا تكون

---

(١) فى (ز) : (شربوا).

(٢) فى (ز) : (وكذلك).

(٣) فى (ط)، و(ز) : (وقال المصنف رضى الله عنه ويجوز أيضا للنبى أن تقع معجزة مع سكوته ومع نطقه).

وما بين القوسين سقط من (ت).

الكرامة عقيب دعوى الولى بالنبوة. لأنه لو ادعى أنه نبى لكان كاذبا فى دعواه. والكاذب لا يكون وليا لله. فلا يظهر على يده ما يظهر على أيدى الأنبياء.

وهذا فرق ظاهر.

وكذا سمعت من لفظ الشيخ «على اليونانى» أن المعجزة تكون عقيب دعوى النبوة.

وقال المشايخ: إن المعجزات علامات صدق حيث وجدت فلا تظهر على أيدى الأولياء عند دعواهم النبوة. لأنها لو وجدت عند ذلك لانقلب الصدق كذبا، وهو محال.

وقال بعض المشايخ: زيادة المعجزات تزيد قلوب الأنبياء تثبتا. وزيادة الكرامات تزيد قلوب الأولياء وجلا وخيفة حذار من أن يكون استدراجاً..

وقال بعضهم: الأنبياء يحتجون بالمعجزات على المشركين.

والأولياء يحتجون بالكرامات على نفوسهم لتصلح، وعلى قلوبهم لتطمئن.

وأكثر المعتزلة: أنكروا كرامات الأولياء لعدمها فيما بينهم، وذلك لأجل بدعهم. وإنما أنكرت المعتزلة الكرامة بناء على أن الفعل، إنما يكون معجزة بخرق العادة فحسب وليس كذلك، بل ينضم إلى خرق العادة التحدى بالنبوة، والاقتران بدعوى النبى. ألا ترى آيات الساعة خارقة للعادة، وليست معجزات.

وأما الدليل على إثبات الكرامات للأولياء:

فهو أن تلك[1] أفعال خارقة للعادات مقدورة لله تعالى فإذا لم تؤد إلى سد باب النبوة، وجاز ظهورها على أيدى الأولياء. وسمعت الشيخ «على اليونانى»[2] برحبة

---

(١) فى سائر النسخ : (أن ذلك).

(٢) فى (ز) : الشيخ على رحمة الله عليه.

الشام وكنت فى خدمته لما رجعنا من زيارة شيخ من مشايخهم، وقد كان صاحب كرامات، مشهوراً بالولاية.

فقال لى:

ـ إن هذا الشيخ كان صاحب الكرامة، ولم يكن صاحب الولاية.

ثم قال: لم تسلم الزيارة إلا لمن يرى أحوال المرور فى لحده وما هو فيه.

وما قال الشيخ صحيحاً. لأنّا قد شاهدنا كثيرا ممن ظهر على يده بعض الكرامات فى ابتداء أمره، أو وسط حاله، وهو لم يبلغ بعد مقام الولاية.

وقد قيل: إن الكرامات الظاهرة تغذية تربى بها أطفال الطريقة. وأما من حيث السمع. فقصة «مريم» عليها السلام فى قوله تعالى: ﴿ **وهزى إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا** ﴾ [1] وقوله:

﴿ **كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا قال يا مريم أنّى لك هذا** ﴾ [2].

وقوله تعالى: ﴿ **قال الذى** [3] **عنده علم من الكتاب أنا آتيك به** ﴾.

حكاية عن «آصف بن برخيا» [4]. وقصة أصحاب الكهف. وما جرى [5] عليهم من الحالات.

هؤلاء ليسوا بأنبياء. وقد جرى عليهم أمور خارقة للعادات.

---

(١) آية رقم (٢٥) من سورة مريم مكية.

(٢) آية رقم (٣٧) من سورة آل عمران مدنية .

(٣) فى (ز) : (قال الذين).

وهى آية رقم (٤٠) من سورة النمل مكية.

(٤) فى (ت) : (آصف بن خيا).

(٥) فى (ت) : (وقد جرى).

«فأما السحر»:

فهو فى اللغة: إراءة الباطل فى صورة الحق. ومنه، وقت السحر للصبح الكاذب.

والسحر الرئة[1] لأنها كاللحم وليست بلحم.

(والشعبذة):

منسوب إلى رجل اسمه «شعباذه» وهو معرّب وأصله خفة اليد فى تقليب الأشياء.

والسحر عندنا حق على معنى أنه ثابت واقع وصح الحديث عن النبى (صلى الله عليه وسلم):

«السحر حق، والعين حق»[2].

وكان «لبيد بن أعصم» اليهودى وبناته الملعونات[3] قد سحروا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بمشط ومشاطة، وحف نخل طرحوه فى ذاعوقة ذى أروان. وهى معروفة حتى نزل الملكان وأخبراه. فاستخرجه «على» (رضى الله عنه). وفيه نزلت المعوذتان.

وأنكرت المعتزلة، والدهرية، والروافض. السحر والدليل على صحة إجماع الأمم سلفا، وخلفا وإجماع أهل الكتاب كلهم من الهند والروم، والفرس.

وآيات القرآن ناطقة به. قال الله تعالى ﴿ **ومن شر النفاثات فى العقد** ﴾[4].

---

(١) فى (ط) : (الرية، وفى (ت) غير واضحة، وفى (ز) (الربة) والإضافة من المحقق وانظر لسان العرب مادة سحر.

(٢) حديث: السحر حق والعين حق، ينظر فى فهرس الأحاديث نهاية الكتاب.

(٣) فى (ز) : (ملعونات).

(٤) آية رقم (٤) من سورة الفلق مكية.

وهن السحرة. ينفثن عند قراءة الرقى[1].

وكان رسول الله (صلى الله عليه وسلم). كلما حلت عقدة مما سحروه وجد في نفسه خفة، فلما استتم قام سالما. كأنما أنشط من عقال[2]. وقد قال الله تعالى:

﴿ وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت ﴾ [3].

= ثم اعلم أن أجناس السحر مختلفة:

طلسم، ونيرنج، ورقية، وحل قطيرات[4]، وشعبذة.

*** فالطلسم :**

قيل معناه في مقلوبه وهو المسلط..

قالوا: هو جمع[5] آثار سماوية مع آثار عقاقير الأرض فيظهر منها أمر عجيب.

*** والنيرنج :**

أصله نيرنك فعرب، وهو التمويه والتخييل.

قالوا: إن ذلك تمزيج[6] قوى جواهر الأرض بعضها بالبعض ليحدث منها أمرٌ عجيب.

---

(١) في (ز) : (قرأت الذقى).

(٢) في (ز) : (إقال).

(٣) آية رقم (١٠٢) من سورة البقرة مدنية.

(٤) في (ز) : (مختلفة) زائدة.

(٥) في (ت) : (جميع).

(٦) في (ت) : (نيرنل).

* **والرقية:**

هي الآفسون، ومعناه آب سون فعرب. أى رقوا على الماء فيشربه المصاب، أو يُصب عليه. وإنما سميت رقية لأنها كلمات رقيت من صدر الراقى ومنه الترقوة. وتلك الكلمات بعضها فهلوية[1]، وبعضها نبطية، وبعضها كالهذيانات.

زعموا أنما سمعت من الجن، أو سمعت فى المنام.

* **والحل قطيرات:**

خطوط عقدت عليها حروف، وأشكال. أى حلق ودائرات.. زعموا أن لها تأثيرات بالخاصية، وبعضها مقروء.

* **والشعبذة:**

قد ذكرنا أنها خفة اليد، وخفة الأعمال؛ كالمشى على الأرسان[2]، واللعب بالمهارق، والحقاق.

واعلم أن الحاصل عقيب هذه الأشياء كلها فعل الله تعالى على وفق إجرائه العادة بها. وعلة ذلك، ووجه[3] حكمته فيه لايعلم أحد إلاّ الله تعالى وتقدس. وليس بيد العامل بها إلا إعداد الآلات، والجمع بينها فحسب.

قال الله تعالى ﴿ **وماهم بضارين به من أحد إلاّ بإذن الله** ﴾ [4]. جل جلاله.

جاء رجل إلى الصادق فادعى خلق الحيوان. فأخذ قطعة لحم، ودفنه فى الزبل فصارت دودا فأراه إياها.

---

(١) فى (ز) : (فهلوية نبطية).

(٢) فى (ت) : (الأرمان). والصحيح ما فى (ز)، (ط) وأرسان جمع (رسن) وهو الحبل. انظر لسان العرب لابن منظور مادة (رسن).

(٣) فى (ز) : (ووحيه).

(٤) آية رقم (١٠٢) من سورة البقرة مدنية .

فقال له الصادق: إن كنت تخلقها فأخبرني بعددها، وعدد ذكرانها وإناثها، وعدد أرجلها وخواص ظاهرها وباطنها. فعجز الرجل.

وغرضنا في إيراد هذه الأشياء إبانة الفرق. بين المعجزات وبين هذه التمويهات الباطلة، إذا ظهرت على أيدى الكذابين فقد قيل: وبضدها تبين الأشياء.

ثم يقول إنما يظهر من هذه الطرق كلها فلا يخلو من حيل كسببية تضاف إليها من مباشرة فعل. وضم شيء إلى شيء، وعمل صورة وهيئة، واختيار وقت، ورصد كوكب، وقوة وهم. وتدخين بخورات، وتعزيم كلمات، وإعداد آلات. وهذه الجملة كلها من أولها إلى آخرها فعل ذلك للمدعى وحيلته، وسعيه. وقد صح أن المعجزة محض فعل الله تعالى لا مدخل لقدرة العبد فيه.

واعلم أن المعجزة تبقى بعد النبي زمانا. والسحر سريع الزوال. وهو أحد الفروق بينهما. وأيضا المعجزة إنما يظهرها النبي على رءوس الأشهاد، وعظماء البلاد، وأكياس الناس.

والشعبذة إنما تروج على الصبيان، وضعفاء العقول، وأهل السواد، وجهلة الأكراد.

الفصل التاسع
فى
إثبات نبوة المصطفى (صلى الله عليه وسلم)

قال الله تعالى:

﴿ وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب

وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به

ولتنصرنه (قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم إصرى)[1]

قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين﴾ [2].

اعلم أن نبوته (صلى الله عليه وسلم) ثابته بشهادة الله تعالى، وشهادة جميع الأنبياء (عليهم الصلاة والسلام). وبشهادة نفسه (صلى الله عليه وسلم) بقوله: «كنت نبيا وآدم[3] المنجدل بين الماء والطين»[4]وبقوله: «أنا أول الأنبياء خلقا وآخرهم بعثا»[5].

---

(١) الجزء ما بين القوسين سقط من (ط)، و (ز).

(٢) والآية هى رقم ٨١ من سورة آل عمران مدنية.

(٣) سقطت من (ت).

(٤) حديث :كنت نبيا، ينظر فى فهرس الأحاديث النبوية نهاية الكتاب.

(٥) حديث: (أنا أول الأنبياء بعثا وآخرهم خلقا) ينظر فى فهرس الأحاديث النبوية نهاية الكتاب.

فشهد الله بنبوته، وأشهد الأنبياء عليها. وشهد كل نبى على نبوته، وأشهد أمته عليها، وأوصى كل نبى أمته بالإيمان به وبنصرة دينه. وأعلموهم بمجيئه بما بين لهم فى صحفهم من أسمائه، ونعوته، وسيرته، وصفة أمته.

* فكان فى التوراة. فى الفصل العشرين من السفر الخامس.

«إن الرب جاء من طور سيناء، وأشرق من ساعير، واستعلن من جبال قاران، ومعه عن يمينه ربوات القاسين فمنهم العز وحدهم إلى الشعوب، ودعى لجميع قديسيه بالبركة».

تفسيره:

مجيىء الله من الطور: إنزاله التوراة على موسى بالطور. وإشراقه من ساعير: إنزاله الإنجيل على عيسى، وساعير أرض الخليل من قرية يقال لها ناصرة. والنصارى منسوبون إليها.

واستعلانه من جبال قاران إنزاله القرآن على محمد (صلى الله عليه وسلم)(١) وقاران؛ أى أرض مكة. وربوات هى منارات الرهبان والقاسون: جمع قاس. والقاس والقس، والقسيس. هو الراهب، والقس. فى اللغة هو عظام الصدر. وسموا بذلك. لأنهم كانوا يتكلمون من صدورهم من غير تعلم. والشعوب الطرق فى الجبال.

*** وفى الإنجيل:**

قال المسيح:

«إنى ذاهب عنكم، وسيأتيكم البارقليط روح الحق. لا يتكلم من قبل نفسه يشهد لى كما شهدت له يعلمكم كل شيء».

---

(١) ما بين القوسين زيادة من (ط) .

(جاء فى التواريخ أن إسماعيل عليه السلام كان يتعلم الرمى فى برية قاران)

تفسيره:

البارقليط بلغتهم: المحمد. يعنى محمدا (صلى الله عليه وسلم)

قال النبى (صلى الله عليه وسلم):

«أنا أحمد، وأنا محمود»[١].

والبارقليط (تحت الباء ثلاث نقط). وفى بعض النسخ الفارقليط ـ بالفاء ـ[٢].

وقوله: يعلمكم كل شيء. هو صاحب شريعة.

وفى الزبور: فى الثالث والخمسين والمائة. من مزامير داود «ليرتاج البوادى وقراها. ولنصر أرض قيدار مروجا [٣] ويسبح سكان الكهوف. وليهتفوا من قلل[٤] الجبال بحمد الرب.

فإن الرب يأتى كالجبال المتلطى المتكبر. وهو يزجر ويقتل بعدله». قالوا فى تفسير أرض قيدار: هى أرض العرب لأنهم أولاد قيدار والمروج ما حول مكة من الأشجار، والنخيل، والعيون، وإتيان الرب. أنزل وحيه بجبل حراء على «محمد» (صلى الله عليه وسلم).

* وفى كتاب «أشعيا..» عليه السلام.

«قال لى الرب: أقم نظار ليخبر[٥] بما رأى فكان الذى رأى صاحب المنظرة أن

---

(١) حديث: أنا أحمد وأنا محمود، ينظر فى فهرس الأحاديث النبوية نهاية الكتاب.

(٢) الإشارة هنا من المؤلف والنسخ هى نسخ الإنجيل.

(٣) فى (ت): (سروجا).

(٤) فى (ت): (وليهوف).

(٥) فى (ت): (الخبر)، وفى (ز): (البحر).

أقبل[1] راكبان. أحدهما على حمار، والآخر على جمل يقول راكب الجمل هوت[2] بابل وتكسرت[3] أصنامها فهذا الذى سمعت من الرب إله بنى إسرائيل قد نبأتكم به»[4].

قالوا فى تفسيره:

يعني براكب الحمار «عيسى عليه السلام». وبراكب الجمل محمدا (صلى الله عليه وسلم). وكان على يده فتحت بابل وكسرت أصنامها. وفى كتاب (حيقوق).

[أن][5] النبى (صلى الله عليه وسلم)[6] نظر وقد انكشفت السماء [فإذا] من بها محمد (صلى الله عليه وسلم).

وامتلأت الأرض من جده أى من عظمته.

وفى كتاب [دانيال] عليه السلام، رأيت على سحابة السماء كهيئة إنسان جاء فانتهى إلى العتيق وقدموه بين يديه فخرله الملك، والسلطان، والكرامة وأن يتعبد له جميع الشعوب والأمم واللغات. سلطانه دائم إلى الأبد. وملكه لا يتغير.

---

(١) فى (ز) : (أقتل).

(٢) فى (ت) : (موت).

(٣) فى (ز) : (وكسرت).

(٤) هذه الفقرة وجدت ترجمة أخرى لها فى الكتاب المقدس سفر (إشعياء) : الإصحاح الحادى والعشرون تقول:

[قال لى السيد: اذهب أقم الحارس ليخبر بما يرى فرأى ركابا أزواج فرسان. ركاب حمير، ركاب جمال فأصغى إصغاءً شديداً ثم صرخ كأسد : أيها السيد أنا قائم على المرصد دائما فى النهار، وأنا واقف على المحرس كل الليالى. وهو ذا ركاب من الرجال. أزواج من الفرسان. فأجاب وقال: سقطت سقطت بابل وجميع تماثيل آلهتها المنحوته كسَّرها إلى الأرض. ياديِاستى وبنى بيدرى ما سمعته من رب الجنود إله إسرائيل أخبرتكم به].

(٥) إضافة من المحقق ليستقيم سياق النص.

(٦) يقصد هنا النبى عيسى عليه السلام.

قالوا فى تفسيره:

هذا الإنسان نبى آخر الزمان، ويعنى بالعتيق القديم جل جلاله.

وفى كتاب «زكريا بن برخيا» عليه السلام رجع الملك الذى ينطق على لسانى، وأيقظنى. وقال لى: ما الذى رأيت [؟]

فقلت: رأيت منارة من ذهب، وكفه على رأسها، وعلى الكفة سبعة سرج. لكل سراج سبعة أفواه وفوق الكفة شجرتا زيتون. إحداهما: عن يمينه والأخرى: عن يساره. وهذا قول الرب فى «زر بابل»[1] وهو يدعو باسمى، وأنا أستجيب له، وأصرف عن الأرض إتيان الزور والأرواح، ولنجيبه».

ذكر فى تفسيره: إن شجرتى الزيتون هما النبوة، والملك. «والزربابل» بلغتهم هو محمد (صلى الله عليه وسلم) والمنارة من ذهب. هى النبوة المرتفعة. يراه كل أحد من النواحى. والسرج السبعة قالوا: هى أسباع المصحف. وقوله: لكل سراج سبعة أفواه. وهى آيات العزائم. والقوارع من القرآن.

وعن «عبد الله بن عباس» (رضى الله عنهما). قال فى قوله تعالى. ﴿ وكم قصمنا من قرية كانت ظالمة﴾ [2] قال: كان «أرميا بن برخيا» أمر بختنصر أن يغزو العرب فدخل «بختنصر» بلاد العرب. فقتل وسبا حتى انتهى إلى «تهامة» فأتى إليه «بمعد بن عدنان» فأمر بقتله فقال له «ارميا» : لا تقتله فإن فى صلب هذا نبى يبعث فى آخر الزمان. يختم الله به الأنبياء. فخلى سبيله وحمله معه.

---

(١) فى سائر النسخ : (زز با بابل)
والتصحيح من الكتاب المقدس
وهذه الفقرة من الإصحاح الرابع من سفر زكريا انظر ص ١٣٤٣.
(٢) آية رقم (١١) من سورة الأنبياء مكية.

وحكى «ابن قتيبة»[1]. أن «أسعد أبو كرب الحميرى»[2] آمن بالنبى (صلى الله عليه وسلم) . قبل مبعثه بسبعمائة سنة. لما رأى نعته فى كتب الأولين.

وكان يقول فى شعره:

شهدت على أحمد أنه * رسول من الله بارئ النسم

فلو مُـدَّ عمرى إلى عصره[3] * لكنت وزيرا له وابن عم[4]

وقال «سيف بن ذى يزن»[5] لعبد المطلب بن هاشم:

---

(١) (ابن قتيبة): وهو (أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينورى) ولد سنة ٢١٣هـ وتوفى سنة ٢٧٦هـ ترك عدداً كبيراً من المؤلفات منها: غريب القرآن، ومشكل القرآن ومعانى القرآن، وغريب الحديث، ومشكل الحديث. ومؤلفاته جاوزت الأربعين من أهمها كتاب المعارف).
انظر مقدمة كتاب المعارف بتحقيق دكتور ثروت عكاشة هيئة الكتاب ط٦.

(٢) ذكر المؤلف الاسم هكذا :
أن (أبا بكر بن أسعد الحميرى).
ولم أجده فى المعارف هكذا ولكن وجدته كما هو مدون (أسعد أبو بكر الحميرى) وقصة إسلامه المسبقة.

(٣) فى (ز) : (إلى عمره). وفى (ت، ط) : (إلى عهده).

(٥) فى (ز) : (فكنت له وزيراً ولبى عمر)
والبيتان : ذكرهما (ابن قتيبة الدينورى) فى كتاب المعارف ص ٦٠ أثناء حديثه عن (أسعد أبى كرب الحميرى). قبل أن يبعث النبى (صلى الله عليه وسلم) بسبعمائة سنة. ومعهما بيتان آخران وهما :

وجاهدت بالسيف أعداءه * وفرجت عن صدره كل غـم

وألـزم طاعتـه كـل مـن * على الأرض من عرب أو عجم

انظر المعارف لابن قتيبة ص٦٠.

(٦) (سيف بن ذى يزن): أقام (سيف بن ذى يزن) ملكا من قبل كسرى يكاتبه ويصدر فى الأمور عن رأيه إلى أن قتل. وكان سبب قتله، أنه اتخذ من أولئك (الحبشة) خدماً فخلوا به يوماً، وهو متصيد له، فزرقوه بحرابهم فقتلوه وهربوا فى رءوس الجبال، وطلبهم أصحابه فقتلوهم جميعا وانتشر الأمر باليمن. حتى أتى الله بالإسلام.
انظر (المعارف لابن قتيبة ص ٦٢٨ ط ٦ هيئة الكتاب ١٩٩٢).

(١) فى (ز) : (مقص) وفى ت (مفيض) والصحيح ما أثبته.

«إنى مفض[1] إليك بسر لم أبح[2] به لغيرك، وليكن عندك مطويا. إنى أجد فى كتاب عندنا خبراً [3]عظيما فيه شرف الحياة، وفضيلة الممات. وهو للناس عامة. ولرهطلك خاصة إذا ولد بتهامة غلام[4] اسمه «محمد». وبين كتفيه شامة يموت أبوه وأمه. ويكفله جده وعمه. فخر عبد المطلب لوجهه ساجدا. وقال: هذا والله ابن ابنى بعينه.

ولما ولد (صلى الله عليه وسلم) كانت تباشير النبوة فى جبينه متظاهرة. ولآلئ الحكم من فيه متناثرة.

كما قال بعضهم :

إن الهلال إذا رأيت نموّه * أيقنت أن سيكون بدرا كاملا[5]

وكان يوما (صلى الله عليه وسلم) بين الصفا والمروة[6] قائما وهو ابن سبع سنين إذ نزل جماعة من تجار الشام كانوا على دين المسيح (عليه السلم). فنظر إليه أحدهم فعرفه بعلامات وجدها فى كتابهم من نعوته وسيره.

فقال له:

ـ من أنت.

قال: ـ أنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب.

---

(١) فى (ز) : (مقص) وفى ت (مفيض) والصحيح ما أثبته.
(٢) فى (ز) : (لمرة ألج).
(٣) فى (ت) : (أخيراً).
(٤) الإضافة من (ز)، (ط) وسقط من (ت) (به علامة كانت له الإمامة ولكم بها الزعامة إلى يوم القيامة وقد حان حينه اسمه محمد).
(٥) فى (ز) ، (ط) : (سيصير).
(٦) الصفا والمروة : موضعان بمكة من أماكن النسك.

فقال له :ـ من رب هذه.

وأشار إلى السماء.

فقال: الله ربها.

فقال له : ومن رب هذه

وأشار إلى الجبال.

فقال: الله ربها لا شريك له.

فقال له النصراني: فهل لها رب غير[؟]

فقال له: لا حييت لتشككني في الله ما له شريك ولاضد.

ولما ترعرع. كانت قريش تسميه «محمد الأمين». لما شاهدوا فيه من الأمانة، والصدق.

وقال (صلى الله عليه وسلم).

«أنا دعوة إبراهيم، وكرامة موسى، وبشارة عيسى، ورؤيا أمي آمنة»[1].

وذلك أن أمه رأت في المنام. أن نورا خرج منها فأضاءت قصور بصرى. ولما آتاه الوحي، وادعى الرسالة وأقام عليها الدلالة. تظاهرت على الخلق معجزاته الباهرة تظاهر القطر من السماء. خارجة لكثرتها عن الحدود والإحصاء.

قد صنف فيها الكتب الكبار فلايسعها هذا المختصر.

كما قيل.

فيا عجبا مني أحاول وصفه * وقد فنيت فيه القراطيس والكتب

فالصواب. أن نقتصر على القدر الذي ذكرناه من بشارات كتب الأنبياء قبله في إتيانه. واشاراتهم إلى عظم شأنه.

(١) حديث : أنا دعوة إبراهيم وكرامة موسى ... ينظر في فهرس الأحاديث النبوية نهاية الكتاب.

«فى طلعة الشمس ما يغنيك عن زحل»[1].

ونذكر من معجزاته ما هو من أعظم آياته. وهو الكتاب الذى جاء من عند الله. فإن البحر المحيط لا تنقضى عجائبه، ولا تنتهى درره وغرائبه.

فأقول: إن وجوه الإعجاز فى القرآن العظيم لكثيرة.

منها: الأخبار الصادقة عن الأمور المستقبلة. كقوله تعالى: ﴿ **لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين محلقين رءوسكم ومقصرين لا تخافون**﴾ [2] وكان كذلك.

وقوله: ﴿ **ليظهره على الدين كله**﴾ [3].

وكقوله: ﴿ **الم * غلبت الروم * فى أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون**﴾ [4]. الآية. وكان كذلك.

وكقوله: ﴿ **سيهزم الجمع ويولون الدبر**﴾ [5]. وقد هزموا .

وكقوله: ﴿ **إذ همت طائفتان منكم أن تفشلا** ﴾ [6].

---

(١) شطر البيت : فى (ز) : (من رجل)

(٢) آية رقم ٢٧ من سورة الفتح مدنية.

(٣) هذه الجزء من الآية تجده فى ثلاث آيات فى القرآن كله.

أولا: الآية رقم ٣٣ من سورة التوبة وهى مدنية ونصها : ﴿ **هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله**﴾.

ثانيا: الآية رقم ٢٨ من سورة الفتح مدنية ونصها: ﴿ **هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله**﴾.

ثالثا رقم ٩ من سورة الصف مدنية ونصها: ﴿ **هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله**﴾.

(٤) الآيات رقم ١، ٢، ٣ من سورة الروم مكية.

(٥) آية رقم (٤٥) من سورة (القمر) مدنية.

(٦) آية رقم (١٢٢) من سورة (آل عمران) مدنية.

وكقوله: ﴿ **وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم** ﴾ (١).

هذه أخبار عن الغيب. فكان كما أخبره كتابه المنزل(٢) عليه ومنها:

اشتماله على غرائب الحكم وبدائع الكلم التى أعجزت الحكماء الأوائل عن الإتيان بمثلها. فإن القرآن ينطوى على الحكم كلها. علمها وعملها.

قال الله تعالى:

﴿ **ونزّلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء** ﴾ (٣) الآية.

وقال: ﴿ **ما فرطنا فى الكتاب من شيء** ﴾ (٤).

وقال: ﴿ **وكل شيء أحصيناه فى إمام مبين** ﴾ (٥).

وإنما تقاصرت عن معرفتها أفهام الخلق لشيئين:

أحدهما: راجع إلى اللفظ. من الإيجاز والحذف والمجازات، والاستعارات، والتشبيهات، والإشارات اللطيفة، إلى الأسرار والحقائق الشريفة، والأساليب الغامضة البديعة.

والثانى: راجع إلى المعنى، وذلك لإتيانه بأصول تنطوى على فروع وشعب. وبعضها بيّنها المصطفى (صلى الله عليه وسلم) وبعضها مفوض إلى استنباط الراسخين فى العلم. فما من برهان ودلالة. وتقسيم وتحديد عن مجملات العقليات، والسمعيات إلا والقرآن قد نطق بها على عادة العرب دون طريق

---

(١) آية رقم (٧) من سورة (الأنفال) مدنية.

(٢) فى (ز) : المنزلة.

(٣) آية رقم ٨٩ من سورة (النحل) مكية.

(٤) آية رقم ٣٨ من سورة (الأنعام) مكية.

(٥) آية رقم ١٢ من سورة (يس) مكية.

المتكلمين، والحكماء، والمنطقيين.

ولذلك قال تعالى:

﴿ ما فرطنا فى الكتاب من شىء ﴾ [1].

وقال النبى (صلى الله عليه وسلم):

«إن لكل آية ظاهرا وباطنا، ولكل حرف حدا ومطلعا»[2].

فعلى ذلك:

أن كل من كان حظه من العلوم، وصفاء القلب أوفر. كان نصيبه من علم القرآن أكثر.

ومنها: ترك المعارضة له، والعجز عنها. إلى يومنا هذا مع كثرة[3] الخصوم، وكثرة دعاويهم[4] ومساس حاجتهم إليها، وقد سلت[5] عليهم السيوف، وتغشاهم الحتوف[6]، وسبيت زراريهم وانتهبت[7] نفائس أموالهم إلى أن قال لهم: فليأتوا بمثل هذا القرآن. ثم لما عجزوا عن الإتيان بمثله[8]. فلما عجزوا عن ذلك. قال قل: فأتوا بحديث مثله. فلما اشتهر عجزهم عن الجميع.

---

(١) آية رقم ٣٨ من سورة (الأنعام) مكية.

(٢) حديث : إن لكل آية ظاهراً وباطنا ولكل حرف حداً ومطلعاً، ينظر فى فهرس الأحاديث النبوية نهاية الكتاب.

(٣) فى (ز) : (كثيرة).

(٤) فى (ز) : (دواعيهم).

(٥) فى (ز) : (سئل).

(٦) فى (ز) : (الخيوف).

(٧) فى (ز) : (دراريهم وانتهب).

(٨) سقط من (ت) : [قال: قل فأتوا بعشر سور مثله] ثم لما عجزوا عن ذلك قال: فأتوا بسورة من مثله].

قال: ﴿ **فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التى وقودها الناس والحجارة** ﴾ [1] الآية.

وكانوا هم الفصحاء اللدّ، والبلغاء اللسن. أهل الخطبة والنثر، والنظم بها يتحجون، وعلى العجم بذلك يتباهون. ومع ذلك قد عدلوا عن المعارضة، ورضوا بالذل والصغار، ووطنوا أنفسهم على القتل والقتال. والتعرض للنوائب وقبول الجزية. والذل والاسترقاق.

ولا يخفى أن العاقل إذا خير بين أمرين فعدل[2] عن أحدهما إلى الآخر. إنما عدل عن الأشد الأصعب إلى الأهون الأسهل .

* وكفى بك داءً أن ترى الموت شافيا *

وسبب عجزهم عن ذلك: هو أن نظم القرآن على غاية البلاغة وكمال الفصاحة، ونهاية الجزالة. وهذه الأشياء الثلاثة إذا استجمعت فى نظم كان لا محالة معجزة للخلق. لاسيما [إذا][3] وجد فيه طلاقة الوحى. فالنظم مطلق التركيب. وقد يكون ركيكا. ويكون رفيعا. ولهذا يقال:

* نريد الآلئ فى النظام لازدواجها *

ثم. للنظم درجات :

أولها: كلام[4] البذلة فى المحاورات، وفوقه المكاتبات، والمراسلات.

وفوقه الخطب، والمواعظ، والأمثال، والمزدوج.

وفوق ذلك نظم الشعر. وليس للعرب فوقها درجة.

---

(١) الآية رقم ٢٤ من سورة (البقرة) مدنية.

(٢) فى (ز) : (يعدل).

(٣) ما بين معقوفتين من المحقق.

(٤) فى (ز) : (كلامة) .

للنظم ألبتة. فإذا اجتمعت الفصاحة والجزالة والنظم أطلق عليها اللفظ البلاغة.

لأن للكلام بها درجة الكمال. وتحقيق هذا الكلام أن تعلم أن الفصاحة: دلالة اللفظ على المعنى مع الإفصاح والإيضاح.

والجزالة: دلالة اللفظ على المعنى مع قلة الحروف والاختصار وتناسب مخارجها.

فإذا اجتمع المعنيان يقال له لفظ فصيح جزل.

كقوله تعالى: ﴿ **ولكم فى القصاص حياة يا أولى الألباب** ﴾ [1].

والنظم:

ترتب الأقوال بعضها على بعض. ويكون الحس فيه على قدر تناسب الكلمات فى أوزانها، وأوزان حركاتها، وسكناتها، ودلالتها على المعنى.

والبلاغة:

عبارة عن اجتماع هذه المعانى الثلاثة:

أعنى الفصاحة، والجزالة، والنظم.

فبذلك بلوغ الكمال، وبه فاق القرآن على كلام العرب. كما فاقت العرب على سائر الألسن. وعجز العرب عن الإتيان بمثله كما عجز العجم عن نظم الشعر.

فالقرآن معجز من حيث البلاغة التى هى مجموع هذه المعانى الثلاثة والعرب قد أحست [2] من نفسها أن القرآن خارج من حيث البلاغة عن جنس كلامهم جملة. كما أن سحرة فرعون أحسوا من أنفسهم أن [3] إحياء الموتى ليس من جنس الطب.

---

(١) آية رقم ١٧٩ من سورة (البقرة) مدنية.

(٢) فى (ز) : (أحسنت).

(٣) ما بين القوسين يقط من (ت) [انقلاب العصى ثعبانا ليس من جنس السحر وأحس الأطباء من أنفسهم أن].

وجاء فى الأخبار أن «وليد بن المغيرة المخزومى» جاء إلى النبى (صلى الله عليه وسلم) فسمع منه «حم» السجدة. فرجع إلى قريش. وكان هو من أفصحهم وأبلغهم.. فقال:

ـ أيها القوم. إنى عارضت كلام «محمد» بالرجز والمديد والسريع. وسائر النظم. فما أراه بشىء منها وإن فى كلامه حلاوة، وعليه طلاوة، وإن أعلاه لمغدق، وإن أسفله لمعدق، وإنه ليعلو ولا يعلى [عليه]. وما أراه بكلام البشر.

فقال له أبو لهب:

ـ لقد صبئت[1] فأفسدت قريشا بهذا القول فارجع عنه.

فقال: ـ إنه سحر يؤثر.

وذكر «على بن طباطبا العلوى» فى عروضه أن تأليفات العرب ثمانية: السجع، والخطب، والرسائل، والمزدوج والأمثال، والشعر، والمستمط، فالنثر.

فالنثر تجرى فى كلامهم البذلة من المخطبات، والسجع فى الأوصاف والحكايات وهو نثر مقيد بقوافيه.

والخطب. هو النثر خالط السجع على طول الكلمات وتباين الأسجاع والرسائل والخطب. غير أن أسجاعها مختلفة.

والأمثال: قصار الكلمات المودعة حكما.

والمزدوج: هو المثنوى على قوافى مختلفة.

والشعر: ما ينطوى على العروض.

والمستمط: شعر ألفت خمس مصاريع منه على سجع، والمصراع السادس مقفى بقافية يدور عليها الشعر.

---

(١) فى (ز) : (صبوت).

فجميع تأليفات العرب هذه الثمانية فقط. والقرآن جنس تاسع من التأليفات. خارج عن هذه الكلمات. فهي فيه بنوع من هذه التأليفات (1) كلها. وهي ما ذكرته. فمن هذان، تبين أنه مباين الكلام البشر ومن تكلف من المعارضين له، وأجهد نفسه أن يخترع كلاما يخالف هذه التأليفات الثمانية أعجزه الله عن تجاوز ذروة هذه الثمانية. علوّا وارتفاعا. فينحط إلى حضيض العى، والركاكة التى هى أخس منازل الكلام فيأتى بما يضحك عليه العقلاء مثل «مسيلمة الكذاب» (2). وغيره من المعارض. فافتضحوا بما تقولوه، وانسلخ عن طباعهم بلاغة كانوا عهدوها قبل تعرضهم للمعارضة. وهو الذى سماه بعضهم الطرفة.

فقال «مسيلمة»:

[يا ضفدع بنت ضفدع نقى كم تنقين لا الماء تكدرين ولا تمنعين].

فسمع الصديق، رضى الله عنه، قوله. فقال: هذا كلام لمّ يخرج من إلّ. أى من ربوبته.

والإل: بالكسر هو الله تعالى.

وقال «القتيبى»:

«ألم تر كيف فعل ربك بالحبلى أخرج من بطنها نسمة تسعى من بين شراسيف، وحشا».

---

(1) ما بين القوسين سقط من (ت) (وجدته مخالفا ولا يوقف على مخالفته إياها إلاّ بعض أجناس هذه التأليفات).

(2) (مسيلمة الكذاب).

هو: (مسيلمة بن حبيب) من (حنيفة بن لجيم) ويكنى: أبا ثمامة وكان صاحب نيرنجات. وهو أول من أدخل البيضة فى القارورة وأول من وصل جناح المقصوص من الطير فاتبعه على ذلك خلق كثير. وله أسجاع مضحكة عارض بها القرآن وأثناء بيعة أبى بكر الصديق بعث عمر بن الخطاب فحج بالناس سنة ١١هـ وفتح اليمامة وقتل «مسيلمة الكذاب» و«الأسود العنسى» بصنعاء [انظر كتاب المعارف ص ١٧٠، ٤٠٥].

وقال «نضر بن الحارث» [1]: وكان من فصحائهم.

«والزارعات زرعاً، والحاصدات حصدا، والطاحنات طحنا والعاجنات عجنا، والخابزات خبزا، واللاقمات لقما».

وقال: «قد أفلح من هم فى صلاته وأطعم المسكين من مخلاته، وأخرج الواجب من ذكاته».

وقال آخر.

«والنجم إذا سما، والبحر إذا طما ما زاع منذركم وما طغى».

فأنزل الله تعالى:

﴿ ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو قال أوحى إلىّ ولم يوح إليه شىء﴾ [2].

فصارت تلك المعارضات فضائح لهم إلى يوم الدين.

ومن جملة ذلك «الفصول والغايات»[3] لبعض المتأخرين.

فأصبحت بعد بلاغة صاحبها فى النظم، والنثر ضحكة للعالمين.

---

(١) (نضر بن الحارث) : هو النضر بن الحارث بن علقمة بن كلدة بن عبد مناف بن عبد الدار ابن قصى) كان إذا جلس رسول الله (صلى الله عليه وسلم) مجلسا وتلا فيه القرآن خلفه فى مجلسه إذا قام فحدثهم عن رستم السنديد، واسفنديار، وملوك فارس ثم يقول: والله ما محمد بأحسن حديثا منى، وما حديثه إلا أساطير الأولين.

وعن النضر قصص كثيرة انظر (السيرة النبوية لابن هشام الطبعة الثانية ص ٣٥٨ مجلدا. بتحقيق مصطفى السقا وآخرون).

(٢) آية رقم ٩٣ من سورة (الأنعام) مدنية.

(٣) (الفصول والغايات) عنوان كتاب لأبى العلاء المعرى.

هيهات. هيهات. ما أبعد الثريا من الثرى تبصر خليلى بعين البصرة فصاحة القرآن. كيف نسخت ديوان الإعجاز أينما توجه من القصص، والأخبار، والحكم، والأمثال. فى بيان الحلال والحرام، والأمثال. فى بيان الحلال والحرام، وأدلة التوحيد، وترويد الوعد والوعيد، والترهيب، والتهديد والترغيب، وبتبيين الفرائض والأحكام فى أحسن السياقة والنظام، وانظر كيف يخرج ويتخلص من فن إلى فن وكيف ينتقل من معنى إلى معنى من غير خلل بلغ خلال البلاغة. ولا نقص يأخذ من المعانى، ولا مقطع ينبو الطبع عنه، ولا مطلع يكد السمع منه، وتأتيك [1] اعتبارا من القصص سورة يوسف بكمالها. وقف بفكرك عند قوله: **﴿ فلما استيأسوا منه خلصوا نجيا﴾** [2] ترى ما البلاغة. يترقرق محاسين نظمه، وبين أدلة التوحيد تأمل قوله تعالى:

﴿ لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا﴾ [3].

وقوله تعالى: **﴿ إذا لذهب كل إله بما خلق﴾** [4].

كيف يلعب بالعقول من وجازة لفظة، ومتانة معناه، ومن باب الوعد والترغيب فتصفح قوله:

﴿ من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى إلا مثلها﴾ [5] الآية.

وقوله: **﴿ قل كل يعمل على شاكلته﴾** [6].

---

(١) فى (ز) : (ناهيك).

(٢) آية رقم ٨٠ من سورة (يوسف) مكية.

(٣) آية رقم ٢٢ من سورة (الأنبياء) مكية.

(٤) آية رقم ٩١ من سورة (المؤمنون) مكية.

(٥) آية رقم ١٦٠ من سورة (الأنعام) مكية.

(٦) آية رقم ٨٤ من سورة (الإسراء) مكية .

وقوله: ﴿ **هل جزاء الإحسان إلاّ الإحسان**﴾ [1].

ومن باب الوعيد:

قوله: ﴿ **من يعمل سوءًا يجز به**﴾ [2].

وأما من قسم الفرائض والأحكام فتأتى فى عشر:

﴿ **يوصيكم الله فى أولادكم** ﴾ [3].

كيف بين حظوظ الورثة من غير إخلال بالفصاحة؟

ومن باب الطب:

﴿ **كلوا واشربوا ولا تسرفوا** ﴾ [4].

ومن باب أحكام الحلال والحرام فتفحص قوله:

﴿ **وأحل الله البيع وحرّم الربا** ﴾ [5].

ومن قبيل الحكم والأمثال، فتأمل قوله:

﴿ **لكل نبأ مستقر** ﴾ [6].

﴿ **لكل أجل كتاب** ﴾ [7].

﴿ **لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون** ﴾ [8]

---

(١) آية رقم ٦٠ من سورة (الرحمن) مدنية.

(٢) آية رقم ١٢٣ من سورة (النساء) مدنية.

(٣) آية رقم ١١ من سورة (النساء) مدنية.

(٤) آية رقم ٣١ من سورة (الأعراف) مكية.

(٥) آية رقم ٢٧٥ من سورة (البقرة) مدنية.

(٦) آية رقم ٦٧ من سورة (الأنعام) مكية.

(٧) آية رقم ٣٨ من سورة (الرعد) مدنية.

(٨) آية رقم ٩٢ من سورة (آل عمران) مدنية.

﴿ ومن يهن الله فما له من مكرم﴾ [1].

﴿ ضعف الطالب والمطلوب﴾ [2].

وامتص بفكرك مصاص البلاغة، وطراوة الفصاحة من أفانين النظم. قوله تعالى:

﴿ فإذا انسلخ الأشهر الحرم﴾ [3].

﴿ وأشربوا فى قلوبهم العجل بكفرهم﴾ [4].

﴿ واشتعل الرأس شيبا﴾ [5].

﴿ فاصدع بما تؤمر﴾ [6].

وقد سمعها أعرابى فسجد لفصاحتها.

وقوله:

﴿ أفنضرب عنكم الذكر صفحاً ﴾ [7].

﴿ فضربنا على آذانهم﴾ [8].

﴿ ولما سُقِطَ فى أيديهم﴾ [9].

﴿ بل نقذف بالحق على الباطل﴾ [10].

---

(١) آية رقم ١٨ من سورة (الحج) مدنية.

(٢) آية رقم ٧٣ من سورة (الحج) مدنية.

(٣) آية رقم ٥ من سورة (التوبة) مدنية.

(٤) آية رقم ٩٣ من سورة (البقرة) مدنية.

(٥) آية رقم ٤ من سورة (مريم) مكية.

(٦) آية رقم ٩٤ من سورة (الحِجْر) مكية.

(٧) آية رقم ٥ من سورة (الزخرف) مكية.

(٨) آية رقم ١١ من سورة (الكهف) مكية.

(٩) آية رقم ١٤٩ من سورة (الأعراف) مكية.

(١٠) آية رقم ١٨ من سورة (الأنبياء) مكية.

﴿ فطوعت له نفسه قتل أخيه﴾ [1].

هذه وأمثالها إذا طرقت الأسماع تتلذذها، وإذا لاقت الطباع تمازجها، وإذا وردت القلوب تروّحها وتصفيها، وإذا هبت على الأرواح تصقلها بل تنورها، وتخلّقها بأخلاق مكلمها[2]، ولو عرجت إلى فواصل آياته بالحروف المتقاربة المخارج حتى لا تشبه أسجاع الكهان، ولا توافق قوافي الشعر. قضيت منها العجب. بل لو أطرب فكرك حول الحروف المفصّلة في أوائل السّور كرابتها. كيف ترمز بإيجازها، وإعجازها إلى بحار المعاني، والحقائق، وأفنان الحكم والدقائق فأى كتاب احتوى على هذه اللطائف، واختص بمجامع هذه المعارف، وانتظم في سلكه الدرر، واليواقيت انتظام العقد المفصل..

كما قال بعضهم:

من اللؤلؤ النض المؤلف نظمه * فما خانه سلك ولا شانه ثقب

أما إن التوراة مقسومة خمسة أسفار. كل سفر منها مفرد بمعنى.

السفر الأول: لذكر بدء الخلق.

والسفر الثاني: لخروج بنى إسرائيل من مصر.

والسفر الثالث: لأمر القرابين.

والسفر الرابع: لإحصاء موسى بنى إسرائيل.

والسفر الخامس: لتكرر النواميس، وكان اختلاف معانيها موجبا لتفاصيلها.

والنواميس عندهم الملائكة. والناموس الأكبر «جبريل» عليه السلام. قد سموا بذلك لخفائهم عن الأبصار.

والنمس : دابة تخفى نفسها عن الرائين.

---

(١) آية رقم ٣٠ من سورة (المائدة) مدنية.

(٢) فى (ت) : (مكملها).

فكان أفضل ما فى التوراة العشر آيات.

وأفضل ما فى الإنجيل الصحف الأربعة المنسوبة إلى تلاميذ المسيح وهى المخصوصة بالقراءة فى صلواتهم، وأعيادهم.

والزبور: أدعية، وتحاميد، وتسابيح. وأفضله ما اتفق أهل الكتابين على اختياره.

وهذه الكتب كلها أوجبت معانيها إلى أصحابها (١) فعبر كل نبى عنها بعبارة. فلم يكن أساليب نظمها معجزة لهم بخلاف القرآن فإن «جبريل» عليه السلام. أنزله على المصطفى (صلى الله عليه وسلم) بلفظه ونظمه، ومعناه معا. فكان له معجزة من هذه الوجوه وهى مما يتعلق بظاهر نظم القرآن، وعباراته التى تطلع عليها الفصحاء، والبلغاء. دون ما يتعلق بباطنه من الإشارات واللطائف، والأسرار والحقائق، والأنوار التى لا يطلع عليها إلا القلوب المحررة عن رق الكونين، والأرواح المنورة بنور ربها. فإن للقرآن ظاهراً وباطنا، فهى المعجزة الحقيقية. المودعة فيه بالحكمة البالغة الأزلية. ليمسك طلاب الحق بها فى الارتقاء من حضيض البشرية إلى ذروة الربوبية ليعتصموا بالله. وقد ضاق نطاق الروحانيين (٢) عن إدراكها فضلا عن إيداعها فى كلامهم المحدث. ما أودع الله تعالى فى كلامه القديم. وهو كتاب ينابيع الحكم فوارة فى درجه وشموس الغيوب طالعة من برجه. فمن جملتها قوله:

﴿ قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا﴾ (٣).

وكان كما أخبر عن الغيب.

والحمد لله حمدا كثيرا (٤).

---

(١) فى (ت) : (إلى أصحابه).

(٢) فى (ز) : (الروحانية).

(٣) آية رقم ٨٨ من سورة (الإسراء) مكية.

(٤) فى (ز) : (طيبا) زائدة.

الفصل العاشر

فـــى

فضل نبينا (ﷺ) على سائر[1] الأنبياء (عليهم السلام) وختم النبوة به

قال الله تعالى:

﴿ وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما﴾ [2].

اعلم أن الله تعالى فضل الأنبياء بعضهم على بعض.

بقوله: ﴿ تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض﴾ [3].

فأعطى لكل نبى فضلا، ثم جمع الفضل كله، وزاد عليه حتى صار فضلا عظيما. فأعطاه نبينا (صلى الله عليه وسلم).

كما قال تعالى: ﴿ وكان فضل الله عليك عظيما﴾ [4].

ثم بين النبى (صلى الله عليه وسلم) فضل الله عليه، وما زاد فى فضله على الأنبياء بقوله (صلى الله عليه وسلم):

«فضلت على الأنبياء بست: أوتيت جوامع الكلم، ونصرت بالرعب مسيرة شهر،

---

(١) فى (ز) ، (ط) : (جميع).

(٢) آية رقم ١١٣ من سورة (النساء) مدنية.

(٣) آية رقم ٢٥٣ من سورة (البقرة) مدنية.

(٤) الآية قبل السابقة.

وأحلت لى الغنائم، وجعلت لى الأرض مسجدا وترابها طهورا، وأرسلت إلى الخلق كافة، وختم بى النبيون» .[1] والحديث صحيح.

وفى رواية أخرى. «وأعطيت الشفاعة» .

فأمّا تحقيق هذه المسائل الست.

ـ فقوله: «أوتيت جوامع الكلم» . تشير إلى أن الله تعالى لما أراد أن يظهر كنزا مخفيا[2] ذاته، وصفاته. اتخذ عبده ونبيه المصطفى على العالمين حبيبا بمقتضى[3] حكمته البالغة، وإرادته القديمة السابقة وقدّر له[4] روحاً نورانياً لطيفا من عالم الأمر، وهو ما خلق بأمر «كُنْ» من غير مادة مستعدا لقبول فيض الألوهية بلا واسطة وجسدا جسمانيا ظلمانيا كثيفا من عالم الخلق، وهو ما خلق من المواد المختلفة مستعدا لقبول فيض الروح المستفيض من الحضرة بالوسائط ليكون جسده مستفيضا من روحه ومظهراً لصفات (روحه. وروحه، مستفيضا من الحضرة الربوبية ومظهراً لصفاته)[5].

وإذا تعلق الروح بالجسد [تعلقا][6] تاما، وعصم الروح من آفات الجسد الظلمانى، وخواص صفاته المنشأة منه كما سيجيىء شرحها إن شاء الله تعالى.

لئلا يحتجب عن قبول الفيض من الحضرة بها. يكون قابلا لتجلى ذات الألوهية، وصفاتها مظهرا للكنز المخفى كالمرآة فى إظهار الكنز المخفى من صورة الشخص عن

---

(١) حديث : فضلت على الأنبياء بست. وأرسلت للخلق كافه، وجعلت لى الأرض مسجدا وطهوراً... ينظر فى فهرس الأحاديث النبوية نهاية الكتاب.

(٢) فى (ز) ، (ط) : (كنز مخض).

(٣) فى (ز) : (بمقتضا).

(٤) فى (ت) : (وقد نزله).

(٥) ما بين القوسين سقط من (ز).

(٦) الإضافة ما بين معقوفتين من المحقق.

غيره.. على ذلك الغير تفهم إن شاء الله تعالى.. ولما كان للروح اللطيف حاجة فى المراتبة بجسد كثيف ليقبل العكس بلطافته الروحانية. ويحفظ بكثافته الجسمانية شرع فى تدبيره بتقدير العزيز الحكيم. فكان مثال تدبيره فى إنشاء الجسد. مثال تدبير البذر فى الثمرة، التى هى جسده. والبذر روح الثمرة. فيحتاج أولا بتدبير إنشاء الشجرة التى هى منشأ الثمرة، ومكانها. كلبّ اللوز مثلا. فإنه لم يكن كاملا فى اللوزية، ولا مكملا لجنسه بلا قشر فهو يحتاج لتحصيل القشر[1] إلى آلات، وأسباب. وهى الشجرة المودعة فى نفس اللب بالقوة. وليس له مرب[2] يستخرجها من القوة إلى الفعل. أى من الغيب إلى الشهادة إلا الذى هو واهب وجوده المستعد لقبول فيضه. فلا سبيل له إلى النفس النامية. فيستفيض اللب من النفس النامية لاستخراج الشجرة الكاملة المودعة فيه بالقوة إلى الفعل. فيستخرجها منه بالتدريج شيئا بعد شيء.

فأول ما يستخرج منه أصل الشجرة، ثم جزعها، ثم فروعها وأغصانها، ثم أوراقها. ثم أزهارها. ثم قشر اللب[3]، ثم اللب. ليتم اللوز الكامل المكمل.

فالروح النبوى المشرف بتشريف «أول ما خلق الله روحى» بمثابة لب اللوز الموهوب من واهب وجوده، وهو[4] الخالق البارئ المصور. الذى أودع شجرة الموجودات فى لب روحه بالقوة. وهو المربى ليستخرج منه إلى الفعل. فأول ما أخرج[5] منه أصل الشجرة، وهو عالم الأرواح.

كما قال : (عليه السلام) :

---

(١) فى (ت) : (فهو يحتاج إلى تحصيل الكسر).

(٢) فى (ت) : (من) وفى (ز)، (ط) : (مر بى).

(٣) فى (ز) : (ثم قشر اللوز).

(٤) فى (ز) : (وهله).

(٥) فى (ز) (فأول ما خرج).

«إن الله تعالى خلق الأرواح قبل الأجساد بألفى عام»[1]. وهى الملكوت العلوى والسفلى. ثم الجذع، وهو عالم الملك من الأجسام الكثيفة واللطيفة من المركبات والبسائط. ثم الفروع والأغصان. وهى الأفلاك، والأنجم. ثم الأوراق، وهى الحيوانات المتنوعة. ثم الأزهار، وهى الملائكة المقربون. ثم صورة اللوز، أى قشره، وهو جسد النبى (صلى الله عليه وسلم). ثم حصول اللب فى قشر اللوز، وهو تعلق روحه اللطيف بقالبه وجسده الشريف.

فتربى بتربية مربيه، وواهب وجوده.

كما قال (صلى الله عليه وسلم):

«أدبنى ربى فأحسن تأديبى»[2].

إلى أن بلغ واستوى، بإفاضة فيض الوحى بتوسط «جبريل» (عليه السلام).

كما قال تعالى: ﴿ **نزل به الروح الأمين * على قلبك** ﴾ [3].

ثم أدبه ربه وعلمه بغير واسطة.

كما قال: ﴿ **الرحمن * علم القرآن** ﴾ [4].

إلى أن خلصه عن رق وجوده، ووجود شجرة الموجودات. بجذبة «ادن منى» فقربه إلى هويته بعد أن أبعده عن أنانية [5] نفسه. فأجلسه على بساط [6] القرب. ثم بجذبة ﴿ **أو أدنى** ﴾ أفناه. ثم حياه «بالسلام عليك». فأحياه.

---

(١) حديث: إن الله تعالى خلق الأرواح قبل الأجساد بألفى عام، ينظر فى فهرس الأحاديث النبوية نهاية الكتاب.

(٢) حديث: أدبنى ربى فأحسن تأديبى، ينظر فى فهرس الأحاديث النبوية نهاية الكتاب.

(٣) آيتان رقم ١٩٣، ١٩٤ من سورة (الشعراء) مكية.

(٤) آيتان رقم ١، ٢ من سورة (الرحمن) مدنية.

(٥) غير واضحة فى (ت).

(٦) فى (ز): (بسات).

و«برحمة الله وبركاته». أبقاه. ثم فى إظهار الكنز المخفى تجلى له بذاته. وجميع صفاته. وبألم تر إلى ربك. ناجاه. ثم فى سر. ﴿ **فأوحى إلى عبده ما أوحى**﴾ [1]. جوامع الكلم[2] أتاه هو. كما أن للنفس النامية فى تربية لب اللوز إلى أن يصير شجرة كاملة مثمرة فى كل حال. ومقام كلاما فى تكوينها مثل أن يقول أولا مع أصلها «كُنْ» أصلا على هذه الصورة، والصفة، والطبيعة، والخاصية.

وكذلك مع الجذع، والفروع، والأغصان، والأوراق، والأزهار. بحسب أحوالها إلى أوان تكوين الكامل فى ذاته المكمل لغيره. فيكون له معه جوامع الكلم التى كانت مع جميع أجزاء الشجرة. بل على الحقيقة كانت جوامع الكلم التى قالها للشجرة من أولها إلى آخرها معه. لأن المقصود من الشجرة ثمرتها.. كما قال «لولاك لما خلقت الكون». والله أعلم.

ـ وأما تحقيق قوله: «نُصِرتُ بالرعب مسيرة شهر»

فهو إشارة إلى أنه جوهر[3] تخلص عن وصمة تصرفات الكونين لما عبر بالسير عن الخافقين، وجاوز بالطير عن قرب، قاب قوسين. فما عوقه[4] الزمان، ولا المكان. حتى سار من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى. ومن ثمة إلى «قاب قوسين». أو طار منه إلى قرب «أو أدنى». بل أُسْرِىَ به، وأُطير. فإنه أخذ منه. وكان هو بلا هو. فكان سيره ورجوعه بأقل من ساعة. ولما كان غيره متعلقا بالزمان والمكان كان رعبهم ونصرتهم متعلقا بمواجهة العدو. ومباشرة الأسباب الظاهرة. وهو (صلى الله عليه وسلم). كان بقوة الولاية يقذف الرعب فى قلوب الكفار[5]، ويهزمهم بقوة

---

(١) آية رقم ١٠ من سورة (النجم) مكية.

(٢) فى (ط) : (كلام).

(٣) فى (ز) : (جوهرة، وفى (ط) (جوهره).

(٤) فى (ز) : (تعلق).

(٥) فى (ز) : (الأعداء).

الهمة بلا مباشرة الأسباب الظاهرة كما قذف الله في قلوبهم الرعب بلا أسباب ظاهرة بل هو بقدرة قاهرة. إذ هو (صلى الله عليه وسلم) كان متخلقا بأخلاق الله تعالى، كما أشار بأصبعه إلى القمر في السماء فانشق فلقتين. والمسافة إلى السماء مسيرة خمسمائة عام لا لحجبه الزمان، ولا المكان. والله أعلم.

ـ وأما قوله: «وأُحِلّت لي الغنائم، ولم تحل لأحد قبلي».

فهو أن الأمم المتقدمة منهم من لم يكن أبيح لهم جهاد الكفار فلم يكن لهم الغنائم[1]، ومنهم من أبيح لهم الجهاد، ولكن لم يبح لهم الغنائم. فكانت غنائمهم توضع فتأتي نار فتحرقها. فأباحها الله تعالى لهذه الأمة. وذلك لأن قوة ولاية نبوة النبي (صلى الله عليه وسلم). قد بلغت نهاية كمالها. فكانت تطهر ما لم تطهره قوة ولاية نبوة نبي آخر. وتحل ما لم تحل، كالماء إذا بلغ حد كماله. وهو قلتان تطهر ما لم يطهر ماء دونه.

ولهذا قال (صلى الله عليه وسلم). «جعلت لي الأرض مسجدا وترابها طهورا».

وذلك أن أهل الكتاب ما أبيحت لهم الصلاة إلا ببيعهم، وكنائسهم وأباح الله لهذه الأمة الصلاة حيث كانوا. ولم يكن أبيح لأمة التيمم بالتراب بدلا من الوضوء بالماء. والغسل. فأبيح لهذه الأمة التيمم عند إعواز الماء. فبقوة نور ولاية نبوته (صلى الله عليه وسلم). تقدست الأرض فصارت مسجدا وانقلب التراب في الحكم ماء.

ـ وقوله: وأرسلت إلى الخلق كافة هذا أيضا مما يتعلق بقوة ولاية النبوة [2] والرسالة. وإن مثلهم كمثل الدجاجة توضع تحتها البيضة بقدر قوتها في التصرف فيها، وعلى حسب اشتمال جناحيها عليها. وألا تفسد البيضة إذا كانت خارجة من تحت جناحيها. فأرسل كل نبي إلى قوم خاص. وبعث (صلى الله عليه وسلم) إلى

---

(١) في (ز) : (المغانم).

(٢) (وذلك أن كل نبي أرسل إلى قوم بحسب قوة ولايتهم في النبوة) ما بين القوسين سقط من (ت).

الأحمر والأسود من أهل الشرق والغرب لأن الجناحية[1] طولا وعرضا تبلغ المشرق والمغرب، فبعث إلى أهل المشرق والمغرب، والذى يدل على هذا قوله (صلى الله عليه وسلم):

«زويت لى الأرض فرأيت[2] مشارقها ومغاربها [3]، وسيبلغ ملك أمتى ما زوى لى منها.»[4].

ولولا أنه (صلى الله عليه وسلم) خوطب وأمر بقوله تعالى:

﴿ **واخفض جناحك للمؤمنين**﴾ [5].

وإلا أى مؤمن كان قادرا على أن يطير إلى تحت جناحيه، وهما محيطان بالدنيا والآخرة. وهو يطير بهما إلى الرفيق الأعلى.. ولما كان (صلى الله عليه وسلم) ثمرة شجرة المكونات، وأرسله الله بالهدى ودين الحق. وهى خروجه عن أغصان قاب قوسين بالثمرة ليظهره على الدين كله أى على أديان الأنبياء ظهور غلبة واستيلاء، ونسخ. ختم به النبيون لأنهم بمثابة الأزهار، والأنوار على شجرة المكونات وهو الثمرة. فبعد خروج الثمرة عن الشجرة لا يخرج شيء آخر منها. فيكون خروج الثمرة ختما على الشجرة.

فلهذا قال (صلى الله عليه وسلم) :

ـ «وختم بى النبيون» وقوله «أعطيت الشفاعة».

إشارة إلى أنه كان بذر شجرة الموجودات. والبذر هو المستفيض من فيض النفس النامية. لاستخراج أركان الشجرة. من بذرية نفسه. فإذا أنعمت النظر وجدت البذر

---

(١) فى (ت) : (بجناحيه).

(٢) فى (ز) : (فأريت).

(٣) فى (ز) : (المغاربها).

(٤) حديث : زويت لى الأرض فأريت مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك أمتى ما زوى لى منها، ينظر فى فهرس الأحاديث النبوية نهاية الكتاب.

(٥) آية رقم ٨٨ من سورة (الحجر) مكية.

شافعا مشفعا عند النفس النامية. بطريق الاستفاضة منها لاستخراج أركان الشجرة. شريفها وخسيسها. كما قال (صلى الله عليه وسلم):

«الناس يحتاجون إلى شفاعتى حتى إبراهيم»[1].

ولهذا قال:

«أنا سيد ولد آدم ولا فخر» [2]. وقال:

«آدم ومن دونه تحت لوائى يوم القيامة ولا فخر»[3].

لأن لواءه خصوصية ثمريته ولا ريب. إن الشجرة بما فيها تحت لواء الثمرة. وليس للثمرة بهذا فخر، ولكن للشجرة فخرا وافتخارا بأن يكون تحت لواء الثمرة لأنها مفتقرة إليها. وكل مفتقر إلى شىء مفتخر به، فلما لم يكن النبى (صلى الله عليه وسلم). مفتقرا إلا إلى الله تعالى وشجرة الموجودات كانت مفتقرة إليه، لأنه كان بذرها فى البداية وثمرتها فى النهاية. فكان لكل نبى بقدر افتقاره إليه. افتخار به. وهو مفتقر إلى الله تعالى بكليته ومفتخر به وكان يقول:

«الفقر فخرى»[4].

لأنه بالفقر عن وجوده توسل إلى الغنى به[5] كقوله تعالى

﴿ ووجدك عائلا فأغنى﴾ [6]..

أى وجدك عائلا عن الوجود فأغناك بالوجود.

والله أعلم.[7]

---

(١) حديث : (الناس يحتاجون إلى شفاعتى حتى إبراهيم) ينظر فى فهرس الأحاديث نهاية الكتاب.

(٢) حديث : أنا سيد ولد آدم . سبقت الإشارة إليه.

(٣) حديث آدم ومن دونه تحت لوائى... سبقت الإشارة إليه.

(٤) حديث (الفقر فخرى) ينظر فى فهرس الأحاديث نهاية الكتاب.

(٥) فى (ز) : (العناية).

(٦) فى (ز) : (فأغنا).

والآية رقم ٨ من سورة (الضحى) مكية.

(٧) فى (ز) : (والله أعلم وأحكم).

وفى (ط) : (والله أعلم بالصواب).

الباب الرابع

فــــى

« مقام الولاية »

وهو يشتمل على ستة فصول[1].

الفصل الأولى: فى مراتب مقامات الولى.

والفصول الخمسة[2] : فى مقامات هى دعائم مقامات الولاية وهى:

التقوى، والزهد فى الدنيا، والصبر على البلوى، والرضا بالقضاء، ومحبة المولى.

وسنذكر شرح كل مقام من هذه المقامات فى فصله إن شاء الله تعالى[3].

---

(١) هذا السطر فقط فى (ط) والباقى غير موجود.

(٢) فى (ز) : الخمس.

(٣) فى (ز) : (بعونه).

الفصل الأول
فـــى
مراتب مقامات الولى

قال الله تعالى: ﴿ وهو يتولى الصالحين﴾ [1].

وقال: ﴿ الله ولى الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور﴾ [2].

وقال: ﴿ ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾ [3].

وقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) حكاية عن جبريل قال:

«يقول الله، عز وجل، من أهان لى وليا فقد بارزنى بالمحاربة وإنى لأغضب لأوليائى، كما يغضب الليث لجروة[4]، وما تقرّب[5] إلىّ عبدى المؤمن بمثل أداء ما افترضت عليه، وما زال عبدى المؤمن يتقرب إلىّ بالنوافل حتى أحبه. فإذا أحببته (كنت سمعا، وبصرا، ولسانا، ويداً، ومؤيدا)[6]. إن دعانى أجبته، وإن سألنى أعطيته.

(١) فى (ط)، (ز) : (والله يتولى الصالحين). وما أثبتته النسخة (ت) أصح لأنه نص آية قرآنية وهى الآية رقم ١٩٦ من سورة الأعراف مكية ونصها ﴿ إن ولىّ الله الذى نزّل الكتابَ وهو يتولى الصالحين﴾.

(٢) آية رقم ٢٥٧ من سورة (البقرة) مدنية.

(٣) آية رقم ٦٢ من سورة (يونس) مكية.

(٤) فى (ط) : (الجرد).

(٥) فى (ت) : (ولا تقرب).

(٦) ما بين القوسين مكرر فى (ز) .

وما ترددت في شيء أنا فاعله ترددي في قبض روح عبدي المؤمن. يكره الموت وأكره مساءته [1]، ولا بد له منه.»[2] الحديث بتمامه.

اعلم أن مراتب مقامات الولي ثلاثة:

بداية، ووسط، ونهاية.

فأهل البداية: هم المؤمنون الصالحون، وهم ضد الكفار الفجار فلما سمى أهل الكفر بالعدوّ. سمى أهل الإيمان والصلاح بالولي.

كما قال: ﴿ وهو يتولى الصالحين﴾.[3]

لأن المؤمن يتولى الله بالعبادة، والطاعة فيتولاه بالهداية، وتوفيق الطاعة، وهم الذين يتقربون إلى الله تارة بأداء ما افترض الله عليهم، وأخرى لا يزالون يتقربون إليه بالنوافل حتى يحبهم.

ـ فإذا أحبهم الله، وبلغوا مقام المحبة فهم أهل الوسط في الولاية. ولكنهم غير واقفين على ولايتهم، ولهذا اختلفوا في أن الولي هل يجوز أن يعلم أنه ولي أم لا.

فكثير من المشايخ لا يجوزون ذلك.

وقال: إن الولي يلاحظ نفسه بعين الصغار[4]، وإن ظهر عليه شيء من الكرامات[5] خاف أن يكون مكرا، وهو مستشعر الخوف. دائما يخاف سقوطه عما هو فيه، وأن تكون عاقبته بخلاف حالته. وهؤلاء يجعلون من شرط الولاية وفاء المآل.

---

(١) في (ز) : (ما به).

(٢) الحديث : (من أهان لي وليا فقد بارزني بالمحاربة، وإني لأغضب لأوليائي كما يغضب الليث لجروه، ينظر في فهرس الأحاديث النبوية نهاية الكتاب.

(٣) في (ز) : (والله يتولى الصالحين).
وقد سبقت الإشارة إلى تعديل هذه الآية كما في النص القرآني.

(٤) في (ز) : (الصغارة).

(٥) في (ز) : (الكرامت).

وقد جوز جماعة منهم أن يعلم الولى أنه ولى. وليس من شرط تحقيق الولاية فى الحال الوفاء فى المآل. ثم إن كان ذلك من شرطه أيضا فيجوز أن يكون هذا الولى مخصوصا بكرامة هى تعريف الحق إياه أنه مأمون العاقبة.

إذ القول بكرامة الأولياء واجب، وهو وإن فارقه خوف العاقبة فما هو عليه من الهيبة والتعظيم والإجلال فى الحال. أتم وأشد. فإن اليسير من التعظيم والهيبة أهدى للقلوب من كثير من الخوف. على أنه لا يأمن مكر الله تعالى بحال من الأحوال.

ولما قال النبى (صلى الله عليه وسلم):

عشرة فى الجنة من أصحابى»[1].

فالعشرة لا محالة صدقوا الرسول (صلى الله عليه وسلم) وعرفوا سلامة عاقبتهم ـ ثم لم يقدح ذلك فى حالهم. ولأن شرط صحة المعرفة بالنبوة. الوقوف على حد المعجزة. ويدخل فى جملته العلم بحقيقة الكرامات. فإذا رأى الكرامات ظاهرة عليه لا يمكنه أن لا يميز بينها وبين غيرها. فإذا رأى شيئا من ذلك علم أنها فى الحال على الحق. ثم يجوز أن يعلم أنه فى المآل يبقى على هذه الحالة فيكون هذا [2] التعريف إياه كرامة له ثم اعلم أنه ليس من شرط الولاية الكرامات [3] الظاهرة فقد يمكن أن يكون للمؤمن الصادق كرامة ظاهرة، وأنه لم يبلغ حد الولاية بعد. فإن ظهور الكرامات أكثرها فى مقام الروحانية عند غلبات صفات الروح، وصفاء القلب، وتزكية النفس، ورياضته البدن: بقلة الطعام، وقلة النوم، وكثرة الذكر، والمراقبة، والعزلة. إذ لم تنفتح[4] عليه أبواب شواهد الحق ليخرجه من ظلمات الخلقة

(١) فى (ت): (عشرة من أصحابى).

والحديث: (عشرة فى الجنة من أصحابى)، ينظر فى فهرس الأحاديث النبوية نهاية الكتاب.

(٢) فى (ز): (هذه).

(٣) فى (ز): (الكرامة).

(٤) فى (ز): (ولم يفتح).

الروحانية، إلى نورالقدم الربانية. بترشح آثار صدق معاملاته من باطنه ظاهره كماء[1] في آنية لم يجد منفذا يخرج منه فيترشح منها فهذا النوع من الكرامة مما يظهر على غير الولي.

لأن من شرط الولي أن يخرجه الله من ظلمات الخلقة إلى نور القدم. كما قال تعالى:

﴿ الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور﴾ [2].

وهذه هي الكرامة الحقيقية. التي لا يشاركه فيها أحد من المخلوقات سوى الأنبياء.

فإن نهاية مقام الأولياء بداية مقام الأنبياء. والكرامة التي هي مشتركة بينه وبين المخلوقات هي الكرامة الظاهرة. مثل المشي على الماء. فإنه مشترك بين الحيتان والصفادع. والمشي على الهواء مشترك بين الطيور. والمشي في النار مشترك بين السمندر، والمشي من المشرق إلى المغرب مشترك بين إبليس.. والعروج إلى السماء مشترك بين الملائكة. والتكلم على الخواطر مشترك بين الرهابين والكهنة. فاعتبر الفرق بين هذه الكرامات، وكرامات لم يشترك فيها ملك مقرب. فبداية هذا المقام أعني الخروج من ظلمات الخلقة إلى نور القدم مقام أهل الوسط. من أهل الولاية. وهو بعد في تلون السير[3] والتجلي متردد بين القبض والبسط إلى أن يستولي سلطان الذكر. على ولاية الوجود. ويتعرى عن كسوة الحرف والصوت. ويتجوهر القلب بنور الذكر، ويصير قابلا لتجلي صفات الجمال والجلال. فيتجلى الرب له بجميع صفات الكمال. وأشرقت أرض الوجود بنور ربها فانسلخت عن جلد الأنانية بسطوة الأنوار الربانية، وانتزعت مادة الخوف والرجاء، وانقطع عنه القبض والبسط تحقيقا لقوله تعالى: **﴿ ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولاهم يحزنون﴾** [4]. فهذا

---

(١) في (ط)، (ت) ، (ز) : (كمائع).

(٢) الآية رقم ٢٥٧ من سورة (البقرة) مدنية.

(٣) في (ز) : (الستر).

(٤) سبقت الإشارة إلى هذه الآية.

مقام الولى من أهل النهاية فى الولاية؛ الذين أخرجهم الله من ظلمات حدوث الخلقة الروحانية بإفنائهم عن وجودهم إلى نور تجلى صفات القدم لهم ليبقيهم به وهذه كرامة حقيقية قد كرم الله بها بنى آدم وخصهم بها فى تحقيق قوله:

﴿ **ولقد كرمنا بنى آدم**﴾ (١).

فمن كان مكرما بأدنى شىء من هذه الكرامات خير له من جميع كرامات ظاهرة، أظهرها الله تعالى على أهل الكرامات وأصحابها. فإنه ممن آمن بالله إيمانا عيانيا، ولا بيانيا وكفر بالطاغوت الخلقية، فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها. وهذا المقام يلى(٢) النبوة. وهذا الولى الذى قد تولى الله أمره، وهو الذى يصلح أن يتولى أمر عباده، ويدعوهم إليه بالحكمة والمواعظة الحسنة.

كما قال (صلى الله عليه وسلم):

«علماء أمتى كأنبياء بنى إسرائيل»(٣).

وقال تعالى:

﴿ **وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا**﴾ (٤).

فإن من أهل الولاية من يصلح لتولية أمر العباد، ومنهم من يتولى أمر نفسه فحسب.

كما قال تعالى: ﴿ **عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم**﴾ (٥). وحكم الولاية كحكم السباحة. فمن أهل السياحة من ينجى نفسه من البحر وغيره

---

(١) آية رقم ٧٠ من سورة (الإسراء) مكية.

(٢) غير واضحة. أو تبدو فى بعض النسخ على أنها : (تلو).

(٣) حديث : علماء أمتى كأنبياء بنى إسرائيل، ينظر فى فهرس الأحاديث النبوية نهاية الكتاب.

(٤) آية رقم ٢٤ من سورة (السجدة) مكية.

(٥) آية رقم ١٠٥ من سورة (المائدة) مدنية.

بقوة السباحة. ومنهم من ينجي نفسه ولا يقدر على إنجاء غيره بالسباحة. ومن لا يقدر على نفسه لجهله بعلم السباحة. فليأخذ بيد غيره لينجيه بالجهل. فجهله مركب. يهلك نفسه ونفس غيره. كأكثر مدعى أهل زماننا هذا فضلوا وأضلوا كثيراً.

عصمنا الله من غرور أنفسنا وشرورها برحمته وهو أرحم الراحمين. وأكرم الأكرمين.

ورزقنا كمال التقوى الذى نال به الكرامة من كان من أهل الكرامة. بقوله تعالى:

﴿ إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾ (١).

فإنه **﴿ هو أهل التقوى وأهل المغفرة﴾** (٢).

وسنذكر بعد هذا فصلا فى شرح التقوى

إن شاء الله تعالى(٣).

---

(١) آية رقم ١٣ من سورة (الحجرات) مدنية.

(٢) آية رقم ٥٦ من سورة (المدثر) مكية .

(٣) هذا السطر سقط فى (ز).

الفصل الثانى

فــى

« مقام التقوى »

قال الله تعالى: ﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون﴾ [1].

وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال:

«جاء رجل إلى رسول الله (صلى الله عليه وسلم).

فقال: يا نبى الله أوصنى.

فقال: عليك بتقوى الله فإنها[2] جماع كل خير، وعليك بالجهاد فإنه رهبانية المسلم، وعليك بذكر الله تعالى فإنه نور لك..»[3].

اعلم أن لمقام[4] التقوى ثلاث مراتب:

* مرتبة العوام فى التقوى: وهى التحرز عن المخالفات بتعرض الموافقات، والتجنب عن الشبهات بتوقى المتورعات والتطهر عن السيئات بماء الحسنات.

---

(١) آية رقم ١٠٢ من سورة (آل عمران) مدنية.

(٢) فى سائر النسخ: (فإنه).

(٣) حديث : فقال يا رسول الله أوصنى: عليك بتقوى الله فإنها جماع كل خير... ينظر فى فهرس الأحاديث النبوية نهاية الكتاب.

(٤) فى (ط)، (ز) : (مقام).

* ومرتبة الخواص في التقوى: المجانبة عن الشهوات بملازمة الرياضات، والتحفظ عن الفترات بمراقبة الخطرات والاحتراز عن الوقفات بترقب المشاهدات.

* ومرتبة أخص الخواص في التقوى: الإعراض عن وفق هواه ببذل الروح لما يهواه[1]. والخروج عن حظوظ دنياه، وعقباه برعاية حقوق مولاه، والاتقاء بالله عما سواه، فحينئذ يكون هو الذى اتقى الله حق تقواه.

فمن شرط الولي أن تكون التقوى شعاره، والتفويض دثاره، والإخلاص عياره[2].

فإن قال قائل: إن من شرط الولي أن يكون متقيا محفوظا عن الذنوب. فإن جرى عليه شيء [3] من المخالفات. هل يقدح في تقواه، أو يخل بالولاية[؟].

قلنا: إن كان الولي في مقام التلوين. فتارة يترضع من ثدى المواهب. وتارة من ثدى المكاسب. فلا شك أن الرضاع يغير الطباع. فإن لم يكن محفوظا عن الإصرار ومتدركا بالاعتذار، والاستغفار يكون على خطر الإضرار بل يكون بصدد[4] أن يكور الليل[5] على النهار. ونعوذ بالله من الحور بعد الكور. وإن كان في مقام التمكين. وقد يتولى الله أمره. فلله الحكمة [6] البالغة. فيما يجرى على أوليائه. وأحبائه من الزلات وبعض الآفات. ابتلاءً واختباراً [7]. فالمعتقد من كمال رأفته أن يكون من قبيل البلاء الحسن.

---

(١) في سائر النسخ (لمن).

(٢) في (ز) : (عبارة).

(٣) في (ت) : (شيئا).

(٤) في (ط) : (في صدد)، وفي (ز) : (بضدو).

(٥) في (ط)، (ز) : (ليله).

(٦) في (ز) : (الحجة).

(٧) في (ز) : (واجتهاراً).

كما قال:

﴿ وليُبْلِىَ (١) المؤمنين منه بلاءً حسنا﴾.

كما كان فى حق آدم عليه السلام. كانت زلته موجبة للاجتباء والاهتداء.

روى عن النبى (صلى الله عليه وسلم) أنه قال:

«إذا أحب الله عبدا لم يضره ذنب»(٢).

يشير به إلى أن المحب لا يحب محبوبه. فالذنب إذا لم يكن محبوب محبوبه، فيكون المحب نادما على صدور شيء منه غير محبوب محبوبه. والندم توبة. «والتائب من الذنب كمن لا ذنب له». فإذاً لايضره ذنب.

وقد قال الله تعالى:

﴿ وقالت اليهود والنصارى نحن أبناءُ الله وأحباؤه قل فلم يعذبكم بذنوبكم﴾ (٣).

يشير إلى أن الله لا يعذب أحباءه بذنوبهم. فإنه يوفقهم للتوبة. أو لما يكفرها من الطاعات والحسنات.

وفيه إشارة أخرى، وهى: أن الذنوب لا تسقطهم عن مقام المحبة وقد قيل «للجنيد»(٤): «العارف يزنى يا أبا القاسم [؟].

فأطرق ثلاثا ثم رفع رأسه قال:

---

(١) فى (ز) : (وليبتلى) وهو خطأ. لأن النص القرآنى كما أثبته وهو [وليبلى]. وهو آية رقم ١٧ من سورة (الأنفال) مدنية.

(٢) حديث : إذا أحب الله عبداً لم يضره ذنب، يراجع فى فهرس الأحاديث نهاية الكتاب.

(٣) آية رقم ١٨ من سورة (المائدة) مدنية.

(٤) الجنيد: سبقت الإشارة إليه.

ـ «وكان أمر الله قدراً مقدوراً، وإن الماء مهما كان عينا أو نهرا يمكن تغيره. فإذا كان بحرا والبحر طهور ماؤه وحل ميتته».

ثم اعلم أن من أوصاف الولى: التعظيم لأمر الله، والشفقة على خلق الله فى جميع أحواله.

والزهد أحد دعائم ولايته كالتقوى. وسنذكر فصلا[١] فى شرح مقام الزهد. إن شاء الله تعالى[٢].

---

(١) سقطت من (ز).

(١٧) سقطت من (ط).

الفصل الثالث
فــى
مقام الزهد

قال الله تعالى:

﴿ من كان يريد حرث الآخرة نزد له فى حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وما له فى الآخرة من نصيب﴾ [1].

وقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم):

«حب الدنيا رأس كل خطيئة»[2].

قال عليه السلام[3].

اعلم أن الزهد فى الدنيا رأس كل طاعة كما أن حبها رأس كل خطيئة».

---

(١) الآية رقم ٢٠ من سورة (الشورى) مكية.

(٢) هذا الحديث قال عنه الصغانى إنه موضوع انظر ص ٣٥ الحديث رقم ٣٥ وفى الهامش قال مخرجه:

رواه البيهقى فى الشعب بإسناد حسن إلى (الحسن البصرى) رفعه مرسلا. ورواه أبو نعيم من قول «عيسى» عليه السلام فى ترجمة سفيان الثورى وعند ابن أبى الدنيا من قول«مالك بن دينار». وقد صرح ابن تيمية بوضعه حيث جزم بأنه من قول «جندب البجلى» وتعقب ابن حجر على من قال بوضعه لأن مراسيل الحسن أثنى عليها أبو زرعة، وابن المدينى فلا دليل على وضعه. انظر هامش الموضوعات (للصغانى) ص ٣٥ وتكملتها.

(٣) فى (ط)، (ز): (ساقطة). وهى فعلاً كذلك، لأنه واضح من السياق أن هذه الفقرة شرح للحديث السابق على لسان أحد الصالحين، وربما على لسان المؤلف.

قال (صلى الله عليه وسلم):

«يا طالب الدنيا لتبر فتركها أبرّ، وأبرّ»[1].

وقال سهل[2]:

«أعمال البر كلها فى موازين الزهاد. وثواب زهدهم زيادة لهم».

وقيل: «من سمى باسم الزهد فى الدنيا فقد سمى بألف اسم محمود ومن سمى باسم الرغبة فى الدنيا فقد سمى بألف اسم مذموم.

وكان «الفضيل بن عياض[3] يقول: جعل الله الشر كله فى بيت وجعل مفتاحه حب الدنيا، وجعل الخير كله فى بيت وجعل مفتاحه الزهد».

وقال «سهل بن عبد الله»[4].

«للعقل ألف اسم، ولكل اسم منه ألف اسم. وأول كل اسم منه ترك الدنيا».

وقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم):

«إذا رأيتم الرجل قد أوتى زهدا فى الدنيا، ومنطقا فاقتربوا منه فإنه يلقى الحكمة»[5].

---

(١) حديث : يا طالب الدنيا لتبر فتركها أبر وأبر، ينظر فى فهرس الأحاديث النبوية نهاية الكتاب.

(٢) هو سهل بن عبد الله التسترى: هو أحد أئمة المتصوفة ومن أكابر علمائهم المتكلمين فى علوم الإخلاص والتوحيد. شاهد ذا النون المصرى ومن كلامه (الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا وإذا انتبهوا ندموا وإذا ندموا لم تنفعهم الندامة) مات رضى الله عنه ٢٨٣هـ.
انظر (الطبقات الكبرى للشعرانى ص ٦٦ جـ١).

(٣) (الفضيل بن عياض): قيل إنه خرسانى أو ولد بسمرقند ونشأ بأبيورد ومات بمكة فى المحرم سنة ١٨٧هـ. وكان سبب توبته أنه عشق جارية فبينما هو يرتقى الجدران إليها سمع تاليا يتلو **﴿ألم يأن للذى آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله﴾** فقال: يا رب قد آن. وظل مجاوراً الحرم حتى مات [انظر الرسالة القشيرية ص ٩].

(٤) سبقت الإشارة إليه.

(٥) حديث: إذا رأيتم الرجل قد أوتى زهداً فى الدنيا .. ينظر فى فهرس الأحاديث النبوية نهاية الكتاب.

وقيل :

«إذا زهد العبد فى الدنيا وَكّل الله به ملكا يغرس الحكمة فى قلبه» .

وذلك أن[1] الحكمة مودعة فى القلب من جملة ما خمر الله تعالى فى طينة آدم بيده ونفخ روحه فيه من أنواع العلوم فى سرّ ﴿ **وعلم آدم الأسماء كلها**﴾ [2].

على مثال كنز فى الأرض، فلا يظهر الكنز إلا بكشف التراب عنه. وتراب كنوز العلوم كلها حب الدنيا. ولا يخرج حب الدنيا من القلوب إلاّ باستعمال الذكر الدائم، وبتجريد الظاهر. وتفريد الباطن عن التعلقات الدنياوية، وإخلاص العمل لله.

كما قال (صلى الله عليه وسلم) :

«من أخلص لله أربعين صباحا، ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه»[3].

ثم اعلم أن للزهد ثلاث مراتب:

* زهد المبتدئ: وهو ترك الفضول من الحلال.
* وزهد المتوسط: هو ترك ما لا يعنيه. وهذا المعنى الذى يتولد منه.
* زهد المنتهى: وهو ترك ما يشغل العبد عن الله تعالى.

---

(١) فى (ز) : (أو).

(٢) آية رقم ٣١ من سورة (البقرة) مدنية.

(٣) حديث: أخرجه أبو نعيم فى الحلية. من حديث أبى أيوب الأنصارى مرفوعاً به وسنده ضعيف فيه حجاج مجروح، ويزيد بن يزيد الواسطى: كثير الخطأ ومحمد بن إسماعيل: مجهول. ومكحول تابعى لم يصح سماعه من أبى أيوب.
وقد حكم ابن الجوزى بوضعه، وتعقبه السيوطى فى «اللآلئ المصنوعة» ١٧٦/٢ قال الألبانى فى «سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة» ٥١/١ ـ رواه الحسين المروزى فى «زوائد الزهد» (٢٠٤/١ من الكواكب ٥٧٥). وابن أبى شيبة فى المصنف. ثم قال الألبانى: «ثم وجدت له طريقا آخر رواه القضاعى ٣٠/١ عن عامر بن سيار».
(انظر ص ٥٧، ٥٨ من موضوعات الصغانى).

(وهذا هو الزهد الحقيقى حتى تزهد فى نفسك. فإنها الشاغلة عن الله المشغولة بهواها)[1] وإنك مهما زهدت فيها حق الزهادة، تخلصت عن حجب الكونين لأن الحجب بتعلق نفسك بهواها فى الكونين. ولا تبلغ نهاية الزهد فى نفسك إلا بالصبر على قطع تعلقاتها عما سوى الله.

وكذلك بالصبر تظفر بكل مقام وحال. كما قال تعالى:

﴿ وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا﴾ [2]. وسنذكر فصلا فى الصبر إن شاء الله تعالى.

والله أعلم.

---

(١) ما بين القوسين سقط من (ت).

(٢) آية رقم ٢٤ من سورة (السجدة) مكية.

الفصل الرابع
فـــى
مقام الصبر

قال الله تعالى:

﴿ يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون﴾ [1].

وقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم):

«الإيمان نصفان: نصف صبر، ونصف شكر»[2].

اعلم أن الآية والحديث. يشيران[3] إلى أن الصبر من صفات الله، عز وجل، وليس من صفات الإنسان وطبعه. لأن الله تعالى لما أمر الإنسان بالصبر والمصابرة نسبه إلى الإيمان فقال **﴿ يا أيها الذين آمنوا اصبروا ﴾** أى بقوة الإيمان اصبروا لأن الصبر نصف الإيمان. والذى يؤكد هذا المعنى أنه تعالى لما أمر النبى (صلى الله عليه وسلم) مع جلالة قدره بالصبر نفى الصبر عنه، وأحاله إلى[4] نفسه، وقال:

﴿ واصبر وما صبرك إلا بالله﴾ [5].

---

(١) آية رقم ٢٠٠ من سورة (آل عمران) مدنية.

(٢) حديث : الإيمان نصفان...، ينظر فى فهرس الأحاديث النبوية نهاية الكتاب.

(٣) فى (ز) : (يشير).

(٤) فى (ت) : (وأحال على).

(٥) آية رقم ١٢٧ من سورة (النحل) مكية.

ولما سئل النبى (صلى الله عليه وسلم):

«أى الإيمان أفضل

قال: الصبر والسماحة»[1].

جعل الصبر من الإيمان، والإيمان الحقيقى نور الله، وصفته وقد سمى الله تعالى نفسه بالصبور.

وقال النبى (صلى الله عليه وسلم):

« ليس أحد أصبر على الأذى من الله»[2] فجعل الصبر من صفته تعالى، والذى يدل أيضا على أن الصبر ليس من صفة الإنسان قوله تعالى: ﴿ **خُلق الإنسان من عجل**﴾ [3]. فإن قيل إن الله وصف الإنسان فى مواضع من القرآن بالصبر كقوله:

﴿ **إن يكن منكم عشرون صابرون** ﴾ [4].

وكقوله ﴿ **وجزاهم بما صبروا جنة** ﴾ [5] وغير ذلك من الآيات قلنا : ما وصف الإنسان المطلق بالصبر. وإنما وصف الإنسان المقيد بالإيمان. كقوله:

﴿ **إن يكن منكم**﴾ يعنى من المؤمنين. لا منهم وهم كافرون، لأن المؤمنين حزب الله. وحزب الله هم الغالبون وكذلك قوله: ﴿ **وجزاهم بما صبروا** ﴾. أى صبروا على الإيمان والطاعة وصبروا عن الكفر والمعصية بقوة الإيمان.

فإن الله بالنصر[6] والتأييد مع الصابرين من المؤمنين. وأن نصيب الإنسان من الصبر

(١) حديث : أى الإيمان أفضل قال الصبر والسماحة، ينظر فى فهرس الأحاديث النبوية نهاية الكتاب.

(٢) حديث : ليس أحد أصبر على الأذى من الله، ينظر فى فهرس الأحاديث النبوية نهاية الكتاب.

(٣) آية رقم ٣٧ من سورة (الأنبياء) مكية.

(٤) آية رقم ٦٥ من سورة (الأنفال) مدنية.

(٥) آية رقم ١٢ من سورة (الإنسان) مدنية.

(٦) فى (ز) : (بالصبر).

والتصبر[1] بالتكلف ليصبره الله تعالى صبرا حقيقيا كقوله (صلى الله عليه وسلم) من يصبر يصبره[2] الله فحينئذ يكون متخلقا بخلق[3] الله بحسب قوته فى الصبر.

فإن للصبر ثلاث مراتب:

صبر المبتدى: وهو متصبر تحت حمل الأوامر والنواهى.

وصبر المتوسط : وهو صابر تحت الأحكام الأزلية [4] فى الشدة والرخاء من البلاء والابتلاء.

وصبر المنتهى: وهو صبار مع الله بالله.

فالمتصبر : صبره فى الله، ولا يخلو من الجزع.

والصابر: صبره بالله فلا يجزع، ولكن لا يخلو من بعض الشكوى.

والصبار: صبره مع الله، بلا جزع ولا شكوى. بل صبره مقرون بالرضا ولو ببذل الروح فى مواطن اللقاء.

قال الله تعالى:

﴿ **والصابرين فى البأساء والضراء وحين البأس**﴾ [5]. أى عند لقاء العدو، ببذل[6] الروح راضين به. وأن العبد إذا وفق للتخلق[7] فى الصبر بخلق الله، وجاوز

---

(١) فى (ز) : (من البصر والصبر).

(٢) فى (ز) : (من تصبر صبره).

(٣) فى (ز) : (مختلفا يخلق).

(٤) فى (ز) : (أحكام الأزلى).

(٥) آية رقم ١٧٧ من سورة (البقرة) مدنية.

(٦) فى (ز)، (ت) : (وببذل).

(٧) فى (ط) : (بالتخلق).

صبره حد صبر الإنسانية تؤول مرارة صبره إلى ضدها من الحلاوة، ثم تبدل المرارة بالحلاوة ويكون على قدر تخلقه بأخلاق الحق.

قيل : أوحى الله تعالى إلى داود، عليه السلام:

«تخلق بأخلاقى، ومن أخلاقى أنى أنا الصبور» .

وقيل: الصبر دون المصابرة، والمصابرة دون المرابطة.

وقيل : اصبروا بنفوسكم على طاعة الله، وصابروا بقلوبكم على البلاء [١] فى الله. ورابطوا بأسراركم على الشوق إلى الله تعالى[٢] .

(وقيل: اصبروا فى الله، وصابروا بالله، ورابطوا مع الله)[٣] .

قلت [٤] :

- اصبروا على مجاهدة النفوس بنهيها عن هواها [٥]، وأمرها بطاعة سيدها ومولاها.

- وصابروا على مراقبة القلوب مع الله بالتسليم والرضا [٦] فى الله لأحكامه الأزلية عند نزول البلاء، والابتلاء.

- ورابطوا بمرابطة [٧] الأرواح إلى الوصول بالله. بالانقطاع عما سواه.

---

(١) فى (ت)، (ط) : (البلوى).

(٢) ساقطة من (ز)، (ط).

(٣) ما بين القوسين سقط من (ط).

(٤) فى (ز) : (قال الإمام الربانى المصنف، رضى الله عنه) وفى (ط) : (قال الشيخ المص - يقصد المصنف - رحمة الله عليه).

(٥) فى (ز) : (مخالفة هذه النفوس بنهيها على هواها).

(٦) فى (ط) : (الرضاء) وهو تحريف. ومعظم لفظ الرضا يأتى هكذا.

(٧) فى (ز) : (مرابط).

ـ واتقوا الله بمحافظة الأسرار عن الالتفات إلى الأغيار لعلكم تفلحون عن حجب الوجود بالفناء[1] فى الله، وتفوزون بالبقاء بالله.

فاعلم : أن الفلاح الحقيقى موقوف على هذه الخصال الأربع[2].

والله ولى التوفيق.

وقيل : وقف رجلَ على الشبلى[3] فقال: أى الصبر أشد على الصابرين [؟]

فقال : الصبر فى الله .

فقال: لا .

فقال : الصبر لله.

فقال : لا.

فقال : الصبر مع الله.

فقال : لا.

فغضب الشبلى.

فقال : ويحك فإيش[4].

---

(١) فى (ط) : (فى الفناء).

(٢) فى (ز)، (ط) : (الأربعة).

(٣) الشبلى: (أبو بكر بن جحدر الشبلى) قيل: مكتوب على قبره، (جعفر بن يونس) خرسانى الأصل بغدادى المولد والمنشأ. تاب فى مجلس «خير النساج». كان يقول: ليس للمريد فترة، ولا للعارف علاقة، ولا للمحب شكوى، ولا للصادق دعوى، ولا للخائف قرار، ولا للخلق من الله فرار. كان إذا أعجبه صوف أو قلنسوة أو عمامة لفها وأدخلها النار فيحرقها وهو يقول: كل شىء مالت إليه النفس دون الله وجب إتلافه. فقيل له لم لا تتصدق بها. فقال: صورته باقية فربما تبعته النفس. (انظر الطبقات الكبرى للشعرانى ص ٨٩ جـ١).

(٤) فى (ط) : (بإيشٍ). وهو خطأ. والمقصود ـ طبعا ـ فماذا؟ وهى لفظ عامى أرى أنه [فأى شىء] فإذا غمت الحروف لتخرج (فإيش).

فقال: الصبر عن الله.

فصرخ الشبلى صرخة كادت تتلف روحه [١].

وعندى.[٢] أن لمعنى الصبر عن الله [٣] ثلاثة [٤] أوجه.

أحدها [٥]: صبر أهل الأهواء، والبدع، والمستغرقين فى بحر الغفلات والشهوات الراغبين فى النزعات [٦] الحيوانية النفسانية، الصابرين [٧] عن الله، وطلبه بالجهالة والضلالة.

وثانيها: صبر صاحب تلوين فى مقام المشاهدة تارة يكون فى ضوء نهار التجلى. وتارة يكون فى ظلمة ليل ستر الستر[٨].

ففى حالة الستر لا بد له من الصبر عن الله فهو أشد صبراً [٩] على الصابرين.

وثالثها: صبر صاحب تمكين. هو فان فى الله، باق [١٠] به، مستغرق [١١] فى بحر الوحدة، غائب[١٢] عن وجوده بالكلية بحيث لا إحساس له عن نفسه، ولا عن

---

(١) فى (ز) : (كاد أن يتلف روحه).

(٢) العندية هنا للمؤلف.

(٣) (عن الله) : من (ز).

(٤) فى (ت)، (ط) : (ثلاث).

(٥) فى (ز) : (أحدهما).

(٦) فى (ط) : (تمتعات)، وفى (ز) : (التمتعات).

(٧) فى (ز) : (الصابرون).

(٨) فى (ت) : (فى ظلمة الليل ستر الستر).

وفى (ط) : (فى ظلمة ليل الستر).

(٩) فى (ط) : (أشد صبرٍ) هكذا مشكلة!

(١٠) فى (ز) : (فانى ... باقى)

(١١) فى (ز) : (يستغرق).

(١٢) فى (ز) : (غائبا).

غيره. متحير، تائه [1] بين الأنانية والهوية. فإن جذبته [2] الطبيعة إلى الأنانية (جذبته بطشه الربوبية إلى الهوية. وإن جذبته سطوة العناية إلى الهوية جذبته الطبيعة إلى الأنانية) [3]. فهو منجذب عن كلا الوصفين مذبذب. لا من الأنانية، ولا من الهوية فإن طلبته في الأنانية وجدته في الهوية. وإن طلبته في الهوية وجدته في الأنانية. وقد دندن حول هذا من قال:

أنا من أهوى ومن أهوى أنا * نحن روحان حللنا بدنا[4]

فإذا أبصرتنا أبصرته * وإذا أبصرته أبصرتنا

ثم إن من فتح[5] البصيرة ليشاهد نفسه تبعده الغيرة عن الهوية. ولو فتح البصيرة لرؤية الهوية يستدعى رؤية الهوية وجود الرائى. وهو اثنينية. فلنفى الاثنينية يلزمه [6] الصبر عن الله.

ورؤيته وهو أشد صبرا [7] على الصابرين. وهذا مقام الحيرة التى كانت [8] كماليته مخصوصة بالنبى (صلى الله عليه وسلم) حين يقول: «ربى زدنى تحيراً»[9]ومن اختصاصه (صلى الله عليه وسلم) بهذا المقام. خصه الله تعالى

---

(١) فى (ز)، (ط) : (متحيراً، تائها).

(٢) فى (ز)، (ط) : (جذبة).

(٣) ما بين القوسين سقط من (ط).

(٤) بيتا الشعر مشهور أنهما للحلاج وفى بعض الأقوال لأبى يزيد.

(٥) فى (ز)، (ط) : (إن فتح).

(٦) فى (ط) : (يلزم).

(٧) فى (ز) : (صبر).

(٨) فى (ز) : (كان).

(٩) فى (ت) : (حيرة).

والحديث : ربى زدنى تحيراً، ينظر فى فهرس الأحاديث النبوية نهاية الكتاب.

بقولـه: ﴿ **فاعلم أنه لا إله إلاّ الله واستغفر لذنبك** ﴾ [1].

يعني لما أفنيتك عن أنانيتك، وأبقيتك بهويتي. فلم يبق لك ولغيرك وجود في نظرك إلاّ وجودي. فعلمتَ أنه لا إله إلاّ أنا، ولا وجود إلاّ وجودي.

كما قال «الجنيد» [2].

«ما في الوجود سوى الله».

استغفر لذنبك. أي لذنب علمك لأن العلم يستدعي العالم والمعلوم، والعلم. ثلاثة، فذنب علمك أنه أثبت لك وجودا، ووجودك ذنب لا يقاس به ذنب.

ثم اعلم أن لكل عمل من مكتسب [3] الإنسان، وصفته جزاء متناهيا كمكسب [4] الإنسان وصفته. ولكل عمل من مواهب الله والتخلق بخلقه جزء غير متناه.

فالصبر لما كان من مواهب الله، والتخلق بخلقه كان له جزاء غير متناه كما قال تعالى:

﴿ **إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب** ﴾ [5].

ولهذا كان جزاء الصبر أحسن الجزاء لقوله تعالى:

﴿ **ولنجزين الذين صبروا أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون** ﴾ [6]

---

(١) الآية رقم ١٩ من سورة (محمد) مدنية.

(٢) سبقت الإشارة إليه.

(٣) في (ط)، (ز) : (مكسب).

(٤) في (ز) : (ككسب).

(٥) الآية رقم ١٠ من سورة (الزمر) مكية.

(٦) الآية رقم ٩٦ من سورة (النحل) مكية.

وكمال الصبر فى الرضا بالصبر على ما يكره طلبا لرضى مولاه كما أنشد «ابن عطاء» لنفسه(١):

سأصبر كي ترضى وأتلف حسرة * وحسبى أن ترضى ويتلفنى صبرى

وسأخبر عن مقام الرضا إن شاء الله تعالى.

---

(١) ابن عطاء : هو: [أبو العباس أحمد بن محمد بن سهل ابن عطاء الآدمى] رضى الله عنه، من كبار مشايخ الصوفية وعلمائهم المشهود لهم بعظم الشأن وكان أبو سعيد الخرّاز يجله كثيراً. وكان ابن عطاء الآدمى يقول: كل ما سئلت عنه فاطلبه فى مفازة العلم، فإن لم تجده ففى ميدان الحكمة، فإن لم تجده فزنه بالتوحيد، فإن لم تجده فاضرب به وجه الشيطان. مات، رحمه الله، سنة (٣٠٩هـ) ومن أهم آثاره تفسير دقيق للقرآن الكريم وجد ضمن كتاب [لأبى عبدالرحمن السلمى) وقد نشر هذا التفسير ضمن سلسلة بحوث ودراسات معهد الآداب الشرقية بباريس. تحقيق (بولس نويا اليسوعى) عضو المركز الوطنى للأبحاث العلمية فى باريس. تحت عنوان [نصوص صوفية غير منشورة] ومعه آداب العبادات لشقيق البلخى ـ ونصوص للنفرى] ـ لم تنشر من قبل.

الفصل الخامس

فــى

« مقام الرضا »

قال الله تعالى:

﴿ رضى الله عنهم ورضوا عنه﴾ [1].

وقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم)[2].

«يقول الله لأهل الجنة: يا أهل الجنة.

فيقولون : لبيك ربنا، وسعديك، والخير فى يديك.

---

(1) هذا الجزء من الآية يوجد فى أربعة مواضع فى القرآن الكريم والمواضع فى آيات مختلفة نصها:

١ ـ ﴿ رضى الله عنهم ورضوا عنه ذلك الفوز العظيم﴾ الآية رقم ١١٩ من سورة (المائدة) مدنية.

٢ ـ ﴿ والذين اتبعوهم بإحسان رضى الله عنهم ورضوا عنه﴾ الآية رقم ١٠٠ من سورة (التوبة) مدنية.

٣ ـ﴿ رضى الله عنهم ورضوا عنه أولئك حزب الله﴾ الآية رقم ٢٢ من سورة (المجادلة) مدنية.

٤ ـ ﴿ رضى الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشى ربه﴾ الآية رقم (٨) من سورة (البينة) مدنية.

(2) حديث : يقول الله لأهل الجنة ... ينظر فى فهرس الأحاديث النبوية نهاية الكتاب.

فيقول : هل رضيتم [؟].

فيقولون : ربنا ما لنا لا نرضى، وقد أعطيتنا ما لم تعطه أحدا من خلقك.

فيقول : أفلا أعطيكم أفضل من ذلك؟.

قال : فيقولون : ربنا، فأى شيء أفضل من ذلك؟.

فيقول : أحل عليكم رضوانى فلا أسخط عليكم بعده أبدا».

اعلم أن الله تعالى جعل الرضا قسمين:

رضا الله عن العبد، ورضا العبد عن الله.

وقدم رضا نفسه تعالى على رضا العبد فقال:

﴿ **رضى الله عنهم ورضوا عنه**﴾.

وذلك لأنه تعالى كلما كان من أعمال البدن قدم فيه العبد.

كقوله تعالى: ﴿ **فاذكرونى أذكركم**﴾ (١). وكل ما كان من أعمال القلب قدم فيه نفسه تعالى. كقوله: ﴿ **يحبهم ويحبونه**﴾ (٢).

ثم إن الرضا لما كان من أعمال القلب. قدم فيه نفسه تعالى. ولهذا اختلف العراقيون (٣)، والخراسانيون فى الرضا.

---

(١) آية رقم ١٥٢ من سورة (البقرة) مدنية.
ونصها ﴿ **فاذكرونى أذكركم وأشكروا لى ولا تكفرون**﴾.

(٢) جزء من آية رقم ٥٤ من سورة (المائدة) ونصها:
﴿ **يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتى الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون فى سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم**﴾.

(٣) العراقيون: أهل العراق من كبار المتصوفة.
الخرسانيون : أهل خراسان من كبار المتصوفة.
والمقصود فى اختلافهم فى الرضا هل هو مقام أم حال من الأحوال ؟.

هل هو من الأحوال. أو من المقامات [؟].

فأهل خراسان. قالوا: هو من جملة المقامات، وهو نهاية التوكل، ومعناه يؤول[1] إلى أنه مما يتوصل إليه العبد باكتسابه.

وأمّا العراقيون:

فإنهم قالوا: الرضا من جملة الأحوال، وليس ذلك كسبا بل هو نازلة بالقلب كسائر الأحوال.

قلت[2]: فإذا نظرنا إلى رضا الله عن العبد فهو من الأحوال وإذا نظرنا إلى رضا العبد عن الله فهو من المقامات وإن كان من نتائج رضا الله فى الأصل. ولكن للعبد فيه اكتساب بطريق المجاهدة، وكسر النفس، وتبديل أخلاقها حتى تبدل السخط بالرضا. والشك باليقين.

قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم):

«ذاق طعم الإيمان من رضى بالله ربا»[3].

وقال (صلى الله عليه وسلم):

«إن الله تعالى بحكمته جعل الروح والفَرَج فى الرضا، واليقين. وجعل الغل والحسد فى الشك والسخط»[4].

---

(١) فى (ط)، (ت): (تأول).

(٢) فى (ز): [قال الإمام الربانى، رضى الله عنه].

وفى (ط): [قال الشيخ المص رح]. يقصد المصنف رحمه الله.

(٣) حديث: ذاق طعم الإيمان من رضى بالله ربا، ينظر فى فهرس الأحاديث النبوية نهاية الكتاب.

(٤) حديث: إن الله تعالى جعل الروح والفرج فى الرضا واليقين وجعل الغل والحسد فى الشك والسخط، ينظر فى فهرس الأحاديث النبوية نهاية الكتاب.

فقد صرح أن الرضا هو مكتسب للعبد.

وقال الجنيد[1] :

«الرضا هو صحة العلم الواصل إلى القلوب. فإذا باشر القلب حقق العلم أداءه إلى الرضا»[2].

وليس الرضا والمحبة كالخوف والرجاء فإنهما حالان لا يفارقان العبد فى الدنيا والآخرة.

وقد جاء فى حديث ربّانى :

«من لم يرض بقضائى، ويصبر[3] على بلائى. فليطلب ربا سواى»[4].

فلو لم يكن الرضا من المكاسب لم يعاقب العبد بتركه.

ولما أمَر النبى (صلى الله عليه وسلم) بإتيانه بقوله:

«ارض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس»[5].

وقد أورد الأستاذ «أبو القاسم القشيرى»[6] فى رسالته فقال[7] :

---

(١) سبقت الإشارة إليه.

(٢) فى (ط) : [فإذا باشر القلب حقيقة العلم أداه إلى الرضا].

(٣) فى (ط) : ولم يصبر.

(٤) حديث : من لم يرض بقضائى ... ينظر فى فهرس الأحاديث النبوية نهاية الكتاب.

(٥) حديث : ارض بما قسم الله لك ... ينظر فى فهرس الأحاديث النبوية نهاية الكتاب.

(٦) (أبو القاسم القشيرى) : هو : (عبد الكريم بن هوازن بن عبد المطلب بن طلحة أبو القاسم القشيرى صاحب الرسالة القشيرية فى التصوف وهى من أهم كتبه أذاعت صيته فى الآفاق فضلا عن أن له من الكتب ما يفوقها مثل تفسيره [لطائف الإشارات] وهو تفسير صوفى كامل للقرآن الكريم. وكذلك بعض الرسائل والكتب الأخرى التى لم يكن لها حظ الانتشار مثل الكتابين السابقين. تقول المصادر عنه : توفى أبوه وهو طفل صغير فقرأ الأدب والشعر. وصحب الشيخ أبا على الدقاق فترك فيه أثرا كبيرا بعد اقترابه من علومهم. ولد سنة ٣٧٦هـ وتوفى بنيسابور سنة ٤٦٥هـ عن سبعين عاما. ودفن إلى جانب شيخه أبى على الدقاق). انظر البداية والنهاية المجلد ٦ جـ ١٢ ص ١٠٧ طبعة دار الفكر العربى بدون تاريخ.

(٧) سقطت من (ز).

«اعلم أن الواجب على العبد أن يرضى بالقضاء الذى أُمر بالرضا به. إذ ليس كل ما هو[1] بقضائه يجوز للعبد الرضا به كالمعاصى وفنون محن المسلمين»[2].

قلت[3]: بلى يجوز للعبد أن يرضى بالمعاصى والمحن. قولاً، أو فعلا[4]. ولكن يجب عليه الرضا [5] بقضاء الله فيما قضى من الخير والشر. كما يجب عليه الإيمان بما قدر الله من الخير والشر.

كما قال (صلى الله عليه وسلم)[6]:

«وأن تؤمن بالقدر خيره وشره»[7].

ولا يجوز له مباشرة الشر[8]. وأن الله تعالى لم يقض بشىء من الخير والشر عبثا. بل قضى بما قضى لحكمة بالغة. وله الرضا فيما قضى وقد رضيا بما له فيه الرضا.

وقد قال المشايخ:

الرضا باب الله الأعظم.

قيل: يعنى من أكرم بالرضا فقد لقى بالترحيب الأوفى وأكرم بالتقريب الأعلى.

وقال الأستاذ «أبو القاسم»[9]:

---

(١) فى (ت): (كما هو).

(٢) انظر الرسالة ص ٩٧. الطبعة الثانية ١٩٥٩ مصطفى البابى الحلبى.

(٣) فى (ز) (قال الإمام الربانى المصنف، رضى الله عنه).

(٤) فى (ت): (وقوعاً وفعلا).

(٥) فى (ز) تكتب (الرضى) وفى (ط) كل ألفاظ (الرضا) تكتب (الرضاء) إلا قليلا منها.

(٦) فى (ز): (عليه السلام).

(٧) حديث: (وأن تؤمن بالقدر خيره وشره) ينظر فى فهرس الأحاديث النبوية نهاية الكتاب.

(٨) سقطت من (ط) وكتبت بين الأسطر بلون حبر وخط مختلف.

(٩) سبقت الإشارة إليه. وانظر ص ٩٧ من الرسالة الطبعة الثانية.

إن العبد لايكاد يرضى عن الحق إلا بعد أن يرضى عنه الحق. لأن الله تعالى[1] قال: ﴿ **رضى الله عنهم ورضوا عنه**﴾ [2].

قلت[3]:

رضى الله عنهم فى الأزل. بلاهم [4] بأن يرضوا عنه إلى الأبد برضاه، فرضوا..

وقيل: قال «موسى» عليه السلام:

«إلهى دلنى على عمل إذا عملته رضيت عنى.

فقال: إنك لا تطيق ذلك.

فخر موسى ساجدا متضرعا، فأوحى الله تعالى إليه.

يا بن عمران إن رضائى فى رضائك لقضائى.

وقال «النصرا باذى»[5]:

«من أراد أن يبلغ محل الرضا فليلزم ما جعل الله رضاه فيه»[6].

وقال «السرّى»[7].

«خمس من أخلاق المقربين: الرضا عن الله فيما تحب النفس وتكره، والحب له بالتحبب من الله، والحياء من الله، والأنس به. والوحشة مما سواه».

---

(١) سقطت من (ز) .

(٢) آية رقم ٨ من سورة (البينة) مدنية وهذا الجزء متكرر فى آيات أخرى.

(٣) فى (ز) : (قال المصنف، رضى الله عنه)، وفى (ط) : [قال الشيخ المص رض].

(٤) فى (ت) : (بلاءهم).

(٥) النصراباذى : سبقت الإشارة إليه.

(٦) فى (ز) : (ما جله).

(٧) فى (ت) : (السدى).

وقال «ابن شمعون» [1]:

«الرضا بالحق، والرضا له، والرضا عنه، والرضا به مريدا [2] ومختارا. والرضا عنه قائما [3] ومعطيا. والرضا له. إلهاً» [4].

وعن «ذى النون المصرى»[5]، قال:

ثلاثة من أعلام الرضا:

ـ ترك الاختيار قبل القضاء.

ـ وفقدان المرارة بعد القضاء.

ـ وهيجان الحب فى حشو البلاء.

قلت[6]: ما بلغ أحد حقيقة الرضا إلاّ بالصبر على البلاء، والشكر عند النعماء، والتوكل على رب السماء، واستحلاء مر القضاء، وسلطان المحبة فى السراء والضراء. فإن كل أفعال المحبوب محبوبة.

وسنذكر طرفا من مقام المحبة.

إن شاء الله تعالى[7].

---

(١) (ابن شمعون).
(٢) فى (ط) : (مدبراً).
(٣) فى (ط) : (قاسما).
(٤) فى (ز) ، (ط) : (إلها وربا).
(٥) (ذو النون المصرى) واسمه (ثوبان بن إبراهيم) كان أبوه نوبيا توفى سنة ٢٤٥ هـ كان نحيفا تعلوه حمرة. ولما توفى حمل فى قارب مخافة أن ينقطع الجسر من كثرة الناس مع جنازته. من كلامه : «إياك أن تكون للمعرفة مدعيا أو للزهد محترفا، وفر من كل شىء إلى ربك» وكان يقول أيضا: كل مدع محجوب بدعواه عن شهود الحق..
(انظر الطبقات الكبرى للشعرانى). المكتبة التوفيقية القاهرة.
(٦) فى (ز) : (قال المصنف رضى الله عنه)
وفى (ط) : (قال الشيخ المصنف رحمه)
(٧) فى (ز) : (والله أعلم بالصواب).
وفى (ط) : (والله ولى التوفيق).

الفصل السادس

فــى

مقام المحبة

قال الله تعالى:

﴿ قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله﴾ [1].

وقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فى حديث ربانى:

«ولا يزال العبد يتقرب إلىّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت له سمعا، وبصرا، ولسانا، ويدا. فبى يسمع، وبى يبصر، وبى ينطق، وبى يبطش.»[2] الحديث.

اعلم أن المحبة محبتان:

محبة العبد لله، ومحبة الله للعبد.

ـ فمحبة العبد لله مودعة فى الإيمان. ومحبة الله للعبد مودعة فى متابعة المحبوب (صلى الله عليه وسلم).

وقال : **﴿ قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله﴾** [3].

---

(١) آية رقم ٣١ من سورة (آل عمران) مدنية.

(٢) الحديث : سبقت الإشارة إليه.

(٣) سبقت الإشارة إلى الآية.

والسرّ فيه أن المؤمن من يكون أشد حبا لله عما سواه. وازدياد المحبة بحسب ازدياد الإيمان. فالمحب على قدر محبته يتبع النبى (صلى الله عليه وسلم) . وعلى قدر اتباع المحب يحبه الله تعالى. فللاتباع ثلاث[1] درجات . ولمحبة المحب ثلاث درجات. ولمحبة الله للمحب المتابع على حسب اتباعه. ثلاث درجات.

فأما درجات الاتباع:

ـ فالأولى : درجة عوام المؤمنين. وهى متابعة أعماله (صلى الله عليه وسلم) .

ـ والثانية : درجة الخواص، وهى متابعة أخلاقه (صلى الله عليه وسلم) .

ـ والثالثة : درجة أخص الخواص، وهى متابعة أحواله (صلى الله عليه وسلم) .

وأمّا درجات محبة المحب:

ـ فالأولى : محبة العوام، وهى مطالعة المنة من رؤية إحسان المحسن، وبرّه، وأياديه، ونعمه المتقدمة التى ابتدأنا بها من غير عمل استحققناها به، وستره معايينا بكرمه. فإنه جبلت[2] القلوب على محبة من أحسن إليها، وهذا حب يتغير بتغير الإحسان. فإن زاد الإحسان (زاد الحب. وإن نقص الإحسان نقص الحب)[3]. وهو من باب الأفعال لمتابعى الأعمال. وهم يطمعون أجرا على ما يتحملون من تباريح[4] الحب.

قال أبو الطيب[5]:

وما أنا بالباغى على الحب رشوة * ضعيف هوى يرجى عليه ثواب

---

(١) ساقطة من (ط).

(٢) فى (ط) : (معانينا بكره فإنه جبلة).

(٣) ما بين القوسين سقط من (ط) .

(٤) فى (ز) : (نتائج).

(٥) هو الشاعر : المتنبى. قاله ضمن قصيدة طويلة.

ـ والثانية : محبة الخواص.

وهى محبة تنشأ من مطالعة شواهد الكمال عند تجلى صفات الجمال. وهذه محبة المقربين. يحبونه تعظيما [1]وإجلالا له لاطلاعهم على كمال جماله، وعظمة صفة كماله. وهذا حب التعظيم والإجلال لوجهه. تعالى وتقدس. فذلك هو الباقى إلى أبد الآباد لبقاء الصفات إلى السرمد، ويزيد بازدياد المعرفة.

قالت رابعة [2] :

أحبك حبين : حبَّ الهوى * وحباً لأنك أهل لذاكا

وهذه المحبة تبعث على إيثار الحق تعالى على غيره لما يتجلى له من معانى صفاته فى مدارج آياته. وهى لمتبعى أخلاقه (صلى الله عليه وسلم) فيظهر [3] هذا المحب فى هذه الدرجة إلى طرح ذكر غير الله عن قلبه متقلبا بين النظر إلى جماله مرة، وإلى جلاله أخرى. لهجاً لسانه بذكره. موقوفة أعضاؤه على تعبده إجلالا وتعظيما [4].

كما قالوا:

سأعبد الله لا أرجو مثوبته * لكن تعبد إجلال وإعظام[5]

---

(١) فى (ز)، (ط) : (إعظاما).

(٢) (رابعة العدوية) : قيل إنها توفيت سنة ١٣٥هـ واختلفت التواريخ فى سنة وفاتها، وحاولت بعض المصادر أن تجعل منها أسطورة. فأحيانا تلتقى بالحسن البصرى وأحيانا تلتقى بذى النون المصرى وأحيانا أخرى بالسرى السقطى خال الجنيد. وبين كل منهم مسافة زمنية. وهذا التناقض واضح فى كتاب واحد مثل (النجوم الزاهرة لابن تغرى بدرى جـ١) فقد ذكرها فيمن توفى سنة ١٣٥هـ وسنة ١٨٠هـ. وانظر الطبقات الكبرى للشعرانى ص ٥٦ جـ١ ثم انظر الكتاب الجيد الذى ألفه الدكتور عبد الرحمن بدوى عن رابعة بعنوان [شهيدة العشق الإلهى رابعة العدوية].

(٣) فى (ز) : (فيضطر).

(٤) فى (ز)، (ط) : (إعظاما).

(٥) فى (ز)، (ط) (تعبد إعظام وإجلال).

ـ والثالثة : محبة أخص الخواص.

وهى الغاية[1] القصوى للعبد. ولا غاية لها. وهى محبة خاطفة تقطع العبارة، وتدقق الإشارة، ولا تنتهى بالنعوت وهذه بخلاف المحبتين الأوليين[2]. إذ ليست هى منشأة من رؤية النعم والإحسان التى هى من باب الأفعال. ولا من رؤية الصفات من الجمال والجلال بل جذبة من جذبات الحق المنتشاة من المحبة القديمة فى سر «كنت كنزا مخفيا فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق لأعرف»[3]. وأهل هذه المحبة هم المستعدون لكمال المعرفة بسبق العناية.

كما قال تعالى:

﴿ إن الذين سبقت لهم منا الحسنى...﴾ [4].

وقد أنعم الله عليهم بمحبته لهم فى الأزل بلا علة. بل بالحسنى منهم فى حقهم. وقال مخبرا عن محبته الأزلية لهم ﴿ **يحبهم ويحبونه**﴾ إشارة منه إلى ما أحبوه حتى أحبهم هو أولا. فمحبتهم له أيضا، نعمة منه بالتوفيق لهم لمحبته. وذلك أن محبته لهم كانت فى الأزل من غير علة [5]. فلما استخرجهم من ظهر آدم تجلت محبته على قلوبهم. فجذبتها إليه، وأفنتهم عن أنفسهم فدخلوا الدنيا على تلك الصفة.

قال بعضهم :

غذينا بالمحبة يوم قالت * له الدنيا أتينا طائعينا

(١) فى (ز) (غايت) وكذا فى (ط).

(٢) فى (ز) : (الأولين).

(٣) سبقت الإشارة إليه أول الكتاب.

(٤) آية رقم ١٠١ من سورة (الأنبياء) مكية.

(٥) فى (ز) : (من غير علمهم).

وحقيقة المحبة أن يفنى المحب بسطواتها [1]، وتبقى المحبة منه بلا هو. كما أن النار تفنى الحطب بسطوتها، وتبقى النار منه بلا هو. فإن المحبة نار لا تبقى ولا تذر.

وأمّا درجات محبة الله للعبد:

فاعلم أن كل صفة من صفات الله سبحانه وتعالى من العلم والقدرة والإرادة، وغيرها. وإن اتفقت فى أسماء صفات خلقه. فلا تشبه حقيقتها حقيقة أوصاف الخلق ألبته، حتى الوجود الذى يعم الخالق والمخلوق جميعا. وذلك أن وجود الخلق مسبوق بالعدم، ووجود الخالق واجب لنفسه، ووجود كل ما سواه مستفاد منه. ومن دقق النظر علم أن ليس فى الكون إلاّ الله، وأفعاله منه. فكأنه ليس فى الوجود شىء ثابت إلاّ هو وحده.

قرأ القارئ بين يدى الشيخ «أبى سعيد بن أبى الخير»[2] قوله تعالى:

﴿ **يحبهم ويحبونه**﴾ فقال :

ـ بحق يحبهم لأنه لا يحب إلا نفسه على معنى أنه ليس فى الكون إلا هو، وما سواه فهو من صنعته. والصانع إذا مدح صنعه فقد مدح نفسه. فإذا لا تتجاوز المحبة نفسه. لأن نفسه قائمة بنفسها، وما سواه قائم به. فهو لا يحب إلا نفسه.

---

(١) فى (ط) : (بسطوتها).

(٢) (أبو سعيد بن أبى الخير). يقول عنه صاحب كتاب (كشف المحجوب) : إنه شاهنشاه المحبين أى: ملك ملوك الصوفية. زينة أهل الحق، وكل معاصريه كانوا يرجعون إليه فى كمال مشاهداتهم وشدة حالهم.
تلقى علومه فى ميهنة فقرأ القرآن وتعلم النحو والصرف ثم انتقل إلى مدنية لدراسة الفقه وبعدها توجه إلى مدينة سرخس لدراسة علوم الدين. ثم كانت نقطة التحول فى حياته عندما التقى بالشيخ أبى الفضل إذ اعتنق بعدها الصوفية وبلغ فى طريقها ما بلغ. توفى سنة ٤٤٠هـ وقد جمع حفيده (محمد بن المنور) كتاباً عن أحواله ومقاماته وسماه أسرار التوحيد فى مقامات الشيخ أبى سعيد وطبع بمصر بترجمة الدكتورة إسعاد قنديل (انظره وخاصة المقدمة). ثم انظر (كشف المحجوب) للهجويرى ص ١٩٥ . طبعة دار التراث العربى.

فإذا عرفت هذا فاعلم. أن محبة الله للخلق عائدة إليه بالحقيقة إلا أنه لما كان ممرها على الخلق فبحسب تعلقها بالعام والخاص والأخص. أثبتت لكل صنف منهم سعادة يحظى بها عند مرورها عليه إلى أن ينتهى إلى محلها الذى صدرت منه. فتكون المحبة، والمحب، والمحبوب واحد. فصدرت المحبة عن محل «كنت كنزا مخفيا فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق لأعرف»[1].

فما تعلقت إلا بأهل المعرفة، وهم المخصوصون بالإنعام. كما قال تعالى: ﴿**فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين**﴾ [2] الآية. فتعلقت بالعام من أهل المعرفة بالرحمة [3]. ومشربهم الأعمال. فقيل لهم ﴿ **فاتبعونى**﴾ بالأعمال الصالحة ﴿ **يحببكم الله**﴾ يخصكم بالرحمة ﴿ **ويغفر لكم ذنوبكم**﴾ [4] التى صدرت منكم على خلاف المتابعة ﴿ **والله غفور**﴾ لمن أطاعه ﴿ **رحيم**﴾ لمن[5] لا يعصيه.

* وتعلقت بالخاص من أهل المعرفة بالفضل ومشربهم الأخلاق. فقيل لهم بمكارم الأخلاق ﴿ **يحببكم الله**﴾ بالفضل يخصكم بتجلى صفات الجمال ﴿**ويغفر لكم ذنوبكم**﴾ بستر ظلمة صفاتكم بأنوار صفاته ﴿ **والله غفور رحيم** ﴾ منور بصفاته صفات أهل رحمته[6].

* وتعلقت بالأخص من أهل المعرفة. بجذبات الإلهية. ومشربهم الأحوال. فقيل لهم ﴿ **فاتبعونى**﴾ ببذل الوجود ﴿ **يحببكم الله**﴾ بجذبات المحبة الأزلية. يخصكم بتجلى صفات الجلال فيجذبكم عنكم به إليه. ﴿**ويغفر لكم ذنوبكم**﴾ ويستر بجوده ذنوب وجودكم، فيمحوكم عنكم. ويثبتكم به كمال قال تعالى: «فإذا أحببته كنت له سمعا، وبصرا، ولسانا، ويدا. فبى يسمع، وبى يبصر، وبى ينطق، وبى يبطش»[7].

---

(١) سبقت الإشارة إليه.
(٢) آية رقم ٦٩ من سورة (النساء) مدنية.
(٣) فى (ط) (بالمرحمة).
(٤) آية رقم ٣١ من سورة (آل عمران) مدنية.
(٥) فى (ط) : (بمن).
(٦) فى (ز) : (الرحمة).
(٧) الحديث : سبقت الإشارة إليه.

فيكون العبد فى هذا المقام مرآة صفات لطفه وقهره. فكما أن الرائى فى المرآة يشاهد صفاته بصفاته، وذاته بذاته. فيكون الرائى والرؤية والمرئى[1]. واحدا.

فكذلك يكون فى هذا المقام.

المحب، والمحبة، والمحبوب واحدا.

والعارف، والمعرفة، والمعروف واحدا.

فهو المحب العارف للمحبوب المعروف. أى الذى أحب أن يعرف فأحب نفسه بمحبته، وعرف نفسه بمعرفته ﴿ **والله غفور رحيم** ﴾ [2]. جعل مرآة وجود المحبين، والعارفين برحمته ممن توقفوا[3] خيال جمال صفاته، وتقربوا [4] إلى جلال ذاته فهم فى كل واد يهيمون، وكل بارقة [5] يشيمون. يدور رحى الحزن على دموعهم وتفور نار الشوق بين ضلوعهم قد فنوا عن أنفسهم ببقاء المحبوب، وفقدوا طلبهم بوجدان المطلوب فهم بين روض المحْو وغدير الإثبات أموات غير أحياء. أحياء غير أموات فطورا يرونه فيطربون عند الكشف والتجلى، وتارة يخشونه فيهربون عند الحجب والستر وكيف الطرب ولا مقرب وإلى أين الهرب، ولا مهرب. فإن قيل ما المحبة. [؟]

قلنا : بدايتها موافقة المحبوب وترك مخالفته.

تعصى الإله وأنت تظهر حبه * هذا محال فى القياس بديع
لو كنت تصدق حبه لأطعته * إن المحب لمن أحب مطيع
فى كل يوم يبتديك بنعمة * منه وأنت لشكر ذاك مضيع

---

(١) فى (ط) : (المرآى).

(٢) بقية الآية رقم ٣١ من سورة (آل عمران) مدنية.

(٣) فى (ز)، (ط) : (بمر قوافل).

(٤) فى (ز)، (ط) : (ومقرنوال).

(٥) فى (ز) : (بارق).

ووسطها، أن لا يؤثر على الله غير الله.

ونهايتها، نار الله الموقدة التى تطلع على الأفئدة. نار وقودها الناس والحجارة. نار لا تبقى ولا تذر. نار تحرق فى الدنيا قلوب العاشقين، وفى الآخرة جلود الفاسقين، نار **﴿ توقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيىء ولو لم تمسسه نار نور على نور يهدى الله لنوره من يشاء ويضرب الله الأمثال للناس والله بكل شىء عليم﴾** [1].

فإن قيل مَنِ المحب [؟]. وما علامته، وحاله [؟]

قلنا : من وصفهم الله فى بعض الروايات.

«إن الله يقول : كذب من ادعى محبتى وإذا جنَّهُ الليل نام عنى. أليس كل محب يحب خلوة حبيبه، ها أنذا [2] مطلع على أحبابى[3] إذا جنهم الليل جعلت أبصارهم[4] فى قلوبهم، ومثلت نفسى بين أعينهم فخاطبونى عن مشاهدة، وسألونى على حضورى[5] فلم يجمل بى إلا أن أروّح[6] أبدانهم يوم القيامة، والناس فى هم وكرب، وهم على كراسٍ من نور تحت عرشى».

وقال الحسن صاحب الفضيل بن عياض[7] :

«دخلت على الفضيل وهو يبكى. قلت : ما يبكيك [؟]

---

(١) ضمن المؤلف نصه أجزاء من آيات قرآنية من سور مختلفة. فاستند ومزج بعض الآيات ببعض فبدا نصا آخر غير القرآن.

(٢) فى (ز)، و(ط) : (أناذا).

(٣) فى (ز) : (أحباى)، وفى (ط) (أحبائى).

(٤) فى (ت) : (أيضا ربهم).

(٥) فى (ط) : (حضور).

(٦) فى (ت) : (فلم يحمل بى إلا أرواح).

(٧) (الحسن. والفضيل بن عياض) سبقت الإشارة إليهما.

قال : ويحك يا حسن، إنه إذا جن الليل، وهدأت العيون واختلط الظلام. افترش أهل المحبة لله [1] أقدامهم، وجرت دموعهم على خدودهم، وتسمع لدموعهم وقعا على أقدامهم، وقد أشرف الجليل سبحانه وتعالى عليهم فنادى : بعينى من تلذذ من كلامى واستراح إلىّ فإنى مطلع عليهم فى خلواتهم. أسمع أنينهم، وأرى بكاءهم[2]. قم فنادى [3] فيهم يا جبريل [4]. ما هذا البكاء الذى أسمعه منكم[؟]. هل أخبركم أحد أن حبيبا يعذب أحبابه [؟]. وهل يجمل بى أن أعذب أقواما، وعند الباب أحدهم يطلب مرضاتى [؟]. فبى حلفت. أنهم إذا وردوا علىّ يوم القيامة جعلت هديتى لهم أن أكشف لهم عن وجهى حتى ينظروا إلىّ وأنظر إليهم.» .

فإن قيل : من المحبوب، وما علامته[5] [؟]

قلنا : المحبوب من وقع فى شبكة الهاء والميم من قوله ﴿ **يحبهم** ﴾ قبل وجودهم[6]، وهو مأخوذ عنهم[7] بجود مشهوده. مجذوب بجذبات العناية الأزلية. لكفاية الأبدية. هم قوم فى العدم (أبلاهم بالمحبة مولاهم. فخرجوا إلى الوجود)[8]. بلاهم ثم ابتلاهم بالوجود. ثم ناداهم لما عمّت بلواهم وناجاهم. وعن حضيض الوجود رقاهم ثم فاجأهم، وبهويته عن أنانيتهم [9] أفناهم، ثم بنور جماله أحياهم. ثم بسطوات

---

(١) فى (ز) : (أهل محبة الله).

(٢) فى (ز)، (ط) : (بكائهم).

(٣) فى (ز)، (ط) : (فلم لا).

(٤) (ز) : (يا جبرائيل).

(٥) فى (ز)، (ط) : (وما علامتهم).

(٦) فى (ز)، (ط) : (قبل وجوده).

(٧) فى (ز)، (ط) : (عـه).

(٨) ما بين القوسين سقط من (ز).

(٩) فى (ت) : (أنانيته).

تجلى جلاله أفناهم (ثم أرداهم)[1] ثم ببقائه أبقاهم، وبألطافه رباهم، وبجود وجوده أغناهم.

وأمّا علامتهم. فإنهم مخصوصون بعلوم المكاشفات متلذذون [2] بنعيم المشاهدات. قلوبهم مرآة شواهد الجمال، وأسرارهم مرماة عوايد الجلال، وأرواحهم في غيب الغيب سيّارة، وبجناحي الأنس والهيبة طيارة. تولى الله سياسة نفوسهم فانقطعت عن الشهوات، وانتبهت عن نومة الغفلات، وتسارعت في الخيرات والمبرات. هم رعاة الليل والنهار، وأصحاب الذكر والاعتبار، وأرباب المحن والاختبار، ممن أسعدهم الله بطاعته وحفظهم برعايته. يستقلون الكثير من أعمالهم، ويستكثرون [3] القليل من نعم الله عليهم. إن أنعم الله عليهم شكروا، وإن منعوا صبروا. فالحسرات في قلوبهم ترد. وخوف الفراق في صدورهم يتوقد[4]. أذاقهم الله طعم محبته ونعمهم بدوام العذوبة في مناجاته. أسرار الغيوب عندهم مكشوفة. وهممهم عما سوى الله مصروفة. حوائجهم من الله مأمولة، وأمورهم إلى الله موكولة.

كما قال الشاعر [5]:

وكلت إلى المحبوب أمرى كله * فإن شاء أحيانى وإن شاء أتلفا [6]

فإن قيل : هل إلى المحبة للاكتساب سبيل، وللسبيل إليها دليل [؟].

---

(١) ساقطة من (ت).

(٢) فى (ط) : (يتلذذون).

(٣) فى (ز) : (يستذكرون).

(٤) فى (ز) : (يتوسد).

(٥) فى (ز) : (كما قال بعضهم).

(٦) فى (ز) : (فإنشاء، وإنشاء أتلفانى).

قلنا : الآيات، والأخبـار تدل على السبيـل، والدليـل ظاهـر كمـا قال تعـالى ﴿ **قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله**﴾ [1].

فالسبيل إلى الاكتساب هو المتابعة، والدليل إلى المحبة وسبيلها محمد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) حكاية عن ربه تعالى:

«لا يزال العبد يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه»[2] الحديث.

ونحن مأمورون بالتقرب، وهو الكسب ولا بد [3] لنا من امتثال الأمر في الظاهر الذي يحكم الشرع به. والله يتولى السرائر. التي هي مبذرة بذر المحبة الأزلية. بدهقته يحبهم، ولا شك في وقوع هذا البذر أنه من المواهب الإلهية [4] الأزلية، ولا مدخل للاكتساب [5] فيه، ولكن من سنة كرم الله تعالى أن يجعل لتربية بذر المحبة مدخلا للعباد لسر الخلافة إلى أن تثمر بثمرة : إذا أحب الله عبدا نادى جبريل إني أحببت فلانا فأحبه. فيحبه جبريل. ثم ينادي جبريل في أهل السماء. إن الله قد أحب فلانا فأحبوه فيحبه أهل السماء ثم يضع له القبول في الأرض [6]. فإذا استوت هذه الثمرة، وبلغت مبلغها ذوقت المعية مع الله. في الدارين. كما قال (صلى الله عليه وسلم)[7]. «المرء مع من أحب»[8]. فإن قيل : هل يوصف الرب تعالى بالعشق أم لا. وهل يوصف العبد بعشق الحق تعالى أم لا [؟].

قلنا : إذا فسّر العشق بأنه مجاوزة الحد في المحبة، فالحق لا يوصف بأنه مجاوز

(١) آية رقم ٣١ من سورة (آل عمران) مدنية.
(٢) سبقت الإشارة إلى الحديث.
(٣) في (ز) : (فلا بد).
(٤) سقط من (ز).
(٥) في (ز) : (لاكتساب).
(٦) حديث : (إذا أحب الله عبدا نادى جبريل..، ينظر في فهرس الأحاديث النبوية نهاية الكتاب.
(٧) في (ز) (عليه السلام).
(٨) حديث : (المرء مع من أحب) ينظر في فهرس الأحاديث النبوية نهاية الكتاب.

الحد. فلا يوصف بالعشق. ولو جمع محاب الخلق كلهم لشخص واحد لم يبلغ ذلك استحقاق قدر محبة الحق. فلا يقال : إن عبدا جاوز الحد فى محبة الله، ولا يوصف الحق بأنه يعشق لهذا المعنى. وهذا قول المشايخ.

ولكن إذا فسرنا العشق بأنه مجاوزة حد العبد فى المحبة لله فهو حق.

(وكذلك لو فسّرناه بأنه مجاوزة حد العبد فى محبة الله له فهو حق)[1] أيضا فيوصف الرب تعالى بالعشق بهذا المعنى، ويوصف العبد به كما ذكرنا.

وقد ورد فى الأثر، أن النبى (صلى الله عليه وسلم) لما حُبب إليه الخلاء وكان يتحنث إلى حراء أسبوعا وأسبوعين. قالوا إن محمدا قد عشق ربه. وكذلك روى عن بعض الكتب المنزلة.

«لا يزال العبد يذكرنى حتى عشقنى وعشقته» [2].

وقول الشبلى[3] فى المحبة قريب مما قررنا. يقول :

«المحبة أن تغار على المحبوب أن يحبه مثلك. يعنى يغار على مجاوزة حدك فى المحبة حتى يحب مثلك محبوبا مثله فإن من حقك أن تحب من يكون مثلك. كذلك من حق جلال الله وعظمته أن تحب مثله فلما لم يكن له مثل وأحب عبدا فقد جاوز حد العبد فى محبته له.

والله أعلم .

---

(١) ما بين القوسين سقط من (ز).

(٢) لم أعثر عليه فيما بين يدى من المراجع.

(٣) الشبلى : سبقت الإشارة إليه.

الباب الخامس

فــــى

« مقام الإنسان »

وفيه ثلاثة فصول

الفصل الأول
فى
أن الإنسان هو العالم الكبير بالروح

وذلك لأن منشأ العالم بما فيه الروح الإنسانى كما بيّنا من روح النبى (صلى الله عليه وسلم). وأنه أول شيء تعلقت القدرة به بأمر «كن» ثم سرى[1] الأمر بإيجاد المكونات بعضها من بعض كما مرّ شرحه. فإذا أنعمنا[2] النظر وجدنا اتصال أجرام الموجودات بعضها ببعض والكل[3] واحد إذا أخذنا من مركز الأرض إلى أن ينتهى إلى السطح الأقصى من العرش، وأنه حيوان واحد، ذو[4] أجزاء مختلفة وهو حى بالروح الإنسانى. إذ منه بدى[5] وإليه يعود. فثبت أنه هو العالم الكبير.

وأمّا تقسيم أجزاء هذا الكل فإنه ينقسم إلى قسمين:

- إلى عالم الكون والفساد، وهو عالمنا السفلى.

- وإلى العالم الذى لا كون فيه ولا فساد وهو السماء والأفلاك بما فيها من الكواكب والعرش والكرسى.

---

(١) فى (ت) : (يسرى).

(٢) فى (ط) : (أمعنا).

(٣) فى (ت) : (قال كل).

(٤) فى (ت)، (ز) : (وأخذ أجزاء).

(٥) فى (ت)، (ز) : (بدا).

فأمّا اتصال أجرام الأفلاك التسعة [1] بعضها ببعض، وأفلاك الكواكب المتحيزة فيها وتركيبها، وهيئتها. وأنه لا فرجة هناك فهو مشروح فى كتب الهيئة [2]. مبرهن ببراهين لا يعترضها شك، ولا يمكن فيها قدح. وأما اتصال الأجرام التى فى عالمنا هذا. فهو مشاهد إلا ما اختلف فيه قوم من وجود الخلاء. أى البعد غير حامل. وهذا أيضا مشروح ظاهر فى كتاب «السماع الطبيعى»[3].

فأمّا اتصال الموجودات التى قلنا إن الحكمة سارية[4] فيها حتى أوجدتها. بالأمر وأظهرتها، وأظهرت التدبير[5] المتقن من قبل الواحد الحق فى جميعها. حتى اتصل آخر كل نوع بأول نوع آخر[6] فصار كالسلك الواحد الذى ينتظم خرزا كثيرة على تأليف صحيح. حتى جاء من الجميع عقد واحد. فهو الذى يزيد تبيينه، والدلالة عليه بمعونة الله عز وجل[7].

إن أول أثر ظهر فى عالمنا هذا من نحو المركز بعد امتزاج العناصر الأربعة[8] أثر حركة النفس فى النبات. وذلك أنه تميز [9]عن الجماد بالحركة، والاغتذاء. وللنبات فى قبول الأثر عرض كثير ومراتب مختلفة لا تحصى.

---

(١) فى (ت) : (فاتصال أجرام السبعة بعضها ببعض).
(٢) فى (ت) : (فهو مشروح إلهيّة).
(٣) كتاب (السماع الطبيعى). لابن سينا
انظر طبعة (الهيئة المصرية العامة للكتاب) ١٩٨٣ بتحقيق سعيد زايد وتصدير ومراجعة الدكتور إبراهيم مدكور. بمناسبة الذكرى الألفية للشيخ الرئيس (ابن سينا) وهو الفن الأول من الطبيعيات. وهو عبارة عن أربع مقالات الأولى فى الأسباب والمبادئ، والثانية فى الحركة، فى الأمور ما لها جهة كم، الرابعة فى عوارض هذه الأمور.
(٤) فى (ز) : (سائرة).
(٥) فى (ط) : (التدوين).
(٦) فى (ز) : (آخر نوع آخر) وفى (ط) : (آخر نوع بأول نوع آخر).
(٧) فى (ز) : (تعالى).
(٨) فى (ز) : (الأربع).
(٩) فى (ز)، (ط) : (يميز).

إلاّ أنا نقسّمه[1] إلى ثلاث مراتب :

وهى : الأولى، والوسطى، والأخرى.

ليكون الكلام عليه أظهر وإن كان لكل مرتبة من هذه المراتب عرض كثير، وبين المرتبة الأولى والوسطى مراتب كثيرة. وبين المرتبة الوسطى والأخرى مراتب كثيرة. إلا أنه بهذا التدبير يمكننا أن نشرح ما قصدنا إليه من إظهار هذا المعنى اللطيف فنقول: إن مرتبة النبات فى قبول هذا الأثر الشريف هو ما نجم [2] من الأرض ولم يحتج إلى بذر[3]، ولم يحفظ نوعه ببذر كأنواع الحشائش. وذلك أنه فى أفق الجماد. والفرق بينهما هو بهذا القدر اليسير من الحركة الضعيفة فى قبول أصر النفس. ولا يزال هذا الأثر يقوى فى نبات آخر يليه فى الشرف إلى أن يصير له من القوة فى الحركة إلى أن يتفرع، ويبسط، ويتشعب، ويحفظ نوعه بالبذر ويظهر فيه أثر الحركة أكثر مما ظهر فى الأول. ولا يزال هذا المعنى يزداد فى شىء بعد شىء، ظهورا إلى أن يصير إلى الشجر الذى له ساق، وورق، وثمر يحفظ نوعه [4]. وغواش يصونه بها بحسب حاجته إليها، وهذا هو الوسط من [5] المنازل. إلا أن هذه متصلة بما قبله، وهو فى أفقه. وهو ما كان من الشجر على الجبال وفى البرارى المنقطعة، وفى الحياض [6]، وجزائر البحار. لا يحتاج إلى غرس بل ينبت لذاته. وإن كان يحفـظ بالبذر وهو ثقيل الحركة، بطيىء النشـوء. ثـم يتـدرج من هذه المنزلة [7]، ويقوى هذا الأثر

---

(١١) فى (ز) : (نفسه) وفى (ط) : (نقسم).

(٢) فى (ت) : (لماء يحم).

(٣) فى (ز) : (إلا نذر).

(٤) فى (ط) : (نوع).

(٥) ساقطة من (ز).

(٦) فى جميع النسخ (العياض).

(٧) فى (ت) : (الحركة).

فيه[1] ويظهر شرفه على ما دونه حتى ينتهى إلى الأشجار الكريمة التى يحتاج إلى عناية من استطابة التربة[2]، واستعذاب الماء، والهواء. لاعتدال مزاجها. وإلى صيانة ثمرتها إلى أن يحفظ بها [3] نوعها. كالزيتون، والرمان، والسفرجل، والتفاح، والتين، والعنب. وأشباهها.[4] ويتدرج أيضا فى قبول هذا الأثر. وظهور الشرف إلى أن ينتهى إلى رتبة الكرم والنخل. فإذا انتهى إلى ذلك صار فى الأفق الأعلى من النبات. وصار بحيث إن زاد قبوله لهذا الأثر لم يبق له صورة النبات. وقَبِلَ حينئذ صورة الحيوان. وذلك أن النخل قد بلغ من شرفه على النبات إلى أن حصلت فيه نسبة قوية من الحيوان ومشابه كثيرة منه.

أولها: أن الذكر منه متميز من الأنثى، وأنه يحتاج إلى التلقيح ليتم حمله، وهو كالسفاد فى الحيوان. وله مع ذلك مبدأ آخر غير عروقه وأصله. أعنى الجماد الذى هو كالدماغ من الحيوان فإن عرضت له آفة تلف. وليس كذلك سائر الأشجار. لأن لتلك مبدأً واحداً وهو الأصل الثابت فى الأرض فما دام ذلك الأصل ثابتا على حاله. لم يتعرض له آفة فهو باقى الحياة، ونور النخل المسمى طلعا [5] وبه تلقح النخلة شبيه الرائحة ببذر[6] الحيوان. وقد أحصيت للنخل خصالا [7] أخر كثيرة ليشابه بها الحيوان ليس هذا موضع إحصائها وإلى هذا المعنى يتوجه قول النبى (صلى الله عليه وسلم):

---

(1) ساقطة من (ت).

(2) فى (ز) : (التربية).

(3) ساقطة من (ط).

(4) فى (ز) : (والأشباهها).

(5) فى (ز)، (ط) : (طلعها).

(6) فى (ت)، (ز) : (شبيه بذر).

(7) فى جميع النسخ : (خصال).

«أكرموا عمتكم النخلة، فإنها خلقت من بقية طينة آدم»[1].

فقد تبين ببلوغ النخلة الغاية الموضوع للنبات مبلغها. حتى صار فى أفق الحيوان. وهذه الرتبة الأخيرة من النبات، وإن كانت[2] غاية شرفه، فإنها أول أفق الحيوان، وهى ما دون مراتبه، وأخسّها. وذلك أن أول ما يرتقى النبات من منزلته الأخيرة ويتميز به. من مراتبه[3] الأول:

أن ينقلع[4] من الأرض، ولا يحتاج إلى إثبات العروق فيها بما يحصل له من التصرف بالحركة الاختيارية، وهذه الرتبة الأولى من الحيوانية ضعيفة لضعف أثر الحس فيها، وإنما يظهر فيها بجهة واحدة أعنى حسًا واحداً، وهو الحس العام الذى يقال له حس اللمس. وذلك كالصدف الذى يوجد فى شاطئ الأنهار، وأسياف البحار، وإنما تعرف حيوانيته [5]، ويعلم أنه ذو حس واحد من أجل أنه إن استلب من موضعه بسرعة وعلى عجلة وخفة فارق موضعه، واستجاب[6] للأخذ وإن أخذ بإبطاء، وعلى الترتيب لزم موضعه وتمسك. وذلك لأنه يحس بأن لامساً يريد أخذه، فيصعب [7] حينئذ جذبه وتناوله من مكانه لتشبثه به، وهو يضعف عن التنقل وإن كان قد يقلع من الأرض. وصارت له حياة ما لأنه فى الأفق القريب من النبات، وفيه مناسبة منه. ثم يرتقى عن هذه الرتبة إلى أن ينتقل، ويتحرك، ويقوى فيه قوة

---

(١) حديث: وفى (ز)، (ط) (طين آدم).

(أكرموا عمتكم النخلة) ينظر فى فهرس الأحاديث النبوية نهاية الكتاب.

(٢) فى (ز)، (ط) : (كان).

(٣) فى (ط) : (مراتب).

(٤) فى (ط) : (إن ينقطع).

(٥) فى (ز) : (جوانبه).

(٦) فى (ز) : (استجلب).

(٧) فى (ط) : (فيعقب).

الحس، ويظهر أثر النفس فينتقل ويلتمس منافعه ويصير له حسّان كالدودة، وكثير من الفراش والدبيب ثم يرتقى عن هذه الرتبة [١] أيضا، ويقوى أثر النفس فيه إلى أن يصير منه الحيوان الذى له أربع حواس كالخلد وما أشبهه، ثم يرتقى من ذلك إلى أن يصير له من حس البصر شيء يسير ضعيف كالنمل، والنحل، والحيوان الذى على عيونه شبه الخزف، وليست لها أجفان، ولا ما ينستر[٢] فى أحداقها، ثم يقوى ذلك إلى أن يصير منه الحيوان الكامل ذو الحواس الخمس. وهى مع ذلك متفاوتة المراتب فمنها الجافية الحواس البليدة، ومنها الذكية المطيعة [٣] التى تستجيب للتأديب [٤]، ويقبل الأمر والنهى. ويستعد لقبول أثر النطق، والتميز. كالفرس[٥] من البهائم. والبازى من الطيور. ثم يعزب من آخر مرتبة البهائم، ويصير فى أفقه [٦] الأعلى، وفى أول مرتبة الإنسان.

وهذه الرتبة، وإن كانت شريفة من مراتب الحيوانات وهى أعلاها وأفضلها فهى رتبة خسيسة من مرتبة [٧] الإنسان وهى مراتب القردة وأشباهها. من الحيوانات التى قاربت الإنسانية، وليس بينها [٨] إلا اليسير الذى إن تجاوزته صارت إنسانا. فإذا بلغه انتصبت قامته، وظهر فيه من قوة التميز الشيء اليسير الذى يناسب حالته، وقربه من أفق البهائم. ولكنه على حال يهتدى فضل اهتداء [٩] إلى المعارف، ويقوى فيه أثر النفس، ويقبل التأديب بالفهم والتميز. وهذا الأثر وإن كان شريفا بالإضافة إلى ما

(١) فى (ز) : (المرتبة).

(٢) فى (ت) : (ولا ما نيستر)، وفى (ز) : (يسترق).

(٣) فى (ت) : (الطبيعة) وكذلك فى (ط).

(٤) فى (ت)، (ط) : (تستحب التأديب)، وفى (ز) : (يستجيب التأديب).

(٥) فى (ز) : (كالفراش).

(٦) فى (ز) : (أفق).

(٧) فى (ز) : (رتبة).

(٨) فى (ز) : (بينها وبينها).

(٩) فى (ز) : (استدلا).

دونه من رتب البهائم فهو خسيس دنى جدا بالإضافة إلى الإنسان الكامل النطق، وهذه المرتبة الأدنى من مرتبة الإنسانية. هى فى أفق البهيمية، وهى فى أقصى المعمورة[1] من الأرض فى أطرفها من الشمال والجنوب كالترك والنرنج فإن هؤلاء ليس بينهم وبين الرتبة الأخيرة من البهائم التى ذكرناها كثيراً [2] وليس يهتدون بالتمييز إلى كثير شىء من المنافع، وليس يؤثر بينهم حكمة، ولا يقبلونها أيضا. من الأمم التى تجاورهم[3] فلذلك ساءت أحوالهم فقل[4] تنعيمهم، وحصلوا غير مغبوطين ولا مستصلحين لغير العبودية، والاستخدام فيما يستخدم[5] فيه البهيمية. ثم لا يزال أثر النطق يظهر ويزيد إلى وسط المعمورة فى الإقليم الثالث والرابع والفهم والتيقظ فى الأمور من الكيس فى الصناعات استخراج غوامض العلوم. والاتساع فى المعارف ثم يقع التفاوت فى هذه الرتبة. حتى يبلغ منها إلى حيث يومى إلى الواحد الواحد فى سرعة الهاجس وقوة الحدس، واستقامة النظر، وصحة الفكر، وجودة الحكم على الأمور الكائنة. والإخبار بالأحوال المستقبلة حتى يقال: فلان ألمعى. فلان محدس[6] وكأنما ينظر من وراء ستر رقيق.

كما قال الشاعر:

الألمعىُّ [7] الذى يظن بك الظن * كان كمن قد رأى وقد سمعا

---

(١) فى (ز) : (المعمورية).

(٢) فى (ت) : (ذكرنا كثيرون).

(٣) فى (ز) : (يحاوزهم)، وفى (ت) : (يجاورنهم).
واضح هنا الصياغة الأسلوبية الركيكة. وتبدو للأسف فى سائر النسخ هكذا فهل هى صياغة المؤلف أم تعدد النساخ فى أخذ بعضهم عن بعض؟!

(٤) فى (ت) : (أخلاقهم فقد).

(٥) سقط من (ز).

(٦) فى سائر النسخ : (محدث) وهو خطأ. فالمقصود هنا بالسين لا بالثاء وبينهما بون شاسع.

(٧) فى (ز) : (المعنى) وهو خطأ، ولك وصوابها (بك) كما فى النسخة (ط).
وفى (ط) (كان قدرأ وقد سمعا) هكذا.

فإذا بلغ الإنسان هذه الرتبة. فقد قارب البلوغ إلى أول أفق الملائكة، ولم يبق بينه وبين مرتبتهم الأعلى إلاّ درجات يسيرة. فإذا رتبنا قوى العالم الصغير أى شخص الإنسان. وشرحنا اتصال قواه بعضها ببعض مع ما شرحنا من كيفية ارتقاء قوة الحواس منه. إلى ما هو أعلى منها ومنها إلى ما بعدها حتى يجاوز الملك، ويناسبه ويستمد منه هناك يتبين مقام الإنسان ونهاية شرفه وكيفية مرتبته. فى اتصال الروح القدس به. وقابليته لتجلى صفات الجمال والجلال، واستعداده فى قبول الفيض الإلهى بلا واسطة، واستحقاقه مسجودية الملائكة إن شاء[1] الله تعالى.

---

(١) فى (ط) (أنشأ الله وحده) وهو خطأ إذ صوابها (إن شاء) كما فى (ت، ز).

الفصل الثانى
فــى
أن شخص [1] الإنسان عالم صغير

اعلم أن شخص الإنسان بالنسبة إلى العالم بما فيه عالم صغير لأنه نسخة العالم الكبير بأن يوجد فيه جميع ما فى العالم من العناصر الأربعة[2]، ومثال من المعمور والخراب وأشباه من البر والبحر والجبال. ونظائر من الجماد والنبات والحيوان. وكأنه مختصر من الجميع. ومؤلف من الكل بعضه ظاهر وبعضه خفى غامض ونحن بتوفيق الله ومعونته، نورد من ذلك جملا بقدر ما يطلع منه المتأمل على صحة ذلك، ولا يخرجنا من حد الإيجاز فإن الكلام فى شرح ما ادعينا طويل عريض.

فنقول :

إن الإنسان لما كان مُركّبا لم يجز أن توجد العناصر فيه بسيطة. لأنها لو وجدت فيه بسيطة لحلّلته[3] سريعا يعنى الجزء من النار البسيط[4] بعينه إذا جاوز المركب منه ومن غيره حلّله وردّه[5] بسيطا، وكذلك حال الباقيات. وإن كانت النار أظهر فعلا

---

(١) سقطت فى : (ز).

(٢) فى (ز) : (الأربع).

(٣) فى (ت) : لحالته، وفى (ز) : (الحللة).

(٤) فى (ت)، (ز) : (البسيطة).

(٥) فى (ت) : (حالة ودوره).

فلمّا لم يكن ذلك، وجب أن توجد فيه مركبة. وإذا نظرنا فى ذلك وجدنا فى الإنسان[١] ما يجرى مجرى النار فى الحر واليبس[٢]. ومجرى الأرض فى البرد واليبس، ومجرى الهواء فى الحر والرطوبة، ومجرى الماء فى البرد والرطوبة.

أمّا ما يجرى مجرى النار منه. فالمرارة المعلقة بالكبد. لأنها حارة يابسة، وهو مستقر هذا الخلط. ومفيضه من جميع البدن وأمّا ما يجرى مجرى الأرض. فالطحال لأنه بارد يابس، وهو أيضا مستقر هذا النوع من الأخلاط ومفيضة من البدن. وأما ما يجرى مجرى الهواء فالدم الذى فى العروق لأنه حار رطب[٣]. وأما ما يجرى مجرى الماء فهو البلغم ولم يفرد له وعاء يخصّه كما عمل له فى الثلاثة الأركان الأخر من أجل أنه مستعد لأن ينهضم وإذا انهضم صار غذاءً تاما، ولم يكن فضلة كتلك الأخر. وبنوع آخر من الاعتبار قلنا القلب معدن الحرارة واليبس وهو بطبع النار. والكبد وهو معدن الحرارة والرطوبة، وهو بطبع الهواء. والدماغ معدن البرودة والرطوبة، وهذا بطبع الماء. والعظام معدن البرد واليبس وتلك[٤] فروعها:

فأمّا مثالات أجزاء ما فى العالم الكبير فإن الرطوبة[٥] التى تخرج من العين والفم. تجرى مجرى العيون فى الأرض، وبخار البدن يجرى مجرى السحاب. والعرق يجرى مجرى المطر.

فأمّا عروق[٦] البدن فإن كبارها تجرى مجرى الأودية، وصغارها يجرى مجرى الأنهار والجداول.

---

(١) فى (ز) : (فى الإنسان وجدنا).

(٢) كان من المفروض أن يقارن (الحر) هنا بالبرد لكنه قارنه باليبس. هكذا فى سائر النسخ.

(٣) فى (ز) : (رطب ما).

(٤) فى (ت)، (ط) : (وهى).

(٥) فى (ت) : (الرطوبات).

(٦) فى (ت) : (حروق).

وأما الشعر فهو مجرى[1] النبات، والحيوان الذى يتولد من ظاهر البدن يجرى مجرى حيوان البر، والحيوان الذى يتولد فى باطنه يجرى مجرى حيوان البحر، ونصف البدن المقدم الذى فيه الوجه يجرى مجرى العامر من الأرض الذى فيه البلدان[2] ونصفه المؤخر الذى فيه القفا يجرى مجرى الخراب الذى فيه البوادى.

فأمّا العين فتجرى مجرى كوكب بناظرها وشعاعها، وطبقات العين تجرى مجرى أفلاك الكواكب، ويحدث فى البدن جميع ما يحدث فى العالم من الرياح والزلازل والطوفان، والرجفة أعنى العطاس ، والزكام، والحميات، وغيرها من أنواع مرض[3] البدن. فلما كان [4] فى العالم الكبير أربع رياح: الريح الربيعى، والريح الصيفى، والريح الخريفى، والريح الشتوى.

= فالريح الربيعى يلقح الأشجار ويثمرها.

= والصيفى يطبخ الأثمار ويربيها.

= والخريفى يصفر الأوراق ويجففها.

= والشتوى يسقطها.

فكذلك فى العالم الصغير أربع رياح :

الجاذبة، والهاضمة، والماسكة، والدافعة.

فالجاذبة، تجذب الطعام إلى الحلق، وتؤديه إلى الهاضمة لتطبخه [5]، وتهضمه.

---

(١) المفروض أن يقول : [يجرى مجرى النبات] لكنه هكذا فى سائر النسخ.

(٢) فى (ت) : (من البلدان).

(٣) فى (ز) : (عوارض).

(٤) فى (ت)، (ط) : (وكان)، وفى (ز) : (فلما أن كان).

(٥) فى (ت) : (لتضم الطعام).

وتؤديه إلى الماسكة لتأخذ منافعه وتؤديه [1] إلى كل موضع فى البدن ما هو محله. وتؤدى [2] نقله إلى الدافعة لتخرجه [3]

فكما أن فى العالم الكبير، لو لم يكن ريح من الريح الأربع لخرب. كذلك لو لم يكن ريح من هذه الرياح فى العالم الصغير لخرب. وكما أن فى العالم الكبير أربع مياه[4]. مالح، ومر، ومنتن، وعذب كذلك فى العالم الصغير أربع مياه.

[المالح] : وقد وضعه فى العين بالحكمة لأن فى العين الشحم وعلاج الشحم بالملح.

[المر] : ووضع المر فى الأذن ليصونها من الحشرات.

[المنتن] : ووضع فى الأنف ليحفظ ما يتولد من الدماغ. لئلا يخرج منه. وليتميز به الروائح.

[العذب] : ووضع العذب فى الفم ليطيّبه [5]، ويقلب به اللسان فى التكلم، ويتذوق [6] الطعام للبلع.

وكما أن فى العالم الكبير السموات السبع، وفى كل سماء كوكب سيّار كذلك فى العالم الصغير الرأس بمثابة السموات. وهو مبنى على الطبقات السبع. فى كل طبقة منها قوة بمثابة كوكب سيار كالمتخيلة، والمتوهمة، والمتفكرة، والحافظة، والذاكرة، والمدبرة، والحس المشترك.

---

(١) فى (ت) : (وتؤدى).

(٢) فى (ز) : (وتؤديه).

(٣) فى (ت) : (فيخرجه).

(٤) المفروض أن تجمع على [أمواه] والصواب: أربعة، لأن لفظ الماء مذكر.

(٥) فى (ت) : (ليبطنه).

(٦) غير واضحة فى سائر النسخ. ففى (ط) : (ويبدرد) أما فى (ت)، (ز) غير مقروءة. وكتبتها هكذا وربما كانت (ليذيب الطعام).

وكما أن في السماوات سكانا[1] من الملائكة. كذلك في الرأس سكان من الحواس : البصر، والسمع، والشم، والذوق، واللمس. ثم إن في البدن ما يتحرك من ذاته بالطبع ولا يسكن ألبته. كالقلب. ومنه ما هو ساكن بذاته بالطبع، ومنه ما تتحرك بالقهر وبالعرض كما في العالم الكبير. وإن القلب بمثابة العرش. والسرّ بمثابة الكرسي. واستواء الروح على عرش القلب بمثابة استواء الصفة الرحمانية على العرش.

فأمّا ما يختص من البدن بالبروج الاثنى عشر. والكواكب السبعة لما فيه من طبائعها، وأمثلتها فقد ذكره المنجمون واستقصوه وأما شكل البدن كله، وما كان يجب من استدراته لشبهه بالعالم الكبير، ويشاركه في شرف هذا الشكل، وفضله على جميع الأشكال. وإن كان حاصلا بأن طوله، وعرضه من حيث يبسط يديه. متساويان.

فالمقصود من جميع بدن الإنسان هو الرأس الذى خلق مستديرا وهو تام كامل. فيه الحواس الخمس. وفيه يظهر آثار الإنسانية لأن التميز، والفهم، والذكر، والفكر. وبالجملة جميع قوى النفس. إلا أنه لو أفرد خلقه ولم يوصل بسائر أجزاء البدن [2] لما تمت حياته مدة طويلة. ولعرضت له الآفات. الكثيرة في الزمان اليسير. وذلك لحاجته إلى الانتقال والسعي، وتناول الحاجات. ودفع الأذيات. وليس يتم له ذلك إلاّ بالحركة. وحركة المستدير نحو حاجاته تكون بالتدحرج. وفيه من التعرض للآفات ما لا خفاء فيه [3] وهو مع ذلك يحتاج[4] إلى حرارة تحفظ عليه اعتدالا خاصا، ومزاجا مفروضا. وتلك الحرارة لطيفة جدا. وكان ينبغي أن يكون الوسط كالمركز لينتشر إلى

---

(١) في (ز) : (سكان).

(٢) في (ت) : (المبذر).

(٣) في (ز) : (ما لا خفاية به).

(٤) في (ت) : (فيحتاج).

أطراف الكرة بالسواء. ويحفظ عليه مزاجه، وجوهر الدماغ بارد رطب لا يصلح إلا بذلك. فلو جعلت تلك الحرارة اللطيفة فى وسطه لأطفأها سريعا. وتلف الإنسان.(١) وأيضا إن الحرارة إذا جاوزت الرطوبة أحدثت البخارات الكثيرة والبخارات إذا لم تجد منافذ إلى الهواء عادت على الحرارة فأطفأتها للوقت فوجب من هذه الأشياء، ومن غيرها. مما يطول ذكرها أن تبعد تلك الحرارة فلما أبعدت احتجبت أن وصل بينهما وبين جوهر الدماغ بمجارى ومنافذ يجرى مجرى الكومى(٢) وهى الشريانات التى بين القلب وبينه، ولما فعل ذلك احتج إلى زيادة فى الحرارة، وقوتها. إذ كانت تصل إلى هناك فى مسافة طويلة وقد نقص بعض سورتها فجعل فى القلب حرارة أزيد ليصل إلى الدماغ منها قدر الحاجة منها. والكفاية (٣) لحفظ مزاجه ولما زيدت هذه الحرارة احتدت (٤) فحصل فيها مما يجاوزها (٥) من جوهر القلب بخار دخانى. واحتاج إلى نافخ ينفى (٦) عنها أبدا بالنفخ البخار الدخانى ويجتلب إليها الهواء الموافق لها. الذى يبقى فيه. فلذلك خلقت الرئة وآلة النفس لترويح الحرارة، وتخدمها فى أسباب البقاء. ولما احتاج إلى الغذاء الموافق لرد العوض عما تحلل منه بالحرارة خلقت له آلات الغذاء وتوابعه، وما يخدمه فى جميع ذلك من الرجلين للسعى إلى المؤثر(٧) والهرب من المكروه (واليدين لتناول المنافع ودفع المضار وجميع ما بين فى كتاب

---

(١) هذه الجملة نموذج من نماذج كثيرة تدل على تحريف النساخ فقد كانت فى (ت) :

[وقد جعلت تلك الحرارة اللطيفة فى وسطه لإطفائها سريعا، وتآلف الإنسان]. بون شاسع.

(٢) فى (ز) : (اللو). وفى (ط) : (الكواكب).

(٣) فى (ت) : (والكفار).

(٤) فى (ت) : (اجتذب).

(٥) فى (ز) : (تجاوز).

(٦) زائدة من (ط).

(٧) فى (ز) : (المزقوب) هكذا. وربما قصد الناسخ تفسير كلمة (المؤثر) فكتبها (المرغوب) فجاءت هكذا.

«منافع الأعضاء» الأعضاء) [1] من جليّها، ودقيقها. ظاهرها وباطنها التى دلت على حكمة بالغة وقدرة تامة وتدبير غامض. وصنع لطيف. وهذا القدر من الكلام كاف فى أن الإنسان كعالم صغير. إذ قد ظهر ذلك. وقد ظهر أن قواه متصلة كاتصال العالم الكبير وأنها مرتقية من أدنى مراتبها إلى أقصاها كما بيّنا فى فصل كيفية ارتقاء الحواس.

ثم اعلم أن تسوية قالب الإنسان إذا تمت وتعلق الروح بالقالب بالتمام، واستعد لقبول الفيض الإلهى كما سنبينه فى فصل التسوية إن شاء الله تعالى، ليظهر مقام الإنسان، وأنه هو العالم الكبير.

والله ولى الهداية والتوفيق[2].

---

(١) هذه الفقرة ما بين القوسين سقطت من النسخة (ت).

(٢) فى (ط) : (والله ولى الهدايت) فقط.

الفصل الثالث

فــي

تسوية القالب وتعلق الروح به

قال الله تعالى:

﴿ إذ قال ربك للملائكة إنى خالق بشرا من طين * فإذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين﴾ [1].

وقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم):

«إن الله خمر طينة آدم بيده أربعين صباحا»[2].

اعلم أن الحكمة فى خلقه؛ العالم بما فيه، كانت لخلقه الإنسان، لأنه هو المخلوق المستعد لقبول الفيض الإلهى؛ الذى به يكون عارفا لله[3]. فإنه مرآة صفات جمال الله وجلاله، ومظهر صفات لطفه وقهره. وهو الناظر فى مرآة نفسه، ومشاهد جمال الله وجلاله فيها بنور الفيض الإلهى. فيكون عارفا نفسه بالمرآتية[4] وربه بذى

---

(١) **﴿ إذ قال ربك للملائكة﴾** هذا الجزء من الآية سقط من (ز)، (ط) الآيتان رقم ٧١، ٧٢ من سورة (ص) مكية.

(٢) حديث : «إن الله خمر طينة آدم بيده أربعين صباحا» ينظر فى فهرس الأحاديث النبوية نهاية الكتاب.

(٣) فى (ز) : (عارف).

(٤) فى (ت) : (بالمراتبة).

الجمالية والجلالية. وأنه هو الناظر[1] والمنظور إليه. كما قال (صلى الله عليه وسلم):

«اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله»[2].

فالإنسان هو المحبوب المخلوق للمعرفة فى قوله تعالى :

«فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق لأُعرف»[3].

ثم اعلم أن بدء[4] تسوية قالب الإنسان. من حين أن الله تعالى نظر إلى الجوهرة التى خلقها أولا فجمدت وصارت[5] حمراء. ثم نظر ثانيا فذابت وارتعدت من خوفها فصارت ماءً. ثم نظر إليها نظر الرحمة فجمد نصفها فخلق منه العرش، فارتعد[6] العرش فكتب الله عليه (لا إله إلاّ الله محمد رسول الله)[7]. فسكن

---

(١) فى (ط) : (النار).

(٢) الحديث أخرجه الطبرانى فى معجمه. وقال السيوطى فى «اللآلىء المصنوعة» الحديث (حسن صحيح). قال الشوكانى فى الفوائد ص ٢٤٤ : وعندى أن الحديث حسن لغيره وأمّا صحيح فلا. وله شواهد منها ما أخرجه ابن جرير فى تفسيره. والبراز وابن السنى، وأبو نعيم فى الطب من حديث أنس.
انظر موضوعات الصغانى حديث رقم ٧٤ وهامشه.

(٣) سبقت الإشارة إليه وأنه نقل عن النبى داود عليه السلام.

(٤) فى (ت) : (بدون، وفى (ز)، (ط) : (بدؤ).

(٥) ضمن الإشارات التى أود أن أوردها عن النساخ والنسخ. ففى النسخة (ز) كلمة (فجمدت) كتبت هكذا (فجمدة) وكلمة (وصارت) كتبت: (وصارة) وأحيانا أخرى تأتى كلمات تكون فيها التاء غير مفتوحة فيكتبها مفتوحة مثل (الحيات) يقصد (الحياة). (وصفت) ويقصد (صفة) وجمعها صفات.. وهذا كثير فى سائر النسخ وخاصة النسخة (ز) ولو علقت على كل ذلك لامتلأت صفحات كثيرة دون داع. ولكنى اكتفيت بنماذج وبعض الإشارات هنا أو هناك حتى تبدو طبيعة كل مخطوط من الهامش.

(٦) فى (ز) : (فارتعدت).

(٧) فى (ز) : (محمد الرسول الله) هكذا.

العرش، وترك الماء على حالته يرتعد إلى يوم القيامة. وفى العرش تمثال جميع ما خلق الله تعالى. هكذا جاءوا [1] بالحقيقة، أن تلك الجوهرة المخلوقة، أولا هى روح النبى (صلى الله عليه وسلم) الذى خلق منه جميع الموجودات كما مر ذكره عن حديث جابر[2] وإنما سكن العرش لما كتب الله عليه:

(لا إله إلاّ الله محمد رسول الله) لأنه خلق من نوره، وبقدرة الله. فبنور اسم الله عليه، واسم محمد (صلى الله عليه وسلم) سكـن ولأن العرش وما دونه خلق لتتهيأ [3] مرآة صفات الألوهية وتسويتها، وهى قالب (محمد صلى الله عليه وسلم) وقلبه المعبأة[4] بالقوة فى العرش. ولهذا قال: وفى العرش تمثال جميع ما خلق الله تعالى. أى فيه بالقوة. ثم يخرج منه إلى الفعل[5] بالتدريج فسكن العرش بتلك الكتابة. لنيل آثار كمال أعده الله تعالى له. فمن بدء[6] النظرات إلى الجوهرة، وتغير أحوالها. فى أطوار مختلفة. كان الله تعالى وتبارك فى تهيىء[18] أسباب القالب الإنسانى، وتسويته ﴿ **كل يوم هو فى شأن**﴾ [8] كما مر بعض شرحها فى الفصول المتقدمة (فلما أتى أوان تخمير)[9] طينة القالب الإنسانى بعث[10] إلى الأرض

---

(١) فى (ت) : (جاء).

(٢) ساقطة الاسم فى (ت) .

(٣) فى (ز) : (لتهيأ)، وفى (ط) : (لتهيىء).

(٤) فى (ز) : (المعبىء). والتاء هنا عائدة على (مرآة الصفات).

(٥) فى (ت) : (العقل).

(٦) فى سائر النسخ (بدو).

(٧) فى (ز) : (تهيأ)، وفى (ط) (تهيؤ).

(٨) فى (ط) : (كل يوم فى شأن) والصحيح ما ذكرناه من (ت،ز) فهو نَصٌّ آية رقم ٢٩ من سورة (الرحمن) مدنية.

(٩) ما بين القوسين أتى فى (ت) هكذا (إلى وإن تخمير).

وفى (ز) : (إلى وإن أوان تخمير).

(١٠) فى (ط) : (بعث الله تعالى).

«عزرائيل» عليه السلام بعدما رجع «جبريل» و«ميكائيل» عليهما السلام. كما جاء في الحديث.

«فأخذ عزرائيل قبضة تراب سلّها من جميع وجه الأرض، وطرحها وسط الأرض (وهو بين مكة والطائف لأنه جذبها من أطراف الأرض) [1] ونواحيها إلى وسطها وسرّتها[2] وكان عزرائيل يومئذ يتولى القبضة ولم يعبأ بشكاته الأرض فما نقص منها كما في الحديث. كذلك يتولى قبض الأرواح من أجسادها إلى القيامة. حتى يزد جميع ودائع الأرض إليها. كما قال تعالى : ﴿ **منها خلقناكم وفيها نعيدكم**﴾ [3] الآية.

فما من أحد إلاّ ويدفن في التربة[4] التي خلق منها. على ما جاء في الحديث. ولما نظر الله سبحانه إلى الأرض بعد خلقها نظر الرحمة كان الذى قبضه عزرائيل. من الذرّات[5] بمواقع نظرة الله تعالى وهى أديم الأرض كلها. ولجلدة الأرض ظاهر وباطن يسمى ظاهرها بشرة، وباطنها أدمة يسمى المخلوق منها آدم باعتبار خلقه من أدمة الأرض، وهى طرف جلدتها بما يلى الباطن. وسمى بشرا باعتبار خلقه من بشرتها[6] الظاهرة فقال تعالى : ﴿ **إنى خالق بشرا من طين**﴾ [7].

وفيه نكتة. وهى أن ذرات بشرة الأرض ظاهرة، وذرات أدمتها باطنة. فكانت

---

(١) ما بين القوسين سقط من (ط) .

(٢) الحديث : فأخذ عزرائيل قبضة تراث سلها من جميع وجه الأرض وطرحها وسط الأرض.. إلخ، ينظر فى فهرس الأحاديث النبوية نهاية الكتاب.

(٣) آية رقم ٥٥ من سورة (طه) مكية.

(٤) فى (ز) : (البرية).

(٥) فى (ت) : (الذوات).

(٦) فى (ز) : (بشرة).

(٧) آية رقم ٧١ من سورة (ص) مكية.

البشرية من الإنسان عبارة عن الصورة[1] الظاهرة، وآدميته عبارة عن أخلاقها الحميدة في الباطن.

وقال «محمد بن عبد الله الترمذى» : في كتاب[2] «غور الأمور».

«إن إبليس كان يمشى على وجه الأرض فبعض مواضع الأرض مس قدمه، وصار موطئ رجله، وبعضها صار بين قدميه، وبعضها لم يصل إليه قدمه. ولا ظله. فالنفس الباطنة خلقت من تراب قدميه، والنفس الظاهرة يعنى القالب خلقت مما بين قدميه حيث ساء منه[3] ظله. وخلق القلب من تراب لم يصل إليه قدم إبليس، لعنه الله[4]، ولا ظله. وهو التراب المنظور إليه نظر الرحمة». قال:

«وهذا مثل آدم، عليه السلام، لما أهبط إلى الأرض جال جميع الدنيا فما وطئ عليه قدمه نالته رحمة وبركة. فصار[5] بلدة، ومدينة. وما كان بين قدميه من الأرض صار قرى وسبلا وما لم تصل إليه من الأرض صار مفاوز».

وروى. عن بعض الكبراء أن محل المعرفة من[6] الإنسان هو[7] من الذرّة التى نظر إليها الرحمن يوم جمد الماء أرضا وباقى جسده توابعها، وذلك مما لم يصبها قدم إبليس وظله، وهولب القلب فى الحبة السوداء، وعلى تلك يدور العود، والإنشاء.

---

(١) فى (ت) : (صورته)، وفى (ز) : (صورة).

(٢) فى (ز) : (غور الأمور)، وفى (ط) : (عوز الأمور).

(٣) فى (ت) غير واضحة، وفى (ز) : (سامته)، وفى (ط) : (سامنه).

(٤) ساقطة من (ز) ، (ط) .

(٥) فى (ط) : (فصارت).

(٦) ساقطة من (ز)، (ت).

(٧) فى (ت، ز) : (وهو).

قلت[1] : وهى الذرّة التى استخرجت من ظهر آدم، وخوطبت[2] بخطاب **﴿ألست بربكم﴾** وأخذ[3] منها الميثاق على جواب **﴿ بلى﴾**.

واعلم أن جميع الذرات المأخودة من بشرة الأرض أودعت ظهر آدم، عليه السلام، وكذلك كانت جثته أعظم الخلق وقامته أطول حتى روى أن رأسه يحتك بالسحاب فصلع[4] لذلك. ثم تصاغر أولاده شيئا فشيئا.

ولما أودعت دعبت ذرات الذرية فى طينة آدم وهى فى التخمير، ومعنى التخمير تعجينها بما أودع وأشرب فى جبلتها[5] من الأخلاق والمعانى والخواص التى هى مودعة فى الملائكة المقربين، والشياطين المتمردين، والحيوانات المتنوعة، والنباتات المختلفة، والسموات والأرضين، وما فيهن من الأفلاك، والأنجم، والبروج، والمعادن، والفلزات[6] ، والجنان بما فيها[7] من أنواع النعيم. والنيران بما فيها من العذاب الأليم. ولهذا كرم ظاهر آدم، عليه السلام عند تخمير طينته بمباشرة يديه، وهما صفتا[8] اللطف، والقهر ليودع فى طينته ما هو من نتائج لطفه وقهره، ليجعله مظهراً لصفات لطفه وقهره. الذى هو مختص به. من بين سائر الموجودات فى بدء[9] الخلافة. وسيجيىء شرحها فى موضعها إن شاء الله تعالى، خصه بأربعين صباحا،

---

(١) فى (ز) : (قال الشيخ المصنف، رضى الله عنه).
وفى (ط) : (قال الشيخ المص رحمة الله عليه).
(٢) فى (ط) : (وخوطب) والآية هى رقم ١٧٢ من سورة (الأعراف) مكية.
(٣) فى (ت) : (وأخذت).
(٤) فى (ز)، (ط) : (يصطك إلى السحاب فصلع).
(٥) فى (ت) : (جلدتها).
(٦) فى (ز) : (والفلوات).
(٧) فى (ز) : (بما فيه).
(٨) فى (ز) : (صفة)، وفى (ت) : (صفتان).
(٩) (ز)، (ط) : (سر).

لأنها نهاية كمال الأعداد وذلك أن كمال مراتب الأعداد أربعة. الواحد، والعشرة، والمائة، والألف.

والعشرة عدد كامل من الآحاد لقوله ﴿ **تلك عشرة كاملة**﴾ [1]. فإذا كرر أربع مرات بلغت النهاية فى الكمال[2]. وقوله : أربعين صباحا. فيه سر عجيب. وهو أن الله تعالى رش فى مدة التخمير كل صبيحة رشة من نوره على طينة آدم عليه السلام، والصبيحة وقت ظهور الأنوار، وهبوب نفحات الأسحار. وكانت ذرات أولاده مختلطة مختمرة[3] بطينته. والطينة مظلمة[4]. فمن أصابه من ذلك النور فى صباحه اهتدى وهم السعداء. والذين لم يصبهم من رشاش ذلك النور بقوا فى ظلام طينتهم، ولم يسفر لهم صبح قط. وهم الأشقياء.

وفى المثل السائر[5] «ليس للعمى صباح».

ومما يدل على هذه الجملة قول النبى (صلى الله عليه وسلم):

«إن الله خلق الخلق فى ظلمة ثم رش عليهم من نوره، فمن أصابه من ذلك النور اهتدى، ومن لم يصبه ضل وغوى..»[6].

وفى بعض الروايات أن أربعين صباحا كانت أربعين ألف سنة. يعنى كل يوم منها ﴿ **كألف سنة مما تعدون**﴾.

---

(١) آية رقم ١٩٦ من سورة (البقرة) مدنية.

(٢) فى (ز) : (إكمال).

(٣) فى (ز) : (مخمرة).

(٤) فى (ز) : (بطينة مظلمة).

(٥) وهذه الجملة مثل : [وكما يقول المثل]. ولا أظنه يقصد كتاب المثل السائر فى أدب الكاتب والشاعر.

(٦) حديث : إن الله خلق الخلق فى ظلمة ثم رش عليهم من نوره. فمن أصابه ذلك النور.. إلخ، ينظر فى فهرس الأحاديث النبوية نهاية الكتاب.

فكما قررنا دارت مراتب التسوية. فمن بدء[1] النظرات إلى الجوهرة فى أطوارها المختلفة. إلى أن بلغت بتدبير الصانع الحكيم إلى أفق الجماد. ثم ارتقى فى قبول أثر النفس إلى رتبة أثر النباتية، ثم إلى أفق الحيوانية، ثم إلى أفق الملكية، ثم إلى أفق الإنسانية. بعد تمام التسوية. وذلك بأن يجعله قابلا للفيض الإلهى بلا واسطة عند تعلق الروح بالقالب تعلقا تاما بالنفخة [2] الخاصة. وإنما قلنا تاما لأن تعلق روح ذريات [3] آدم يكون بالتدريج على قدر تسوية قالبهم من حين وقوع النطفة فى الرحم، إلى أن تصير جنينا، إلى أن تبلغ حد البلاغة. وكان تعلق روح آدم عليه السلام بقالبه بعد كمال التسوية بمرة واحدة. كما قال تعالى: ﴿ **فإذا سويته ونفخت فيه من روحى**﴾ [4]. فصار قابلا للفيض الإلهى. بأن يتجلى فيه كما قال (صلى الله عليه وسلم)[5]:

«إن الله تعالى خلق آدم فتجلى فيه»[6].

ولهذا بلغ رتبة المسجودية. التى من صفات الربوبية بقوله ﴿ **فقعوا له ساجدين**﴾[7].

وقد نال هذه الرتبة بسر الخلافة، وهذا كمال مقام الإنسان الذى خلق للمعرفة، وخلق ماسواه بتبعيته، كما خلقت الشجرة بتبعية الثمرة. وإن[8] أنعمت النظر

---

(١) فى سائر النسخ : (بدؤ).

(٢) فى (ت) : (للنفخة).

(٣) فى (ز) : (بذريات).

(٤) آية رقم ٢٩ من سورة (الحجر) مكية.

(٥) فى (ط) : (النبى صلى الله عليه وسلم) وفى (ز) : (كما قال تعالى عليه الصلاة والسلام).

(٦) الحديث سبقت الإشارة إليه.

(٧) تكملة الجزء الأخير من الآية رقم ٢٩ من سورة (الحجر) مكية.

(٨) فى (ط) ، (ز) : (ولئن).

وجدت الشجرة بأسرها[1] الثمرة، لأنها كانت فى الثمرة معبأة بالقوة. فخرجت بالتربية إلى الفعل. فكذلك شجرة الموجودات. كانت معبأة بالقوة[2] فى ثمرتها وهى الروح الإنسانى فخرجت بالتربية إلى الفعل[3] فإن أنعمت[4] النظر لوجدت[5] الإنسان عالما كبيراً. ووجدت العالم إنسانا كبيراً[6].

كما قلت[7] هذا المعنى فى رباعية بالأعجمية[8].

اى[9] نسخة تامة إلهى ركه توينى * واى آينه جمال شاهى كه توينى

بيرون زنو نيست مرجه درعالم مست * درخود بطلب هوايح خوايح خواهى كه توينى

فإن قيل :

إذا بلغ كل إنسان حد بلاغته هل يستحق أن يتجلى الله فيه كما تجلى فى آدم، عليه السلام، أم لا [؟].

قلنا : الجواب عنه من وجهين[10] :

---

(١) فى (ت) ، (ط) : (بما سرها).

(٢) فى (ز) : (فى القوة).

(٣) فى (ز) : (العقل).

(٤) فى (ز) : (أمعنت).

(٥) فى (ت) ، (ط) : (وجدت).

(٦) هكذا فى سائر النسخ، وربما أراد العكس فى أن الإنسان عالم كبير والعالم إنسان صغير بتعقيداته، وكما ذكر ذلك فى نهاية الفصل الثانى. وهو استناد إلى فكرة احتواء الإنسان لما فى العالم كقول الشاعر القديم عن الإنسان (وفيك ينطوى العالم الأكبر).

(٧) فى (ط) : (قال الشيخ المص رحمة الله تعالى عليه).

(٨) فى (ط) : (بالعجمة).

(٩) «لم أتمكن من ترجمة البيتين إلى اللغة العربية بالتعاون مع أحد المتخصصين».

(١٠) فى (ط) : (بوجهين).

أحدهما :

أن من سنة الله تعالى أنه جعل حد بلاغ الرجال البالغين المستحقين لتجلى صفات ربوبيته أربعين سنة.

كما قال تعالى[١] ﴿ **حتى إذا بلغ أشده وبلغ أربعين سنة** ﴾ [٢].

وفى هذا السن تتم التسوية للقالب، ويتعلق به الروح بالكمال فإن لم تكن مرآة قلبه مصدأة[٣] برين الشرك والمعاصى، ومكدرة بظلمة صفات بشريته[٤]، وخواص أوصاف طبيعته بل تكون مصقولة بمصقل[٥] لا إله إلا الله. مصفاة عن دنس تعلقات الكونين فيستحق لتجلى ذات الله وصفاته فضلا منه ورحمة وإن شرف أحد بهذا الشرف قبل بلوغ أربعين سنة فذلك من النوادر، ولا حكم للنادر..

والله أعلم.

والجواب الثانى :

أن آدم، عليه السلام، خلق حين خلق خلقا تاما، وتسويته كانت تامة، وتعلق روحه بقالبه بالكمال. ولم تصدأ مرآة قلبه برين المكاسب الحيوانية، وأنه[٦] لما صعد روحه إلى دماغه عطس. فأول فعل صدر منه كان نورانيا. وهو قوله «الحمد لله». فتنورت مرآة قلبه. بنور ثناء الحق تعالى[٧]. وهو[٨] مخ الشرع.

---

(١) فى (ط) : (كما قال الله تع).
(٢) آية رقم ١٥ من سورة (الأحقاف) مكية.
(٣) فى (ز) : (مصفاة).
(٤) فى (ز) : (بشرية).
(٥) فى (ز) : (بصقل).
(٦) فى (ز) : (وإنما).
(٧) فى (ز) : (سبحانه)، وفى (ط) : اختصار (تع).
(٨) ساقطة من (ز).

فبنور الشرع زالت ظلمة الطبع[1] فاستحق لتجلي ربوبيّة الحق على مقتضى سنن كرمه[2].

كما قال :

«من تقرب إلى شبرا تقربت إليه ذراعاً»[3]. فلما تقرب آدم عليه السلام إلى الله تعالى بالحمد والثناء تقرب إليه الله بقوله «يرحمك ربك».

فيرحمه عليه تجلى فيه بربوبيته وجميع صفاته. وهذا حقيقة قوله : ﴿ **وعلم آدم الأسماء كلها** ﴾ [4] وبنيل هذه الرتبة جاوز أفق الملائكة. لأنهم بمعزل عن هذه الرتبة[5] إذ قالوا :

﴿ **سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا** ﴾ [6].

ومن هنا وجد[7] رتبة سجودية[8] الملائكة، وأُيِّد بروح القدس، واختُص باستحقاق الخلافة دون الملائكة المقربين.

كما نشرح في مقام الخلافة. إن شاء الله تعالى.

---

(١) في (ز) : (طبع).

(٢) في (ط)، (ز) : (سنة).

(٣) حديث : من تقرب إليّ شبراً ...، ينظر في فهرس الأحاديث النبوية نهاية الكتاب.

(٤) آية رقم ٣١ من سورة (البقرة) مدينة.

(٥) في (ط)، (ز) : (المرتبة).

(٦) في (ط) تكملة الآية إلى قوله ﴿ **إنك أنت العليم الحكيم** ﴾. وهي بقية آية رقم ٣١ من سورة (البقرة).

(٧) في (ط) : (ومن هذا وجدت) والصحيح وجد. فالمقصود الإنسان في تكريمه (لسجود الملائكة).

(٨) في (ز) (مسجودية) وفي (ط)، سجودية، وفي (ت) : (المسجودية).

الباب السادس

في

« مقام الخلافة المختصة بالإنسان »

ويشتمل[1] هذا الباب على ثلاثة فصول:

الفصل الأول : في ماهية الخلافة.

الفصل الثاني : في اختصاص الإنسان بالخلافة.

الفصل الثالث : في تفاوت الخلافة ودرجتها.

---

(١) في (ز) : (يشمل) وبقية التفاصيل للفصول سقطت من النسختين الأخرتين.

الفصل الأول

فــى

ماهية الخلافة

قال تعالى :

﴿ يا داود إنا جعلناك خليفة فى الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله[1] إن الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب﴾.

وقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) :

«الخلافة بعدى ثلاثة وثلاثون سنة، وبعدها ملك وجبروت»[2].

اعلم أن حقيقة الخلافة مبنية على ثلاثة أصول:

أحدها : الفناء، وثانيها : البقاء، وثالثها : الثبات على قدم التسليم والرضا.

ـ فأمّا الفناء : فبأن يكون فانيا عن أقواله، وأفعاله، وأحواله.

ـ وأمّا البقاء : فبأن يكون باقيا بأفعال مستخلفة[3]. وأقواله، وأحواله[4]. فلا يفعل

(١) ما بعد ذلك فى الآية سقط من النسختين (ز) ، (ط) والآية هى ٢٦ من سورة (ص) مكية.

(٢) حديث : الخلافة بعدى ثلاثة وثلاثون سنة..، ينظر فى فهرس الأحاديث النبوية نهاية الكتاب.

(٣) فى (ت) : (مختلفة).

(٤) فى (ز) : (وأفعاله).

إلاّ ما يؤمر، ولا يقول إلاّ ما يؤذن، ولا يتحرك فى حال من أحواله إلا فيما يناسب أحوال مستخلفه.

ـ وأمّا الثبات على قدم التسليم والرضا:

فبأن يخالف هواه فى طلب رضا[1] مستخلفه ومولاه.

ثم اعلم أن هذه الأصول الثلاثة لا تتيسر لخليفة إلاّ بتيسير المستخلف بأن يجعله فانيا عنه. باقيا به. وبثباته[2] على قدم التسليم، وترضيه عن نفسه برضاء نفسه عنه لتحقيق[3] قوله : ﴿ **رضى الله عنهم ورضوا عنه** ﴾ [4].

أى لما رضى المستخلف عن الخليفة بالأصالة رضى الخليفة عن المستخلف[5] بالخلافة. لتحقيق خلافته.

والله أعلم بالصواب[6].

---

(١) فى (ط) : (رضاً) ، وفى (ز) : رضاء.

(٢) فى (ط)، (ز) : (ويثبته).

(٣) فى (ط) : (ليتحقق).

(٤) آية رقم ١١٩ من سورة (المائدة) مدنية.

(٥) فى (ز) : (المستخلفة).

(٦) غير موجودة فى (ز) ، (ط) .

الفصل الثانى
فـــى
اختصاص الإنسان بالخلافة

قال تعالى : ﴿ **وإذ قال ربك للملائكة إنى جاعل فى الأرض خليفة** ﴾ [1] الآية.

اعلم أن الله تعالى لاختصاص الإنسان بالخلافة قال:

﴿ **إنى جاعل فى الأرض خليفة** ﴾ ليعلم أن المختص بالخلافة من يكون[2] أرضيا سماويا مثل الإنسان. لا سماويا كالملائكة، ولا أرضيا كالحيوانات. وإنما قال تعالى: ﴿ **إنى جاعل** ﴾ وما قال: إنى خالق لمعنيين:

أحدهما : لأن الجاعلية أعم من الخلقية. فإن الجاعلية هى الخلقية، وشيء آخر. وهو أن يخلقه موصوفا بصفة[3] الخلافة. إذ ليس لكل مخلوق اختصاص بالخلافة. كما قال تعالى :

﴿ **يا داود إنا جعلناك خليفة فى الأرض** ﴾ [4] خلقناك مستعدا للخلافة، وأعطيناك مرتبتها.

---

(١) الآية رقم ٣٠ من سورة (البقرة) مدنية.

(٢) فى (ت) : (ليعلم أن المخصص من يكون).

(٣) فى (ز) : (بصفته).

(٤) آية ٢٦ من سورة (ص) مكية.

والثانى : أن للجاعلية[1] اختصاصا بعالم الأمر وهو الملكوت وهو ضد عالم الخلق (لأنه هو عالم الأجسام والمحسوسات كما قال تعالى : ﴿ **ألاَ لَهُ الخلق**[2]) **والأمر**﴾ [3] أى: الملك والملكوت، وأنه تعالى حيث ذكر ما هو مخصوص بعالم الأمر ذكره بالجاعلية[4] لامتياز الأمر عن الخلق.

كما قال تعالى : ﴿ **الحمد لله الذى خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور**﴾ [5].

فلما كانت السموات والأرض من الأجسام والمحسوسات ذكرها بالخلقية [6]. ولما كانت الظلمات والنور من الملكوتيات ذكرها بالجاعلية [7].

وإنما قلنا : إن الظلمات والنور من الملكوتيات لقوله تعالى : ﴿ **الله ولى الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور**﴾ [8]. وإنها من الملكوتيات لا من المحسوسات. لأن النور هو نور الروح أو نور الهداية والإيمان. والظلمات هى ظلمات صفات البشرية، أو ظلمات الكفر والضلالة. كما جاء فى التفسير أو الظلمات والنور المحسوسة فإنها داخلة فى خلق السموات والأرض. فافهم جداً.

فكذلك [9]. لما أخبر الله تعالى عن جسمانية آدم، عليه السلام، ذكرها

---

(١) فى (ز) ، (ط) : (للجعلية).

(٢) ما بين القوسين سقط من (ز).

(٣) آية رقم ٥٤ من سورة (الأعراف) مكية.

(٤) فى (ز) ، (ط) : (بالجعلية).

(٥) آية رقم ١ من سورة (الأنعام) مكية.

(٦) فى (ط) : (بالخلقية).

(٧) فى (ز) ، (ط) : (بالجعلية).

(٨) آية رقم ٢٥٧ من سورة (البقرة) مدنية.

(٩) فى (ط) : (فكذلك).

(ت) : (كذلك).

بالخالقية[1]. كما قال: ﴿ **إنى خالق بشرا من طين**﴾ [2]. ولما أخبر بما يتعلق بروحانيته ذكره بالجاعلية [3] فقال: ﴿ **إنى جاعل فى الأرض خليفة**﴾ [4].

وفى اختصاص الإنسان باسم الخلافة، وكرامة[5] له لم يوجد فى شىء آخر من الموجودات.

* وإنما سمى خليفة لمعنيين :

أحدهما : أنه يخلف عن جميع المخلوقات، ولا يخلفه للمخلوقات بأسرها. وذلك لأن الله جمع فيه ما فى العوالم كلها من الجسمانيات، والروحانيات. كما مر ذكره فهو بالحقيقة خليفة كل شىء وأكرمه[6] باختصاص كرامة نفخ روحه فيه. كما قال:

﴿ **ونفخت فيه من روحى**﴾ [7].

وما أكرم بهذا[8] أحدا من العالمين. وأشار إلى هذا المعنى بقوله: ﴿ **ولقد كرمنا بنى آدم**﴾ [9]. فلهذا الاختصاص ما صلحت[10] الموجودات بأسرها أن تكون خليفة لآدم عليه السلام[11]. ولا للحق تبارك وتعالى.

---

(١) فى (ط) : (بالخلقية).

(٢) آية رقم ٧١ من سورة (ص) مكية.

(٣) فى (ز)، (ط) : (بالجعلية).

(٤) آية ٣٠ من سورة (البقرة) مدنية وسبقت الإشارة إليها.

(٥) فى (ز) ، (ط) : (بدون واو).

(٦) فى (ز) : (كرامة).

(٧) آية رقم ٢٩ من سورة (الحجر) مكية.

(٨) فى (ز)، (ط) : (بها).

(٩) آية رقم ٧٠ من سورة (الإسراء) مكية.

(١٠) فى (ز)، (ط) : (ما صلح).

(١١) فى (ز) : (عليه الصلاة والسلام) وفى (ط) : (عـ م) اختصار (عليه السلام) كما أشرت آنفاً.

والثاني :

أنه يخلف وينوب عن الله تعالى. صورة ومعنى.

* أما صورة : فوجوده في الظاهر يختلف عن وجود الحق في الحقيقة. لأن وجود الإنسان يدل على وجود موجده[1] كالبناء يدل على الباني. وتختلف وحدانية الإنسان عن وحدانية الحق. وذاته عن ذاته. وصفاته عن صفاته فتختلف حياته عن حياته، وقدرته عن قدرته، وإرادته عن إرادته، وسمعه عن سمعه، وبصره عن بصره، وكلامه عن كلامه، وعلمه عن علمه. ولا مكانية روحه عن لا مكانيته. ولا جهتيته. وليس لنوع من المخلوقات أن يخلف عنه كما يخلف آدم. وإن وجد في بعضها بعض هذه الصفات. لأنه لا تجتمع صفات الحق في أحد كما تجتمع في الإنسان. ولا تتجلى صفة من صفاته لشيء كما تتجلى لمرآة قلب الإنسان وصفاته.

* وأما معنى : فليس في العالم مصباح يستضيىء بنار نور الله تعالى فتظهر أنوار صفاته في الأرض خلافة عنه إلاّ مصباح الإنسان. فإنه مستعد لقبول فيض نور الله. لأنه أعطى مصباح السرّ في زجاجة القلب، والزجاجة في مشكاة الجسد، وفي زجاجة القلب زيت الروح. يكاد زيتها يضيىء من صفاء العقل. ولو لم تمسسه نار النور في مصباح السرّ فتيله الخفي[2]. فإذا أراد الله أن يجعل في الأرض خليفة. يتجلى نور جماله لمصباح السر الإنساني[3] فيهدى[4] الله لنوره فتيله الخفي[5] من يشاء فيستنير مصباحه بنار نور الله. فهو على نور من ربه فيكون خليفة[6] الله في

---

(١) في (ز) : (موجوده).

(٢) في (ز) : (الحقي).

(٣) في (ز) : (الإنسان).

(٤) في (ت) : (فهدى).

(٥) في سائر النسخ بدون ألف ولام.

(٦) في (ز) : (خليف).

أرضه. فيظهر أنوار صفاته فى هذا العالم. بالعدل والإحسان، والرأفة، والرحمة لمستحقها. وبالعزة، والقهر، والغضب، والانتقام لمستحقها كما قال تعالى فى حق النبى (صلى الله عليه وسلم) وأصحابه.

﴿ محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم﴾ [(١)] ولا تظهر هذه الصفات لا على الحيوانات ، ولا على الملك[(٢)]. ناهيك عن حالة هاروت وماروت. لما أنكرا على ذرية آدم اتباع الهوى والظلم والقتل والفساد وقالا لو كنا بدلا عنهم خلفاء[(٣)] الأرض ما كنا نفعل مثل ما يفعلون فالله تعالى أنزلهما إلى الأرض وليس عليهما لباس البشرية وأمرهما أن يحكما بين الناس بالحق. ونهاهما عن الشرك والقتل بغير حق، والزنا، وشرب الخمر.

قال «قتادة»[(٤)] : فما مر عليهما شهر حتى افتتنا [(٥)] فشربا الخمر وسفكا الدم، وزنيا، وقتلا، وسجدا للصنم.

فثبت أن الإنسان مخصوص بالخلافة، وقبول نور الله تعالى فلو كان (للملائكة هذه الخصوصية لم يفتتنا)[(٦)] بهذه الأوصاف الذميمة الحيوانية والسبعية [(٧)]. كما

---

(١) آية رقم ٢٩ من سورة (الفتح) مدنية.

(٢) فى (ز) : (وعل الملك).

(٣) فى (ز) : (خلفل).

(٤) قتادة : من رجال السند فى الحديث مشهور عندهم وقال عنه الأصمعى عن: شعبة؛ قال: كان قتادة إذا حدث بالحديث الجيد ثم ذهب يجيىء بالثانى عدوت وراءه لئلا ينسى الأول لأنه كان يحفظ ولا يكتب.

ويكنى قتادة: بأبى الخطاب. مات سنة ١١٧هـ.

انظر كتاب (المعارف لابن قتيبة الدينورى) ص ٤٦٢.

(٥) فى (ز) : (فتشا).

(٦) ما بين القوسين سقط من (ز).

(٧) سقطت من (ز).

كان الأنبياء عليهم السلام معصومين[1] عن[2] مثل هذه الآفات، والأخلاق. وإن كانت البشرية لازمة لهم، ولكن بنور التجلي تنور مصباح قلوبهم واستنار بنور قلوبهم جميع مشكاة أجسادهم[3] ظاهرا، وباطنا. وأشرقت أرض البشرية بنور ربها فلم يبق لظلمات هذه الصفات مجال الظهور مع استعلاء النور. فلما أفنى نور هوية الحق، تعالى، ظلمة أنانية وجودهم المجازى، وأبقاهم ببقائه تحقق لهم أنهم خلفاء الله فى الأرض. وما لهم وجود حقيقى ولا لغيرهم. بل وجودهم وجود كل شيء قائم بخلافة وجود الحق، وما يصدر منهم من الأعمال، والأقوال. صادر بخلافة الحق تعالى، بمشيئته، وإرادته، وتقديره. وما لهم بالأصالة وجود، ولا فعل. وأنهم مختصون بهذه[4] الخلافة وليس للملائكة استحقاق هذه الخلافة: لأنهم محجوبون عن رؤية الحق بهذا النظر بحجاب رؤية وجود الأغيار وأفعالهم أصالة لا خلافة. وذلك لأن الله تعالى لما امتحنهم بقوله ﴿ **إنى جاعل فى الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك**﴾[5].

فلو لم يكونوا محجوبين لما اعترضوا على الله، ولما أسندوا الأفعال إلى آدم، وإلى أنفسهم أصالة واستبداداً بل أسندوها إلى الله تعالى كما قال «موسى» عليه السلام، ﴿ **إن هى إلاّ فتنتك تضل بها من تشاء وتهدى من تشاء**﴾ [6] أسند فعل[7] الأغيار إلى الله تعالى، لأنه رأى الأغيار بنظر الخلافة.

والله أعلم[8].

---

(١) فى (ت) : (معصومون).
(٢) فى (ز) : (على).
(٣) فى (ز) : (جسدهم).
(٤) فى (ز) : (بهذا).
(٥) آية رقم ٣٠ من سورة (البقرة) مدنية.
(٦) آية رقم ١٥٥ من سورة (الأعراف) مكية.
(٧) فى (ز) : (أفعال).
(٨) فى (ز) : (وأحكم) زائدة.

الفصل الثالث

فــى

تفاوت الخلافة ودرجاتها

قال الله تعالى:

﴿ وهو الذى[1] جعلكم خلائف الأرض ورفع بعضكم فوق بعض درجات﴾.

اعلم أن الله تعالى أثبت الخلافة لعموم بنى آدم بقوله:

﴿ وهو الذى جعلكم خلائف الأرض﴾[2] ثم جعلها على التفاوت فيما بينهم ورفع بعضهم فوق بعض درجات فى الخلافة، وذلك لأن حقيقة الخلافة هى التصرف فى الملك والملكوت بنيابة الحق تعالى. ولما كان لله ملك وهو ظاهر الكون من الدنيا، وما فيها، وهو متصرف فيها. وله ملكوت، وهو باطن الكون من الآخرة وما فيها، وهو متصرف فيها. وجب أن[3] يكون للخليفة آلات من الملكيات والملكوتيات ليتصرف بها[4] فى الملك والملكوت بالخلافة. كما يتصرف مستخلفه فيها بلا آلات بل بقدرة كاملة (وإرادة شاملة. وقد منحه الله تعالى هذه الآلات تامة كاملة)[5].

---

(١) فى (ط) : (هو) آية رقم ١٦٥ من سورة (الأنعام) مكية.

(٢) سبقت الإشارة إليها.

(٣) سقط من (ز).

(٤) فى (ت) : (فيها).

(٥) ما بين القوسين سقط من النسخة (ز).

ـ وأما[1] الآلات[2] الملكيات. فهى الأعضاء، والجوارح، والحواس الخمس. وما يتعلق الجسد.

ـ وأما الآلات الملكوتيات. فهى القلب[3]، والعقل، والسرّ، والروح، والخفى، والقوى البشرية وما يتعلق بالروح.

ثم، اعلم أن طبقات الخلفاء ثلاث طبقات: منهم [من][4] يستعملون (الآلات الجسدانية فحسب وهم على صنفين:

ـ صنف : يستعملون)[5] بالخلافة علي وفق أوامر مستخلفهم ونواهيه فى الخالقية وبالنكاح. وفى الرازقية بالزراعة والاتفاق.

وفى الصانعية بالصنائع والحرف، وغير ذلك. فهؤلاء الذين سعيهم مشكور ولهم فى حركاتهم أجور[6].

ـ وصنف آخر: يستعملون آلاتهم[7] على وفق الطبع وهوى النفس خلافا لأوامر مستخلفهم ونواهيه. فهؤلاء ما لهم من الخلافة إلاّ الخسارة[8]. وأولئك كالأنعام بل هم أضل[9].

---

(١) فى (ط) : (فأما).

(٢) سقطت من (ز).

(٣) سقطت من (ط) .

(٤) إضافة من المحقق.

(٥) ما بين القوسين سقط من (ز).

(٦) فى (ز) : (أجورا).

(٧) فى (ز) : (لأنهم).

(٨) فى (ز) : (الإجادة).

(٩) سقطت من (ط) .

والطبقة الثانية : يستعملون الآلات الجسدانية، وبعض الآلات الروحانية. وهم أيضا، على صنفين[1].

ـ صنف : يستعملون الآلات على وفق أوامر مستخلفهم ونواهيه وهم خواص المؤمنين. فيستعملون العقل، ويتفكرون فى خلق[2] السموات والأرض، ويرون آيات الله فى الآفاق وفى أنفسهم ويتبين لهم الحق. ويزداد إيمانهم، ومعرفتهم، ودرجاتهم، وقربهم[3].

ومنهم من يستعمل القلب بعد التصفية وتزكية النفس فيتحظى[4] من شواهد الحق، وكشف الحقائق بحسب استعمال القلب وغيره من المدركات الروحانية فيزيد فى كمالاتهم.

ـ وصنف آخر: يستعملون هذه الآلات بالطبع لا بالشرع على خلاف أوامر مستخلفهم ونواهيه فيستعملون العقل المشوب بالوهم والخيال فيما ليس له فيه مجال التصرف من الإلهيات فيقعون فى شبهات أهل البدعة والضلالة من المتكلمين والمتفلسفين[5] فيحرمون من سعادة الخلافة، وكرامتها.

والطبقة الثالثة:

يستعملون جميع الآلات الجسدانية والروحانية على وفق أوامر مستخلفهم

---

(١) فى (ط) (وهم صنفين).

(٢) سقطت من (ز).

(٣) السياق هنا يدل على معنى آية:

﴿ سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أولم يكف بربك أنه على كل شىء شهيد﴾ .

وهى الآية رقم ٥٣ من سورة (فصّلت) مكية.

(٤) فى (ت) : (فتحظى).

(٥) فى (ز) : (والمتفلسين).

ونواهيه. وهم الأنبياء، والأولياء ولهم المرتبة العليا فى الخلافة ولهذا فضل الله آدم عليه السلام، على الملائكة عليهم السلام بالخلافة لأنه ليس لهم هذه الآلات بجميعها لاستعداد الخلافة . وكان فضل آدم على الملائكة بفضائل جمة[1] منها: اختصاصه بتعليم علم الأسماد كلها فقال : ﴿ **وعلم آدم الأسماء كلها** ﴾ [2]. ذكر الأسماء بالألف واللام وهى لاستغراق الجنس. فيقتضى أن لا يكون شيء إلاّ وآدم يعلم اسمه. وقوله ﴿**كلها**﴾ أى بكليتها. وهى حقائق المسميات معناه. وعلم آدم الأسماء والمسميات وحقائقها. مثالها [3]. أن الله علمك اسم: الغنم.. فما اقتصر[4] منه على علم مجرد هذا الاسم. بل علمك علم أسمائه كلها بأن علمك ببصرك اسم لونه أبيض أم أسود. وعلمك بسمعك اسم صوته، واسم رائحته بشمك، واسم طعمه بذوقك، واسم لينه وخشونته بلمسك. كذلك جميع أسماء صفاته، وأخلاقه، وخواصه، ومنافعه، ومضاره. علمك بقواك وعقلك وعلمك بإيمانك اسم خليقته فلكل جزء من أجزائه اسم، وطعم، ورائحة، وصفة، وخاصة، وماهية، وحقيقة أخرى لا يعلمها إلاّ الإنسان لأنه خلق فى أحسن تقويم لإدراك صور الأشياء، ومعانيها، وحقائقها. وأن له بحسب كل شيء من الجملة المذكورة آلة مدركة لذلك الشيء. كما هى خلافة عن مستخلفه الذى هو مدرك حقائق الأشياء بلا آلة مدركة. وليس للملائكة هذه المدركات كلها إلا ما يتعلق بالقوة المدركة العقلية الملكية. فلهذا لما ﴿ **عرضهم على الملائكة فقال أنبئونى بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين** ﴾ [5].

---

(١) فى (ز) : (جملة.

(٢) آية رقم ٣١ من سورة (البقرة) مدنية.

(٣) فى (ز) ، (ط) : (مثاله).

(٤) فى (ت) : (اسم الغنى فلما اقتصر).

(٥) آية رقم ٣١ من سورة (البقرة) بقية الآية السابقة.

إن كان[1] لكم فضيلة على آدم بالتسبيح والتقديس والحمد والثناء. ﴿ **قالوا سبحانك**﴾ إقرار[2] بالعجز واعتذار عن الاعتراض. واعترافا باستحقاقه للخلافة. ﴿ **لا علم لنا**﴾ بالاسمـاء وحقائقها ﴿ **إلا ما علمتنا**﴾ منها بما أعطيتنا من النظر الملكى الملكوتى فظهر فضيلة آدم عليهم بفنون هذه العلوم، وبعجزهم[3] عن الإتيان بمثلها فكما أن القرآن كان دليلا على نبوة محمد (صلى الله عليه وسلم) وفضيلته على الكافرين بإعجازهم عن الإتيان بمثله[4] كذلك علم الأسماء كان دليلا على خلافة آدم عليه الصلاة والسلام[5]، وفضيلته على الملائكة بإعجازهم عن إتيان[6] مثله. ثم كمالية استعداده للخلافة واستحقاقه للسجود إنما كان بتعلمه علم أسماء الله تعالى[7]، وصفاته بتعليم الله إياه بأن جعل ذاته وصفاته فى التسوية مرآة قابلة لتجلى صفات جلاله وجماله تبارك وتعالى.

كما قال (عليه الصلاة والسلام):

«إن الله خلق آدم فتجلى فيه»[8].

فبالتجلى علمه التخلق بأخلاقه والاتصاف بصفاته. وهذا هو سر[9] الخلافة على الحقيقة. لأن المرآة تكون خليفة للمتجلى فيها.

---

(١) إضافة من المحقق.

(٢) فى (ز) : (إقرار).

(٣) فى (ط) : (ومعجزهم)، وفى (ز) : (وبمعجزهم).

(٤) فى (ز) : (عن إتيان مثله).

(٥) سقط الثناء على آدم فى (ط) ، (ز).

(٦) فى (ز) : (الإتيان).

(٧) فى (ت) : (الأسماء الله).

(٨) حديث : سبقت الإشارة إليه.

(٨) سقطت من (ز) .

- ومن دلائل فضيلة آدم على الملائكة، واستحقاقه للخلافة احتياج الملائكة إليه بأنباء[1] الأسماء لقوله[2] تعالى:

﴿ **يا آدم أنبئهم بأسمائهم**﴾ [3] فكان آدم عليه السلام أول الأنبياء، وأول ما بدأ بالنبوة بدأ بإنباء[4] الملائكة بأمر الحق وبخلافته فكانوا بمثابة الأمة له. فالفضيلة مختصة بالنبى على الأمة، لا بالأمة على النبى. وإنما كان آدم مختصا بعلم الأسماء دون الملائكة. وهم محتاجون إليه بأنباء أسمائهم، وأسماء غيرهم. لأن آدم كان بالحقيقة أصل العالم، وخلاصته فكان روحه بذر شجرة العالم وشخصه ثمرة شجرة العالم. ولهذا خلق شخصه بعد تمام العالم بما فيه كخلق الثمرة بعد[5] تمام الشجرة. فكما أن الثمرة تعبر على أجزاء الشجرة كلها حتى يظهر على أعلى الشجرة كذلك آدم على أجزاء الموجودات علوّها وسفلها وكان فى كل جزء من أجزائها له منفعة ومضرة ومصلحة ومفسدة فسمى كل شىء منها باسم يلائم تلك المنفعة، والمضرة، والمصلحة، والمفسدة بعلم علمه الله تعالى. واختصه به من الملائكة وغيرهم. وهذا من جملة ما كان الله يعلم من آدم والملائكة لا يعلمون فكان من كمال حال آدم أن أسماء الله تعالى جاء على وفق منفعته ومضرته ومصلحته ومفسدته فضلا عن أسماء غيره. وذلك أنه لما كان مخلوقا. كان الله خالقا ولما كان مرزوقا. كان الله رازقا. ولما كان عبدا كان الله ربّا [6]. ولما كان عابدا كان الله معبودا. ولما كان معيوبا، كان الله ستّارا، ولما كان مذنبا، كان الله غفارا. ولما كان تائبا، كان الله توابا. ولما كان منتفعا كان الله نافعا. ولما كان متضررا كان

---

(١) فى (ز) (بأنها).

(٢) فى (ت) (بقوله).

(٣) آية رقم ٣٣ من سورة (البقرة) مدنية.

(٤) فى (ز) : (بأنبيا).

(٥) فى (ت) (الشجرة).

(٦) فى (ز) : (إلها).

الله ضارا. ولما كان فقيرا كان الله غنيا. ولما كان ضعيفا كان الله قويا. ولما كان ظالما كان الله عدلا. ولما كان مظلوما كان الله منتقما، ولما كان محبا كان الله جميلا فعلى هذا قس الباقى.

ثم اعلم أن الإنسان لهذا المعنى بكل صفة من صفاته كان قابلا كالمرآة لتجلى صفة من صفات الله تعالى باللطف والقهر عند تقرب العبد إليه. وتجرده[1] عنه ومثاله: إن تقرب العبد إلى الله تعالى بتزكية نفسه عن الصفة المذنبة تجلى الله له بالصفة الغفارية [2] فى الأرض. وإن تقرب إلى الله بتزكية نفسه عن صفة الظلم تجلى الله له[3] بصفة العدل فيتجلى العبد بالعدل فيكون خليفة الله يحكم بالعدل فى الأرض وهذا سر قوله «من تقرب إلىّ شبرا تقربت إليه ذراعا»[4] فَقِسْ على هذا خلافته فى جميع الصفات، ولهذا الاستحقاق قال الله عز وجل فى بعض الروايات. «عبدى : أنا ملك حى لا أموت[5] أبدا فإذا قلت لشىء كن فيكون. أطعنى أجعلك ملكا حيا لا تموت أبدا فإذا قلت لشىء كن فيكون» فمن يطع الله باستعمال جميع الآلات الجسدانية والروحانية تكون فى الخلافة بهذه المرتبة. وسنبين كيفية استعمالها فى باب مقامات الإنسان عند رجوعه إلى ربه إن شاء الله تعالى[6].

---

(١) فى (ط) : (وتمرده).

(٢) فى (ط) : (فيتجلى العبد الغفارية فيكون خليفة الله بالغفارية) والجزء الأعلى سقط من (ت) وهو ما بين القوسين.

(٣) سقطت من (ز).

(٤) الحديث سبقت الإشارة إليه.

(٥) فى (ز) : (لا أموت).

(٦) سقطت من (ز) . وفى (ط) : (سبحانه وتعالى).

الباب السابع

فـــى

« مقامات الإنسان
عند رجوعه إلى ربه »

وفيه أربعة فصول[1].

---

(١) فى (ز) : (وفيه فصول).

الفصل الأول
فـــى
كيفية رد الروح إلى القالب

قال الله تعالى :

﴿ لقد خلقنا الإنسان فى أحسن تقويم * ثم رددناه أسفل سافلين * إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم أجر غير ممنون﴾ (١).

وقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) :

«إن خلق أحدكم : يجمع فى بطن أمه أربعين يوما نطفة(٢) ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يبعث الله الملك بأربع كلمات، قال يقول: اكتب رزقه، وعمله، وأجله، وشقيا أم سعيدا. فيكتب رزقه، وعمله، وأجله، وشقيا أم سعيدا. ثم ينفخ فيه الروح. وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه(٣) وبينها إلاّ ذراع فيسبق عليه الكتاب فيختم له بعمل أهل النار. فيدخلها. وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه(٤) وبينها إلاّ ذراع فيختم له بعمل أهل الجنة فيدخلها»(٥).

---

(١) آيات (٤، ٥، ٦) من سورة (التين) مكية.

(٢) الإضافة من (ط).

(٣) فى (ط) : (حتى ما بينه).

(٤) فى (ط) : (حتى ما بينه).

(٥) الحديث : إن خلق أحدكم بجمع فى بطن أمه أربعين يوما نطفه ثم يكون علقه ثم يكون مضغة ... ينظر فى فهرس الأحاديث النبوية نهاية الكتاب.

اعلم أن الروح الإنساني لما خلق في أحسن تقويم وهو استعداد قبول الفيض الإلهي بلا واسطة، وإنه متفرد بهذه الرتبة من بين سائر المخلوقات، وذلك لأنه أول شيء تعلق به أمر «كُنْ» في الإيجاد بلا واسطة، وما سواه من المخلوقات. فقد تعلق الأمر به بالوسائط[1]. ولهذا السر قال تعالى في تعريف الروح:

﴿ قل الروح من أمر ربي﴾ [2].

ولما كان الروح أول مقدر تعلقت به القدرة كان أقرب الموجودات إلى الحضرة، وكان في جوار رب العالمين. إلى أن رده الله إلى أسفل سافلين القالب الإنساني. أي أمره بالتعلق به، ولا تظنن أن كيفية تعلق الروح بالقالب. ككيفية جسم بجسم، أو تعلق عرض بجسم ليكون له الدخول والخروج، والصعود[3] والنزول. كما هو معتاد الأجسام اللطيفة، والكثيفة. بل تعلقه بالقالب بنفخ الحق فيه بلا كيفية، ولا تشبيه كما نطق به القرآن والحديث.

فأما حقيقة رد الروح إلى أسفل سافلين القالب. بأن رد وجهه الناظر الذي كان به ناظرا إلى الحضرة إلى جهة تربية النطفة في الرحم ليقلبها بالأربعينات علقة، ثم مضغة. ثم يكسو العظام لحما، ثم يتم نفخ الروح فيه فصار بهذا الاعتبار مقبلا على القالب وحظوظه مدبرا عن الحضرة وحقوقها، فباعتبار توجه الروح إلى القالب بالأمر وشغله بتربية القالب عبر عن قوله :

﴿ ثم رددناه أسفل سافلين﴾ [4]. وإلاَّ [5] فالروح ما تحرك من مكانه في جوار الحق تعالى[6].

---

(١) في (ز) : (بالواسط).

(٢) آية رقم ٨٥ من سورة (الإسراء) مكية.

(٣) في (ز) : (العصود).

(٤) آية رقم ٥ من سورة (التين) مكية.

(٥) إضافة من (ط)، (ز).

(٦) سقط من (ط)، (ز) (تعالى).

ولهذا قال تعالى : ﴿ **ونحن أقرب إليه من حبل الوريد** ﴾ [1].

فلو نظرنا إلى أصل فطرته[2]، وأنه أول مقدور تعلق به القدرة فهو أقرب الأقربين إلى الحضرة. ولو نظرنا إلى رده بالتوجه إلى أسفل سافلين القالب لشغل رتبته[3] فهو أبعد الأبعدين عن الحضرة. وإنه لما رد القالب عبر نور نظره على عالم الأرواح ثم[4] على العرش، والكرسى، والسماوات السبع، وما فيهن من الملائكة الروحانيين، والكروبيين، وحملة العرش، والكرسى[5]، والبروج، والأنجم، والكواكب السيارة، والثوابت، والأجرام، والنفوس السماوية. ثم على الأثير، والنار، والجن، والشياطين ثم على الهواء، والماء، والأرضين السبع. ثم على المركبات من الأجزاء العنصرية. كأصناف الجمادات، والنباتات، والحيوانات إلى القالب الإنسانى وهو أسفل السافلين على الحقيقة. إذ ليس تحته شيء [6] أبعد منه إلى الحضرة لأنك إذا اعتبرت الموجودات وجدت أبعدها عن الحضرة [7] عالم الأجسام.

وإذا اعتبرت عالم الأجسام بأسره وجدت أبعده عن العرش الذى هو أقرب شيء من عالم الأجسام إلى الحضرة، أصناف المركبات من الجواهر العنصرية، التى منها قالب الإنسان. ومن أصناف المركبات (كل ما كان أبعد عن الاعتدال الحقيقى. وهو استعداد قبول الفيض الإلهى كان أقرب إلى الطبيعة العنصرية)[8]. وكل ما كان أقرب إلى الاعتدال الحقيقى كان أبعد عن الجواهر العنصرية. وقالب الإنسان أقرب

(١) آية رقم ١٦ من سورة (ق) مكية.

(٢) فى (ز) : (فترته).

(٣) فى (ز) : (تربيته).

(٤) سقطت من (ز).

(٥) سقطت من (ز).

(٦) فى (ز) : (هو) زائدة.

(٧) فى (ت) : (حضرة) وفى (ط) (عن الحضرات) مكررة.

(٨) ما بين القوسين من (ز).

إلى الاعتدال الحقيقى فإذاً هو أبعد عن الجواهر العنصرية. فصورة قالب الإنسان أبعد المركبات عن الحضرة فهو أبعد الأبعدين، وروحه أقرب الأقربين إلى الحضرة، وما كان شيء فى عالم الأجسام علويها وسفليها إلاّ وقد ركب فى قالب الإنسان ما هو زبدته، وما كانت خاصيته فى عالم الأرواح علويها وسفليها إلاّ وقد حصلها فى روح الإنسانى بتدبير العزيز الحكيم. ثم جمع بينهما ﴿ **ليبلوكم أيكم أحسن عملا وهو العزيز الغفور**﴾ [1]. فبعزته بعّد المقرب للابتداء، وبمغفرته قرّب المبعد للاصطفاء والاجتباء.

ثم اعلم :

أن الروح حين[2] تعلقه من أعلى عليين القرب إلى أسفل سافلين القالب. فُسِّر[3] بنفخة الحق تعالى حيث ما بلغ من منازله اجتذب منه خاصية أودعت فيه، وحل[4] فيه من نوره وصفائه ولطافته بحسب ما اجتذب من ظلمة ذلك المنزل، وكدورته، وكثافته فاحتجب الروح بما اجتذب من كل منزل من منازل الروحانيات، والجسمانيات إلى أن تعلق بقالب الإنسان فصار محجوبا عن الحضرة، محبوسا فى أسفل سافلين القالب. إلى أن يخلّص الله تعالى روح من يشاء من عباده. بجذبة ﴿**ارجعى إلى ربك**﴾ [5].

كما سنبينه إن شاء الله وحده[6].

---

(١) آية ٢ من سورة (الملك) مكية.

(٢) فى (ت) : (حسن).

(٣) غير واضحة فى النسخ وفى (ت) (فسرا) وهى كما أوضحت لتذكيره الروح.

(٤) فى (ز) : (وخليّ).

(٥) آية رقم ٢٨ من سورة (الفجر) مكية.

(٦) فى (ز) : (إن شاء الله تعالى وأحكم).

الفصل الثانى
فــى
رجوع الروح إلى الحضرة

قال الله تعالى:

﴿ يا أيتها النفس المطمئنة * ارجعى إلى ربك راضية مرضية * فادخلى فى عبادى * وادخلى جنتى﴾ (1).

اعلم أن الله تعالى لما أراد أن يجعل فى الأرض خليفة لذاته وصفاته. خلق له روحا فى أحسن تقويم ثم رده إلى(2) أسفل سافلين القالب وحجبه بحجب النورانيات الروحانيات وحجب الظلمات الجسمانيات وهما عالما (3) الغيب والشهادة.

وعدد الحجب ما قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم):

«إن لله سبعين ألف حجاب من نور وظلمة»(4).

فالحجب النورانية من عوالم الغيب الروحانية.

---

(١) آيات [٢٧، ٢٨، ٢٩، ٣٠] من سورة (الفجر) مكية.

(٢) فى (ز) : (ثم رددناه).

(٣) فى (ط) : (عالمى).

(٤) حديث : إن لله سبعين ألف حجاب من نور وظلمة، ينظر فى فهرس الأحاديث النبوية نهاية الكتاب.

والحجب الظلمانية من عوالم الشهادة الجسمانية، وأعطى الخليفة بحسب تلك العوالم مدركات روحانية وجسمانية يدرك بها العوالم المختلفة كلها ليكون بخلافته عالم الغيب والشهادة. وذلك حين يتخلص من حبس[1] القالب، ويرجع إلى ربه بجذبات عنايته، وأن الله تعالى سماه روحا عند نفخه فى القالب فقال: ﴿ **ونفخت فيه من روحى**﴾ [2] وسماه نفسا عند رجوعه إلى الحضرة فقال :

﴿ **يا أيتها النفس المطمئنة * ارجعى إلى ربك**﴾ [3]. أو[4] أراد بالنفس هنا ذاته وحقيقة وجوده. كما قال تعالى :

﴿ **تعلم ما فى نفسى ولا أعلم ما فى نفسك**﴾[5] أى فى ذاتك[6]. فإن النفس للإنسان اسم جامع[7] لقالبه ونفسه الأمّارة، وقلبه، وروحه. ولها خاصية لا توجد فى الروح، ولا فى القالب، ولا فى النفس الأمارة ولا فى قالبه. ويوجد فيها ما يوجد فى كل فرد من أفرادها كما أن «السكنجبين» اسم جامع للمطبوخ من السكّر، والخل، والماء، فله [8] خاصية فى دفع الصفراء لا توجد فى السكّر ولا فى الخل، ولا فى الماء. ويوجد فيه ما يوجد فى تلك الأفراد. فبهذا الاعتبار يوجد فى رجوع النفس إلى

---

(١) فى (ز) : (جنس).

(٢) آية رقم ٢٩ من سورة (الحجر) مكية.

(٣) آية ٢٧ ، ٢٨ من سورة (الفجر) مكية.

(٤) سقطت من (ط)، (ز).

(٥) آية رقم ١١٦ من سورة (المائدة) مدنية.

(٦) فى (ت) : (ذلك).

(٧) هذه الجملة مضطربة فى (ط)، (ز).

فهى فى (ط) : (وإن النفس للإنسان اسما جامعا).

وفى (ز) : (وإن النفس الإنسان اسما جامعا).

(٨) فى (ز) : (وله).

الحضرة رجوع القالب والروح وجميع وجوده. ولا يوجد فى رجوع فرد من هذه الأفراد رجوع الجميع. ثم إذا أظهر الحق تعالى أثار ألطافه وعنايته فى حال العبد. وأسمهع خطاب ﴿ **ارجعى إلى ربك**﴾ [1]. وإن كان هو غير مشعر بسماعه فيرزقه حسن الإنابة، والتوبة. التى هى الرجوع إلى الحق بعد التمادى فى الباطل. فعليه فى الرجوع العبور على تلك الحجب. التى هى سبعون ألف حجاب من نور وظلمة، ولا يسلم له العبور على كل مقام من هذه المقامات إلا بأن يرد إليه ما أخذ منه حين تعلقه بالقالب، ويسترد منه ما حل فيه من النور والصفاء [2] واللطافة، وأنه [3] يحتاج هذه الأوصاف ليطير[4] إلى عشه الأصلى، الذى طار منه ثم بتصرفات الجذبات من حقيقة أمر ﴿ **ارجعى**﴾ يصير إلى الحضرة. فأول مقام يعبر عنه السالك من بدء سلوكه مقام الترابية.

كما سيجيىء [5] شرحه إن شاء الله تعالى.

---

(١) سبقت الإشارة إلى الآية.

(٢) فى (ط) : (ما خلق)، وفى (ز) : (ما حلى فيه من النور والصفات).

(٣) فى (ط)، (ز) : (فإنه).

(٤) فى سائر النسخ : (يطير).

(٥) فى سائر النسخ : (يجيىء).

الفصل الثالث

فـــى

العبور عن مقامات خواص الجواهر[1]

وهى أربع مقامات : (الترابية، والمائية، والهوائية، والنارية)[2].

اعلم أن الروح فى حبس[3] القالب مقيد[4] بقيود هذه الأربعة. فلا يتخلص منها إلاّ بالإيمان، والأعمال الصالحة الشرعية. كما قال تعالى :

﴿ ثم رددناه أسفل سافلين * إلاّ الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم أجر غير ممنون﴾ [5].

وقال تعالى :

﴿ إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه﴾ [6].

---

(١) فى (ط) : جواهر العنصرية، وفى (ز) : (جواهر العنصرة).

(٢) ما بين القوسين سقط من (ز).

(٣) فى (ز) : (جنس).

(٤) فى (ت) : (مقيدة). وهو فى الكتاب يذكّر الروح دائما.

(٥) فى (ز) : إلى (وعملوا الصالحات) وحذف الباقى.

والآيتان هما (٥، ٦) من سورة (التين) مكية.

(٦) الآية رقم ١٠ من سورة (فاطر) مكية.

والعبور عنها، بأن يرد إلى كل مقام عبر عليه حين تعلقه بالقالب ما أخذ منه من مذمومات خواصه. ويبقى معه ما أخذ من محمودات خواصه. فما أخذ من خواص الترابية المذمومة هى الخسّة، والركاكة، والدناءة، والذلة، والإمساك. فردها إليه بتزكية النفس عن هذه الصفات، وتبديلها بأضدادها. وهى علو الهمة، ورفعة الدرجة، والمروءة، والعزّة، والسخاوة.

فأمّا محمودات خواصها فالتواضع، والقناعة، والانكسار، والحلم، والثبات، والسكون، والوقار.

وأما المائية. فمذمومات خواصها. طلب الشهوات، والتنعمات[1] والمستلذات، والأنوثة فى الطبع، والخنوثة والكسل. فردّها بالتزكية عنها. والتحلية بأضدادها.

وهى العفة، والأنفة، والرجولية، والصلابة.

فأما محمودات خواصها. فاللين، والرقة، والشفقة، والرحمة، ولطافة الطبع، والظرافة.

وأمّا الهوائية: فمذمومات خواصها. التكبر، والتجبر، والعجب، والغرور، والحسبان، والرياء، والغل، والحقد، والعداوة.

فردّها بالتزكية عنها والتحلية بأضدادها. وهى التواضع، والتسليم، والرضا، والامتثال، والانقياد، والانتباه، والصدق، والإخلاص.

فأما محمودات خواصها: فالنخوة، والهمة، والعظمة، والأمانة، وسلامة الصدر، والوفاء،والتودد.

وأمّا [2] النارية: فمذمومات خواصها: الغضب، والترفع، والحدة والإباء، والاستكبار [3]، والحرص، والشره، والطمع، والحسد.

---

(١) فى (ز) : (التغمات).

(٢) فى (ز) : (فأمّا).

(٣) فى (ت) : (والاستنكار).

فردّها بالتزكية عنها. والتحلية بأضدادها، وهى: التحمل، والصبر، والسكون، والوقار، والإيثار، والاستسلام.

فأمّا محمودات خواصها: فالجلادة، والكفاية، والذهن، والذكاء، والفهم، والإدراك، والشجاعة. وأمثالها.

وأمّا الوقائع التى ترى فى العبور عن هذه المقامات. فأكثر ما يرى فى العبور عن الترابية: الخربات، والآثار، والطلل، والدمن والرسوم، والحيطان المكسورة، والآبار، والأخاديد. وأمثالها.

وفى العبور عن المائية: المياه الجارية، والدائمة، والأمطار، والأنهار والعيون، والبحار، والأودية. وأمثالها.

وفى العبور عن الهوائية: المشى على الهواء، والطيران، وهبوب الرياح، والعروج إلى السماء ونحو ذلك.

وفى العبور عن النارية:

رؤية النيران المشتعلة، والمواضع المحترقة، ووقوع النار فى الأجمة، والدخول فى النار، والبروق، واللوامع، والصواعق، وأشباهها. وإذا عبر عن الجواهر العنصرية. وهى مفردات العناصر يقع عبوره فى المركبات، والمعادن، والنباتات.

كما سيجيىء شرحه إن شاء الله تعالى.

الفصل الرابع
فـــى
العبور عن خواص جواهر المركبات والنباتات فى الرجوع

اعلم أن مفردات العناصر إذا صارت مركبة، صارت ظلمات خواصها مركبة، وكلما ازداد ترقيها إلى المعادن والنباتات ازدادت ظلماتها ﴿ **ظلمات بعضها فوق بعض**﴾ (1).

ولهذا السر لما رأت(2) الملائكة قالب آدم، عليه السلام، ملقى بين مكة والطائف(3) مركباً من العناصر الأربعة(4) (قالوا: ﴿ **أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء**﴾ (5) إنما قالوها لأنهم نظروا إلى جسد آدم مركبا من العناصر الأربعة)(6) المتضادة قبل نفخ الروح فيه. فشاهدوا بنظر الملكى فى ملكوت جسده صفات بشريته البهيمية السبعية، التى تتولد من تركيب أضداد العناصر كما

---

(1) آية رقم ٤٠ من سورة (النور) مدنية

(2) فى (ط): (رأى) سقطت وأضيف أسفل السطر ربما من المقابلة.

(3) فى (ط) : (طائف).

(4) فى (ز)، (ط) : (الأربع).

(5) آية رقم ٣٠ من سورة (البقرة) مدنية.

(6) ما بين القوسين سقط من (ت).

شاهدوها فى أجساد الحيوانات والسباع الضاريات [1]. بل عاينوها فإنها خلقت قبل آدم فقاسوا عليها أحواله بعد أن شاهدوها، وحققوها وهذا لا يكون غيبا فى حقهم، وإنما يكون غيبا لنا إذا نظرنا بالحس والملكوت يكون لأهل الحس غيبا. وهنا [2] من ينظر بالنظر الملكوتى فيشاهد الملكوت والملكوتيات كما قال تعالى: ﴿ **وكذلك نرى إبراهيم ملكوت السموات والأرض**﴾ [3]. وقال تعالى: ﴿ **أولم ينظروا فى ملكوت السموات والأرض**﴾ [4]. فحينئذ لا يكون غيبا. فإن الغيب ما غاب عنك. وما شاهدته فهو شهادة. فالملكوت للملائكة شهادة والحضرة الإلهية لهم غيب. وليس لهم الترقى إلى تلك الحضرة وأن للإنسان قالبا من عالم الشهادة المحسوسة، وروحاً من عالم الغيب، الملكوتى الغير محسوس[5]، وسرا مستعدا[6] لقبول فيض النور الإلهى.

فالسالك بالعبور عن خواص مفردات العناصر يرتقى إلى المركبات، ومن المركبات يرتقى[7] بالعبور عن خواصها إلى المعادن والنباتات، ومنها بالعبور عنها ترتقى إلى أفق الحيوانات. ومنه يرتقى إلى الأفق[8] الإنسانى ومنه يرتقى من عالم الشهادة إلى عالم الغيب وهو الملكوت، كما سيجيىء شرحه فى موضعه، إن شاء الله تعالى. وبسر المتابعة وخصوصيتها ترتقى من عالم الملكوت إلى عالم الجبروت والعظموت، وهو غيب الغيب فيشاهد بنور الله تعالى. المستفاد من سر المتابعة أنوار الجمال والجلال فيكون فى خلافة الحق عالم الغيب والشهادة. كما أن الله تعالى هو ﴿ **عالم الغيب**

---

(١) فى (ت) : (الضادية).

(٢) سقطت من (ز).

(٣) آية رقم ٧٥ من سورة (الأنعام) مكية.

(٤) آية رقم ١٨٥ من سورة (الأعراف) مكية.

(٥) فى (ط) : (غير المحسوس)، (ز).

(٦) فى (ز) : (وسر مستعد).

(٧) فى (ز) : (يرتقى عن العبور).

(٨) فى (ز)، (ط) : (ومنها يرتقى إلى أفق).

فلا يظهر على غيبه أحدا﴾[1] أى الغيب المخصوص به وهو غيب الغيب. ﴿ **أحدا**﴾ يعنى من الملائكة. ﴿ **إلا من ارتضى من رسول**﴾ [2]. يعنى من الإنسان فهذا هو السر المكنون المركوز فى استعداد الإنسان الذى كان الله يعلم منه والملائكة لا يعلمون[3] به حين قالوا ﴿ **أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء**﴾ [4]. حتى قال ﴿ **إنى أعلم ما لا تعلمون**﴾ [5].

والذى قالت الملائكة لما نظروا بنظر الملكى فى ملكوت جسد آدم أنطقهم الله تعالى[6] بهذا القول ليتحقق لنا أن هذه الصفات الذميمة فى طينتنا [7] مودعة، وفى جبلتنا [8] مركوزة. فنجتهد فى تزكية نفوسنا عن هذه الصفات.

ويسعى فى العبور عن هذه الظلمات بتوفيق الله تعالى[9] وعونه إن شاء الله وحده.[10] كما نشرح فى مقامات النفس ومعرفتها إن شاء الله[11] وحده.

---

(١) فى (ز) : (ولا يظهر على غيبه) وهى آية رقم ٢٦ من سورة (الجن) مكية.

(٢) فى (ز) : (إلا لمن). وهى آية رقم ٢٧ من سورة (الجن) مكية.

(٣) فى (ز) : (لا يعلمونه).

(٤) آية رقم ٣٠ من سورة (البقرة) مدنية.

(٥) بقية آية ٣٠ من سورة (البقرة) مدنية.

(٦) سقطت من (ز).

(٧) فى (ت) : (طينتها).

(٨) فى (ت) : (وفى جبلتها).

(٩) سقطت من (ز).

(١٠) سقطت من (ز).

(١١) فى (ز) : (إن شاء الله تعالى).

الباب الثامن

فـــى

« مقامات النفس ومعرفتها »

وفيه عشرة فصول

الفصل الأول

في

معرفة النفس وماهيتها

قال الله تعالى:

﴿ إن النفس لأمارة بالسوء إلاّ ما رحم ربى﴾ [1].

وقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم):

«أعدى عدوك: نفسك التى بين جنبيك»[2].

اعلم أن النفس عين لطيفة هى معدن الأخلاق الذميمة مودعة بين جنبى الإنسان. أى جميع جسده، وهى أمارة بالسوء، وهى مجبولة على ضد الروحانيات المخلوقة من الملكوت الأعلى فإنهم يأمرون بالخير وينهون عن الشر، وهى مخلوقة من الملكوت السفلى كالشياطين وهم لا يأمرون إلاّ بالشر، ومن طبعهم التمرد والإباء والاستكبار.

وفى بعض الروايات:

«إن الله تعالى لما خلق النفس قال لها أقبلى فأدبرت، وقال لها أدبرى فأقبلت»[3] على ضد العقل.

---

(١) آية رقم ٥٣ من سورة (يوسف) مكية.

(٢) حديث : أعدى عدوك نفسك التى بين جنبيك، ينظر فى فهرس الأحاديث النبوية نهاية الكتاب.

(٣) حديث : لما خلق الله النفس ... ينظر فى فهرس الأحاديث النبوية نهاية الكتاب.

فأما منشأ خلقة النفس فإن الله تعالى لما نفخ الروح فى جسد آدم عليه السلام، خلق من ازدواج الروح والجسد والدين ذكرا. وهو القلب يشبه والده الروح العلوى فيأمر بالخير وجعل موضعه المضغة الصنوبرية فى الجانب[1] الأيسر من الصدر وأنثى وهى[2] النفس تشبه والدته الجسد السفلى فتأمر بالشر وجعل موضعها جميع الجسد، وقد خلقها على صورة جهنم، وخلق بحسب كل دركة فيها صفة لها. وهى باب من أبواب جهنم يدخل فيها من هذا الباب إلى دركة من دركاتها السبع وهى سبع صفات:

الكبر، والحرص، والحسد، والشهوة، والغضب، والبخل، والحقد.

فمن زكى نفسه عن هذه الصفات فقد عبر عن هذه الدركات السفلية، ووصل إلى درجات الجنات العلوية كما قال تعالى:

﴿ **قد أفلح من زكاها** ﴾ [3] ومن لم يزك[4] نفسه عن هذه الصفات بقى فى دركات جهنم خائبا[5] خاسرا. كما قال تعالى ﴿ **وقد خاب من دساها** ﴾ [6].

ثم اعلم: أن هذه الصفات من مقامات النفس. يتولد منها صفات أخرى. ومنشأ جميع الصفات النفسانية صفتان مركوزتان فى جبلة كل حيوان ولا بد له منهما فى التعيش، وهما: الشهوة، والغضب.

فبالشهوة يجذب المنافع إلى نفسه.

---

(١) فى (ط)، (ز) : (جانب).

(٢) فى (ط)، (ز) : (وهو).

(٣) آية رقم ٩ من سورة (الشمس) مكية.

(٤) فى (ز)، (ط) : (يزكى)، وفى (ت) : (يترك).

(٥) فى (ز) : (خائنا).

(٦) آية رقم ١٠ من سورة (الشمس) مكية.

وبالغضب يدفع المضار عن نفسه.

فإذا استعمل الشهوة فى طلب ما يحتاج إليه تولد منها الحرص.

وإذا استعمل الغضب فى دفع مضرة عن نفسه تولد منه الحقد.

وإن رأى شيئا مما يحتاج إليه مع غيره، ولم يدفعه إليه. تولد منه الحسد. وإن كان معه شئ طلبه منه محتاج إليه فيمنعه عنه تولد منه البخل. فإن كان معه ما يحتاج إليه جمع كثير فيتواضعون [1] له، ويتضرعون إليه فى طلب مقاصدهم وهو ينظر إليهم بنظر الحقارة وإلى نفسه بنظر العزة يتولد منه الكبر، والعجب. وإن كان لغيره ما يحتاج هو إليه، ولم يدفعه إليه. وهو قادر على أن يأخذ منه بالقوة. وجمله الحرص على أخذه منه يتولد منه الظلم والتعدى وكذلك جميع الأخلاق الذميمة يتولد بعضها من بعض ما لم تنحسم مادتها وحسم مادتها بتزكية النفس على قانون الشريعة والطريقة عن صفاتها.

كما نبينه إن شاء الله وحده.

---

(١) فى (ز) : (متواضعون).

الفصل الثانى
فـــى
تزكية النفس عن صفاتها الذميمة

قال الله تعالى :

﴿ ونفس وما سواها * فألهمها فجورها وتقواها * قد أفلح من زكاها * وقد خاب من دساها﴾ (١).

وقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم).

«لما خلق الله تعالى النفس. قال: من أنت، ومن أنا. [؟]

قالت: أنا أنا، وأنت أنت.

فأمر(٢) أن تعذب فى النار ألف سنة، ثم أخرجها.

وقال لها: من أنت، (ومن أنا [؟])(٣).

قالت : أنا أنا، وأنت أنت.

فأمر أن تعذب بالنار ألف سنة أخرى. ثم أخرجها (٤)

---

(١) آيات (٧، ٨، ٩، ١٠) من سورة (الشمس) مكية

(٢) فى (ز) : (فأمرها) وهى مكررة طوال الحديث.

(٣) ما بين قوسين سقط من (ت).

(٤) فى (ط)، (ز) : (أخرجت).

فقال لها: من أنت، ومن أنا [؟].

قالت : أنا أنا، وأنت أنت.

فأمر أن تعذب بالنار ألف سنة أخرى. ثم أخرجها)[1].

فقال لها : من أنت، ومن أنا [؟].

قالت : أنا أنا، وأنت أنت.

فأمر أنا تحبس[2] فى النار ألف سنة أخرى وتُضرب كل يوم بألف سوط من الجوع، وألف سوط من العطش. ثم أخرجت.

فقال لها: من أنت، ومن أنا. [؟]

قالت: أنا العبد الضعيف العاجز المسكين، وأنت الإله[3] الملك الجبار. لا إله إلا أنت».

(فأطاعت لما جاعت)[4].

أو كما جاء.

اعلم أن تزكية النفس واجبة على كل مسلم ومسلمة لقوله تعالى:

﴿ قد أفلح من زكاها * وقد خاب من دساها﴾ [5].

والواجب ما يثاب على فعله، ويعاقب على تركه. ولا تظنن أن تزكية النفس تتيسر بطريق العقل كما ظنت[6] الفلاسفة والبراهمة وغيرهم من الجهال شرعوا فى

---

(١) ما بين القوسين سقط من (ط).

(٢) فى (ز) : (تعذب).

(٣) فى (ط) : (الا إله إلا أنت).

(٤) الإضافة من (ط).

والحديث : سبقت الإشارة إليه.

(٥) الآيتان (٩، ١٠) من سورة (الشمس) مكية.

(٦) فى (ز) : (ظن).

تزكية نفوسهم بالرياضات والمجاهدات، على العميان، فوقعوا فى الشبهات، والآفات، والضلالات. فإن تزكية النفوس كمعالجة الأبدان، وكما لا يجوز للمريض استعمال الأدوية برأيه إلا بنظر طبيب حاذق ذى تجربة فى المعالجة. كذلك النفس لا يتيسر إلا بنظر نبى، أو ولى ذى تجربة فى هذا الشأن. وهذا أحد أسرار بعثة الأنبياء، عليهم السلام، فإنهم الحذاق فى علم تزكية النفوس. ولهذا بعثهم الله تعالى ليزكوا بعلاج الشرائع نفوس الأمم. كما قال تعالى:

﴿ هو الذى بعث فى الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة﴾ (١) الآية.

فأمّا تزكية النفس الأمارة ففى إزالة الصفة الإمارية عنها. وكذلك إزالة الصفات السبع التى مر ذكرها عنها، وتحليتها بأضدادها من الصفات القلبية. فإن العلاج بالأضداد.

واعلم أن صحة النفس وحياتها فى استيلاء هذه الصفات السبع، وما يتولد منها. ومرض القلب وموته فيها وصحة القلب وحياته فى إزاله هذه الصفات السبع، واستيلاء صفات هى أضدادها، وفيها مرض النفس وموتها.

فأما الصفات السبع التى من صفات النفس. أولها الكبر. فيعالج بالتواضع. كما نبينه إن شاء الله تعالى.

---

(١) آية رقم ٢ من سورة (الجمعة) مدنية.

الفصل الثالث
فــى
صفة الكبر وعلاجها بالتواضع

قال تعالى:

﴿ أبى واستكبر وكان من الكافرين﴾ [1].

وقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم):

«لا يدخل الجنة (من كان فى قلبه) مثقال ذرة من كبر، ولا يدخل النار (من كان فى قلبه)[2] مثقال ذرة من إيمان.

فقال رجل: يا رسول الله. إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنا.

قال: إن الله جميل يحب الجمال. الكبر: من بطر الحق وغمط[3] الناس»[4].

قال «ابن الأعرابى»[5].

---

(١) آية رقم ٣٤ من سورة (البقرة) مدنية.

(٢) ما بين القوسين سقط من (ط).

(٣) فى (ت): (غمص)، وفى (ز): (غمض).

(٤) الحديث: لا يدخل الجنة .. ينظر فى فهرس الأحاديث النبوية نهاية الكتاب.

(٥) ابن الأعرابى: هو محمد بن زياد. ويكنى: أبا عبد الله. وكان يذكر أنه ربيب (المفضل الضبى). على قول (المعارف لابن قتيبة) ويذكر صاحب (الرسالة القشيرية) أنه: أحمد بن محمد بن زياد البصرى جاور الحرم ومات به سنة ٣٤١هـ.
وكان يقول [أخسر الخاسرين من أبدى للناس صالح أعماله وبارز بالقبيح من هو أقرب إليه من حبل الوريد).
انظر (الرسالة القشيرية ص ٣٠) وانظر المعارف لابن قتيبة الطبعة السادسة.
وقوله البطر: سوء احتمال الغنى.

البطر: سوء احتمال الغنى.

وبطر الحق ههنا: أن يجعل الحق باطلا.

ويقال: هو أن يتكبر عند الحق فلا يقبله كما كان لإبليس. وغمط الناس أن يحتقرهم فلا يراهم شيئا.

فدلت الآية، والحديث. أن الكبر كفر. ألا ترى أنه قابله في نقيضه بالإيمان في الحديث.. وقال في القرآن ﴿ **وكان من الكافرين**﴾ أى صار من الكافرين بالإباء والاستكبار.

وإنى[1] قد رأيت النبى (صلى الله عليه وسلم)[2] جالساً وهو يذم الكبر والتكبر. فتذكرت حديثه الذى قاله (صلى الله عليه وسلم): «ما أنا من دد، ولا الدد منى»[3] فقلته.

ولكن جرى على لسانى «ما أنا من الدد (بالألف واللام) فلما سمع النبى (صلى الله عليه وسلم) منى الحديث أعاده، وقال: ما أنا من الدد، ولا الدد منى.

قلت: يا رسول الله. هذا حديثك؟.

قال : هذا حديثى.

قلت: أروه [4] عنك؟.

فقال: نعم، ارو عنى.

فقلت: يا رسول الله اعطنى يدك لأقبلها فأعطانى يده فصافحنى فقبلت يده (صلى الله عليه وسلم)».

---

(١) فى (ز) : (قال الشيخ المصنف، رضى الله عنه).

(٢) فى (ط)، (ز) : (فى النوم).

(٣) حديث : لم أعثر عليه. وهو فعلا منه، أى المؤلف فكيف يجرؤ على وضع هذا الحديث من منامه؟ ولا تعليق.!

(٤) فى (ط) : (أرويه).

ثم انتبهت. فأولت بذكرى هذا الحديث فى معرض أنه (صلى الله عليه وسلم) كان يذم الكبر والتكبر. إنه إشارة إلى أن العبد لا ينبغى أن يكون متكبرا كثير النخوة ولا كثير اللعب واللهو. قليل النخوة. فإنهما [1] مذمومان بل يكون متواضعا منبسطا مع الأخوان متحرزا [2] عن الذلة والهوان. ممازحا من غير لعب ولهو كما كان النبى (صلى الله عليه وسلم) يمزح ولا يقول إلا الحق.

والدد: اللهو واللعب.

وقيل معنى تنكير الدد فى الأول[3]: الشياع والاستغراق، وأن لا يبقى شىء منه إلا وهو منزه عنه. أى ما أنا من شىء من اللهو واللعب.

وتعريفه فى الجملة الثانية لأنه صار معهودا بالذكر كأنه قال ولا ذلك النوع منى.

وأما علاج الكبرياء بالتواضع فالتواضع[4]: الاستسلام للحق، وترك الاعتراض على حكم الله، ولا سبيل إليه إلا من وجهين:

أحدهما: أن ينظر إلى النفس بعين الحقارة، فيرى خسة طبعها، وركاكة نظرها، ودناة همتها، وأنواع عيوبها، وتمردها عن الحق، وتعلقها بالباطل، وخباثة ذاتها (ودمامة صفاتها)[5]، وتعديها وظلمها على نفسها ومع ذلك يرى عجزها، وفقرها، وذلها، وضعفها ومسكنتها.

الثانى[6]: أن ينظر إلى عظمة الله، وعزته، وكبريائه، وجلاله، وجبروته، وشدة

---

(١) فى (ز) : (وإنما).

(٢) فى (ز) : (محترزا).

(٣) الإضافة من (ز).

(٤) الإضافة من (ز).

(٥) سقطت من (ز).

(٦) فى (ز) : (والوجه الثانى).

عذابه، وألم عقابه. فيهابه ويتحقق [1] أن بطشه للمجرمين شديد، وعقوبته للمتمردين عظيمة. فيصغر نفسه عند نفسه باللوم لمعرفة قدرها، ويتواضع لله بالعجز. لمعرفة قدره، خائفا من عذابه. راجيا لثوابه. كما قال تعالى ﴿ **يدعون ربهم خوفا وطمعا**﴾ [2] فيبدل الله سيئة كبرها بحسنة تواضعها. كما قال (صلى الله عليه وسلم) :

«من تواضع لله رفعه الله»[3].

وكان من تواضع النبى (صلى الله عليه وسلم) أنه يعلف البعير ويقم [4] البيت، ويخصف النعل، ويرقع الثوب، ويحلب الشاة، ويأكل مع الخادم، ويطحن معه إذا أعيا، وكان لا يمنعه الحياء أن يحمل بضاعته من السوق إلى أهله، وكان يصافح الغنى والفقير، ويسلم مبتدئا، ولا يحقر ما دعى إليه. ولو إلى حشف التمر. وكان هين المؤنة. لين الخلق. كريم الطبيعة. جميل المعاشرة، طلق الوجه، بساما من غير ضحك محزونا من غير عبوس، متواضعا من غير مذلة، جوادا من غير سرفٍ، رقيق القلب، رحيما بكل مسلم، لم يتجشأ قط من شبع، ولا يمد[5] يده إلى طمع.

فمن استعمل هذه الخصال فقد تواضع لله بالكمال، وهو برىء من الكبر بكل حال.

والله الموفق[6].

---

(١) فى (ز) : (فيتحقق).

(٢) آية رقم ١٦ من سورة (السجدة) مدنية.

(٣) حديث : من تواضع لله رفعه.

(٤) يكنسه.

(٥) فى (ط) : (ولا يمد).

(٦) فى (ز) : (إن شاء الله تعالى وحده) وساقطة فى (ط).

الفصل الرابع

في

صفة الحرص وعلاجها بالقناعة

قال الله تعالى:

﴿ إن الإنسان خلق هلوعا﴾ (1).

أي: حريصا على المال شحيحا به.

وقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم).

«وما ذئبان جائعان أرسلا في غنم(2) بأفسد لها من حرص المرء على المال(3) والشرف لدينه»(4).

اعلم.

أن الحرص أكبر آفة للسائرين إلى الله تعالى. وأعظم قاطع يقطع الطريق على الطالبين لله. لأن الحرص هو عين الطلب فإذا استعمل في مطلوب غير الله لا

---

(1) آية رقم 19 من سورة (المعارج) مكية.

(2) في (ط) : (في حار زريبة غنم).

(3) مكرر في (ط).

(4) الحديث : ما ذئبان جائعان أرسلا في غنم ... ينظر في فهرس الأحاديث النبوية نهاية الكتاب.

يمكن استعماله فى الله لا سيما [١] والحرص على مال الدنيا، وجاهها. فإنه يستوعب كماله.

كما قال النبى (صلى الله عليه وسلم):

«لو كان لابن آدم واديان من ذهب لابتغى لهما [٢] ثالثا.

ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب، ويتوب الله عليه من تاب»[٣].

وقال المشايخ:

«آخر ما يخرج من رءوس الصديقين حب الجاه».

وليس للإنسان صفة لا نهاية لها إلا الحرص. لأنه عين الطلب، وهو من نتائج المحبة، وهى صفة من صفات الله تعالى كرم الله بها الإنسان وخصه[٤] بها من بين سائر المخلوقات فى سرّ ﴿ **ولقد كرمنا بنى آدم** ﴾ [٥].. بقوله تعالى ﴿ **يحبهم ويحبونه** ﴾ [٦]. وهذه كرامة مخصوصة بالإنسان، فالمحبة تنشئ الطلب، وغاية الطلب الحرص. وكل[٧] صفة من صفات الإنسان متناهية إلا الحرص على طلب [٨] الله تعالى. فإنه يزداد إلى الأبد. فكما أن المطلوب، وهو الله غير متناه. كذلك الطلب غير متناه. ولهذا لو تصرف وجه الحرص على الطلب إلى مطلوب غير لا يزال يزداد الحرص[٩] عليه.

---

(١) فى (ط) : (ويصرف الحرص).
(٢) فى (ز) : (إليهما).
(٣) حديث : لوكان لابن آدم واديا من ذهب ... ينظر فى فهرس الأحاديث النبوية نهاية الكتاب.
(٤) فى (ز)، (ط) : (وخصصه).
(٥) آية رقم ٧٠ من سورة (الإسراء) مكية.
(٦) الحديث المشهور وسبقت الإشارة إليه.
(٧) فى (ط)، (ز) : (فكل).
(٨) فى (ز) : (الطالب).
(٩) فى (ز) : (الحريص).

كما قال[1] (صلى الله عليه وسلم) :

«يهرم ابن آدم، ويشب معه [2] اثنان: الحرص، والأمل»[3].

وقال (صلى الله عليه وسلم) :

«قلب الشيخ شاب على حب اثنين : على جمع المال، وطول الحياة»[4].

وعلى الحقيقة. الحرص نار وحطبها مال الدنيا، وجاهها. كلما ازداد حطبها ازدادت النار، ولايطفئها إلاّ ماء القناعة. ولهذا قال (صلى الله عليه وسلم) :

«القناعة كنز لا يفنى»[5].

لأن نار الحرص (لما كانت نافذة فما يطفئها ينبغي أن يكون غير نافذ وبالحقيقة إن الحرص)[6] نار أوقدها الله تعالى فلا تنطفئ إلا بماء القناعة. قنع الله الحريـص به.

لأن القناعة ليست من طبيعة الإنسان وهي من مواهب الحق تعالى، وهي من أسباب الفلاح. وبها ينجي الله الحريص في الدنيا من نار الحرص. وفي الآخرة من نار جهنم.

كما قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) :

«قد أفلح من أسلم ورزق كفافا، وقنعه الله بما آتاه، وإن الله جعل العز في القناعة، والذل في الطمع»[7].

---

(١) في (ز) : (كما قال النبي).

(٢) في (ز) : (منه).

(٣) حديث : يهرم ابن آدم ويشب معه اثنان الحرص والأمل).

(٤) حديث : قلب الشيخ شاب على حب اثنين: على جمع المال، وطول الحياة.

(٥) في (ز) : (لا ينفد).

والحديث : القناعة كنز لا يفنى، ينظر في فهرس الأحاديث النبوية نهاية الكتاب.

(٦) ما بين القوسين سقط من (ز).

(٧) حديث : قد أفلح من أسلم ورزق كفافا، وقنعه الله بما آتاه وإن الله جعل العز في القناعة والذل في الطمع، ينظر في فهرس الأحاديث النبوية نهاية الكتاب.

كما قيل: عز من قنع، وذل من طمع.

والقانع من قنع بما رزقه الله تعالى يوما بيوم من غير إسراف بنفس وحرص طلب، ويقتصر منه على غذائه وعشائه، وينفق ما فضل منه فيكون مستغنيا بغنى[1] الله.

كما قال (صلى الله عليه وسلم) :

«استغنوا بغنى[2] الله. قالوا: وما هو. قال: غذاء يوم، وعشاء ليلة»[3].

وقال «على بن أبى طالب»[4] رضى الله عنه:

«طوبى لمن كانت له قصعة يأكل منها كل يوم مرة».

وقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) :

«طوبى لمن كان رزقه كفافا»[5].

وقال (صلى الله عليه وسلم):

«اللهم اجعل رزق آل محمد قوتا»[6].

أى ما يمسك رمقه، وما نال من نال مقام الحرية إلاّ بالقناعة فالقانع هو الفقير الصابر على فقره، والشاكر عن ربه فى فقره. كما قال (صلى الله عليه وسلم):

«كن قانعا تكن أشكر الناس»[7].

---

(١) فى (ز) : (بغنا).

(٢) فى سائر النسخ : (بغناء).

(٣) حديث : استغنوا بغنى الله .. ينظر فى فهرس الأحاديث النبوية نهاية الكتاب.

(٤) (على بن أبى طالب) . سبقت الإشارة إليه.

(٥) حديث الرسول : طوبى لمن كان رزقه كفافا، ينظر فى فهرس الأحاديث النبوية نهاية الكتاب.

(٦) حديث : اللهم اجعل رزق آل محمد قوتا، ينظر فى فهرس الأحاديث النبوية نهاية الكتاب.

(٧) حديث : كن قانعا تكن أشكر الناس، ينظر فى فهرس الأحاديث النبوية نهاية الكتاب.

وقيل فى نفسير قوله تعالى: ﴿ **فلنحيينه حياة طيبة**﴾ [1].

الحياة الطيبة فى الدنيا: القناعة.

وقيل : الفقراء أموات إلاّ من أحياه الله بعز القناعة.

وقال «بشر الحافى» [2]:

القناعة ملك، لا يسكن إلاّ فى قلب مؤمن.

وقال «وهب»[3].

«إن العز والغنى خرجا يجولان. فلقيا القناعة فاستقرا».

ثم.. وقال النبى (صلى الله عليه وسلم):

«ليس الغنى عن كثرة العرض، ولكن الغنى غنى النفس»[4]

وفى الزبور: القانع غنى، وإن كان جائعا.

قال «إبراهيم المارستانى»: انتقم من حرصك بالقناعة كما تنتقم من عدوك بالقصاص.

---

(١) آية رقم ٩٧ من سورة (النحل) مكية.

(٢) (بشر الحافى): هو (أبو نصر بشر بن الحارث الحافى) أصله من مرو. سكن بغداد ومات بها فى العاشر من محرم سنة ٢٢٧هـ صحب (الفضيل بن عياض) وكان عالما ورعا كبير الشأن فى علوم القوم. وسمى بالحافى لأنه كان لا يلبس الحذاء أبداً، وقيل من شدة استغراقه فى المشاهدة، ولما سئل عن هذا قال: إن الأرض بساطه تعالى وأرى من الخطأ أن أطأ بساطه وهناك ما يفصل قدمى عن البساط. انظر (كشف المحجوب والطبقات الكبرى والرسالة القشيرية).

(٣) (وهب بن منبه): تابعى جليل له معرفة بكتب الأوائل وهو يشبه كعب الأحبار. روى الأحاديث عن (معاذ بن جبل)، (وأبى هريرة) وعن طاوس وكان يقول: مثل من تعلم علما لا يعمل به كمثل طبيب معه شفاء لا يتداوى به. وأتاه رجل يقول: إنى مررت بفلان يشتمك فغضب وقال: ما وجد الشيطان رسولا غيرك.
(انظر البداية والنهاية لابن كثير المجلد الخامس جـ٩ ص ٣١٠ ـــ ٣٣٩.

(٤) حديث : ليس الغنى عن كثرة العرض، ولكن الغنى غنى النفس، ينظر فى فهرس الأحاديث النبوية نهاية الكتاب.

وقال «ذو النون المصرى»[1] :

من قنع استراح من أهل زمانه، واستطال على أقرانه.

وقيل فى قوله:

﴿ **إن الأبرار لفى نعيم**﴾ [2].

يعنى هو القناعة فى الدنيا.

﴿ **وإن الفجار لفى جحيم**﴾ [3].

هو الحرص فى الدنيا.

وقيل «لأبى يزيد»[4].

ـ بم وصلت إلى ما وصلت.

قال : ـ فجمعت أسباب الدنيا فربطتها بحبل القناعة ووضعتها فى منجنيق الصدق، ورميتها فى بحر اليأس فاسترحت.

فمن لم يعالج مرض الحرص بالقناعة، يتولد من حرصه داء الحسد، وهو أدوى الأدواء.

---

(١) (ذو النون المصرى) . سبقت الإشارة إليه.

(٢) آية رقم ١٣ من سورة (الانفطار) مكية.

(٣) آية رقم ١٤ من سورة (الانفطار) مكية.

(٤) (أبو يزيد البسطامى) : هو (أبو يزيد طيفور بن عيسى البسطامى) .من أجلة المشايخ حالاً مما جعل الجنيد يقول عنه: (أبو يزيد منا بمنزلة جبريل من الملائكة). كان جدّه مجوسيا، ووالده من أعيان بسطام.
كان يقول: (خلع الله النعم على العبيد ليرجعوا بها إليه. فاشتغلوا بها عنه). توفى رحمه الله فى سنة ٢٦١هـ.
انظر كشف ص ١٣٢ ، ٦٥ من الطبقات الكبرى حـ١).

الفصل الخامس

فى

صفة الحسد وعلاجها[1] بالنصيحة والرحمة والشفقة

قال الله تعالى: ﴿ **ومن شر حاسد إذا حسد** ﴾ [2].

وقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم):

«ثلاث هن أصل كل خطيئة فاتقوهن، واحذروهن:

ـــ إياكم والكبر. فإن إبليس حمله الكبر على ألاّ يسجد لآدم.

ـــ إياكم والحرص. فإن آدم حمله الحرص على أن أكل من الشجرة.

ـــ وإياكم والحسد. فإن ابنى آدم إنما قتل[3] أحدهما صاحبه حسداً»[4].

اعلم أن الحسد داء معضل، ودواؤه مشكل لأن صاحبه يعارض الله فيما يحب ويكره. وذلك لأن الله أحب أن أنعم على عبده بنعمة من نعمه. وكره زوالها عنه وما أحب أن تكون هذه النعمة (للحاسد وكره أن تكون له. والحاسد أحب أن تكون

---

(١) فى (ز) : (وعلاجه) وهى تجوز لكن كل الفصول تشير إلى الصفة.

(٢) آية رقم ٥ من سورة (الفلق) مكية.

(٣) فى (ط) : (قبل).

(٤) الحديث: ثلاث هن أصل كل خطيئه ... ينظر فى فهرس الأحاديث النبوية نهاية الكتاب.

النعمة له)[1] وتزول عن صاحبها. فقد أحب ما كره الله. وكره ما أحب الله. وهذا داء مزيل للإيمان؛ لأن صاحبه لم يحب لأخيه ما يحب لنفسه من الخير[2].

وقد قال النبى (عليه السلام):

«لايؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه»[3].

وقال بعضهم:

«إن الحاسد جاحد لأنه لا يرضى بقضاء الواحد».

وفى بعض الكتب المنزلة:

«الحاسد عدو لنعمتى».

وقيل فى قوله تعالى:

﴿ **قل إنما حرم ربى الفواحش ما ظهر منها وما بطن** ﴾ [4].

قيل: ما بطن: الحسد.

وقيل: أثر الحسد يتبين فيك قبل أن يتبين فى عدوك ومنه قوله (صلى الله عليه وسلم):

«الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب»[5]. يشير به إلى أن الحسد يشارك الشرك فى إحباط الأعمال.

---

(١) الزيادة هنا ما بين القوسين من (ز)، (ط).

(٢) سقطت من (ز): (من الخير).

(٣) فى (ز): (من الخير) زائدة.

والحديث: لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه.. ينظر فى فهرس الأحاديث النبوية نهاية الكتاب.

(٤) آية رقم ٣٣ من سورة (الأعراف) مكية.

(٥) الحديث: الحسد يأكل الحسنات ... ينظر فى فهرس الأحاديث النبوية نهاية الكتاب.

وفى بعض الآثار:

«إن فى السماء الخامسة ملكا يمر به عمل عبد له ضوء كضوء الشمس. فيقول: قف فأنا ملك الحسد اضرب به وجه صاحبه فإنه حاسد».

وقيل: إذا أراد الله أن يسلط على عبد عدوا لا يرحمه سلط عليه حاسده.

وأنشدوا:

وحسبك من حادث بامرئ * ترى حاسديه له راحمينا.

وهذا المعنى يدل على أن دواء الحسد فى استعمال الرحمة.

وقيل: رأى «موسى» عليه السلام، رجلا عند العرش فغبطه فقال: ما صفته.

فقيل: كان لا يحسد الناس على ما آتاهم الله من فضله.

وعن «أنس» رضى الله عنه، قال:

كنا جلوسا عند رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فقال:

«يطلع عليكم الآن من هذا الفج، رجل من أهل الجنة.

فطلع رجل من الأنصار. ينظف لحيته من وضوءٍ قد علق[1] نعله فى يده الشمال فسلّـم. فلما كان من الغد قال النبى (صلى الله عليه وسلم) مثل ذلك. فطلع ذلك الرجل مثل مرته الأولى. فلما كان اليوم الثالث. قال النبى (صلى الله عليه وسلم) مثل مقالته الأولى[2] أيضا.

فطلع الرجل مثل حاله الأولى.

فلما قام النبى (صلى الله عليه وسلم) تبعه «عبد الله بن عمرو بن العاص)

---

(١) فى (ز) : (تخلع).

(٢) سقطت من (ز)، (ط).

فقال إنى لاحيت[1] أبى فأقسمت ألاّ أدخل عليه ثلاثا. قال أرأيت أن تؤوينى إليك حتى تنقضى الثلاث فعلت.

قال: نعم.

قال أنس: فكان عبد الله يحدث أنه بات معه ثلاث ليال.

قال: فلم يره يقوم من الليل شيئا غير أنه إذا تعارّ من الليل، وتقلب على فراشه، ذكر الله وكبر حتى يقوم لصلاة الفجر. غير أنه لا يقول إلاّ خيراً.

قال: فلما مضت الثلاث ليال[2]، وكدت أحتقر عمله قلت: يا عبد الله إنه لم يكن بينى وبين والدى غضب ولا هجرة، ولكنى سمعت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول ثلاث مرات: يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة فطلعت أنت الثلاث مرات. فأردت أن آوى إليك لأنظر ما عملك. فلم أرك تعمل كثير عمل فما الذى بلغ بك ما قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم). [؟]

فقال: ما هو إلاّ ما رأيت.

(قال: فانصرفت عنه. فلما وليت دعانى)[3]

فقال: ما هو إلا ما رأيت غير أنى لا أجد فى نفسى على أحد من المسلمين غشا، ولا أحسده على خير أعطاه الله إياه.

فقال عبد الله: فهذه التى بلغت بك، وهى التى لا تطاق[4].

وعن رسول الله (صلى الله عليه وسلم):

---

(١) فى (ز) : (لأغضبت).. ولاحاه يعنى خاصمه.

(٢) فى (ط): (فلما تم ثلاث الليالى).

(٣) ما بين القوسين سقط من (ز).

(٤) الحديث: عن أنس كنا جلوسا عند رسول الله... ينظر فى فهرس الأحاديث النبوية نهاية الكتاب.

«ثلاثة لا يعجزهم ابن آدم: الطيرة، وسوء الظن، والحسد»[1] فينجيك من الطيرة أن لا تعمل بها، وينجيك من سوء الظن أن لا تتكلم، وينجيك من الحسد أن لا تبغى أخاك سوءا.

أى ترحم عليه وتشفق. وتحب له ما تحب لنفسك، وتصاحبه بالنصح. فإن علاج الحسد وإزالته عن القلب وتزكية النفس عنه باستعمال الرحمة، والشفقة، والنصيحة. فإنه من دأب المؤمنين. كما قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم).

«مثل المؤمنين فى تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى عضو منه تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر»[2].

وفى رواية أخرى قال: «المؤمنون كرجل واحد إذا اشتكى رأسه تداعى سائر الجسد بالحمى والسهر».

وقال (صلى الله عليه وسلم):

«المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا»[3]. ثم شبك بين أصابعه.

وقال (صلى الله عليه وسلم):

«الدين النصيحة، والدين النصيحة، والدين النصيحة[4].

---

(١) حديث: ثلاث لا يعجزهن ابن آدم ... ينظر فى فهرس الأحاديث النبوية نهاية الكتاب.

(٢) حديث مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد.

وفى رواية أخرى [المؤمنون كرجل واحد إذا اشتكى رأسه تداعى سائر الجسد بالحمى والسهر] ينظر فى فهرس الأحاديث النبوية نهاية الكتاب.

(٣) حديث: المؤمن للمؤمن كالبنيان ... ينظر فى فهرس الأحاديث النبوية نهاية الكتاب.

(٤) فى (ز) : (نصيحة فى الثلاث).

قالوا: لمن يا رسول الله.

قال: لله ولكتابه، ولنبيه، ولأئمة المسلمين وعامتهم»[1].

قال «أبو سليمان الخطابى»: النصيحة كلمة جامعة يعبر بها عن جملة هى إرادة الخير. وليس يمكن أن يعبر عن هذا المعنى بكلمة واحدة تحصرها وتجمع معناها غيرها.

وأما نصيحة المسلمين فجماعها إرشادهم إلى مصالحهم من تعليم ما يجهلونه من أمر الدين، وأمرهم بالمعروف، ونهيهم عن المنكر، والشفقة عليهم،وتوقير كبيرهم، والترحم على صغيرهم.

وقال (صلى الله عليه وسلم) : قال الله تعالى:

«أحب ما تعبّد به عبدى إلىّ: النصح لى»[2].

فمعالجة الحسد بالرحمة، والشفقة، والنصيحة للمحسود عليه من أهم المهمات. حتى يكون من المرحومين.

فإن النبى (صلى الله عليه وسلم) قال:

«من لا يرحم لا يُرحم»[3].

وقال:

«ارحم من فى الأرض يرحمك من فى السماء»[4].

---

(١) حديث: الدين النصيحة ... ينظر فى فهرس الأحاديث النبوية نهاية الكتاب.

(٢) حديث: أحب ما تعبد به عبدى إلىّ ... ينظر فى فهرس الأحاديث النبوية نهاية الكتاب.

(٣) فى (ز) : (من لا يرحم الناس لا يرحمه الله).

والحديث : من لا يرحم لا يرحم... ينظر فى فهرس الأحاديث النبوية نهاية الكتاب.

(٤) حديث : ارحم من فى الأرض... ينظر فى فهرس الأحاديث النبوية نهاية الكتاب.

ولا يكون من الأشقياء بالحسد الذى هو نازع الرحمة عن قلب الحاسد.

فإن النبى (صلى الله عليه وسلم) يقول:

«لا تنزع الرحمة إلاّ من شقى»[1].

فمن شرط المؤمنين أن يكونوا عباد الله إخوانا.

كما قال (صلى الله عليه وسلم):

«إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث، ولا تجسسوا ولا تنافسوا، ولا تحاسدوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا، وكونوا عباد الله إخوانا»[2]..

ومن الحسد ما هو محمود. وهو الاغتباط فى الخير. كما قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم):

«لا حسد إلا فى اثنتين: رجل آتاه القرآن فهو يقوم به آناء الليل، وأطراف النهار. ورجل آتاه الله مالا فهو ينفق منه آناء الليل وآناء النهار»[3].

فيتمنى العبد مقامه، ولا يحب أن يزول عنه، ويحب أن يعمل بعمله.

والله أعلم.

---

(١) حديث: لا تنزع الرحمة إلا من شقى...، ينظر فى فهرس الأحاديث النبوية نهاية الكتاب.

(٢) حديث: إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث...، ينظر فى فهرس الأحاديث النبوية نهاية الكتاب.

(٣) حديث: (لاحسد إلاّ فى اثنتين) ينظر فى فهرس الأحاديث النبوية نهاية الكتاب.

الفصل السادس
فـــى
صفة الشهوة وعلاجها بالعفة والاجتناب عن الشهوات، والجوع

قال الله تعالى:

﴿ زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين﴾ (1). الآية.

وقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم):

«دعا(2) الله جبريل فأرسله إلى الجنة.

فقال: انظر إليها، وما أعددت لأهلها فيها.

فرجع(3) إليه فقال: وعزتك لا يسمع بها أحد إلا دخلها.

قال: فحجبت بالمكاره.

فقال له: ارجع فانظر إليها.

فرجع إليه فقال: وعزتك لقد خشيت أن لا يدخلها أحد.

ثم أرسله إلى النار.

---

(1) فى (ط) تكملة (والقناطير المقنطرة). وهى آية رقم ١٤ من سورة (آل عمران) مدنية.

(2) فى (ط) : (دعى).

(3) فى (ز) : (فرجعوا).

فقال: اذهب فانظر إليها وما أعددت لأهلها فيها فرجع إليه فقال: وعزتك لا يدخلها أحد يسمع بها.

قال: فحجبت بالشهوات.

ثم قال له: عد إليها فانظر.

فرجع إليه فقال: وعزتك لقد خشيت ألا يبقى أحد إلاّ دخلها[1].

اعلم أن الشهوة مادة كل فتنة، ومنبع كل فساد، وهى بذر شجرة الحيوانية، وثمرتها، وهى حب حبائل الشيطان وهى الدركة السفلى من صفات البشرية فما تحتها دركة تكون منزل الروح الإنسانى من بدء عبوره من أعلى عليين القرب على العرش، والأفلاك، والأنجم، والسموات والأرضين. وعلى مفردات العناصر، والمركبات، والمعادن والنباتات، والحيوانات إلى أن تعلق بالنطفة فى الرحم فمر بها إلى أن بلغ المولود حد البلوغ فهو فى العبور من دركات صفات القالب إلى دركة الشهوة، وهى أسفل السافلين. فليس وراء عباد أن قرّبه فيبقى فيه محبوسا مقيدا بقيود الحواس، والقوى، والأوصاف إلى أن تداركته العناية الأزلية بجذبة ﴿ **ارجعى**﴾ فى الباطن، ودعوة الأنبياء، وتكاليف الشرع فى الظاهر. فيرجع بالإيمان والعمل الصالح من أسفل سافلين دركة الشهوة متوجها إلى الحضرة بقدمى العفة، وقلع مواد الشهوة بالجوع، وترك الملاذ والشهوات، وملازمة الذكر. فالجوع أحد أركان المجاهدة. وأن أرباب السلوك تدرجوا إلى اعتياد الجوع، والإمساك عن الأكل. فوجدوا ينابيع الحكمة فى الجوع.

وقال بعضهم:

---

(١) حديث: دعا الله جبريل فأرسله إلى الجنة ...... إلخ ينظر فى فهرس الأحاديث النبوية نهاية الكتاب.

ثم ارسله إلى النار ...... إلخ، ينظر فى فهرس الأحاديث النبوية نهاية الكتاب.

جعل الخير كله فى بيت، وجعل مفتاحه الجوع.

وجعل الشر كله فى بيت، وجعل مفتاحه الشبع.

وفى الجوع اختصاص بالمشاهدة.

روى عن النبى (صلى الله عليه وسلم) أنه قال:

«أوحى الله تعالى إلى عيسى عليه السلام، فقال: يا عيسى تجوع ترانى. تجرد تصل إلىّ»[1].

وقال «يحيى بن معاذ»[2]:

«لو كان الجوع يباع فى السوق لما كان ينبغى لطلاب الآخرة إذا دخلوا السوق أن يشتروا غيره».

وقال «سهل بن عبد الله»[3]:

لما خلق الله الدنيا جعل فى الشبع المعصية والجهل وجعل فى الجوع العلم والحكمة.

وقيل:

من أدب الجوع أن لا ينقص من عادته كل يوم إلاّ مثل أذن السنور.

وقد بالغ بعضهم فى الجوع حتى كان «سهل بن عبد الله» لا يأكل الطعام إلا فى كل خمسة عشر يوما. فإذا دخل شهر رمضان لم يأكل حتى يرى الهلال. وكان يفطر كل ليلة على الماء القراح.

---

(١) حديث : أوحى الله إلى عيسى ... ينظر فى فهرس الأحاديث النبوية نهاية الكتاب.

(٢) (يحيى بن معاذ): هو أبو زكريا يحيى بن معاذ بن جعفر الرازى) أقام مدة ببلخ ثم عاد إلى نيسابور ومات بها سنة ٢٥٨هـ وكان يقول: على قدر شغلك بالله يشتغل فى أمرك الخلق. ويقول: الزاهدون غرباء فى الدنيا والعارفون غرباء فى الآخرة.
انظر الطبقات الكبرى ص ٦٥ جـ١.

(٣) سهل بن عبد الله: سبقت الإشارة إليه.

وروى عن «أبى تراب النخشبى»[1] وغيره. أنهم بالغوا فى الإمساك عن الأكل من ثلاثين إلى أربعين يوما. وأقل وأكثر.

قلت[2]: هذا وإن كان مستحسنا عند القوم، ولكنه ليس بمقصود أصلى.. ولعل يتولد من الإفراط فيه آفات مخلة بالمقصود الأصلى، وإنما المقصود من التقليل كسر النفس، وتقوية القلب وتبييضه. فإن الجوع يذيب شحم القلب، ويقلل دمه فيبيض، ويرق، ويصفو، فيستعد بصفائه لقبول نور الذكر، وأنوار المعاملات الشرعية والواردات الغيبية ثم تنعكس الأنوار من مرآة القلب إلى أرض النفس. فأشرقت الأرض بنور ربها، وتلاشت ظلمات صفات النفس، وانشق صدف ظلمة الشهوة عن درة المحبة. فإن الشهوة مطية المحبة وهى المطلوب من الإنسان وبها فاق على الملائكة المقربين، وسجدوا له. فافهم جداً.

فالإمساك المحمود عن الطعام ما يكون محميا عن طرفى الإفراط والتفريط. كما قال تعالى:

﴿ وكلوا واشربوا ولا تسرفوا﴾ [3].

فالمحمى من الإسراف نصف رطل إلى رطل كل يوم. أو قريب من هذا فيزيد وينقص منه كل طائفة على قدر قوتهم، وصحة مزاجهم. وعلى هذا المعنى مبنى أمر

(١) (أبو تراب النخشبى): هو (أبو تراب عسكر بن الحسين النخشبى) من كبار مشايخ خراسان المشهور بالعلم والفتوة والزهد والورع والتوكل مات بالبادية فنهشته السباع. وكانت وفاته سنة ٢٤٥هـ ومن كلامه: إن الله عز وجل ينطق العلماء فى كل زمان بما يشاكل أعمال ذلك الزمان. وقال عنه صاحب كتاب [كشف المحجوب]: إمام المتوكلين ومختار أهل الزمان له كرامات باهرة، وأحوال ظاهرة وقعت وفاته فى صحراء البصرة. ولم تمسه الوحوش ولا الذئاب! (أردت توضيح هذا التناقض حوله) المحقق (انظر كشف المحجوب ص ١٤٨، والطبقات الكبرى).

(٢) فى (ز) : (قال الشيخ المصنف رحمة الله عليه).
وفى (ط): (قال الشيخ المصنف رح).

(٣) آية رقم ٣١ من سورة الأعراف مكية.

صومهم فمنهم من يسرد الصوم، ومنهم من يصوم يوما، ويفطر يوما. وهو أفضل الصيام.

قال (صلى الله عليه وسلم):

«أفضل الصيام صوم أخي داود، عليه السلام، كان يصوم يوما ويفطر يوما»[1].

وهو اختيار النبي (صلى الله عليه وسلم) يقول: «أجوع يوما وأشبع يوما»[2]. وهو لاستجماع الصبر والشكر.

ومنهم من يصوم يوما، ويفطر يومين.

ومنهم من يصوم يوم الاثنين، ويوم الخميس. وهو سنة النبي (صلى الله عليه وسلم).

ومنهم من يصوم أيام البيض. أو في كل شهر ثلاثة أيام.

وحكى عن الجنيد[3] أنه كان يصوم على الدوام. فإذا دخل عليه إخوانه أفطر معهم ويقول:

ــ ليس فضل المساعد مع الإخوان بأقل من فضل الصوم.

غير أن هذا الإفطار يحتاج إلى علم. فقد يكون الداعي إلى ذلك شره النفس لا نيه الموافقة. وتخليص النية لمحض الموافقة مع وجود شره النفس صنعب.

يستحب صيام رجب وشعبان إلى النصف وبعد النصف مكروه. وفي الحديث:

«لا تستقبلوا رمضان بيوم ولا بيومين»[4].

(١) حديث: أفضل الصيام: صيام أخي داود .. ينظر في فهرس الأحاديث النبوية نهاية الكتاب.
(٢) حديث: أجوع يوما وأشبع يوما، ينظر في فهرس الأحاديث النبوية نهاية الكتاب.
(٣) سبقت الإشارة إليه.
(٤) في (ط): (بيوم أو يومين).
والحديث: لاتستقبلوا رمضان بيوم ولا بيومين، ينظر في فهرس الأحاديث النبوية نهاية الكتاب.

وقال: «من صام يوم الشك فقد عصى أبا القاسم»[1].

ويستحب صوم العشر من ذى الحجة. والعشر من المحرم.

ويستحب الخميس والجمعة والسبت أن تصام من الأشهر الحُرُم وقد ورد فى الخبر:

من صام ثلاثة أيام من شهر حرام. الخميس، والجمعة، والسبت. بعد من النار سبعمائة عام.

---

(١) حديث : من صام يوم الشك فقد عصى أبا القاسم، ينظر فى فهرس الأحاديث النبوية نهاية الكتاب.

الفصل السابع
فــى
صفة الغضب وعلاجه[1] بالحلم

قال الله تعالى: ﴿ **وإذا ما غضبوا هم يغفرون**﴾ [2].

وقال: ﴿ **والكاظمين الغيظ**﴾ [3].

وقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم):

«ليس الشديد بالصرعة إنما الشديد الذى يملك نفسه عند الغضب»[4].

وقال (صلى الله عليه وسلم):

«إن الغضب من الشيطان، وإن الشيطان خلق من النار، وإنما تطفأ النار بالماء. فإذا غضب أحدكم فليتوضأ»[5].

اعلم أن الغضب صفة شيطانية، سبعية، نفسانية.

ــ فأمّا شيطانية: فكما قال (صلى الله عليه وسلم) إن الغضب من الشيطان.

---

(١) من هنا أثبتت سائر النسخ (الهاء) العائدة على لفظ الغضب بينما الفصول من (الأول حتى السادس) كانت تعود على لفظ «الصفة».

(٢) آية رقم ٣٧ من سورة (الشورى) مكية.

(٣) فى (ز) : (والعافين عن الناس) زائدة والآية هى رقم ١٣٤ من سورة (آل عمران) مدنية.

(٤) حديث : ليس الشديد بالصرعه ... ينظر فى فهرس الأحاديث النبوية نهاية الكتاب.

(٥) حديث : إن الغضب من الشيطان ... ينظر فى فهرس الأحاديث النبوية نهاية الكتاب.

ـــ وأمّا سبعية: فظاهرة في الأسد، والفهد، والنمر. وأنواع السباع.

ـــ وأمّا النفسانية: فإنها خلقت من تراب وله غريزة.

فللنفس بحسب ذلك طبع، وخلقت من صلصال ولها بحسب ذلك طبع، وهكذا من حمأ مسنون، ومن صلصال كالفخار. فبحسب تلك الأصول التي هي مبادئ تكونها استفادت صفات من البهيمية، والسبعية، والشيطانية. وإلى صفة الشيطنة في الإنسان إشارة بقوله تعالى: ﴿ **من صلصال كالفخار**﴾ [1] لدخول النار في الفخار، والشيطان [2] خلق من نار.

فنحن نحتاج في علاج الغضب إلى معجون مثلث. لتسكين ثائرة مواد الغضب، وهو المثلث من الحلم، وكظم الغيظ، والصبر على احتمال الأذى. معجون بماء الرفق.

فبالحلم: ينطفئ من الغضب ما تولد من صفة الشيطنة.

وبكظم الغيظ: تندفع ما تولد من الصفة السبعية.

وبالصبر على احتمال الأذى: ينتفي ما تولد من صفة النفسانية.

وبماء الرفق: تنقلع[3] مواد الغضب كلها.

كما قال (صلى الله عليه وسلم)[4]:

«من أعطي حظه من الرفق أعطي حظه من خيرى الدنيا والآخرة، ومن حرم حظه من الرفق حرم حظه من خير الدنيا والآخرة»[5].

---

(١) آية رقم ١٤ من سورة (الرحمن) مدنية.

(٢) في (ز) : (والشياطين).

(٣) في (ط) : (ينطفئ).

(٤) في (ط) : (كما قال النبي عـ م).

(٥) حديث: من أعطي من الرفق أعطي حظه من خيرى الدنيا والآخرة ومن حرم من الرفق حرم.... ينظر في فهرس الأحاديث النبوية نهاية الكتاب.

وقال (صلى الله عليه وسلم):

«إن الله رفيق، يحب الرفق[1]. ويعطى على الرفق ما لا يعطى على العنف»[2].

وقال (صلى الله عليه وسلم):

«إن الرفق لا يكون فى شىء إلاّ زانه، ولا ينزع من شىء إلاّ شانه»[3].

وقال:

«إن الله يحب الرفق فى الأمر كله»[4].

ولما كان الغضب مبطل الحسنات، ومنشئ السيئات. فلما جاء رجل إلى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فقال:

يا نبى الله أوصنى، ولا تكثر علىّ لعلى أحفظ.

فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): لا تغضب»[5].

فقد علم رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أن العبد إذا لم يغضب فلا بد له أن يحلم عن الجانى، ويعفو عن المسيىء، ويحتمل عن الجافى، ويتجاوز عن الخاطئ، ويصبر على الأذى. وبهذا تحسن أخلاقه.

وقال النبى[6] (صلى الله عليه وسلم) «لابن عبد القيس»:

---

(١) فى (ز) : (فى الأمر كله).

(٢) حديث: إن الله رفيق يحب الرفق.. ينظر فى فهرس الأحاديث النبوية نهاية الكتاب.

(٣) فى (ز)، (ت): (ما كان).

والحديث: إن الرفق لا يكون فى شىء إلا زانه ...ينظر فى فهرس الأحاديث النبوية نهاية الكتاب.

(٤) ما بين القوسين سقط من (ز)، (ط). ويبدو أنه زائد فى (ت) لأنه سبقت الإشارة إلى حديث مثله.

(٥) حديث : جاء رجل إلى رسول الله وقال أوصنى ... ينظر فى فهرس الأحاديث النبوية نهاية الكتاب.

(٦) فى (ز) : (قال رسول الله)

«إن فيك خصلتان يحبهما الله تعالى: الحلم والأناة»[1].

وقال النبى[2] (صلى الله عليه وسلم):

«إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»[3].

وكما أن الغضب مبطل الحسنات المعمولة. فحسن الخلق مثبت الحسنات الغير معمولة.

كما قال النبى (صلى الله عليه وسلم):

«إن المؤمن ليدرك بحسن خلقه درجة القائم الصائم»[4].

وقال «ابن عباس»[5]، رضى الله عنهما، فى قوله تعالى:

﴿ **ادفع بالتى هى أحسن**﴾ [6]. قال: الصبر عند الغضب، والعفو عند الإساءة. فإذا فعلوا عصمهم الله تعالى، وأخضع لهم عدوهم: ﴿ **كأنه ولى حميم**﴾.

وإن الغضب لما كان من أعظم الأخلاق الذميمة. لا بد فى علاجه من استعمال الأخلاق الحسنة.

---

(١) حديث : قال النبى (لابن عبد القيس) إن فيك خلصتان .. ينظر فى فهرس الأحاديث النبوية نهاية الكتاب.

(٢) فى (ز) : (وقال) فقط.

(٣) فى (ز) : (بعثت)
والحديث : (إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق) ينظر فى فهرس الأحاديث النبوية نهاية الكتاب.

(٤) حديث : إن المؤمن ليدرك بحسن الخلق...، ينظر فى فهرس الأحاديث النبوية نهاية الكتاب.

(٥) (ابن عباس): كان يكنى أبا العباس وبلغ سبعين وهلك بالطائف فى فتنة ابن الزبير وقد (كف بصره) وصلى عليه «محمد ابن الحنفية» وكان ابن عباس يقول: يا صاحب الذنب لا تأمن شر عاقبته فإن ضحك وأنت لا تدرى ما الذى صانع بك أعظم من الذنب.
وكان يجلس يوما للفقه، ويوما للشعر، ويوما للمغازى والسير.
انظر (المعارف والطبقات الكبرى).

(٦) الآية هى رقم ٣٤ من سورة (فصلت) مكية. وبقية الآية نهاية الفقرة.

وقد أوصى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) «معاذا» بوصية جامعة لمحاسن الأخلاق، فقال له:

«يا معاذ، أوصيك بتقوى الله، وصدق الحديث، والوفاء بالعهد، وأداء الأمانة، وترك الخيانة، وحفظ الجوار، ورحمة اليتيم، ولين الكلام، وبذل السلام، وحسن العمل، وقصر الأمل، ولزوم الإيمان، والتفقه فى القرآن، وحب الآخرة، والجزع من الحساب، وخفض الجناح، وإياك أن تسب حكيما، أو تكذب صادقا، أو تطيع آثما، أو تعصى إماماً عادلا، أو تفسد أرضا.

أوصيك باتقاء الله عند كل حجر، وشجر، ومدر، وأن تحدث لكل ذنب توبة. السر بالسر، والعلانية بالعلانية»[1].

وقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم):

«ما من شيء يوضع فى الميزان أثقل من حسن الأدب والخلق.. وإن صاحب حسن الخلق ليبلغ به درجة الصوم والصلاة»[2].

---

(١) حديث: وصية الرسول (ﷺ) إلى معاذ:

يا معاذ أوصيك بتقوى الله... إلخ، ينظر فى فهرس الأحاديث النبوية نهاية الكتاب.

(٢) حديث:

ما من شيء يوضع فى الميزان أثقل من حسن الأدب والخلق وأن صاحب حسن الخلق ليبلغ به درجة الصوم والصلاة، ينظر فى فهرس الأحاديث النبوية نهاية الكتاب.

الفصل الثامن

فـــى

صفة البخل وعلاجه[1] بالسخاء

قال الله تعالى:

﴿ ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيراً لهم بل هو شر لهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة﴾ [2].

وقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم):

«السخى قريب من الله، قريب من الناس، بعيد من النار. والبخيل بعيد من الله، بعيد من الناس، بعيد من الجنة، قريب من النار[3]. والجاهل السخى أحب إلى الله من العابد البخيل..».

وقال رسول اله (صلى الله عليه وسلم):

---

(١) نفس ما قيل فى إشارة الفصل السابع.

(٢) آية رقم ١٨٠ من سورة (آل عمران) مدنية.

(٣) فى (ت): (قريب من الجنة) فقط

وفى (ط) (بعيد من الجنة) فقط.

والحديث : السخى قريب من الله قريب من الناس بعيد من النار... ينظر فى فهرس الأحاديث النبوية نهاية الكتاب.

« فى الجنة شجرة تسمى السخاء. منها يخرج السخاء وفى النار شجرة تسمى الشح، منها يخرج الشح، ولن يلج الجنة شحيح»[1].

اعلم أن البخل من دركات جنهم، ولا يخرج البخيل منها إلا بقدم السخاء، والبخيل من لم يؤد حق الله من ماله بلسان العلم. والبخل بلسان الطريقة من لم يؤد الدنيا بأسرها فى طلب الآخرة. والبخيل بلسان الحقيقة من لم يبذل الدارين، وروحه فى طلب الله تعالى.

والسخاء عند القوم هو المرتبة الأولى، ثم الجود، ثم الإيثار، فمن أعطى البعض فهو صاحب سخاء، ومن بذل الأكثر فهو صاحب جود، ومن بذل الكل فهو صاحب إيثار، وقد يوصف الحق تعالى بالجود ولا يوصف بالسخاء والإيثار، وقيل:

لما سعى غلام الخليل بالصوفية إلى الخليفة أمر بضرب أعناقهم. فأما «الجنيد» فإنه قد تستر بالفقه، وكان يفتى على مذهب «أبى ثور». وأمّا «الشحام» و«الرقام» و«النورى»[2]، وجماعة فقبض عليهم فبسط النطع لضرب أعناقهم.

فتقدم «النورى» فقال السيّاف:

ـ تدرى إلى ماذا تبادر [؟]

فقال: ـ نعم.

فقال: ـ وما يعجلك [؟]

---

(١) حديث فى الجنة شجرة تسمى السخاء ..، ينظر فى فهرس الأحاديث النبوية نهاية الكتاب.

(٢) النورى: (أبو الحسن أحمد بن محمد النورى) بغدادى المنشأ والمولد. توفى سنة ٢٩٥هـ
كان يقول: أعز الأشياء فى زماننا هذا شيئان: عالم يعمل بعلمه، وعارف ينطق عن حقيقة.
كان صاحب الجنيد والقصاب وغيرهم.
انظر (الطبقات الكبرى حـ١ ص ٧٤).

فقال: ــ أوثر على أصحابى بحياة ساعة.

فتحير السيّاف، وأنهى الخبر إلى الخليفة فردّهم إلى القاضى ليتعرف حالهم.. فألقى القاضى على «أبى الحسين النورى» مسائل فقهية فأجابه عن الكل. ثم أخذ يقول:

وبعد، فإن لله عبادا إذا قاموا قاموا بالله، وإذا نطقوا نطقوا من الله، وسرد ألفاظا أبكى القاضى. فأقبل القاضى إلى الخليفة وقال:

إن كان هؤلاء زنادقة فما على وجه الأرض مسلم، فخلّى سبيلهم.

وقيل:

بعث رجل إلى جبلة بجارية، وكان بين أصحابه فقال: قبيح أن أتخذها لنفسى، وأنتم حضور، وأكره أن أخص بها واحدا وكلكم له حق وحرمة. وهذه لا تحتمل القسمة وكانوا ثمانين. فأمر لكل واحد بجارية أو وصيف.

وقيل: عطش «عبد الله بن أبى بكرة» يوما فى طريقه، فاستسقى من منزل امرأة، فأخرجت كوزا، وقامت بخلف الباب، وقالت: تنحوا عن الباب، وليأخذ بعض غلمانكم، فإنى امرأة من العرب مات خادمى منذ أيام.

فشرب «عبد الله» الماء وقال لغلامه:

احمل إليها عشرة آلاف درهم.

فقالت: سبحان الله تسخر بى.

فقال: احمل إليها عشرين ألفا.

فقالت: أسأل الله العافية.

فقال: يا غلام، احمل إليها ثلاثين ألف درهم.

فردّت الباب وقالت: أف لك.

فحمل إليها ثلاثين ألف درهم. فما أمست حتى كثر خطابها.

وقيل: دخل «أبو عبيد الله الروزبادى» إلى دار بعض أصحابه فوجده غائبا، وباب بيت له مقفل.

فقال: صوفى، وله باب بيت مقفل، اكسروا القفل فكسروا، وأمر بجميع ما وجد فى البيت [1] وأنفذه إلى السوق، وباعوه، وأصلحوا وقتا من الثمن، وقعدوا فى الدار فدخل صاحب الدار [2]، ولم يمكنه أن يقول شيئا. فدخلت امرأته بعدهم الدار وعليها كساء فدخلت ورمت بالكساء وقالت: يا أصحابنا هذه أيضا من جملة المتاع فبيعوها.

فقال الزوج: لم تكلفت هذا باختيارك.

فقالت: اسكت. مثل الشيخ يباسطنا ويحكم علينا ويبقى لنا شيء ندخره عنه[3].

وقيل: خرج «عبد الله بن جعفر» إلى ضيعة له فترك على نخيل قوم وفيها غلام أسود يعمل فيها إذ أتى الغلام بقوته ودخل كلب الحائط، ودنا من الغلام فرمى إليه الغلام بقرص فأكله. ثم رمى إليه بالثانى فأكله، والثالث فأكله. و«عبد الله» ينظر، فقال:

ـ يا غلام كم قوتك كل يوم [؟]

قال ـ ما رأيت.

---

(١) فى (ز) : (الدار)

(٢) فى (ز) : (المنزل)

(٣) فى (ز) : (ويبقى لنا شيئا... عنك).

قال ـ فلم آثرت هذا الكلب.

قال ـ ما هى بأرض كلاب. إنه جاء من مسافة بعيدة جائعا. فكرهت رده.

قال ـ فما أنت صانع اليوم.

قال ـ أطوى يومى هذا.

قال عبد الله بن جعفر: أُلام على السخاء. إن هذا أسخى منى..

فاشترى الحائط، والغلام، وما فيها من الإناث. فأعتق الغلام ووهبها منه.

وكان من دأب من يعالج[1] البخل بالسخاء أن لو أغلق عليه يوما باب المعالجة لكان يبكى كالثكلى.

قيل:

بكى أمير المؤمنين، «على» رضى الله عنه، يوما. فقيل له: ما يبكيك [؟]

فقال: لم يأتنى ضيف منذ سبعة أيام. أخاف أن يكون الله قد أهاننى..

ثم اعلم أن دواء البخل من أهم المهمات، وهو من المهلكات لا سيما قال النبى (صلى الله عليه وسلم):

«أى داء أدوى من البخل»[2].

وقال (صلى الله عليه وسلم):

«لا يكون المؤمن بخيلا»[3].

---

(١) فى (ز) : (معالج).

(٢) حديث: أى داء أدوى من البخل، ينظر فى فهرس الأحاديث النبوية نهاية الكتاب.

(٣) فى (ز)، (ط): (ولاجبانا) والحديث: لا يكون المؤمن بخيلا ولا جبانا، ينظر فى فهرس الأحاديث النبوية نهاية الكتاب.

الفصل التاسع

فـــى

صفة الحقد وعلاجه بالعفو، وسلامة القلب

قال الله تعالى:

﴿ خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين﴾ (١).

وعن «جابر بن عبد الله» قال(٢):

لما نزلت هذه الآية، قال النبى (ﷺ):

«يا جبريـل ما تأويـل هذه الآية. قـال: حتى أسأل (٣). فصـعد ثم نزل. فقـال يا محمد: إن الله تعالى يأمرك أن تصفح عمن ظلمك، وتعطى من حرمك، وتصل من قطعك.

فقال النبى (ﷺ):

ألا أدلكم على أشرف أخلاق أهل الدنيا والآخرة.

---

(١) آية رقم (١٩٩) من سورة الأعراف مكية.

(٢) من (ط)

(٣) فى (ز): (أسئل)

قلنا: وما ذاك يا رسول الله.

قال: تعفو عمن ظلمك، وتعطى من حرمك وتصل من قطعك..»[1].

اعلم أن الحقد من أخس أخلاق النفس، وأن علاجه من أشرف[2] أخلاق القلب، وهو العفو. بل هو خلق من أخلاق الحق تعالى.

كما قال (ﷺ):

«إن الله عفو يحب العفو»[3].

والحقد من أخلاق إبليس فإنه لما أمر بالسجود لآدم، عليه السلام، فلم يسجد له، فلعن وطرد. فاحتقد[4] من آدم. وقال: ﴿ **فبعزتك لأغوينهم أجمعين**﴾ [5].

فالحاقد متخلق بأخلاق إبليس، والعفو متخلق بأخلاق الحق تعالى. فشتان بين الخلقين.

والحاقد المتشاحن، متروك من رحمة الله تعالى. كما قال رسول الله (ﷺ):

«تفتح أبواب الجنة يوم الاثنين، ويوم الخميس. فيغفر الله لكل عبد مؤمن لا يشرك بالله شيئا إلا رجل كان بينه وبين أخيه شحناء. فقال: اتركوا وانظروا [6]هذين

---

(١) حديث:

(ألا أدلكم على أشرف أخلاق أهل الدنيا تعفو عمن ظلمك وتعطى من حرمك وتصل من قطعك) ينظر فى فهرس الأحاديث النبوية نهاية الكتاب.

(٢) فى (ط): (من أحسن)

(٣) حديث: (إن الله عفو يحب العفو)

(٤) فى (ز): فأحقد

(٥) آية رقم (٨٢) من سورة (ص) مكية

(٦) فى (ز): (واركو)، وفى (ط): (وأذكوا)

حتى يفيئا [١]. أو أنظروا هذين حتى يصطلحا» [٢].

وقال «أنس»: قال رسول الله (ﷺ):

«يا بنى إن قدرت أن تصبح وتمسى، وليس فى قلبك غش لأحد؛ فافعل. ثم قال: يا بنى، وذلك من سنتى ومن أحيا سنتى فقد أحيانى، ومن أحيانى كان معى فى الجنة» [٣].

ثم اعلم أن الحقد قيد على أقدام السائرين إلى الله. فلا يمكنهم السير إلاّ برفع القيد. ولا يمكن رفع القيد إلاّ بتصفية القلب. والركن الأعظم فى معنى تزكية النفس، وتصفية القلب، وتحلية الروح. ملازمة الذكر، ودوامه. كما يجيىء شرحه فى موضعه إن شاء الله تعالى وحده.

ثم لا ينظر إلى هذه الصفات الذميمة بعين الحقارة. فإن كلّ صفة من هذه الصفات الذميمة الحيوانية صدف درة من الصفات الحميدة الروحانية. وهو.. أن الكبر صدف درة علو الهمة، والحرص صدف درة الطلب، والحسد صدف درة الغبطة، والشهوة صدف درة المحبة، والغضب صدف درة الصلابة، والبخل صدف درة الإمساك عن تعاطى المهلكات، والحقد صدف درة الانتقام.. ثم هذه الصفات الروحانيات أصداف درر الصفات الربانيات.. فعلو الهمة صدف درة الكبرياء والعظمة، والطلب صدف درة الإرادة والمشيئة، والغبطة صدف درة الغيرة، والمحبة صدف درة الرحمة والكرم، والصلابة صدف درة القهر والمهابة، والإمساك صدف درة القبض. والانتقام صدف درة العدل والنصفة.

---

(١) فى (ز): (يفئا)، وفى (ط): يفيا.

(٢) حديث تفتح أبواب الجنة يوم الاثنين ويوم الخميس فيغفر الله لكل عبد قومن لا يشرك بالله إلا رجل كان بينه... ينظر فى فهرس الأحاديث النبوية نهاية الكتاب.

(٣) حديث: قال (أنس)... ينظر فى فهرس الأحاديث النبوية نهاية الكتاب.

وكذلك جميع الصفات النفسانيات الروحانيات. كلها أصداف درر الصفات الربانيات. وليس لله صفة إلاّ ومرآة [1] استعداد الإنسانية قابلة لعكسها بالخلافة.

وهو أحد أسرار قوله (ﷺ) :

«إن الله تعالى خلق آدم على صورته» [2]. أى على صورة صفاته ولما لم تكن هذه الصفات مجموعة فى الملائكة لم يستحقوا الخلافة وهو أحد معانى قوله : ﴿**وعلم آدم الأسماء كلها**﴾ [3]. وهى أسماء صفات الله تعالى. علمه بالتجلى فيه.

وقال «أبو القاسم الجرجانى» [4]:

إن الأسماء التسعة والتسعين تصير أوصافا للعبد السالك، وهو بعد فى السلوك غير واصل.

لعل [5] «الجرجانى» أراد أن السائر فى الصفات لم يكن واصلا، حتى يكون سائرا فى الذات. وهو السير فى الله بجذبات الألوهية عند فناء البشرية، واضمحلال الروحانية.

ثم اعلم أن الأصل فى تزكية النفس ترقيها من مقاماتها، ولها أربع مقامات: مقام الأمارية، قوله تعالى:

---

(١) فى (ز)، (ط): زومن آنية

(٢) الحديث: سبقت الإشارة إليه

(٣) آية رقم (٣١) من سورة البقرة مدنية

(٤) (أبو القاسم الجرجانى): ذكره المؤلف (الكركانى) والصحيح (الجرجانى) وهو (أبو القاسم على بن عبد الله الجرجانى) كان عالما بفروع المعرفه كانت بدايته محرقة، حتى صحب الشيخ (أبى سعيد بن أبى الخير) وله قوه عجيبة فى كشف حال المريدين. وروى أنهما يجلسان على منصة واحدة أحيانا ومن تلامذته الشيخ أبو على الفارمذى.
انظر (كشف المحجوب ص٢٠٠ وانظر أسرار التوحيد فى مقامات الشيخ أبى سعيد ص١٨، ١٤٤، ٢٠٧)

(٥) سقطت من (ط)

﴿ إن النفس لأمارة بالسوء﴾ [1].

ومقام اللوامية. قوله تعالى **﴿ ولا أقسم بالنفس اللوامة﴾** [2].

ومقام الملهمية. قوله تعالى **﴿ ونفس وما سواها * فألهمها فجورها وتقواها﴾**[3].

ومقام المطمئنة. قوله تعالى **﴿ يا أيتها النفس المطمئنة * ارجعى إلى ربك﴾**[4].

وأن ترقى النفس من مقاماتها على حسب مراتب التوبة.

كما سنبينه إن شاء الله وحده.

---

(١) آية رقم (٥٣) من سورة يوسف مكية

(٢) آية رقم (٢) من سورة القيامة مكية

(٣) الآيتان (٧ ، ٨) من سورة الشمس مكية

(٤) الآتيان رقم (٢٧ ، ٢٨) من سورة الفجر مكية

الفصل العاشر

فـــى

مراتب التوبة على حسب مقامات النفس

وهى أربع مراتب.

المرتبة الأولى : وهى النفس الأمارة[1].

قال الله تعالى ﴿ **وتوبوا إلى الله جميعا أيه المؤمنون**﴾ [2].

وقال رسول الله (ﷺ).

«التائب من الذنب كمن لا ذنب له» [3].

وهذه مرتبة عوام المؤمنين، وهى بترك المنهيات، والقيام بالمأمورات وقضاء الفوائت، ورد الحقوق، والاستحلال عن المظالم، والندم على ما جرى، والعزم على أن لا يعود إلى ما منه[4] انتهى. وهذه توبة عن الأفعال والأقوال.

---

(١) فى (ز) ، (ط): (التوبة وهى للنفس الأمارة)

(٢) فى (ط): (أيها المؤمنين)

والآية هى رقم (٣١) من سورة النور مدنية

(٣) ما بين القوسين سقط من (ز)

وقد سبقت الإشارة إلى هذا الحديث

(٤) فى (ز): (إلى مثله)

المرتبة الثانية:

الإنابة. وهى النفس اللوامة.

قال الله تعالى ﴿ **وأنيبوا إلى ربكم**﴾ (١). وهذه مرتبة خواص المؤمنين من الأوليـاء .. والإنابة إلى الله بترك الدنيا، والزهد فى ملاذها، وتهذيب الأخلاق، وتطهير النفس بمخالفة هواها والمداومة على جهادها فـ ﴿ **إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين**﴾ (٢).

يشير به إلى أن التوبة، وتطهير النفس عن دنس الأوصاف الذميمة من نتائج محبة الله الأزلية بقوله ﴿ **يحبهم**﴾ وهذا كما قال رجل «لرابعة» : إنى قد أكثرت من الذنوب والمعاصى. فلو تبت يتوب على(٣).

فقالت : لا بل لو تاب عليك لتبت.

وذلك لأن العصيان من صفة الإنسان.

كما قال تعالى : ﴿ **وعصى آدم ربه فغوى**﴾ (٤).

والتوبة. من صفة الحق تعالى، كما قال تعالى ﴿ **إنه كان توابا**﴾ (٥). وسئل «أبوحفص»(٦) عن التوبة. فقال: ليس للعبد فى التوبة شىء، لأن التوبة إليه لا منه.

---

(١) آية رقم ٥٤ من سورة (الزمر) مدنية.

(٢) آية رقم ٢٢٢ من سورة (البقرة) مدنية.

(٣) فى (ز)، (ط) : (هل يتوب على؟).

(٤) آية رقم ١٢١ من سورة (طه) مكية.

(٥) آية رقم ٣ من سورة (النصر) مدنية.

(٦) (أبو حفص) : عمر بن سالم الحداد شيخ الكرمانى وتوفى سنة ٢٧٠ هـ.

كما أن الله تعالى نسب العصيان إلى آدم فقال ﴿ **وعصى آدم** ﴾ نسب التوبة إلى نفسه تعالى فقال ﴿ **ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى** ﴾ [1].

وقيل :

أوحى الله تعالى إلى آدم : يا آدم. ورثت ذريتك التعب والنصب، وورثتهم التوبة. من دعاني منهم بدعوتك لبيته كما لبيتك.

يا آدم، أحشر التائبين من القبور مستبشرين ضاحكين ودعاؤهم مستجاب.

فالنفس إذا تحلت بالإنابة دخلت فى مقام القلب، واتصفت بصفته. لأن الإنابة من صفة القلب.

قال تعالى : ﴿ **وجاء بقلب منيب** ﴾ [2].

المرتبة الثالثة : الأوبة.

وهى النفس الملهمة. قال الله تعالى :

﴿ **نعم العبد إنه أوّاب** ﴾ [3].

وهذه مرتبة خواص الأولياء. والأوبة إلى الله من آثار الشوق إلى لقائه. فمن تاب خوفا من عقابه فهو صاحب توبة . ومن تاب طمعاً فى ثوابه، فهو صاحب إنابة، ومن تاب شوقا إلى لقائه فهو صاحب أوبة.

فالنفس إذا تحلت بالأوبة دخلت فى مقام الروح. وهو مقام العبودية الملكية. كقوله تعالى : ﴿ **فادخلى فى عبادى** ﴾ [4].

---

(١) آية رقم ١٢٢ من سورة (طه) مكية.

(٢) آية رقم ٣٣ من سورة (ق) مكية.

(٣) آية رقم ٣٠ من سورة (ص) مكية.

(٤) آية رقم ٢٩ من سورة (الفجر) مكية.

ومن أمارات الأواب المشتاق أن يستبدل المخالطة بالعزلة، ومنادمة الأخوان بالخلوة، واستوحش عن الخلق واستأنس بالحق، وجاهد نفسه فى الله حق جهاده. ساعيا فى قطع تعلقاتها عن الكونين كما قال «أبو يزيد»[1]:

كنت ثنتى عشرة سنة حداد نفسى، وخمس سنين كنت مرآة قلبى، وسنة أنظر فيما بينها. فإذا فى وسطى زنار. فعملت فى قطعه ثنتى عشرة سنة. ثم نظرت . فإذا فى باطنى زنار فعملت فى قطعه خمس سنين. أنظر كيف أقطع. فكشف لى. فنظرت إلى الخلق فرأيتهم موتى فكبّرت عليهم أربع تكبيرات.

والمرتبة الرابعة : الرجوع.

وهو للنفس المطمئنة.

قال الله تعالى ﴿ **يا أيتها النفس المطمئنة * ارجعى إلى ربك**﴾ [2].

وهذه مرتبة أخص الأولياء، والأنبياء. وقوله ﴿ **ارجعى إلى ربك**﴾ صورة جذبة العناية الربوبية إلى نفوس الأنبياء، والأولياء. تجذبها أنانيتها إلى هوية ربوبية راضية. أى طائعة تلك النفوس شوقا إلى لقاء ربها مَرضية. أى على طريقة مَرضية فى السير[3] لربها. كما قال تعالى للسماء والأرض :

﴿ **ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين**﴾ [4].

بخلاف نزع نفوس الكفار بجذبة القهر، وهى كارهة غير راضية على طريقة مكروهة من الكفر والفسق والجحود. غير مرضية لربها. كما قال عليه الصلاة والسلام:

---

(١) أبو يزيد البسطامى : سبقت الإشارة إليه.
(٢) الآيتان رقم ٢٧ ، ٢٨ من سورة (الفجر) مكية.
(٣) فى (ز) : (فى السر).
(٤) آية رقم ١١ من سورة (فصلت) مكية.

« من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه.

ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه» [1].

فمن تاب مجذوبا. فهو صاحب رجوع بالجذبة. فالنفس إذا تحلت بحلية الجذبة في صورة الرجوع، أدخلت في مقامات الروحانيات. بقوله : ﴿ **فادخلي في عبادي**﴾ [2].

ثم أخرجت عنها بالعبور عليها مجذوبة عن أنانيتها.

ثم أدخلت في جنة هويته المخصوصة المضافة إليه بقوله : ﴿ **وادخلي جنتي**﴾ [3] دخولا خالدا أبدا لا خروج منها أبدا [4].

ثم اعلم أن التوبة تدور مع السائر[5] إلى الله حيث يدور السائر[6] من أول منزل من منازل الرجوع إلى ربه في جميع المنازل والمقامات على حسب كل مقام بمعنى مناسب لذلك المقام. كما شرحنا، إلى أبد الآباد. لا بد له منها كل ساعة ولحظة.

كما قال (ﷺ) :

« توبوا إلى الله فإني أتوب إليه في كل يوم مائة مرة» [7].

---

(١) حديث من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه..، ينظر في فهرس الأحاديث النبوية نهاية الكتاب.

(٢) في (ز) : (وادخلي). وقد سبقت الإشارة إلى الآية من سورة (الفجر).

(٣) في (ز) : (فادخلي جنتي).

(٤) في (ز) : (أبد الآباد).

(٥) في (ز) : (السائرين).

(٦) في (ز) : (السائرين) أيضا

(٧) حديث: (توبوا إلى الله فإني أتوب إليه كل يوم مائة مرة) ينظر في فهرس الأحاديث النبوية نهاية الكتاب.

وقال :

« إنه ليغان على قلبى، وإنى لأستغفر الله فى كل يوم سبعين مرة» [1].

وقال تعالى لنبيه (ﷺ) :

﴿ فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا﴾ [2].

---

(١) حديث : إنه ليغان على قلبى وإنى لأستغفر الله فى كل يوم سبعين مرة، ينظر فى فهرس الأحاديث النبوية نهاية الكتاب.

(٢) آية رقم ٣ من سورة (النصر) مدنية.

الباب التاسع

فـــى

« معرفة القلب ومقاماته فى التصفية ...»

وفيه فصلان

الفصل الأول
فـــى
معرفة القلب

قال الله تعالى:

﴿ إن فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب﴾ [1].

وقال :

﴿ هو الذى أنزل السكينة فى قلوب المؤمنين ليزدادوا إيمانا مع إيمانهم﴾[2].

وقال رسول الله (ﷺ) :

« إن فى جسد ابن آدم لمضغة إذا صلحت صلح بها سائر الجسد. وإذا فسدت فسد بها سائر الجسد. ألا وهى القلب» [3].

وقال (ﷺ) : « إن القلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء»[4].

---

(١) آية ٣٧ من سورة (ق) مكية.

(٢) آية رقم ٤ من سورة (الفتح) مدنية.

(٣) حديث : إن فى جسد ابن آدم لمضغة إذا فسدت فسد الجسد وإذا صلحت صلح الجسد ألا وهى القلب، ينظر فى فهرس الأحاديث النبوية نهاية الكتاب.

(٤) سقط من (ت) : والحديث. [إن القلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء] ينظر فى فهرس الأحاديث النبوية نهاية الكتاب.

وفى رواية أخرى: « قلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن فإن شاء أقامه، وإن شاء أزاغه» (١).

اعلم أن للقلب صورة، وهى التى أثبت النبى (ﷺ) لجميع أولاد آدم بقوله « إن فى جسد ابن آدم لمضغة إذا صلحت صلح بها سائر الجسد» (٢). الحديث.

وله روحا وهو الذى أثبت الله تعالى لبعضهم دون بعض بقوله ﴿ **إن فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب**﴾ (٣).

وقد سمى الله تعالى من لم يكن له روح القلب ميتا بقوله ﴿ **إنك لا تسمع الموتى**﴾ (٨).

وقال : ﴿ **أومن كان ميتا فأحييناه**﴾ (٥).

فأمّا منشأ صورة القلب التى هى المضغة. فهى الذرة التى استخرجها الله من ظهر آدم يوم الميثاق.

وأمّا منشأ روحه الذى هو حى به. فهو الذى استفادت الذرة عند استماع خطاب ﴿ **ألست بربكم**﴾ من الفيض الإلهى. فكما أن تلك الذرة المستخرجة صارت بذر شجرة القالب، وثمرة القلب. كذلك صار ذلك الفيض، المستفاد من الفيض الإلهى بذر شجرة روح القلب، وثمرة روح روحه. وهو الذى أخبر الله عنه بقوله ﴿ **كتب فى قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه**﴾ (٦)وهو الإيمان الفطرى عند خطاب ﴿**ألست بربكم**﴾ كتبه بقلم توفيق الإقرار بربوبيته. إذ قالوا ﴿ **بلى**﴾ وأيدهم بروح منه

---

(١) وفى رواية أخرى قلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلّبه كيف يشاء.

(٢) سبقت الإشارة إلى الحديث.

(٣) سبقت الإشارة إلى الآية.

(٤) آية رقم ٨٠ من سورة (النمل) مكية.

(٥) آية رقم ١٢٢ من سورة (الأنعام) مكية.

(٦) آية رقم ٢٢ من سورة (المجادلة) مدنية.

وهو ثمرة شجرة الإيمان الكسبى. إذا آمنوا وعملوا الصالحات فلما أيدت شجرة روح القلب، فأثمرت بروح منه استعدت للتوصيل من الشجرة الطيبة، التى هى الكلمة الطيبة، وهى كلمة لا إله إلاّ الله. فتثمر ثمرة الوحدة. كما أثمرت لقائل «سبحانى ما أعظم شانى»[١]. وهذا تحقيق قوله تعالى: ﴿ **يوم لا ينفع مال ولا بنون * إلاّ من أتى الله بقلب سليم**﴾ [٢]. يعنى يوم الرجوع إلى الحضرة لا ينفعه للوصول إلى الحضرة المال الذى هو المكتسب من أفعاله، ولا البنون الذين هم مكتسبون من ذاته إلاّ أن يأتى إلى الله بقلب مستفيض سليم من آفات تعلق الكونين. ذى سلامة من انحراف المزاج القابل للفيض الإلهى بلا واسطة.

وإنما سمى القلب[٣] قلبا لأنه سريع التقلب بتقليب مقلّب القلوب.

كما قال (ﷺ):

« إن القلوب بين الإصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء» [٤].

ولأنه خلق فى قلب عالمى[٥] الغيب والشهادة. وهما الروح والجسد. وقد تولد القلب[٦] من ازدواجهما. فصورته متصلة بالجسد، وروحه متصله بالروح.

وقد عبر (ﷺ) عن عالمى[٧] الغيب والشهادة بالإصبعين لأنهما صورتا صفتى[٨] لطف الله تعالى، وقهره.

---

(١) تردد أنها لأبى يزيد البسطامى، وفى بعض الكتاب أنها للحلاج. وقال بعضهم إنها لإبراهيم ابن أدهم.

(٢) الآيتان رقم ٨٨، ٨٩ من سورة (الشعراء) مكية.

(٣) فى (ز) : (مسمى قلب).

(٤) سبقت الإشارة إلى هذا الحديث.

(٥) فى (ت)، (ز) (عالم).

(٦) من (ط) . الإضافة (القلب).

(٧) فى (ط) : (علمى).

(٨) الإضافة من (ط)، (ز).

(قوله « **فإن شاء أقامه، وإن شاء أزاغه**» [1]).

فإن شاء أقامه باستيلاء صفات الروحانية عليه. إقامة متوجهة إلى حضرة العزة، وإن شاء أزاغه. أى بغلبات صفات الحيوانية عليه أزاغه معرضا عن الحق متوجها إلى الدنيا وشهواتها، واستيفاء لذاتها، وطلب جاهها. فإن من سنته[2] تعالى ﴿ **إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم**﴾ [3] فلا يزيغ القلب إلا بعد أن يزيغ العبد أعماله الجسدانية.

كما قال تعالى: ﴿**وإذ قال موسى لقومه يا قوم لم تؤذونني وقد تعلمون أني رسول الله إليكم فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم**﴾ [4].

أى زاغوا بإيذاء رسول الله أزاغ الله قلوبهم عن الإيمان. فكذلك إقامة القلوب إنما يكون بإقامة شرائط العبودية فى تصفية القلب، وتنقيته، وتربيته فى الترقى إلى مقامات مخصوصة به كما سيجيىء شرحه إن شاء الله وحده.

---

(١) ما بين القوسين سقط من (ز). وسبقت الإشارة إلى الحديث.

(٢) فى (ز) : (سنة الله).

(٣) آية رقم ١١ من سورة (الرعد) مدنية.

(٤) آية رقم ٥ من سورة (الصف) مدنية.

الفصل الثانى
فـــى
مقامات القلب

اعلم أن للقلب أوصافا. خلقه الله تعالى عليها بالقوة[١]، ومقاماته سيره[٢] فى أطواره المختلفة على قانون استخراج تلك الأوصاف من القوة إلى الفعل، وله صحة ومرض. كما قال تعالى: ﴿ **فى قلوبهم مرض**﴾ [٣]. فمرضه[٤] بانحراف مزاجه عن تلك الأوصاف الجبلية، واعتلاله[٥] بعوارض الأوصاف النفسانية المجبولة عليها كما مر شرحها، وصحته فى إزالة الأوصاف النفسانية العارضة[٦] له عنه وسلامته عن آفاتها، وخصائصها، واستقامته على أوصافها التى هو مجبول عليها[٧] بعد استخراجها من القوة إلى الفعل (بالسير والعبور على)[٨] مقاماته. فنحن نذكر فى هذا الفصل مقاماته المختصة به، وطريق العبور عليها على سبيل الإيجاز والاختصار إن شاء الله تعالى[٩] على الترتيب.

فاعلم أن [١٠] أول مقام القلب [١١] الذى هو صفته المجبولة عليه:

---

(١) فى (ت) : (خلقها الله تعالى بالقوة).
(٢) فى (ت) : (سائرة).
(٣) آية رقم ١٠ من سورة (البقرة) مدنية.
(٤) فى (ت) : (عن) زائدة.
(٥) فى (ز) : (واعتداله).
(٦) فى (ط)، (ز) : (العارضية).
(٧) فى (ط): (أوصافه) التى هى مجبولة عليها.
(٨) سقط ما بين القوسين من (ز).
(٩) فى (ط) : (إنشاء الله).
(١٠) (فى) زائدة فى (ت).
(١١) سقط من (ط).

الزهـــد[1]

وهو عدم الالتفات[2] إلى الدنيا بحذافيرها مالها، وجاهها، وشهواتها، وزينتها، وزخارفها. رغبة فى الآخرة، ونعيمها الباقية. كما قال تعالى : ﴿ **تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا فى الأرض ولا فسادا** ﴾ [3].

وهذا أول مرتبته فى الزهد التى جبل عليها، وهذا النوع من الزهد كالبذر فى أرض القلب. فبالتربية بماء الشريعة وآداب دهقنة الطريقة تنبت منه شجرة الزهد فيما يشغله عن الله وتثمر ثمرة الزهد فيما سوى الله.

فالزهد رأس مال السائرين إلى الله تعالى، ولهم فى كل مقام ربح منه إلى ما لا نهاية له. كما قال «ذو النون»[4]:

«من علامة الزهد المشروح صدره ثلث تفريق المجموع وترك طلب المقصود[5]، والإيثار عند القوت».

قلت [6]: وصحة الزهد بالورع، والتوكل، والتقوى، والصدق.

---

(١) فى (ز) قسمها إلى فصول فقال: (فصل فى الزهد) وكل هذه العناوين يشير إليها هكذا. وسأكتفى هنا بهذه الإشارة مكتفيا بالعنوان مفرداً كما فى (ت)، (ط).

(٢) فى (ز) : (التفات).

(٣) آية رقم ٨٣ من سورة (القصص) مكية.

(٤) سبقت الإشارة إليه.

(٥) فى (ز) : (المفقود).

(٦) فى (ط) : (قال الشيخ الربانى المصنف رضى الله عنه) وكذا (ز).

الـورع[1]

اعلم. أن الورع: ترك الشبهات.

قال رسول الله (ﷺ):

« من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه» [2]. أى ترك الفضلات.

وقال (ﷺ)، لأبى هريرة:

« كن ورعا تكن أعبد الناس» [3].

قال «أبو بكر الصديق» [4]، رضى الله عنه:

« كنا ندع سبعين بابا من الحلال مخافة أن نقع فى باب من الحرام».

قلت[5]: المتورع : من يتورع فى الطعام، والشراب، واللباس، والمنطق، والنظر، والخواطر، والأفعال الظاهرة، والأحوال الباطنة. حتى لا يتحرك فى الظاهر إلاّ لله، ولا يقصد فى الباطن إلاّ الله. ويتورع عما سوى الله.

قال «يحيى بن معاذ»[6]:

من لم ينظر فى دقيق من الورع. لم يصل إلى الجليل من العطاء..

---

(١) سقط العنوان من (ت).

(٢) حديث : (من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه) ينظر فى فهرس الأحاديث النبوية نهاية الكتاب .

(٣) حديث : قال لأبى هريرة: (كن ورعا تكن أعبد الناس) ينظر فى فهرس الأحاديث النبوية نهاية الكتاب .

(٤) ورد هذا القول فى (باب الورع) عند الإمام القشيرى فى رسالته ص ٥٨ على لسان أبى بكر الصديق.

(٥) فى (ز) : (قال الشيخ المصنف، رضى الله عنه)، وفى (ط) : (قال الشيخ المصنف، رحمه الله).

(٦) سبقت الإشارة إليه.

وقال «الحسن» [1]:

مثقال ذرة من الورع، خير من ألف مثقال من الصوم والصلاة.

وقيل:

أوحى الله تعالى إلى «موسى» عليه السلام. لم يتقرب إليَّ المتقربون بمثل الورع.

وقال «أبو هريرة»[2]، رضى الله عنه:

جلساء الله غدا أهل الورع والزهد.

وقيل: حمل إلى «عمر بن عبد العزيز» [3] مسك من الغنائم فقبض على مشامه[4]، وقال:

ـ إنما ينتفع من هذا بريحه، وأنا أكره أن أجد ريحه دون المسلمين.

---

(1) الحسن: المقصود به (الإمام الحسن البصرى). إذ دخل مكة فوجد غلاماً من أولاد الإمام على بن أبى طالب قد أسند ظهره إلى الكعبة يعظ الناس فوقف عليه الحسن وقال: ما ملاك الدين فقال الورع. قال فما آفة الدين فقال الطمع فتعجب الحسن منه وقال: مثقال ذرة من الورع السالم خير من ألف مثقال من الصوم والصلاة. [انظر الرسالة القشيرية ص٥٩] طبعة ١٩٥٩ الثانية.

(2) سبقت الإشارة إليه.

(3) (عمر بن عبد العزيز): هو [عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم بن أبى العاص بن أمية] بويع بالخلافة بعد ابن عمه (سليمان بن عبد الملك) ولد سنة ٦١هـ وتوفى سنة ١٠١هـ عن أربعين سنة. عده الحفاظ والمؤرخون خامس الخلفاء الراشدين وكان عمر يقول: [إن أحب الأمور إلى الله القصد فى الجد، والعفو فى المقدرة، والرفق فى الولاية. وما رفق عبد بعبد فى الدنيا إلا رفق الله به يوم القيامة]. (انظر البداية والنهاية جـ٩ المجلد ٥ ص ٢١٤ وما بعدها.

(4) فى (ت): (مساته). والمشامة: من تشممت الشىء شممته فى مهلة، والمشامة مفاعلة منه. انظر لسان العرب مادة (شمم)

وقال «كهمس»[1] : أذنبت ذنبا أبكي عليه من أربعين سنة. وذلك أنه زارني أخ، واشتريت بدانق سمكة مشوية. فلما فرغ. أخذت قطعة طين من جدار جار لي حتى غسل يده ولم استحله.

وكان رجل يكتب رقعة في بيت بكراءٍ فأراد أن يترّب الكتاب من جدار البيت فخطر بباله أن البيت بالكراء. ثم خطر بباله أنه لا خطر لهذا التراب. فترب الكتاب من جدار[2] البيت. فسمع هاتفا يقول: سيعلم المستخف بالتراب ما يلقاه من طول الحساب.

---

(١) في (ز) : (كهمس). وهو من فرقة القدرية كما ذكر صاحب المعارف ص٦٢٥ وهي فرقة كلامية من فرق المعتزلة. انظر المقولة له في الرسالة القشيرية.

(٢) في (ت) : (جراب).

التوكـــل

قال الله تعالى :

﴿ **ومن يتوكل على الله فهو حسبه**﴾ [١].

وقال : ﴿ **وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين**﴾ [٢].

وقال رسول الله (ﷺ) :

« أُريت الأمم بالموسم. فرأيت[٣] أمتى قد ملأوا [٤] السهل والجبل فأعجبنى كثرتهم، وهيأتهم» [٥].

فقيل لى: أرضيت ؟

قلت: نعم.

قال: ومع هؤلاء سبعون ألفا فيدخلون الجنة بغير حساب لايكتوون[٦]، ولا يتطيرون، ولا يسترقون، وعلى ربهم يتوكلون.

---

(١) آية رقم ٣ من سورة (الطلاق) مدنية.

(٢) آية رقم ٢٣ من سورة (المائدة) مدنية.

(٣) فى (ز) : (فاريت).

(٤) فى (ط) : (ملؤ).

(٥) فى (ز) : (وهيئتهم).

(٦) فى (ط)، (ز) : (لايكتؤن). انظر لسان العرب مادة (كوى) ومنها : (ويجوز أن يكون النهى عنه ـ الكى ـ من قبيل التوكل).

فقام «عكاشة بن محصن الأسدى»[1]: فقال:

يا رسول الله أدع الله لى أن يجعلنى منهم.

فقال رسول الله (ﷺ): اللهم اجعله منهم، فقام آخر. فقال: ادع الله أن يجعلنى منهم.

فقال النبى (ﷺ): سبقك بها عكاشة[2].

اعلم أن التوكل أن يتخذ العبد ربه[3] وكيلا فى أمور دينه ودنياه (كما قال تعالى ﴿ **ومن يتوكل على الله فهو حسبه**﴾ [4]) وينخلع عن تصرفاته بالطبع كما أمره الله تعالى بقوله ﴿ **فاتخذه وكيلا**﴾. ثم يكون راضيا بما قسم الله له فى الأزل، مستسلما لما يجرى الله عليه إلى الأبد.

فتوكل العوام.. باتخاذ الله وكيلا فى رعاية مصالح دنياهم وأخراهم.

وتوكل الخواص .. بالتسليم لله فيما أحبّوا، وكرهوا [5] لقوله تعالى ﴿ **وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون**﴾ [6].

---

(١) (عكاشة بن محصن الأسدى): وهو [عكاشة بن محصن بن حرثان]. من أسد بنى خزيمة، ويكنى أبا محصن. وأخته «أم قيس بنت محصن». وقيل: وكان عكاشة من أجمل الرجال. وبشّره الرسول (ﷺ) بالجنة. عندما قام أحد الجلوس. وأنا يا رسول الله ادع لى أن أكون منهم فقال سبقك بها عكاشة. قتل عكاشة فى خلافة (أبى بكر الصديق) ببزاخة وقد كان أول من بايع الرسول فى بيعة الرضوان. انظر (المعارف) ص ٢٧٣.

(٢) الحديث : أريت الأمم بالموسم فرأيت أمتى قد ملأوا السهل والجبل... فقام عكاشة فقال ادع الله أن يجعلنى منهم يا رسول الله، ينظر فى فهرس الأحاديث النبوية نهاية الكتاب.

(٣) فى (ز) : (أن يتخذ الله العبد).

(٤) سقطت هنا من (ز) وزادها فيما بعد عند توكل العوام والآية سبقت الإشارة إليها.

(٥) فى (ز) : (واكرهوا) وفى (ت) : (ونزهوه).

(٦) آية رقم ٢١٦ من سورة (البقرة) مدنية.

وتوكل أخص الخواص .. بالتفويض إليه الله مفديا [1] بوجوده لموجده [2]. متبرئاً إلى الله تعالى من النظر إلى صلاح حاله، أو فساد مآله. لا يريد لنفسه إلا ما أراد الله منه في إيجاده بحكمته.

وكلت إلى المحبوب أمرى كله * فإن شاء أحيانى وإن شاء أتلفا

كما قيل:

قال «سهل بن عبد الله»[3]: أول المقامات [4] أن يكون العبد بين يدى الله كالميت بين يدى الغاسل. يقلبه كيف أراد[5] ولا يكون له حركة، ولا تدبير.

وقال، أيضا : العلم كله باب من التعبد، والتعبد كله باب من الورع، والورع كله باب من الزهد، والزهد باب من التوكل.

وقال «حمدون القصّار» [6]:

التوكل هو الاعتصام بالله.

ثم اعلم أن كمال التوكل الرضا بما قسم الله له. ثم:

---

(١) هكذا فى سائر النسخ وأظنها مفضيا من الإفضاء.

(٢) فى (ز) : (لموجوده).

(٣) سبقت الإشارة إليه.

(٤) فى (ط)، (ز) : (أول مقامات التوكل).

(٥) فى (ز) : (كيف يشاء).

(٦) حمدون القصار : وهو (حمدون بن أحمد القصار النيسابورى) شيخ الملامتية بنيسابور، ومنه انتشر مذهب الملامتية، أو الملامية، صحب أبا تراب النخشبى، والنصراباذى. وكان عالما ورعا من علماء هذا المذهب ولم يأخذ به أحد من أصحابه، وكان يقول: جمال الفقير فى تواضعه فإذا تكبر فقد زاد على الأغنياء فى الكبر. توفى سنة ٢٧١هـ بنيسابور، ودفن فى مقبرة الحيدة.

(انظر الطبقات الكبرى جـ١ ص ٧١. والرسالة القشيرية ص ١٩).

الرضــا

قال الله تعالى: ﴿ **رضى الله عنهم ورضوا عنه** ﴾ (١).

وقال رسول الله (ﷺ) :

« وارض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس» (٢).

اعلم أن الرضا عن الله ليس من شأن الإنسان، لأن الإنسان ظلوم كفار، وإنما رضاه عن الله تعالى من نتائج رضا (٣) الله عنه. مهما رضى الله عن العبد يوفقه للرضا عنه. ولهذا المعنى اختلف المشايخ فى أن الرضا من المقامات أو من الأحوال.

فقال بعضهم: الرضا من الأحوال، لأنه من مواهب الله تعالى والمقامات من المكاسب، والأحوال من المواهب.

وقال بعضهم :

الرضا من المقامات، وهو نهاية التوكل. يتوصل إليه العبد بالاكتساب.

ويحتمل الجمع بين القولين، بأن يقول: بداية الرضا مكتسبة للعبد وهى من المقامات.

لقوله (ﷺ) :

« ذاق طعم الإيمان، من رضى بالله ربا» (٤).

---

(١) آية رقم ٨ من سورة (البيّنة) مدنية.

(٢) حديث : وارض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس، ينظر فى فهرس الأحاديث النبوية نهاية الكتاب.

(٣) فى (ط) : (رضاء). ومعظم ألفاظ الرضا فى النسخة (ط) تأتى بالهمز. وسأكتفى بهذه الإشارة حتى لا أثقل الهامش.

(٤) الحديث : سبقت الإشارة إليه.

وقال : « إن الله بحكمته تعالى جعل الروح والفرح فى الرضا، واليقين وجعل الهم والحزن فى الشك، والسخط» [1].

ونهايته من جملة الأحوال. ليست بمكتسبة.

قال رسول الله (ﷺ) :

« بينا أهل الجنة فى مجلس لهم، إذ سطع لهم نور على باب[2] الجنة فرفعوا رءوسهم. فإذا الرب تعالى قد أشرف.

فقال: يا أهل الجنة سلونى.

فقالوا: نسألك الرضا عنا.

فقال: رضاى أحلكم دارى، وأنا أحل لكم كرامتى. هذا أوانها. فسلونى.

قالوا: نسألك الزيادة.

قال: فيؤتون بسحائب[3] من ياقوت أحمر إذ منها زمرد أخضر وياقوت أحمر. فجاءوا عليها تضع حوافرها عند منتهى[4] طرفها. فيأمر الله بأشجار عليها الثمار، وتجيىء جوار من الحور العين، وهن[5] يقلن نحن الناعمات فلا بنوس، ونحن الخالدات فلا نموت. أزواج قوم مؤمنين كرام ويأمر الله عز وجل بكثبان من مسك أبيض أذفر، فيثير عليهم ريحا يقال لها المثيرة حتى ينتهى بهم إلى جنة عدن، وهى قصبة الجنة.

فتقول الملائكة:

يا ربنا قد جاء القوم.

---

(١) الحديث: سبقت الإشارة إليه.

(٢) فى (ز) : (إلى).

(٣) فى (ز): (فيأتون بنجايب)، وفى (ط) : (بخايب).

(٤) فى (ز) : (منتها).

(٥) فى (ز) (وهى).

فيقول الله تعالى:

مرحبا بالصادقين، مرحبا بالطائعين. قال فيكشف عنهم الحجاب، فينظرون إلى الله عز وجل. فيتمتعون بنور الرحمن، حتى لا يبصر بعضهم بعضا.

ثم يقول: ارجعوهم إلى القصور بالتحف[1].

قال: فيرجعون، وقد أبصر بعضهم بعضا.

فقال رسول الله (ﷺ):

فذلك قوله تعالى ﴿ **نزلا من غفور رحيم**﴾ [2].

وقال المشايخ: الرضا باب الله الأعظم .. يعنى من أُكرم بالرضا فقد لقى بالترحيب الأوفى، وأكرم بالتقريب الأعلى.

قال «عبد الواحد بن زيد» [3]:

الرضا باب الله الأعظم، وجنة الدنيا.

وقيل .. قال «موسى»، عليه السلام:

«إلهى، دلنى على عمل إذا عملته رضيت عنى.

---

(١) فى (ز) : (أرجعوهم بتحف).

(٢) آية رقم ٣٢ من سورة (فصلت) مكية.

والحديث هو:

بينا أهل الجنة فى مجلس لهم إذ سطع لهم نور على باب الجنة فرفعوا رءوسهم فإذا الرب تعالى قد أشرف... وينظر الحديث فى الفهرس نهاية الكتاب.

(٣) (عبد الواحد بن زيد): أدرك الحسن البصرى. وكان له باع فى التصوف ومن أقواله: عليكم بالخبز والملح فإنه يذهب شحم الكلى ويزيد فى اليقين. وقال: أحسن أحوال العبد مع الله موافقته، فإن أبقاه فى الدنيا لطاعته كان أحب إليه، وإن أخذه كان أحب إليه.

انظر (الطبقات الكبرى ص ٣٩، ٤٠ حـ١).

فقال: إنك لا تطيق ذلك.

فخر «موسى» عليه السلام، ساجدا، متضرعا. فأوحى الله تعالى إليه : يا بن عمران إن رضاى فى رضاك بقضائى».

وقال «النصراباذى» (1): من أراد أن يبلغ محل الرضا، فليلزم ما جعل الله رضاه فيه.

وقيل ليحيى بن معاذ(2): متى يبلغ العبد مقام الرضا. [؟]

قال: إذا أقام نفسه على أربعة (3) أصول فيما يعامل به. يقول: إن أعطيتنى قبلت، وإن منعتنى رضيت، وإن تركتنى عبدت، وإن دعوتنى أجبت.

وقال «الجنيد»(4):

الرضا هو صحة العلم الواصل إلى القلوب. فإذا باشر القلب حقيقة العلم أداه إلى الرضا. وليس الرضا والمحبة كالخوف والرجاء فإنهما حالان لا يفارقان العبد فى الدنيا والآخرة. لأنه فى الجنة لا يستغنى عن الرضا والمحبة.

وقال «ابن عطاء» (5):

الرضا: سكون القلب إلى قديم اختيار الله تعالى للعبد. إنه اختار له الأفضل فيرضى له، وهو ترك السخط.

---

(1) (النصراباذى): هو (أبو القاسم إبراهيم بن محمد بن محمود النصراباذى شيخ خراسان فى وقته. نيسابورى الأصل والمولد. يرجع إليه فى عدد كبير من العلوم: السنن، والتورايخ وعلم الحقائق وغيرها. صحب أبا بكر الشبلى، والروذبارى وغيرهما. ومات سنة ٣٦٧هـ. كان يقول: إذا بدا لك شيء من بوادى الحق فلا تلتفت معه إلى جنة ولا إلى نار ولا تخطرهما ببالك إذا رجعت عن ذلك الحال فعظم ما عظم الله (انظر الطبقات ص١٠٥)

(2) سبقت الإشارة إليه.

(3) فى (ز) : (أربع).

(4) سبقت الإشارة إليه.

(5) سبقت الإشارة إليه.

وقال «السرّى» [1]:

خمس من أخلاق المقربين: الرضا عن الله تعالى فيما تحب النفس وتكره، والحب له بالتحبب من الله إليه، والحياء من الله، والأنس به، والوحشة مما سواه.

وقال «ابن شمعون» [2]:

الرضا بالحق، والرضا عنه، والرضا له، والرضا به مدبّراً ومختارا، والرضا عنه قاسما ومعطيا، والرضا له إلها وربًّا.

وقال «سفيان» [3] عند «رابعة» [4]:

ـ اللهم ارض عنا.

فقالت: أما تستحى [أن][5] تطلب رضا من لست منه براض.

---

(١) فى (ز)، (ط): (سرى). والصحيح هو (السرى).
(أبو الحسن السرى بن المغلس السقطى) خال الجنيد الصوفى الشهير وأستاذه. كان من أصحاب الأحوال وأصحاب علم التوحيد. وأقواله شهيرة منها: أقوى القوة أن تغلب نفسك، ومن عجز عن أدب نفسه كان أعجز عن أدب غيره. مات سنة ٢٥١هـ. ببغداد.
انظر (الطبقات الكبرى، والرسالة القشيرية، وكشف المحجوب).

(٢) سبقت الإشارة إليه.

(٣) فى (ط)، (ز) : (سقين)
والمقصود هو (سفيان الثورى):
كانوا يسمونه أمير المؤمنين فى الحديث. ولد سنة ٩٧هـ وخرج من الكوفة إلى البصرة سنة ١٥٥هـ وتوفى بها سنة ١٦١هـ عالم الأمة، وعابدها، وزاهدها المشهور. ومن أقواله المشهورة جداً: لا ينبغى للرجل أن يطلب العلم والحديث حتى يعمل فى الأدب عشرين سنة. ومنها. إذا فسد العلماء فمن يصلحهم. وفسادهم بميلهم إلى الدنيا. وإذا جر الطبيب الداء إلى نفسه فكيف يداوى غيره.

(٤) سبقت الإشارة إليه.

(٥) الإضافة من المحقق.

وقال سهل[1]:

إذا اتصل الرضا بالرضوان. اتصلت الطمأنينة، فطوبى لهم وحسن مآب.

وسئلت «رابعة»: متى يكون العبد راضيا [؟]

فقالت: إذا سرته المصيبة كما سرته النعمة.

وقيل: قال الشبلى[2] بين يدى الجنيد:

لا حول ولا قوة إلا بالله.

فقال الجنيد: قولك هذا ضيق صدر، وضيق الصدر بترك الرضا بالقضاء.

فما قاله الجنيد تنبيه[3] منه على أصل الرضا .. وذلك أن الرضا يحصل بانشراح الصدر، وانفساحه، وانشراح القلب من نور اليقين[4]. قال الله سبحانه ﴿ **أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه** ﴾ [5].

فإذا تمكن النور من الباطن[6]، اتسع الصدر، وانفتح عين البصيرة وعاين حسن تدبير الله تعالى، فينتزع[7] التضجر. لأن انشراح الصدر يتضمن حلاوة الحب، وفعل المحبوب بموقع الرضا عند المحب الصادق. لأن المحب يرى أن الفعل من المحبوب مراده واختياره. فيفنى فى لذة رؤية اختيار المحبوب عن اختيار نفسه.

---

(١) سبقت الإشارة إليه.

(٢) الشبلى : سبقت الإشارة إليه.

(٣) فى (ز) : (تنبيها).

(٤) فى (ز) : (بنور اليقين).

(٥) آية رقم ٢٢ من سورة (الزمر) مكية.

(٦) فى (ز) : (باظل).

(٧) فى (ز) : (التسخط والتفجر).

كما قيل:

وكل ما يفعل المحبوب محبوب.

فالرضا على ثلاثة أقسام:

ـ رضا العوام بما قسم الله لهم من الأرزاق.

ـ رضا الخواص بما قضى الله لهم، وعليهم بالوفاق.

ـ ورضا الأخص بالمولى من غير النفاق.

وبالرضا يوجد برد اليقين .. ثم:

اليقين

اعلم أن اليقين نور قذفه الله تعالى فى قلوب المؤمنين والأولياء، والأنبياء[١] عليهم السلام، بحسب مقاماتهم فى المعرفة، وذلك أن الله تعالى إذا اطلع على قلوب عباده المخصوصين بالعناية اطلاع الكرم عند توجههم إلى الحضرة بالصدق، وتولههم[٢] بالشوق راجعين بقطع التعلقات سطعت أنوار الغيب فيملأ القلوب المصفاة شروق الأنوار التى بها كشوف الأسرار فكل قلب يرى بإراءة الحق تعالى إياه ما يراه بنور اليقين حقيقة غير مشوبة بالريب.

﴿ **ما كذب الفؤاد ما رأى**﴾ [٣].

وكما قال ﴿**وكذلك نرى إبراهيم ملكوت السموات والأرض وليكون من الموقنين**﴾ [٤].

ولليقين زيادة ونقصان، وضعف وقوة. يزيد بقدر تصفية القلب عن كدورات صفات النفس وتطهيره عن تلونات[٥] الأخلاق الذميمة.

وتنوره بنور الذكر، وإشراق أنوار تطلع المذكور، والذاكر.

---

(١) فى (ط) : (الأنبياء والأولياء). وكان يصح أيضا الترتيب للمنزلة فيقول: (الأنبياء، الأولياء، والمؤمنين) ويبدو أن اضطراب الترتيب من النسّاخ أيضا.

(٢) فى (ز) : (ونالهم)، وفى (ت) : (وتألهم) وفى (ط) : (وتألههم).

وهى هنا من الوله: من السرور أو الحزن.

(٣) آية رقم ١١ من سورة (النجم) مكية.

(٤) آية رقم ٧٥ من سورة (الأنعام) مكية.

(٥) فى (ز) : (تلونيات).

فبدايته : علم اليقين بكشف الأسرار.

ووسطه : عين اليقين بشواهد الآثار.

ونهايته: حق اليقين بتتابع الأنوار.

قيل لرسول الله (ﷺ): إن «عيسى ابن مريم»، عليه السلام كان يمشى على الماء.قال : لو ازداد يقينا لمشى فى الهواء[1].

ونقصانه بقدر تدنس القلب بلوث الشهوات، وتكدره بشوب الغفلات، وقوته فى الرضا بالقضاء والصبر على البلاء، والتوكل على رب السماء، وضعفه بفقد هذه الأشياء.

قال «إبراهيم الخواص»[2]:

لقيت غلاما فى التيه كأنه سبيكة فضة

فقلت له : إلى أين يا غلام [؟]

فقال : إلى مكة.

فقلت: بلا زاد ولا راحلة، ولا نفقة [!]

فقال لى: يا ضعيف اليقين. الذى يقدر على حفظ السموات والأرض لا يقدر على أن يوصلنى إلى مكة بلا علاقة [!]

---

(١) حديث:

قيل لرسول الله (ﷺ): إن عيسى ابن مريم كان يمشى على الماء قال لو ازداد يقينا لمشى فى الهواء. ينظر فى فهرس الأحاديث النبوية نهاية الكتاب.

(٢) إبراهيم الخواص: قال صاحب الطبقات الكبرى هو [أبو إسحاق إبراهيم بن إسماعيل الخواص]. وقال صاحب الرسالة القشيرية [هو أبو إسحق إبراهيم بن أحمد الخواص] واتفق معه صاحب كتاب كشف المحجوب ص ١٨٢. وذكر أنه ابن أحمد. قيل إنه بلغ درجة عالية فى طريق التوكل، وله آثار باهرة، وكرامات ظاهرة، ومؤلفات فى التصوف كثيرة. وقال إنه رأى الخضر وسأله الصحبة فأبى عليه مخافة أن يتكل على الخضر. دون الله. هذا قوله (انظر كشف المحجوب فى ذلك. والطبقات ص ٨٣، والرسالة ص ٢٥).

قال: فلما دخلت مكة فإذا أنا به فى الطواف وهو يقول:

يا عين سحى أبدا * يا نفس موتى كمدا

ولا تحبى أحدا * إلا الجليل الصمدا

فلما رآنى قال: يا شيخ، أنت على ضعف من اليقين بعد.

ثم اعلم أن اليقين من مقامات لا ينقطع السير فيها إلى الأبد لأنه ثمرة شجرة المعرفة، وهى غير متناهية، فثمرتها تكون غير متناهية. فكما أن للعارف فى مقام السير فى الله تتجدد المعرفة، ويزيد مع لحظاته إلى الأبد. كذلك يتجدد للموقن السائر فى مقام حق اليقين بحسب المعرفة مزيد فى اليقين إلى الأبد. وقد خص الله حبيبه المجتبى ونبيه المصطفى (ﷺ) بهذه المرتبة السنية.

فقال ﴿ واعبد ربك حتى يأتيك اليقين﴾ (١).

أى كن ثابتا على قدم العبودية إلى الأبد ليزداد لك المعرفة واليقين بلا نهاية.

وإنما فسّر علماء الظاهر. اليقين ههنا بالموت. لأن اليقين بالآخرة، وسؤال المنكر والنكير، والثواب والعقاب. يحصل بالموت فإن فيه كشف الغطاء. كقوله تعالى ﴿فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد﴾ (٢).. وقد كشف غطاء السائرين إلى الله تعالى فى حياتهم. ووصلوا إلى مقام الإيقان بعد الإيمان بل حصلوا فى مقام العيان حتى قال بعضهم: لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا. واليقين يورث الصبر، وقد مر الكلام على الصبر(٣)، وما بلغ من بلغ هذه المراتب، وما عبر عن هذه المقامات إلا بالصدق

ثم ...

---

(١) آية رقم ٩٩ من سورة الحجر مكية.

(٢) آية رقم ٢٢ من سورة (ق) مكية.

(٣) لم يتكلم عن الصبر منفصلا فى مقام سابق أو حتى فقرة معنونة مثل هذه الفقر السابقة. لكنه ربما قصد كلامه فى سياقات أخرى متفرقة تحدث فيها عن الصبر.

الصدق

قال الله تعالى:

﴿ **يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين**﴾[1].

وقال رسول الله (ﷺ):

« لا يزال العبد يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقا، ولا يزال يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا» [2].

اعلم أن على الصدق مدار جميع المقامات فى السير إلى الله، ولا يمكن الوصول إلى الحضرة إلا بقدم الصدق كما قال تعالى: ﴿ **لهم قدم صدق عند ربهم**﴾ [3].

وقال بعضهم: الصدق سيف الله ما وضع على شيء إلاَّ قطعه.

الصدق[4] ينافى الكذب فى الأقوال، والأعمال، والأحوال.

فمن صدق فى الأقوال. فهو صادق.

ومن صدق فى الأعمال. فهو صدوق.

ومن صدق فى الأحوال. فهو صدّيق.

---

(١) آية رقم ١١٩ من سورة (التوبة) مدنية.

(٢) حديث: لا يزال العبد يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقا.. ينظر فى فهرس الأحاديث النبوية نهاية الكتاب.

(٣) آية رقم ٢ من سورة (يونس) مكية.

(٤) فى (ط)، (ز): (ما ينافى).

فالصدق في الأقوال: استواء اللسان على المقال.

والصدق في الأعمال[1]: استواء الأركان على الشرع في الأفعال وهما من المكاسب.

وصدق الأحوال: استواء[2] الجنان على الفضل والنوال من فيض ذى الجلال، وهو من المواهب. وذلك تالى درجة النبوة. لقوله تعالى:

﴿ **فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين** ﴾ [3] الآية.

وعلى الحقيقة. لا يلزم الصدق أحدا فى الأقوال، والأعمال، والأحوال إلاّ بحسن التوفيق من الله تعالى. كما قال تعالى: ﴿ **إن الله مع الصادقين** ﴾ [4] أى معهم بالتوفيق للصدق.

ومنشأ الصدق هو المعرفة. لأنك إذا عرفت ممن تخاطب أنه واقف على صدقك، وكذبك. وهو قادر على مجازاتك، وأنه لا ينجيك من عقوبته إلا صدقك. فقد صدقت معه.

والصدق أصل لسائر أعمال البر[5]، وعلى قدر قوة الصدق يزداد العبد فى أعمال البر، وهو موهبة من الله. فإذا وقع فى القلب سطع لذلك نور، وله هياج فى القلب، وأخذ في الرأس. وانتشر فى سائر الجسد. فيأخذ كل جارحة منه قبسا [6] من الصدق. على قدر الكثرة والقلة [7] من هيجان الصدق. وعلى قدر ما وافق من ذلك

---

(١) فى (ز) : (وصدق الأعمال).

(٢) فى (ز): (فى الأركان).

(٣) آية رقم ٦٩ من سورة (النساء) مدينة.

(٤) لم أعثر على نص هذه الآية وربما استند المؤلف إلى معنى الآية أول الصدق.

(٥) فى (ز) : (لسائر الأعمال).

(٦) فى (ز) : (تقبسا).

(٧) فى (ز) : (وألقاه).

رقة القلب، وصحة العقل، وربما هاج الصدق فى القلب فولهه، وربما حيره، وربما أزهله، وربما أبكاه وأحزنه، وربما نغص عليه [1] الطعام والشراب، وربما دام منه البكاء والنحيب، وربما زعق وشهق، وربما زال عنه العقل ساعة، وربما سقط عنه التمييز ساعة ويوما، ويومين وأكثر. على قدر هيجان الصدق من القلب، وربما يوحش من الخلق إلى أنس الوحدة، وربما دام به الحزن واقشعر منه الجلد، وربما لم ينتفع به أهل ولا ولد فهذا الذى وصفناه كله وأكثر من هذا بهيجة من القلب صدق الحياء، أو صدق الخوف، أو صدق المحبة. وأن من أمارات الصادق الصديق.

ما قيل: أن لا يبالى لو خرج كل قدر له فى قلوب الخلق من أجل إصلاح قلبه، ولا يحب اطلاع الناس على مثاقيل الذر[2] من حسن عمله، ولا يكره أن يطلع الناس على السّيئ من عمله. لأن كراهتيه لاطلاع الناس على عمله دليل منه على حب الزيادة عندهم. وليس هذا من أخلاق الصديقين. اللهم إلا أن يكون قصدهم فى ذلك صلاح الناس، وحسن إدارتهم[3] لينتفعوا بها، ولم ينكروا. فإن إنكارهم يضرّ بهم.

ومن علامة الصديق أن يكون بصواب القول ناطقا، ولسانه محزوناً [4]. فإذا نطق فكلامه بالحق موزون. وإنه طاهر القلب من كل دنس يصافى مولاه فى كل نفس، وإنه متمنى الموت شوقا إلى لقاء محبوبه قال الله تعالى **﴿فتمنوا الموت إن كنتم صادقين﴾** [5] والصدق يورث الخوف، والرجاء.

(١) فى (ز) : (نقص على).

(٢) فى (ز) : (مثاقيل الذرة).

(٣) فى (ز) : (إراتهم).

(٤) فى سائر النسخ (محزون).

(٥) آية رقم ٦ من سورة (الجمعة) مدنية.

الخوف

قال الله تعالى:

﴿ يدعون[1] ربهم خوفا وطمعا﴾ [2].

وقال رسول الله (ﷺ):

« من خاف أدلج[3]، ومن أدلج بلغ المنزل. ألاَ إن سلعة الله غالية، ألا إن سلعة الله الجنة» [4].

اعلم أن الخوف من شرائط الإيمان، وقد فرضه[5] الله على المؤمنين فى القرآن فقال ﴿ وخافون إن كنتم مؤمنين﴾ [6].

وقد مدح المؤمنين على الخوف فقال: ﴿ يخافون ربهم من فوقهم﴾ [7]. وللخوف مقامات ومراتب:

---

(١) فى (ط) : (يدعوا).

(٢) آية رقم ١٦ من سورة (السجدة) مدنية.

(٣) فى (ط): (أولج) بالواو بدلا من الدال. وقد أثبتنا أدلج لأنها تدل على المقصود من الحديث: وهو (السير فى الليل) وحديث الرسول (ﷺ) واضح فى هذا الباب. وانظر أيضا لسان العرب لابن منظور مادة (دلج).

(٤) حديث: من خاف أدلج. ومن أدلج بلغ المنزل ألا إن سلعة الله غالية ألا إن سلعة الله الجنة ، ينظر فى فهرس الأحاديث النبوية نهاية الكتاب.

(٥) فى (ز) : (فرض).

(٦) آية رقم ١٧٥ من سورة (آل عمران) مدنية.

(٧) آية رقم ٥٠ من سورة (النحل) مكية.

فمقام عوام[1] المؤمنين: أن يخافون[2] الله في تعذيبهم بالنار.

ومقام خواص المؤمنين: الخشية، وهم العلماء كما قال تعالى: ﴿ **إنما يخشى الله من عباده العلماء**﴾ [3].

وإنما يخشون أن تكون طاعاتهم مشوبة بالرياء. كما قالت «عائشة» رضى الله عنها:

قلت: يا رسول الله (ﷺ) «الذين يؤتون ما أتوا وقلوبهم وجلة» أهو الرجل يسرق، ويزنى، ويشرب الخمر.

قال: لا ولكن الرجل يصوم، ويصلى ويتصدق، ويخاف أن لا يقبل منه [4].

ومقام أخص الخواص. الهيبة: وهم أهل المعرفة من الأنبياء، والأولياء قال الله تعالى ﴿ **ويحذركم الله نفسه**﴾[5] فمن ازداد المعرفة ازداد الهيبة، وإنما يفزعون عن الحجاب والقطيعة.

قال رسول الله (ﷺ):

« أنا أعلمكم بالله وأخشاكم منه» [6].

وهذا النوع من الخوف ينشأ من القرب والمحبة [7]، وضد هذا النوع من الخوف الآمن من المكر.

---

(١) في (ز) : (العوام).

(٢) في (ز) : (تخاف).

(٣) آية رقم ٢٨ من سورة (فاطر) مكية.

(٤) عن عائشة قالت: (يا رسول الله الذين يؤتون ما أتوا وقلبهم وجلة أهو الرجل يسرق ويزنى ويشرب الخمر قال لا... ، ينظر في فهرس الأحاديث النبوية نهاية الكتاب.

(٥) آية رقم (٢٨ ، ٣٠) من سورة (آل عمران) مدينة.

(٦) في (ط) (عنه). والحديث:
أنا أعلمكم بالله وأخشاكم منه.

(٧) في (ط)، (ز): (فيزداد إلى الأبد لأنه لا نهاية للقرب والمحبة) زائدة.

وقال تعالى: ﴿ **فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون** ﴾ (١).

والخائف الحقيقى: من لا يخاف إلاّ الله.

فإن قيل: ما قولكم فى قوله تعالى: ﴿ **ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون** ﴾(٢) هل يخاف الولى أم لا [؟].

قلنا: أما الخوف الذى يتعلق بزمان مستقبل من مكروه يصيبه من مخلوق أو محبوب يفوته فلا. لأنه ليس للولى ماض ولا مستقبل وهو ابن وقته، ولأنه مشاهد للحق تعالى فلا يرى فى الدارين غير الله. وفى نظره ﴿ **كل شىء هالك إلا وجهه** ﴾(٣).

وأما خوفه فى ذات الله تعظيما وإجلالا فنعم، لأنه يزداد بازدياد القرب والمعرفة.

قال الواسطى(٤):

الخوف والرجاء زمامان على النفوس لئلا تخرج على رعوناتها..

وقال: إذا ظهر الحق على السرائر لا يبقى فيها فضلة لرجاء ولا خوف.

قال الأستاذ «أبو القاسم»(٥): وهذا فيه إشكال. ومعناه إذا اصطلمت شواهد الحق بالأسرار ملكتها. فلا يبقى منها مساغ لذكر حدثان.

فالخوف والرجاء من آثار بقاء الإحساس بأحكام البشرية.

---

(١) آية رقم ٩٩ من سورة (الأعراف) مكية.

(٢) آية رقم (٦٢) من سورة (يونس) مكية.

(٣) آية رقم ٨٨ من سورة (القصص) مكية.

(٤) الواسطى: سبقت الإشارة إليه.

(٥) أبو القاسم: المقصود أبو القاسم القشيرى. وسبقت الإشارة إليه.

الرجاء

قال الله تعالى:

﴿ فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا﴾ (١).

وقال رسول الله (ﷺ):

«قال جبريل، عليه السلام، : قال الله عز وجل:

عبدى ما عبدتنى، ورجوتنى، ولم تشرك بى شيئا غفرت لك على ما كان منك، ولو استقبلتنى بملء الأرض خطايا، وذنوبا. استقبلتك بملئهن مغفرة. وأغفر لك ولا أبالى»(٢).

واعلم أن الرجاء أحد جناحى قلب المؤمن. والخوف ثانيهما. بهما يطير عوامهم إلى الجنات، وخواصهم إلى القربات، وأخص خواصهم إلى مقامات فى الموصلات. ثم يتبدل اسم الخوف والرجاء(٣)، وانعكاس ضياء أنوار الجمال على مرآة القلب. والخوف انعكاس ضياء أنوار الجلال على مرآة القلب.

وأمارة صحة الخوف والرجاء ترك ما يبعده عن الحضرة، واستعمال ما تقربه إليها. فمن كان خوفه من النار ورجاؤه إلى الجنة فليباشر أعمال الشريعة بالتقوى. ومن

---

(١) آية رقم ١١٠ من سورة (الكهف) مكية.

(٢) حديث قدسي: عبدى ما عبدتنى، ورجوتنى، ولم تشرك بى شيئا غفرت لك على ما كان منك ولو استقبلتنى بملء الأرض خطايا وذنوبا استقبلتك بملئهن مغفرة، ينظر فى فهرس الأحاديث نهاية الكتاب .

(٣) فى (ط)، (ز): (للخواص بالقبض والبسط. والأخص بالهيبة والأنس) زائدة.

كان خوفه عدم قبول الطاعات[1]، ورجاؤه إلى المواصلات. فليعمل عملا صالحا للحقوق. صافيا عن الحظوظ، ولا يشرك بعبادة ربه أحدا. بالالتفات إلى الدارين.

قال «أبو خبيق»[2]:

الرجال ثلاثة: رجل عمل حسنة فهو يرجو قبولها.

ورجل عمل سيئة ثم تاب فهو يرجو المغفرة.

ورجل كاذب يتمادى فى الذنوب ويقول أرجو المغفرة.

والفرق بين الرجاء والتمنى.

ـ أن التمنى يورث الكسل لصاحبه، ولا يسلك طريق الجهد والجد.

ـ ويعكسه صاحب الرجاء.

والرجاء محمود، والتمنى مذموم[3].

وقال «يحيى بن معاذ»[4]:

إلهى، أجلى العطايا فى قلبى رجاؤك. وأعذب الكلام على لسانى ثناؤك. وأحَبُّ الساعات إلىّ الساعة التى يكون فيها لقاؤك.

---

(١) فى (ز)، (ط) : (ومن خوفه من قبول الطاعات).

وفى (ط): (وردها إلى القربات فليلازم آداب الطريقة بالتقوى ومن كان خوفه من القطيعة). زائدة.

(٢) فى (ط): (أبو حيوة). والصحيح ما أثبتناه. وهو (يحيى أبو محمد عبد الله بن خبيق) سالك طريق الورع والتقوى. قال: من أراد أن يكون موسعا عليه فلا يسكن الطمع قلبه)..

انظر ترجمته فى كتاب (كشف المحجوب) للهجويرى ص ١٥٥.

(٣) فى (ز): (معلول).

٤) سبقت الإشارة إليه.

وفي بعض التفاسير:

أن رسول الله (ﷺ) «دخل على أصحابه من باب «بنى شيبة» فرآهم يضحكون فقال: أتضحكون [1]، لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا، ولبكيتم كثيراً.[2]

ثم رجع القهقرى. وقال:

نزل عليّ جبريل، عليه السلام، وأتى بقوله تعالى: ﴿**نبّئ عبادى أنى أنا الغفور الرحيم**﴾[3].

وقيل: إنما أوقعهم فى الذنب حين سمى نفسه عفوًا.

وقيل: لو قال: لا أغفر الذنوب لم يذنب مسلم قط.

كما أنه قال تعالى ﴿ **لا يغفر أن يشرك به**﴾ لم يشرك مسلم قط ولكن لما قال ﴿**ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء**﴾[4] طمعوا فى مغفرته.

ويُحكى عن «إبراهيم بن أدهم»[5] أنه قال: كنت أنتظر مدة من الزمان أن يخلو المطاف لى فكانت ذات ليلة ظلماء يجيىء المطر الشديد فخلا المطاف، فدخلت الطواف، وكنت أقول:

ـ اللهم اعصمنى، اللهم اعصمنى. فسمعت هاتفا يقول لى:

---

(١) سقطت من (ز).

(٢) حديث: لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيراً ثم رجع القهقرى وقال ....، ينظر فى فهرس الأحاديث النبوية نهاية الكتاب .

(٣) آية رقم ٤٩ من سورة (الحجر) مكية.

(٤) آية رقم ٤٨ من سورة (النساء) مدنية.

(٥) سبقت الإشارة إليه.

- يا بن أدهم. أنت تسألنى العصمة، وكل الناس يسألونى العصمة. فإذا عصمتكم فعلى من أرحم.

ثم اعلم أن تصحيح المقامات كلها بمحل الإخلاص على الحقيقة. فمن لم يصحبه الإخلاص فى كل مقام لا يسلم له الخلاص منه)[1].

والله أعلم وأحكم[2].

---

(١) ما بين القوسين سقط من (ت).

(٢) سقط من (ط).

الإخلاص

قال الله تعالى:

﴿ وما أمروا إلاَّ ليعبدوا الله مخلصين له الدين﴾[1].

وقال رسول الله (ﷺ):

« من أخلص لله تعالى أربعين صباحا ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه»[2].

اعلم أن الإخلاص خلوص النظر من الخلق إلى الحق.

وهو على ثلاثة أقسام:

إخلاص العوام: وهو خلوص الأحوال عن شوائب الرياء. قال (ﷺ) « اليسير من الرياء شرك» .

إخلاص[4] الخواص: وهو خلوص النية عن شوائب النظر إلى الدارين. قال، عليه السلام « إنما الأعمال بالنيات ولكل امرئ ما نوى» [5] من عمله.

---

(١) آية رقم ٥ من سورة (البينة) مدنية.

(٢) الحديث : سبقت الإشارة إليه.

(٣) حديث : (اليسير من الرياء شرك) ينظر فى فهرس الأحاديث النبوية نهاية الكتاب .

(٤) فى (ز) : (الإخلاص).

(٥) حديث : إنما الأعمال بالنيات، ينظر فى فهرس الأحاديث النبوية نهاية الكتاب .

وإخلاص[1] الأخص: وهو خلوص جوهر الإنسانى عن شوب الوجود وشينه قال (ﷺ): «سألت جبريل[2] عليه السلام عن الإخلاص ما هو[؟]

قال: سألت رب العزة عن الإخلاص ما هو [؟] قال: سر من سرى[3] استودعته قلب من أحببته من عبادى وهو سر الفناء من سر البقاء. أودعته قلوب المحبين»[3]. فإن المحبة دخول صفات المحبوب على البدل من صفات المحب. وهذا معنى قوله «فإذا أحببته كنت له سمعا وبصراً» [5] وقد جاء فى رواية أخرى « الإخلاص سر بينى وبين عبدى لا يسعه ملك مقرب ولا نبى مرسل».

والفرق بين المخلِـصِ والمخلَص.

أن المخلِص: من أخلص فى العبودية للربوبية.

قال الله تعالى **﴿وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين﴾** [6].

والمخلَص: من أخلصه الحق عن حبس الوجود ببذل الجود.

قال تعالى **﴿ إلا عبادك منهم المخلصين﴾** [7].

فلما تخلصوا عن حبس الوجود آيس الشيطان أن يصيبهم بسوء وانقطع عنهم سلطانه.. قال الله تعالى:

﴿ إن عبادى ليس لك عليهم سلطان﴾ [8].

---

(١) فى (ز) : (الإخلاص).
(٢) فى (ط) : (سئلت) وهى أيضا كذلك فى السطر الثانى.
(٣) فى (ط) : (سر من سر) وقد ورد فى بعض الأحاديث: «الإخلاص سر من أسرارى».
(٤) حديث : الإخلاص سر من أسرارى...، ينظر فى فهرس الأحاديث نهاية الكتاب .
(٥) سبقت الإشارة إلى الحديث.
(٦) الآية السابقة أول الإخلاص وأشير إليها.
(٧) آية رقم ٤٠ من سورة (الحجر) مكية.
(٨) آية رقم ٤٢ من سورة (الحجر) مكية.

وقال «ذو النون المصرى»[1]:

من علامات الإخلاص. استواء المدح والذم من العامة ونسيان رؤية الأعمال فى الأعمال، واقتضاء ثواب العمل فى الآخرة.

وقال «يوسف بن الحسين»[2]:

«أعز شيء فى الدنيا الإخلاص، فكم أجتهد فى أسقاط الرياء عن قلبى، وكأنه نبت فيه على لون آخر».

ثم اعلم أنه لا يتم الإخلاص إلاّ بالمراقبة.

---

(١) سبقت الإشارة إليه.

(٢) يوسف بن الحسين : شيخ الرى والجبال. كان عالما وحده فى إسقاط التصنع، وكان أديبا له براعة. وكان يقول دائما: لأن ألقى الله تعالى بجميع المعاصى أحب إلىّ من أن ألقاه بذرة واحدة من التصنع. وكان يقول أيضا: لا أذاقك الله طعم نفسك فإنك إن ذقتها لم تذق بعدها خيرا. مات سنة (٣٠٤هـ).

(انظر الرسالة القشيرية ص ٢٤).

المراقبة

قال الله تعالى:

﴿ وكان الله على كل شىء رقيبا﴾ [1].

وقال رسول الله (ﷺ):

« الإحسان: أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك»[2].

اعلم أن المراقبة محافظة الأسرار عن الاستتار[3].

فكما، أن الله كان على كل شىء رقيبا، ينبغى أن يكون العبد على كل شىء من الأشياء ظاهره وباطنه، رقيبا. لئلا يجرى عليه سوى المأمور به. ويعلم أن الله رقيبه على ما يفعله ويتمناه، فيكون رقيبا على بدنه[4]. يسايس الطريقة ولزوم المجاهدات، وترك الشهوات. رقيبا على قلبه يسايس المحبة عن ملاحظة الأغيار، ولزوم الأذكار. رقيبا على سره يسايس الأنوار عن الأستار فى كشف الأسرار. رقيبا على روحه بطوالع شموس الشواهد عن الالتفات إلى الدارين فى بذل الوجود لنيل المقصود. رقيبا على سره الخفى بسلطان الهوية، وسطوات الألوهية عن وصمة أنانية الإنسانية فى إفناء

---

(١) آية رقم ٥٢ من سورة (الأحزاب) مدنية.

(٢) الحديث : سبقت الإشارة إليه.

(٣) فى (ط)، (ز) : (الأستار).

(٤) (يسايس الشريعة عن المخالفات ولزوم الموافقات رقيبا على نفسه) سقط هذا الجزء من (ت).

الصفات بالصفات[1]. والذات فى الذات، وهذا حقيقة قوله تعالى ﴿ **وكان الله على كل شىء رقيبا**﴾.. أى رقيبا على كلية أشياء الموجودات ليستعملها لما خلق له. محفوظة عن استعمال غير ما خلق له. فمن تحقق[2] له قبول الحق، فله دوام المراقبة.

والمراقبة.. من باب المفاعلة، وهو ما يكون بين الاثنين.

فالرب.. يراقب جميع حركات العبد وسكناته ظاهرا وباطنا مراقبة الحفظ والعناية. وألطاف الربوبية.

والعبد. يراقب جميع أوقاته، وحالاته. بظاهره وباطنه. رضا ربّه، وإرادته، وأحكامه، وقضاءه، وقدره، وإشاراته وإلهاماته، وارداته، وطوالعه، وشواهده.. وتحلى صفاته وذاته، مراقبة التقوى، والوفاء، والحياء، والشوق، وأصناف العبودية كما أنشدوا:

كان رقيبا منك يرعى خواطرى * وآخر يرعى ناظرى ولسانى
فما رمقت عيناى بعدك منظراً * يسؤك إلاّ قلت قد رمقانى
ولا بدرت من فىّ دونك لفظة * بغيرك إلا قلت قد سمعانى[3]
ولا خطرت فى السرّ بعدك خطرة * لغيرك إلاّ عرّجا بعنانى
وإخوان صدق قد سمعت حديثهم * فأمسكت عنهم ناظرى ولسانى

وقيل قوله (ﷺ):

«فإن لم تكن تراه فإنه يراك».

إشارة إلى حال المراقبة. لأن المراقبة علم العبد باطلاع الرب، سبحانه وتعالى،

---

(١) فى (ز) : (بالصعاب والذل).
(٢) فى (ت) : (يخلق).
(٣) فى (ط) : (سماحانى).

عليه. واستدامة[1] هذا العلم مراقبة لربه، عز وجل، وهذا أصل لكل خير. ولا يكاد يصل إلى هذه المراقبة إلا بعد فراغه من المحاسبة.

المحاسبة[2]

فالعبد إذا حاسب نفسه على ما سلف وأصلح حاله فى الوقت، فلازم طريق الحق أحس بينه وبين الله عز وجل، مراعاة القلب. وحفِظ مع الله الأنفاس. راقب الله تعالى فى عموم أحواله. فيعلم أنه سبحانه عليه رقيب، ومن قلبه قريب. يعلم أحواله، ويرى أفعاله، ويسمع أقواله. ومن تغافل عن هذه الجملة فهو بمعزل عن بداية الوصلة فكيف عن حقائق القربة.

وقال «الجريرى»[3]: من لم يحكم بينه وبين الله تعالى بالتقوى والمراقبة لم يصل إلى الكشف والمشاهدة. ومن أعلى مراتب المراقبة الحياء. فإن الحياء من الإيمان. والإيمان من نور الجمال. فمن كان رقيبه نور الجمال كان محفوظا من سطوات الجلال إلى أن يبلغه إلى أعلى مراتب الوصول والوصال.

ثم اعلم أنه لا مبلغ للسالك إلى هذه المسالك، ولا منجى له من هذه المهالك مثل حسن الخلق.

---

(١) فى (ت) : (واستقامة).

(٢) هذا العنوان الكبير إضافة من (ط). فلا يوجد إلا بها.

(٣) الجريرى سبقت الإشارة إليه.

الخُلـق

قال الله تعالى:

﴿ وإنك لعلى خلق عظيم﴾[1].

وقال رسول الله (ﷺ):

حين سُئِل: أى المؤمنين أحسنهم إيمانا [؟]

قال: «أحسنهم خلقا»[2].

اعلم أن الخُلقَ صورة الروحِ. كما أن الخَلق صورة القالب. وأن الله قدّر بكمال حكمته لكل شخص خلقا وخلقا كما قال (ﷺ):

«إن الله فرغ من الخلق والخُلقِ، والرزق والأجل، وكما جعل الأشباح قوالب الأرواح. جعل الصور قوالب الأخلاق فمن حسنت صورته غالبا حسن خلقه»[3].

فكان النبى (ﷺ) من أحسن الناس خَلْقا وخُلُقا. وكما أنه تعالى جعل الصور قوالب الأخلاق جعل الأخلاق قوالب الإيمان. كما سئِل النبى (ﷺ):

ـ أى المؤمنين أحسنهم[4] إيمانا. [؟]

---

(١) آية رقم ٤ من سورة (القلم) مكية.

(٢) حديث: قال (ﷺ) حين سئل، أى المؤمنين أحسنهم إيماناً ، ينظر فى فهرس الأحاديث النبوية نهاية الكتاب .

(٣) حديث : إن الله فرغ من الخلق والخُلُق والرزق والأجل ، ينظر فى فهرس الأحاديث النبوية نهاية الكتاب .

(٤) فى (ز) : (أكملهم).

قال ـ أحسنهم إيمانا أحسنهم خُلقا» .

فاستقامة الأخلاق في استقامة الإيمان، واستقامة الإيمان في استقامة القلب. كما قال (ﷺ) :

«لايستقيم إيمان أحدكم حتى يستقيم قلبه»[1] .

والقلب المستقيم هو السليم من الأمراض والعلل والآفات، والتعلقات فإذا صقلت مرآة القلب عن صدأ تعلقات الكونين وتنورت بنور الذكر، وتواترت عليها شواهد التجليات[2] انعكس تلألؤها على الأخلاق فتحسنها بحسب قوة التلألؤ، والشواهد فمن تجلى له الرب تبارك وتعالى بجميع صفاته. صار متخلقا[3] بأخلاق الحق. ومن تجلى له بأخلاقه يفني كينونيته ويبقيه بكينونيته تعالى. كما قال: « كنت له سمعا، وبصرا، ولسانا، ويدا،[4] ومؤيدا» الحديث. ومن تجلى له الرب تعالى بذاته وصفاته لم يبق له وجودا ولا خلقا. فإن الخلق تبع للوجود. فيكون خلقه خلق الحق كما كان حال النبي (ﷺ). «كان خلقه القرآن» والقرآن هوخلق الله وصفته. فلما كان على خلق الله كان على خلق عظيم. كما قال تعالى **﴿وإنك لعلى خلق عظيم﴾**[5]. ومن علامة عظم خلقه (ﷺ) :

أنه كسرت رباعيته، وشج وجهه، وهو يقول: اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون..[6]

ثم اعلم أن كمالية الخلق الحسن والعبور على المقامات كلها وحصول الأحوال السنية. إنما يتيسر بملازمة الذكر. ورعاية حقوقه.

---

(١) حديث : لايستقيم إيمان أحدكم حتى يستقيم قلبه، ينظر في فهرس الأحاديث نهاية الكتاب.

(٢) في (ط)، (ز) : (الحق).

(٣) في (ت) : (مختلفا).

(٤) في (ز) : (بذاته).

(٥) الآية رقم ٤ من سورة (القلم) مكية.

(٦) حديث : عندما كسرت رباعيته ... ينظر في فهرس الأحاديث.

الذكر

قال الله تعالى:

﴿ **فاذكرونى أذكركم**﴾ [١].

وقال: ﴿**واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون**﴾ [٢].

وقال رسول الله (ﷺ):

«ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأذكاها عند مليككم، وأرفعها فى درجاتكم، وخير لكم من إعطاء الذهب والورق، وأن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ولا يضربوا[٣] أعناقكم.

قالوا: يا رسول الله وما ذاك [؟]

قال: ذكر الله..»[٤].

اعلم أن الذكر عدة السائرين إلى الله، وعمدة طالبيه[٥]، ولا يصل أحد إلى الله إلا بذكر الله. لأنه منه بدأ وإليه يعود.

---

(١) آية رقم ١٥٢ من سورة (البقرة) مدنية.

(٢) آية رقم ١٠ من سورة (الجمعة) مدينة.

(٣) فى (ط)، (ز) : (ويضربوا).

(٤) حديث : ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها فى درجاتكم، وخير لكم من إعطاء الذهب والورق وأن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم، ينظر فى فهرس الأحاديث النبوية نهاية الكتاب .

(٥) فى (ز) : (وعهدة لطالبيه).

كقوله تعالى : ﴿ **إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه** ﴾ [١] وأن الذكر يوصل الذاكر إلى المذكور. بل يجعل الذاكر مذكوراً بقوله ﴿ **فاذكرونى أذكركم** ﴾[٢] .

والذكر على ثلاثة أقسام:

ذكر بالأقوال، وذكر بالأعمال، وذكر بالأحوال.

* (فاذكرونى بالأقوال بلفظ الاستغفار عن العصيان أذكركم بالرحمة والغفران . بيانه قوله:

﴿ **والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله** ﴾ [٣] .

* فاذكرونى بأعمال الأذكار[٤] من خلوص الإيمان. أذكركم بحياة الجنان، ودخول الجنان. بيانه قوله تعالى:

﴿ **من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة** ﴾ [٥] الآية.

* فاذكرونى بالأشباح والأرواح أذكركم بالنجاح والفلاح. بيانه، قوله: ﴿**واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون**﴾ [٦])[٧].

---

(١) آية رقم ١٠ من سورة (فاطر) مكية.

(٢) سبقت الإشارة إليها فى مقدمة الذكر.

(٣) آية رقم ١٣٥ من سورة (آل عمران) مدنية.

(٤) فى (ز) : (بأعمال الأركان).

(٥) آية ٩٧ من سورة (النحل) مكية.

(٦) سبقت الإشارة إلى الآية.

(٧) ما بين القوسين (فاذكرونى بالأقوال بلفظ... لعلكم تفلحون) سقط من النسخة (ط).

* فاذكرونى بالأحوال وهى الشوق والمحبة. أذكركم بالقبول والقربة بيانه قوله: «من تقرب إلىّ شبرا تقربت إليه ذراعا» [1].

فاذكرونى بالتضرع والابتهال، أذكركم بالتفضل والاستقبال بيانه، قوله: « ومن أتانى يمشى تلقيته هرولة » [2].

* فاذكرونى بالتعظيم أذكركم بالتكريم.

* فاذكرونى ذكرا فانيا. أذكركم ذكراً باقيا.

* فاذكرونى بصفاء السر. أذكركم بخالص البر.

* فاذكرونى بترك الجفاء. أذكركم بحفظ الوفاء.

* فاذكرونى بترك الأخطاء.[3] أذكركم بأنواع العطاء.

* فاذكرونى من حيث أنتم. أذكركم من حيث أنا.

* فاذكرونى ببذل الوجود والفناء[4] أذكركم بنيل الشهود والبقاء.

وهذا حقيقة قوله تعالى « وإن ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسى» [5] .وهذا هو الذكر الحقيقى. الذى يجعل الذاكر مذكوراً، والمذكور ذاكرا. بل يكون الذكر، والذاكر، والمذكور. واحداً.

كما قال تعالى: ﴿ **لمن الملك اليوم لله الواحد القهار** ﴾ [6].

---

(١) حديث قدسى سبقت الإشارة إليه.

(٢) استكمال بقية الإشارة السابقة.

(٣) فى (ط)، (ز) : (الخطا).

(٤) فى (ز) : (والرقبا).

(٥) استكمال بقية الإشارة إلى الحديث القدسى. الذى جزأه على مراحل.

(٦) آية رقم ١٦ من سورة (غافر) مكية.

وقال قائلهم:

رق الزجاج ورقت[1] الخمر * فتشابها[2] فتشاكل الأمرُ
فكأنها خمر ولا قدح * وكأنه قدح ولا خمرُ

ويحل هذا المشكل[3] في مثل حال الفراش مع الشمع فإن يقول للفراش اذكرني في نفسك، أذكرك في نفسي، فذكر الفراش للشمع في نفسه أن يبذل نفسه لشعلة الشمع فيذكر شعلة الشمع في نفسه بالحرقة [4] عليها، ويذكره الشمع باشتعال نفس الفراش في نفسه. فلا يبقى التمييز بين الشمع والفراش. فإن طلبت الفراش وجدت الشمع وإن طلبت الشمع وجدت الفراش.

كما قيل:

أنا من أهوى ومن أهوى أنا * نحن روحان حللنا بدنا
فإذا أبصرتني أبصرته * وإذا أبصرته أبصرتنا

وإن للذكر شرائط وآدابا [5] ليكون مثمراً [6] مفيدا فمن شرطه أن يواظب[7] على أفضل ذكر من الأذكار. وهو ما قال رسول الله (ﷺ):

« أفضل الذكر لا إله إلا الله» [8].

---

(١) في (ط) : (ورق).

(٢) في (ط) : (وتشابها).

(٣) في (ط) : (ويخيل هذا الشكل).

(٤) في (ط) : (بالحرق).

(٥) في (ز) : (آداب).

(٦) في (ت) : (مشهداً).

(٧) في (ط) : (أن يواض).

(٨) حديث : أفضل الذكر لا إله إلا الله، ينظر في فهرس الأحاديث النبوية نهاية الكتاب.

ومن شرطه [1] أن يأخذ هذا الذكر بالتلقين من أهل الذكر كما أخذ الصحابة، رضى الله عنهم. بالتلقين من رسول الله (ﷺ). فيما روى «شداد بن أوس» و«عبادة بن الصامت» حاضر يصدقه قال إنا لعند رسول الله (ﷺ) إذ قال:

« هل فيكم غريب، يعنى أهل الكتاب. [؟]

قلنا : يا رسولا الله لا.

فأمر بغلق الباب. فقال: ارفعوا أيديكم فقولوا لا إله إلا الله. فرفعنا أيدينا ساعة. ثم وضع رسول الله (ﷺ) ثم قال: الحمد لله. اللهم إنك بعثتنى بهده الكلمة، وأمرتنى بها. فوعدتنى عليها الجنة، إنك لا تخلف الميعاد ثم قال: أبشروا فإن الله قد غفر لكم..» [2].

وقد لقن الصحابة التابعين من المشايخ. شيخنا بعد شيخ إلى[3] زماننا هذا. كل من كان أهل الذكر منهم. كما كان الصحابة بقوله تعالى ﴿ **وألزمهم كلمة التقوى**﴾.. وهى لا إله إلا الله. ﴿ **وكانوا أحق بها وأهلها**﴾ [4]..

وأن أهل الذكر من غرس بالتلقين فى أرض قلبه غرس الكلمة الطيبة، وربى بماء الأعمال الصالحة بدهقته المتابعة ونظر شمس الولاية فى هواء الإرادة إلى أن تؤتى أكلها من المكاشفات، والمشاهدات كل حين بإذن ربها، ولتلقين أهل الذكر فى

---

(١) فى (ط) : (شرائطه).

(٢) حديث: عن شداد بن أوس، وعبادة بن الصامت كنا عند رسول وقال ارفعوا أيدكم فرفعنا فقال قولوا لا إله إلا الله ثم قال اللهم إنك بعثتنى بهذه الكلمة ووعدتنى عليها الجنة ثم قال أبشروا فقد غفر لكم، ينظر فى فهرس الأحاديث النبوية نهاية الكتاب.

(٣) فى (ز) : (إلا).

(٤) آية رقم ٢٦ من سورة (الفتح) مدنية.

هذا المعنى شأن عظيم[1] وخاصية عزيزة. ولهذا شبه النبى (ﷺ) النخل بالرجل المسلم فى حديث «عبد الله بن عمر» أن النبى (ﷺ) قال:

« إن من الشجر شجرة لا تسقط ورقها، وإنها مثل المسلم فحدثونى ما هى [؟] فوقع الناس فى شجر البوادى قال «عبد الله» فوقع فى نفسى أنها النخلة.

ثم قالوا: حدثنا يا رسول الله. قال: هى النخلة »[2].

وذلك أن النخلة لا تثمر ألبتة ما لم تؤبر فكذلك المريد الصادق. ما لم يلقن من شيخ كامل لا يثمر شجرة وجوده من الثمار المودعة فيها بجود موجدها والله أعلم.

وأمّا [3] آداب الذكر، فإذا أراد المريد الطالب أن يشرف بتلقين الذكر يصوم ثلاثة أيام بأمر الشيخ، ويكون فيها دائم الوضوء دائم الذكر، قليل الطعام، قليل المنام، قليل التردد والاختلاط ثم يغتسل[4] غسل الإسلام، فإنه يبدل الإسلام التقليدى الميراثى بالإسلام التحقيقى الكسبى، الإرادتى. ثم يجلس بين يدى الشيخ على ركبتيه، ويحضر قلبه، ومراقب سرّه حتى يقول الشيخ مرة تامة: لا إله إلاّ الله. بأداء [5] صوته وهو يأخذ بقلبه متفهما [6] معانيها بحيث ينفى بـ[7] «لا إله» الخواطر كلها. ويثبت بإثبات «إلا الله» الحضرة الإلهية بالمطلوبية والمقصودية، والمعبودية، والمحبوبية. أى لا

---

(١) فى (ز) : (شأن عجيب).

(٢) حديث : إن من الشجرة شجرة لا تسقط ورقها ... ينظر فى فهرس الأحاديث النبوية نهاية الكتاب.

(٣) فى (ط)، (ز) : (فأما).

(٤) فى (ز)، (ط) : (وينوى غسل).

(٥) فى (ز) : (ماداً) وفى (ط): (مادوا).

(٦) فى (ز) : (مستفهما).

(٧) فى (ز) : (بنفى).

مطلوب، ولا مقصود ولا معبود، ولا محبوب إلاّ الله. ثم يقول المريد رافعا [١] صوته ماداً [٢] نفسه حاضرا قلبه عند النفى، والإثبات. كما مرّ ذكره. ثم يقول الشيخ مرة ثالثة [٣]. ثم يقول المريد ثم يرفع الشيخ يديه، ويدعو ويقول : «اللهم خذ منه، وتقبل منه وافتح عليه أبواب كل خير فتحته على أنبيائك، وأوليائك، وأهل طاعتك أجمعين، واهده إلى صراطك المستقيم، وكن له عونا ومعينا برحمتك يا أرحم الراحمين». ثم يقوم المريد، ولا يكلم أحدا. ويدخل بيت خلوة لا يزاحمه فيها أحد، ويقعد مربعا متوجها للقبلة، واضعاً يديه على فخذيه ويكرر.. «لا إله إلا الله».. بقلب حاضر. خافضا صوته ويخرج «لا إله» من صميم قلبه بقوة شديدة مع قطع كل تعلق فى قلبه نافيا جميع خواطره ويدخل «إلا الله» بالقوة فى قلبه مثبتا توجه قلبه إلى الله تعالى ليكون جوامع معنى ذكره مثبتا أن ما فى الوجود سوى الله مداوما على الذكر مواظبا عليه ليلته مراقبا لقلبه فيما يرى ويسمع ولا ينام إلاّ قليلا. بقدر الضرورة لإجمام الحواس ومن آدابه [٤] أن يكون [٥] جميع أوقاته مستغرقا بالذكر[٦] بحيث لا يخلو لسانه، وقلبه من الذكر، ومعناه حتى يتجوهر القلب بجوهر الذكر، ويرتفع حجب الاثنينية بين الذاكر والمذكور **﴿مرج البحرين يلتقيان * بينهما برزخ لا يبغيان﴾** [٧].

ثم اعلم أن الذريعة إلى وصول المقاصد [٨] فى المقامات كلها هى الخلوة، والعزلة، والانقطاع عن الحق.

---

(١) فى (ز) : (لافعا).
(٢) من (ز)، (ط) وفى (ت): (بآداء).
(٣) فى (ز) : (مرة أخرى).
(٤) فى (ت) : (آدابهم) وكذا (ط).
(٥) فى (ط) : (أن يكوا).
(٦) فى (ط)، (ز) : (للذكر).
(٧) الآيتان رقم ١٩ ، ٢٠ من سورة (الرحمن) مدنية.
(٨) فى (ز) : (القاعد).

الخلـوة

قال الله تعالى:

﴿ وإذ واعدنا موسى أربعين ليلة ﴾[١].

وقال لنبيه وحبيبه:

﴿وتبتل إليه تبتيلا ﴾ [٢].

أى انقطع إليه فى العبادة وإخلاص النية انقطاعا يختص به، وإلى هذا المعنى أشار بقوله عز وجل **﴿ قل الله ثم ذرهم فى خوضهم يلعبون ﴾**[٣].

وعن «عائشة» رضى الله عنها، أنها قالت:

« أول ما بدئ به رسول الله (ﷺ) من الوحى: الرؤيا الصالحة فى النوم. وكان لا يرى رؤيا إلاّ جاءت مثل فلق الصبح. ثم حبب إليه الخلاء، وكان يخلو بغار حراء

---

(١) فى (ز)، (ط) : (وواعدنا) وهى تختلف بالطبع عن هذه الآية إذ فى الآية (وإذ واعدنا موسى أربعين ليلة) وفى الآية الأخرى (وواعدنا موسى ثلاثين ليلة) الأولى هى آية رقم ٥١ من سورة (البقرة) مدنية أما الثانية وهى آية الثلاثين ليلة فهى: آية رقم ١٤٢ من سورة (الأعراف) مكية.

واستكمالها: **﴿ وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتممناها بعشر فتم ميقات ربه أربعين ليلة وقال موسى لأخيه هارون اخلفنى فى قومى وأصلح ولا تتبع سبيل المفسدين﴾**.

(٢) آية رقم ٨ من سورة (المزمل) مكية.

(٣) فى (ط)، (ز) : (قل الله ثم ذرهم).

والآية هى رقم ٩١ من سورة (الأنعام) مدنية.

فيتحنث فيه، وهو تعبد الليالى ذوات عدد قبل أن ينزع إلى أهله، ويتزود لذلك. ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها حتى جاءه الحق، وهو فى غار حراء » [1].

الحديث

اعلم أن الخلوة من موجبات السلوة، وهى على نوعين:

ـ خلوة الاعتزال عن الخلق.

ـ وخلوة الأربعينية مع الحق.

* فأمّا خلوة الاعتزال عن الخلق:

فالجليس الصالح خير من الوحدة، والوحدة خير من الجليس السوء. قاله رسول الله (ﷺ). وقال رسول الله (ﷺ) :

إن من خير معايش الناس لهم: رجل أخذ بعنان فرسه فى سبيل الله أن يسمع قرعة أو هيعة كان على متن فرسه يبتغى الموت أو القتل فى مظانه. أو رجل فى غنيمة له رأس سعفة من هذه الشعاف أو بطن واد من هذه الأودية يقيم الصلاة ويؤتى الزكاة ويعبد ربه حتى يأتيه اليقين. ليس من الناس إلا فى خير. »[2].

وقد قيل: العزلة من أمارات الوصلة.

وقال «الجنيد» [3]: من أراد أن يسلم له دينه، ويستريح بدنه، وقلبه فليعتزل الناس، فإن هذا زمان وحشة، والعاقل من اختار فيه الوحدة.

---

(١) حديث أول ما بدئ به رسول الله من الوحى الرؤيا الصادقة.

سبقت الإشارة إليه.

(٢) حديث:

إن من خير معايش الناس...، ينظر فى فهرس الأحاديث النبوية نهاية الكتاب.

(٣) الجنيد: سبقت الإشارة إليه.

وقال «أبو يعقوب السوسى» :

الانفراد لا يقوى عليه إلا الأقوياء، ولأمثالنا الاجتماع أوفق.. يعمل بعضهم على رؤية بعض.

وقال رسول الله (ﷺ) :

« المؤمن الذى يخالط الناس، ويصبر على أذاهم. خير من المؤمن الذى لا يخالط الناس، ولا يصبر على أذاهم»(١).

فالضابط لمثل هذه العزلة، والخلوة. أنه لو وجد صحبة من يعاونه على الدين ويرافقه فى العبودية أن ينتفع به، ويعتزل عن غير أهل الصحبة.. وإن لم يجد، فالوحدة له خير من الجليس السوء.

* وأمّا خلوة الأربعينية مع الحق:

فله شرائط وآداب. سنورد شرائطها كما أورد شيخنا «السعيد الشهيد الربّانى صفوة الله «أبو سعيد شرف بن المؤيد البغدادى» رضى الله عنه، وقدس روحه، فى الباب الخامس من كتاب [تحفة البررة] الموسوم به تبركا بأنفاسه الشريفة، وتيمنا بألفاظه اللطيفة. قال، رضى الله عنه: العزلة، الخلوة. من لوازم هذه الطريقة فى أوائل ظهور أنوار الإرادة، وتباشير صبح السعادة وعنوان(٢) الطلب.

روت «عائشة» رضى الله عنها. عن بدء الوحى للنبى (ﷺ) فقالت فى حديثها «حبب إليه الخلاء، وكان يتحنث إلى غار حراء أسبوعا، وأسبوعين»(٣).

---

(١) حديث : المؤمن الذى يخالط الناس ويصبر على أذاهم خير من المؤمن الذى لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم، ينظر فى فهرس الأحاديث النبوية نهاية الكتاب.

(٢) فى (ز)، (ط) : (عنفوان).

(٣) حديث : «عائشة». حبب إليه الخلاء، وكان يتحنث إلى غار حراء أسبوعا أو أسبوعين، ينظر فى فهرس الأحاديث النبوية نهاية الكتاب.

وروى «جابر بن عبد الله» رضى الله عنه، أن النبى (ﷺ) فى بيان أول ما أنزل عليه من القرآن قال:[1]

« جاورت بحراء فلما قضيت جوارى، فاستبطنت الوادى فنوديت، فنظرت أمامى، وخلفى، وعن يمينى، وعن شمالى فلم أر شيئا. فنوديت، فنظرت فوقى. فإذا أنا به قاعد على عرش بين السماء والأرض. قال. فخشيت منه. فانطلقت إلى خديجة فقلت «دثرونى.. فدثرونى، وصبوا علىّ ماءً باردا. فأنزلت علىّ ﴿ **يا أيها المدثر * قم فأنذر * وربك فكبر**﴾ [2].

فسرُّ[3] الطلب كان مستورا فى النبى (ﷺ). فى ابتداء الأمر. حتى أمكنه الاشتغال بغير هذا الأمر. فكان أجير «خديجة» ثم التمس تزويجها فنكحها. وكان ذلك قصارى هَمّـِه وهِمّته فى ذلك الوقت. إلى أن أظهر الله تعالى فى قلبه سر طلب الحق. فرغِب عن مخالطة الأغيار. واستبشع ملاذ الدنيا ونعيمها. وحُبِّب إليه الخلاء. ففارق الأهل والولد. وقنع بما يسد رمقه، ويسكن جوعه (وواظب)[4] بهذا التجريد على التفريد، وداوم على التوجه إلى الحضرة الربوبية إلى أن أغناه الله تعالى عن طعام الخلق وشرابهم.

فقال: «أبيت عند ربى يطعمنى ويسقينى»[5] فأيده بروح منه وأكرمه بإنزال الوحى عليه. وتجلى له جبريل عليه السلام.

وقال له: اقرأ . فقال : لست بقارئ..

---

(١) حديث جابر فى بيان أول ما أنزل عليه من القرآن.
جاورت بحراء فلما قضيت جوارى فاستبطنت الوادى فنوديت فنظرت أمامى وخلفى وعن يمينى وشمالى فلم أر شيئا ... ينظر فى فهرس الأحاديث النبوية نهاية الكتاب.

(٢) آية رقم (١ ، ٢ ، ٣) من سورة (المدثر) مكية.

(٣) فى (ز) : (فيسر).

(٤) فى (ت، ط) : (وواظبه).

(٥) حديث : أبيت عند ربى يطعمنى ويسقينى، ينظر فى فهرس الأحاديث النبوية نهاية الكتاب.

وكان ظهوره فجأة فما شعر بحقيقة الأمر وخاف على نفسه وترك الخلوة، وذهب إلى خديجة وقال: زملونى.. زملونى. فزملته خديجة. حتى ذهب عنه الروع، فأخبر بواقعته خديجة. وقال: لقد خشيت على نفسى.. فقالت خديجة: كلاً والله ما يخزيك الله أبدا.. إنك لتصل الرحم وتحمل الكَلّ، وتكسب المعدوم، وتعين على نوائب الحق. فما استقر قلبه حتى انطلقت به خديجة إلى ابن عمها «ورقة بن نوفل» .. فأخبره رسول الله (ﷺ) خبر ما رأى. فقال «ورقة» : هذا الناموس الذى أنزل الله على موسى عليه السلام[1] .. فاطمأن قلبه عند ذلك.. وفتر الوحى إلى أن جاور فى حراء على ما روى «جابر بن عبد الله» رضى الله عنه... فاتصل به جبريل عليه السلام وما كان يعرفه. فأمره بالقراءة فحسب دون الإبلاغ والانذار إلى أن بالغ فى الرياضة وزاد فى مدة الخلوة. فاستعلى أمره، وعلا شأنه واستأهل للتبليغ والإنذار، وترقى إلى ذروة الكمال فهذه هى السنة الإلهية فى هداية العباد، وتربية الطالبين فالمريد إذا هبت فى قلبه لواقح العناية، واخضر شجر طلبه وانفتحت أنواره، وأزهاره. استبشع شهوات الدنيا ولذاتها، واستقبح[2] نعيمها، وزخارفها. فاستوحش عن الخلق ورغب عن مخالطتهم وغلب عليه هم الآخرة، وتحرّى رضا الحق حتى إذا ضاقت عليه الأرض بما رحبت اختار الخلوة، وآثر العزلة فإذا استسعد بخدمة شيخ عارف بحقيقة الأمر. سالك لطريق الحق، واقف على دقائق التربية. فلقنه ذكرا، وتعود التحلى والمواظبة على الذكر ليؤيد بذلك طلبه، وشوقه فيستأنس بالخلوة، ويستوحش عن الخلق فيجلسه فى الخلوة..

فطريق الخلوة على ما لخصه «الجنيد» رضى الله عنه، ورتبها أقرب الطرق إلى حصول المقصود وقاعدتها مبنية على ثمانية شروط[3].

---

(١) حديث : اقرأ ما أنا بقارئ وذهابه مع السيدة خديجة إلى (ورقة بن نوفل) ينظر فى فهرس الأحاديث النبوية نهاية الكتاب..

(٢) فى (ز) : (واستفتح).

(٣) فى (ت)، (ط) : (شرائط).

الشرط الأول :

دوام الخلوة، فلا يخرج عن خلوته [1] لتفرج ولا لإزالة قبض ولا لسآمة وملالة، ولا لداعية من دواعى الهوى والنفس. بل يكون خروجه ضرورة فى الدين كالتوضوء وصلاة الجماعة.

الشرط الثانى :

دوام الوضوء. فليحافظ على الوضوء ولا يمكث سويعة ما على الحدث.

قال النبى (ﷺ) :

« استقيموا، ولن تحصوا، واعلموا. أن خير أعمالكم الصلاة ولا يحافظ على الوضوء إلا مؤمن»[2]. فإذا غلبه النوم، واستيقظ تعار وجدد الوضوء، ويستحب تجديد الوضوء عند غلبة النوم، وإن كان على وضع لا ينقض النوم طهارته [3] على بعض المذاهب.. فإن الوضوء على الوضوء: نور على نور، فأما إذا توضأ من غير علة بل من كسل النفس، وطلب الاستراحة فذلك مكروه يجتنب عنه.

الشرط الثالث :

دوام الصوم، والتقليل مستحب للمريد وغيره فإنه ما مُلئ وعاء شرا من بطن آدمى[4].

قال «عيسى ابن مريم» للحواريين: أجيعوا بطونكم لعلكم ترون ربكم بقلوبكم. ولا شك أن القالب يستمد من الغذاء والقوى الطبيعية المودعة فى الكبد لأمر الغذاء

---

(١) فى (ز) : (عن خلوة).

(٢) حديث : استقيموا ولن تحصوا واعلموا أن خير أعمالكم الصلاة ولا يحافظ على الوضوء إلا مؤمن، ينظر فى فرس الأحاديث النبوية نهاية الكتاب.

(٣) سقطت من (ز).

(٤) فى (ط) : (آدم).

هى جند الشيطان وحزبه. فإذا وجد حظاً وافراً من الغذاء قويت بذلك دواعى النفس، واستولت ظلمتها على القلب، واستتبعث القوى الطبيعية القوى النفسانية يلزم منها استيلاء النوم، وظهور كلالة الحواس، وكدورتها وإذا قلل الغذاء ذبلت قوى النفس ودواعيها فلا تحتاج القوى الطبيعية فى هضمها الغذاء إلى استتباع غيرها فلا يمنع الفكر والعقل عن التصرف فى مدركاتها.. والسر فى ذلك أن أمر التغذية للإنسان هو المرتبة النباتية، والاشتغال بالشهوات هو المرتبة الحيوانية..

ـ (فالمقبل على الغذاء لأجل الزيادة فى البدن هو الغالب عليه النباتية..

ـ والمقبل على الشهوات لأجل قضاء الوطر هو الغالب عليه الحيوانية..)[١]

وكلاهما اندرجا تحت قوله تعالى ﴿ **أولئك كالأنعام بل هم أضل** ﴾ [٢]

قال الله تعالى: ﴿ **ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الأمل فسوف يعلمون** ﴾ [٣].

فالعاقل الطالب الذى خاض فى هذا الأمر، ورام نحو الكمال لا يأكل إلاّ لضرورة سد الرمق، وبقاء المهجة، فإذا سكن جوعه[٤] بنخالة اغتذى بها، واقتصر عليه، وما التفت إلى شىء فيه[٥] حظ النفس، وشغل الباطن. فإذا علمت أن تقليل الطعام أصل معظم هذا الباب فاعلم. أن الإفراط فى التقليل أيضا مضر[٦] جداً. فإنه يؤدى إلى ضعف يمنعه عن مزاولة الأعمال، ووظائف العبادات، والذكر القوى.

---

(١) ما بين القوسين سقط من (ط)

وضع مكانه هذا السطر

(فالمقبل على الغذاء لأجل قضاء الوخر هو الغالب عليه الحيوانية) وواضح تداخل الفقَر عند الناسخ.

(٢) آية رقم ١٧٩ من سورة (الأعراف) مكية.

(٣) آية رقم ٣ من سورة (الحجر) مكية.

(٤) فى (ط)، (ز) : (كلب جوعه).

(٥) فى (ز) : (وأما ألست على شىء).

(٦) (بضر) فى (ز).

وإن القليل إذا كان مقرونا بنية الصوم. كان أحسن. فإن الصوم قد اختص من الله سبحانه وتعالى بفضيلة امتاز بها عن سائر أركان الاسلام والعبادات.

قال (ﷺ) : حكاية عن الله تعالى:

« الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلاّ الصوم فإنه لى، وأنا أجزى به، ولخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك » [١].

الشرط الرابع :

دوام السكوت عن غير الذكر[٢]. فلا يتكلم ألبته إلاّ مع الشيخ، ويقتصر فيما يكلمه على حكاية الوقائع التى يريد حلها، وأحوال قلبه فى البسط والقبض، وما ابتلى فى الخلوة، وما فتح عليه من المواهب..

قال رسول الله (ﷺ) :

« من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت»[٣].

الشرط الخامس :

دوام الذكر فإن من شرائط الخلوة المدوامة على الذكر المعين بحيث لا يفتر عنه ألبته، ولا يتركه إلا عند غلبة النوم، وفى أثناء الصلاة، وفى المبرز فإنه يكره ثمة ذكر اللسان. فيذكر الله بقلبه، ولا يذكر على غفلة من حقيقة الذكر. فإن الذكر المعتبر هو الذى يوافق فيه القلب اللسان، ولا يذكر أيضا كيف اتفق بل بقـوة

---

(١) حديث : الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلا الصوم فإنه لى وأنا أجزى به ولخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك، ينظر فى فهرس الأحاديث النبوية نهاية الكتاب .

(٢) (دوام سكوة عند غير ذكر) هكذا فى (ز).

(٣) فى (ز) : (أو ليسكت) وحديث : من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت، ينظر فى فهرس الأحاديث النبوية نهاية الكتاب.

يظهر[1] أثره في جميع الأعضاء. لأن ذلك أقوى على نفى الخواطر وتحصيل الجمعية، ويخفي الصوت فيه، ويحب الألحان، ويبالغ في التعظيم. وإنه إذا واظب على الذكر اللساني مدة على حضور تام، وتعظيم وافر. يؤدى الذكر اللساني إلى الذكر القلبي. فيطمئن القلب بالذكر.

قال الله تعالى : ﴿ **ألا بذكر الله تطمئن القلوب** ﴾ [2].

ويغتذى به، ويستأنس بالله ويذكره، ويستوحش عن الخلق كلهم، وعن مخالطتهم المانعة عن الخلوة. وإذا تمكن في الذكر القلبي، وعرف الشيخ ذلك منه أمره بترك الذكر اللساني وشغله بمجرد التوجه إلى الله، والحضور ومراقبة الحق أو القلب إلى أن يتبدل الذكر الأنسي بالذكر القدسي، ويشغله الفكر الحقيقي بالمذكور ويلهيه عن صورة الذكر فيعرف حقيقة قول السادة: إن ذكر اللسان هذيان، وذكر القلب وسوسة..

الشرط السادس :

نفى للخواطر بأسرها، برعاية صورة الذكر في معناه، ولا يلتفت إلى تمييز الخواطر بعضها عن بعض. فإنه، وإن كان بعض الخواطر من قبل النفس، وبعضها من إلقاء الشياطين، وبعضها من إلقاء الملائكة، وبعضها من قِبَل الإلهامات. إلاّ أنه يضره الاشتغال بتمييز الخواطر مضرة ظاهرة. ونصيره الشيطانَ من جمله وساوسه، وخواطره بل الواجب الذكر، ومعناه والمبالغة في تعظيمه، وتعظيم جلسته مع الله تعالى.

قال الله تعالى « أنا جليس من ذكرني » [3].

---

(١) في (ز) : (أظهر).

(٢) آية رقم ٢٨ من سورة (الرعد) مدنية.

(٣) حديث : (أنا جليس من ذكرني) ينظر في فهرس الأحاديث نهاية الكتاب.

ومراقبة القلب، ومحافظته. وظيفة الإحسان. فإن الإحسان على ما قاله النبى (ﷺ) : « أن تعبد الله كأنك تراه. فإن لم تكن تراه فإنه يراك »[١].

فإن التجريد يتيسر لمن أُيـد بصدق الإرادة، والطلب فى طرفة عين، وأن يتيسر التفريد بمدة مديدة، ومشقة تامة. بواسطة نفى الخواطر. فإن جميع الأشياء المحسوسة التى استأنس بها المريد فى ابتداء أمره، وجاهليته. والتى شاهدها، ولم يستأنس بها مرتسمة فى خياله. فإذا جلس فى الخلوة، واشتغل بالذكر. شوشت عليه الأمر والوقت تارة بنسخ الخواطر وإنشائها، وتارة بمخالطتها بالمشاهدات الغيبية، ومزاحمتها[٢] إيّاها. وكذلك هواجس النفس ودواعى هواها. على كثرتها.. ووساوس العدو على اختلافها، وكثرتها بوسيلة الهوى تكدر ينبوع القلب وتفرق حقيقة جمعية الباطن. وتسلب عن المريد حلاوة الذكر الأكبر بل هو خلاصة أمر الخلوة وزبدة حقيقة المعاملة. وصل إلى حقيقة التفريد والأنس بالله. تبدل إلقاء الشيطان بإلهام الرحمن، وحديث النفس بمكالمة القلب والروح والحق سبحانه أو بمناجاة القلب مع الله على اختلاف المراتب.. والله أعلم.

الشرط السابع :

ربط القلب بالشيخ، وهو عبارة عن تعلق قلب المريد بالشيخ من جهة الإرادة التامة، الكاملة. حتى يتيقن أنه هو الذى يوصله إلى الله تعالى.. وأن هذه المرتبة والخاصية أعنى أيضا، له إلى الله (غير ثابتة لأحد من مشايخ. وإن كان كل واحد منهم موصوف بهذه الخاصية فى حق غيره، فإنه لو خطر ببال المريد أن فى العالم أحدا يوصله إلى الله تعالى غير شيخه)[٣] تصرف فيه الشيطان، وأزعجه عن الخلوة، لا سيما عند ظهور القبض والابتلاء، وانسداد روزنة القلب وربما يبلغ هذا التصرف

---

(١) سبقت الإشارة إلى هذا الحديث القدسى.

(٢) فى (ز) : (ومزاجاتها).

(٣) ما بين القوسين سقط من (ز).

إلى أن يتمثل بصورة شيخه فيريه أشياء يفسد بها اعتقاده، وإرادته. فأما [1] إذا استحكمت إرادته فى حق شيخه كما قلنا يستحيل للشيطان التمثل بصورة الشيخ. فإن الشيخ فى قومه كالنبى فى أمته وكما أن الشيطان لا يمكنه التمثل بصورة النبى (ﷺ) على ما قال رسول الله (ﷺ):

« من رآنى فى المنام فقد رآنى فإن الشيطان لا يتمثل بى»[2]. فكذلك لا يمكنه التمثل بصورة الشيخ فيبقى المريد محفوظا. وإذا تعلق المريد بشيخه على هذا الشرط. وجب عليه أن يتيقن أيضا أن روحانية الشيخ غير متحيزة، وكل ما لا يكون متحيزا يستوى إليه نسب الأمكنة كلها. ففى أى موضع يكون المريد لا تفارقه روحانية الشيخ، وإن كانت تفارقه شخصيته، والبعد إنما يتعلق بالمريد. فإذا تذكر المريد تقلبه عن الشيخ قرب إليه، فيتعلق إليه قلبه، واستفاد منه. وهذه الاستفادة يطلع عليها المريد فى أوقات ثلاثة:

أحدها :

أوان ما يريه الله تعالى شيئا من آياته فيشاهده بعين القلب، ولا يقف على حقيقة معناه. فيحتاج إلى الشيخ ليحل واقعته. فيستحضر الشيخ بقلبه ويسأله عن حقيقة معنى الصورة المشاهدة، لا باللسان الظاهر. بل بلسان القلب فيلهمه روح الشيخ بحقيقة معنى الواقعة، وفحواها عقيب السؤال، وإنما يتيسر له الاستحضار بواسطة ربط القلب به. ومن هذا الوجه (يفصح له لسان القلب)[3] وينفتح له طريق القلب إلى الحق انفتاحا يجعله محدّثا.

قال النبى (ﷺ) :

« قد كان فى الأمم محدّثون. فإن كان فى هذه الأمة «فعمر بن الخطاب» ..»[4] رضى الله عنه.

---

(١) فى (ز) : (فأما فإذا).

(٢) حديث : من رآنى فى المنام فقد رآنى .. ينظر فى فهرس الأحاديث النبوية نهاية الكتاب.

(٣) ما بين القوسين سقط من (ز).

(٤) حديث : قد كان فى الأمم محدثون ... ينظر فى فهرس الأحاديث النبوية نهاية الكتاب.

وثانيها :

عندما يقصده الشيطان. إمّا ظاهرا من حيث الصورة وإما أن يلقى فى قلبه الرعب من غير أن يظهر نفسه، ففى هاتين الحالتين. إذا تذكر عن الشيخ، واستعاذ به كالطفل إذا استعاذ بوالديه عند رؤية شيء خاف منه، أو يجرى اسمه على اللسان فيشاهد اضمحلال صورة الشيطان. عند ذكر اسمه، وزوال الخوف، والرعب من قلبه. وبطلان كيد الشيطان.

وثالثها :

إذا استعد المريد لفيضان أنوار الغيب عليه وتوجه الواردات إليه وجد فى المجاهدة ربما يبلغ أمره إلى أن يفيض عليه الوقت أكثر عن مقدار قوته، وتحمله. فإذا زاد عن استطاعته يعجز عن [1] قبول الواردات ولا يمكن أن يقول قائل. إنا قد رأينا المشايخ استفادوا من غير شيخ واحد مثل «أبى عثمان الحيرى» [2]. فإنه كان [3] فى الابتداء متمسكا بحبل متابعة «يحيى بن معاذ الرازى» [4]. ثم بعد ذلك رغب فى صحبة «شاه الكرمانى» [5]. ولازم عتبته إلى أن قبله. ثم بعدما ورد مع الشاه

---

(١) (قبولها فيستمد حينئذ من ولاية الشيخ فيفيض إليه قوة يمكنه بها قبول) ما بين القوسين سقط من النسخة (ت).

(٢) (أبو عثمان الحيرى) . فى (ت): الطيرى): رحل إلى نيسابور قاصداً (أبا حفص الحداد) فزوجه ابنته وأخذ عنه طريقته. وكان يقول : لا يكمل الرجل حتى يستوى فى قلبه أربعة أشياء: المنع والعطاء والذل والعز.. توفى سنة ٢٧٨هـ
(انظر الطبقات الكبرى ص ٧٤ حـ١).

(٣) سقطت من (ط).

(٤) يحيى بن معاذ الرازى سبقت الإشارة إليه.

(٥) فى (ط) (الشاه الكرمانى):
(شاه الكرمانى): وهو [أبو الفوارس شاه بن شجاع الكرمانى] كان من أولاد الملوك. صحب أبا تراب النخشبى، وأبا عبيد البسرى وكان من أجل علماء التصوف. وله رسالات مشهورة.
ومن أقواله: من صحبك لهواه. فهو طالب بصحبتك راحة الدنيا لا غير. وكان يقول : لأهل الفضل فضل ما لم يروه فإن رأوه فلا فضل لهم. ولأهل الولاية ولاية ما لم يروها فإن رأوها فلا ولاية لهم. مات عام ٣٠٠هـ.
انظر الطبقات الكبرى ص ٧٧ حـ١ والرسالة ص ٢٤.

بنيسـابور[1].. ورأى الشيخ «أبا حفص الحداد»[2] وقع على شبكته.. فاحتال إلى أن استوهبه «أبو حفص» عن الشاه. فوهبه منه فصحب «الحداد» واستمسك بعروته الوثقى، وبلغ مبلغ الرجال. وأنت لقد تحجرت واسعا إذ خصصت تعلق الإرادة بشيخ واحد. لأنا نقول: كما أن الولادة[3] والتربية تتعلق[4] على الحقيقة بالوالدين، ولكن تتفاوت حال الولادة، والتربية. تفاوتا فاحشا..

فإن تعلق الولادة تعلق لا يشارك الوالدين فيه غيرهما ولا يقوم أحد مقامهما. وتعلق التربية تعلق يمكن أن يشاركهما فيه غيرهما. فإنه كثيرا ما يتفق أن يربى الصبى غير الوالدين ويرضع الطير لا الوالدة فكذلك حال جنين العبودية فى رحم إرادة المريد. يتعلق ظهوره، وانعقاده على حسب تقدم الحق سبحانه وتعالى بشيخ. فإذا تولد الجنين الذى هو السالك حقيقة وصلح لتربيته غيره يمكنه أن يسترضع عن شيخ هو الكطير التى يقوم مقام الأم. وهذا أيضا من خفيات لطائف الحق، ودقائق دارقيته وحينئذ يتولى تربيته شيخ آخر. إمّـا بسبب وفاة شيخه كما كان حال الشيخ «أبى النجيب السهروردى»[5]، رضى الله عنه. فإنه لما مات شيخه «أحمد أحمد

---

(١) فى (ط) : (نيابوز).

(٢) (أبو حفص الحداد) : هو (أبو حفص عمر بن مسلمة الحداد) من قرية يقال لها «كورداباز» على باب مدينة «نيسابور» طريق «بخارى» أحد الأئمة الشيوخ مات سنة ٢٦٨هـ وكان يقول: (المعاصى بريد الكفر كما أن الحمّـى بريد الموت)من السادة الذين كانوا يربون المريدين وله شأن كبير.

(٣) فى (ت) : (الإرادة).

(٤) سقطت من (ت).

(٥) (أبو النجيب السهروردى) : يلقب بضياء الدين وبنجيب الدين كان يلبس لباس العلماء. اتفق عليه إجماع من المشايخ والعلماء بالاحترام. ولد فى صفر سنة ٤٩٠هـ وتوفى ببغداد ١٧ جمادى الآخرة سنة ٥٦٣هـ. صاحب إمامين من أئمة التصوف هما الشيخ حماد الدباس، والشيخ أحمد الغزالى. وحبب إليه الانقطاع والعزلة ثم عاد إلى الناس بعد انقطاع يعظهم ويذكّرهم انظر (مقدمة كتاب آداب المريدين) للشيخ نجيب السهروردى ص ٩.

الغزالى»[1] استفاد بإشارته بعده عن الشيخ «حماد الدباس»[2] وأمّا بسبب رزقه عن تربية شيخ آخر ساقه القدر إليه. كما كان حال الشيخ «أبى عثمان الحيرى» [3]..

أما إذا كان جنين العبودية بعد فى الانعقاد وما تم بولده فلو اتصل بشيخ آخر فسد حاله، وسقط الجنين سقطا فلا يصلح منه شيء، ويبقى مع تصرفات النفس. فإن غلبت عليه أهلكته. وإن لم تغلب[4] عليه بل انقادت لقلبه دخل الجنة، وصار من أهلها، واشتغل بنعيمها، وفاز بالذى اشتهت به نفسه.

قال الله تعالى:

﴿ إن أصحاب الجنة اليوم فى شغل فاكهون ﴾ [5].

وقال:

﴿ ولكم فيها ما تشتهى أنفسكم ﴾ [6].

فإن مات الشيخ، وهو بعد فى إرادته، وما تم الانعقاد. فإن ساعده القدر وأدركته

---

(١) الشيخ (أحمد أحمد الغزالى) هو شقيق الامام محمد الغزالى الشهير بأبى حامد:

(٢) (حماد الدباس) : أحد العلماء الراسخين فى علوم الحقائق. انتهت إليه رياسة تربية المريدين، وانعقد عليه الإجماع فى الكشف عن ما خفى من الواردات. انتمى إليه بعض مشايخ بغداد. وصحب الشيخ ضياء الدين (أبو النجيب السهرودى) وقال القلوب ثلاثة قلب يطوف فى الدنيا، وقلب يطوف فى الآخرة، وقلب يطوف بالمولى لا فى المولى. فمن طاف فى المولى تزندق.

(انظر الطبقات الكبرى للشعرانى جـ ١ ص ١١٦).

(٣) سبقت الإشارة إليه.

(٤) فى (ز) : (يبلغ).

(٥) آية رقم ٥٥ من سورة (يس) مكية.

(٦) آية رقم ٣١ من سورة (فصلت) مكية.

وفى الأصل (الأنفس).

العناية لزم خدمة شيخ مناسب الولاية شيخه من غير فترة فيتصل تصرفه بتصرف شيخه فيستنتجه كالبيضة. التى كانت مدة تحت دجاجة،[1] مثلها من غير فترة أخرجت الفرخ. وإن وقعت فترة بردت البيضة فيها فسدت.

فأما إذا كان المريد فيها تحت تصرف شيخ فأزاغه الشيطان إلى إرادة شيخ آخر انقطع عنه، واتصل بالآخر. فأبى الحق سبحانه أن يكلمه بذلك الآخر.

﴿ سنة الله التى قد خلت من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا ﴾ [2]. ويستحيل أن يبقى مع ذلك الآخر إلاّ بحظ النفس. فيصير ضحكة للشيطان، وعبرة للسالكين. اللهم إلاّ أن يرى الشيخ بعد الانعقاد فيه صلاحية بتربية غيره فيدفعه إليه.. أو يرى قبل الانعقاد أن الله تعالى ينتجه من غيره، ويرزقه الكمال من آخر. فلا يتصرف فيه بل يشير إليه قبل التصرف ليستسعد بخدمة من رزق منه.

كما يحكى عن الشيخ «أبى القاسم القشيرى»[3] أنه أشار إلى الشيخ «أبى على الفارمذى»[4] بملازمة خدمة الشيخ «أبى القاسم الجرجانى»[5] قدّس الله أرواحهم.

---

(١) سقط من (ت) : (فإذا أخذتها ووضعتها تحت دجاجة مثلها).

(٢) آية رقم ٢٣ من سورة (الفتح) مدنية.

(٣) أبو القاسم القشيرى سبقت الإشارة إليه.

(٤) (أبو على الفارمذى): هو (أبو على الفضل بن محمد الفارمذى) كان معاصرا للهجويرى مؤلف كتاب كشف المحجوب وقد أشار إليه أثناء حديثه عن شيخ الفارمذى) وهو أبو القاسم الجرجانى فقال: (وإن شاء الله تعالى سيكون له خلف صالح مسموع الكلمة عند الصوفية أعنى به أبو على الفضل بن محمد الفارمذى) أطال الله فى عمره، الذى لم يأل جهداً فى خدمة سيده..
(انظر كشف المحجوب ص ٢٠٠).

(٥) سبقت الإشارة إليه: وقد ذكره المؤلف هنا أيضا (الكركانى) لا الجرجانى كما سبقت الإشارة. والدليل على أنه الجرجانى مرة أخرى هو تتلمذ الشيخ أبى على الفارمذى على يديه وملازمته له كما سبقت الإشارة.

الشرط الثامن :

ترك الاعتراض على الله، سبحانه وتعالى.

فإن من لوازم أمر المريد: أن يغتسل وينوى فى غسله أنه غسل الميت. فيكون بين يدى الله، سبحانه، كالميت[1] بين يدى الغاسل، ويسلم لرب العالمين. ألا ترى إلى[2] النبى (ﷺ) كيف كان يدعو كل ليلة، عندما يضع جنبه على الأرض لاستراحة النوم ويقول [3]:

« اللهم إنى أسلمت نفسى إليك، وفوضت أمرى إليك وألجأت ظهرى إليك»[4]. الحديث.

فكذلك المريد: يسلم نفسه إلى الله؛ فلا يعترض على الله ألبته فإن رزقه بسطا شكره عليه، (ويتيقن أن الباسط هو الله. وإن ابتلاه بقبض شكره عليه، أو صبر فيه)[5] ويتيقن أن القابض هو الله تعالى. فإن مثل المريد مع الله كمثل المريض مع الطبيب. فإذا تيقن المريض أن الطبيب عالم بدقائق الطب مشفق على حاله، فوض أمره إلى رأيه، وترك الاعتراض عليه. فإذا سقاه الحلو قبله وشربه، وإن سقاه المر قبله وشربه. وعلم أن الحلو فى وقته أنفع من المر، والمر فى وقته أنفع من الحلو. فكذلك المريد إذا تحقق عنده أن الله لطيف بعباده رحيم عليهم. رءوف بهم، وأنه سبحانه لا يعزب عن علمه مثقال ذرة فى الأرض ولا فى السماء. وتيقن أنه ظالم على نفسه

---

(١) فى (ز) : (كالميت).

(٢) فى (ز) : (أن).

(٣) فى (ط) استكمال للحديث [رغبة ورهبة إليك. لا ملجأ ولا منجى منك إلا إليك. اللهم إنى آمنت بك].

(٤) والحديث : اللهم إنى أسلمت نفسى إليك وفوضت أمرى إليك وألجأ ظهرى إليك، ينظر فى فهرس الأحاديث النبوية نهاية الكتاب.

(٥) ما بين القوسين سقط من (ز).

ساع فى هلاك قلبه وروحه. جاهل بما فيه فوزه ونجاته، أو هلاكه وشقائه. فوض أمره إليه [1]، واستسلم لقضائه. فإذا طيب وقته ورزقه البسط شكره وتيقن أن شقاء قلبه ومعالجة مرضه به. فإذا ضيق الأمر عليه وابتلاه بالقبض شكره وتيقن أن صحة قلبه يتعلق به، ومعالجة مرضه.

فى ذلك الوقت مستورة فيه:

وكلت إلى المحبوب أمرى كله * فإن شاء أحيانى وإن شاء أتلفا [2]

قال الله تعالى:

﴿ وعسى[3] أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون ﴾ [4].

فإذا استعد[5] بالتسليم (فى الابتداء بلّغه التسليم)[6] إلى كمال العبودية فى الانتهاء.

نقل عن «الشبلى»[7] أنه قال:

« لو خيرنى الحق، سبحانه وتعالى، بين الجنة والنار. لاخترت النار. لما فيه خلاف النفس» .

---

(١) فى (ز) : (فوض أمرى إلى الله).

(٢) فى (ز) (أتلفنى).

(٣) فى (ز) : (عسى) ساقطة، وفى (ط) : (عسى) بدون واو.

(٤) آية رقم ٢١٦ من سورة (البقرة) مدنية.

(٥) فى (ز) : (استسعد).

(٦) ما بين القوسين سقط من (ز).

(٧) سبقت الإشارة إليه.

فنقل هذا الكلام إلى «الجنيد»[١] فقال:

ـ هذا كلام الأطفال.

فقيل له :

ـ فما تقول أنت؟

فقال :

ـ لو خيرنى لقلت: أنا العبد، وليس للعبد خيرة.

فسبيل المريد فى الابتداء: أن يؤثر كل ما يخالف نفسه على ما يوافقها، ولا يسكن إلى ما فيه شرب النفس كما كان حال «الشبلى» وسبيل البالغ فى العبودية أن لا يختار إلا ما اختاره الله تعالى كما كان «الجنيد». ولن يبلغ أحد هذه المنزلة الرفيعة إلاّ على سبيل التدرج (ومبدأ التدرج)[٢]، هو ترك الاعتراض على الله.

إلى هنا كلام الشيخ، رضى الله عنه، فى شرائط الخلوة، وكيفيتها.

قلت[٣]:

ومن شرائطها ترك الاعتراض على شيخه فى جميع معاملاته معه، ومع غيره من المريدين، وغيرهم. ويكون متحققا أن لا يحيط علمه بعلوم الشيخ.. فإنه يرى الشاهد ما لا يرى الغائب، ويستسلم له فى جميع الأحوال. فإن بالاعتراض والتمرد تنسد روزنة القلب، التى هى مفتوحة إلى ولاية الشيخ. ومنها يدخل ضوء أنوار الولاية. فيتنور قلب المريد، ويتقوى به فإذا انسدت حرم عن الاقتباس واستولت عليه ظلمة النفس، ووجد الشيطان مجال التصرف ويعتريه غيرة الولاية وردها. ومنها يتولد آفات لا تدارك لها.

---

(١) سبقت الإشارة إليه.

(٢) ما بين القوسين سقط من (ت).

(٣) فى (ز) : (قال الإمام الربانى المصنف).

فأما آداب الخلوة:

فمنها: أنه يجلس فيها كما يجلس فى مجالس الملوك.

قال بعضهم :

كنت جالسا فى الخلوة فمددت رجلى فسمعت هاتفا يقول:

ـ أهكذا تجالس الملوك. قال الله تعالى :

« أنا جليس من ذكرنى » (١). فلا يمد رجله فيها ويجلس مستقبل القبلة مربعا. واضعا يديه على فخذيه ويواظب على كلمة «لا إله إلا الله» كما شرحنا فى الذكر.

وإذا خرج للوضوء، أو للصلاة: يمشى ويرجع متنكس الرأس لا يلتفت يمينا وشمالا حاضر القلب ذاكراً، ومنها أنه إذا عرض الوقائع على الشيخ لا يزيد فيها ولا ينقص منها، ولا يقصها على غير الشيخ، ويضبط قول الشيخ فى تأويلها ولا يشرع فى حديث غير الوقائع ولا يبرمه بتطويل الكلام ويعظمه دخولا وخروجا، ومنها أنه يكون متوجها إلى الله بحيث لا يتطرق إليه الملالة والسآمة. وإن عارضه عارض من الأمراض والعلل، وغيرهما لا يزعجه عن الخلوة إلا بالموت ليكون باب تصرفات النفس والشيطان عليه مسدودا (٢).

والله أعلم بالصواب

عن أبى «عبدالرحمن السلمى»(٣) قال:

---

(١) حديث قدسى سبقت الإشارة إليه.

(٢) فى (ز) : (مردوداً).

(٣) فى (ز) : (أبى عبدالرحمن السليم). وأبو عبدالرحّمن السلمى) هو: صاحب كتاب طبقات الصوفية المشهور، انظر مقدمة الكتاب. طبعة الخانجى.

سمعت «أبا تميم[1] المغربى» يقول [2]:

من أخبار الخلوة على الصحبة: ينبغى أن يكون خاليا من جميع الأذكار إلاّ ذكر ربه، وخاليا من جميع المرادات إلاّ مراد ربه، وخاليا من مطالبة النفس من جميع الأشياء. فإن لم يكن بهذه الصفة فإن خلوته توقعه فى فتنة، أو بلية.

قال «أبو بكر الوراق» [3]:

«وجدت خير الدنيا والآخرة فى الخلوة[4] والقلة، ووجدت شرهما فى الكثرة والاختلاط.».

روى أن «داود» عليه السلام، لما ابتلى بالخطيئة خر لله ساجدا أربعين يوما وليلة حتى أتاه الغفران من ربه.

وأمّا فتوحات الأربعينية. فأكثر من أن تحصى، وأعظم من أن تروى. فإنها من المواهب. والمواهب على قدر المراتب. فكما لا نهاية للمراتب، لا نهاية للمواهب.

* ففتوحات أهل البدايات. من اللوامع، والبروق، والطوالع، والسواطع، والطوارق، واللوائح[5].

---

(١) فى (ز) : أبانهم.

(٢) أبو تميم المغربى لم أعثر على ترجمته فيما بين يدى من مراجع.

(٣) (أبو بكر الوراق) : هو (أبو بكر محمد بن عمر الوراق الترمذى) أقام ببلخ وصحب أحمد بن خضرويه وله رياضات كثيرة وأصله من (ترمذ). وكان يقول: إذا صحت لك الإرادة فقد ظهر عليك أوائل البركة. وقال أيضا أصناف الناس ثلاثة: العلماء والفقراء والأمراء. فإذا فسد الأمراء فسد المعاش وإذا فسدت العلماء فسدت الطاعات، وإذا فسد الفقراء فسدت الأخلاق.
انظر الطبقات الكبرى للشعرانى ص ٧٨ حـ١ والرسالة القشيرية ص ٢٤.

(٤) سقطت من (ت).

(٥) سقطت من (ت).

وهى التى[1] استخرجت باصطكاك غيوم البشرية عند هبوب نسمات الذكر من أنوار شموس الصفات الروحانية. فتفيد التلذذ بالمعانى العقلية، ثم التنعم بحقائق الصفات القلبية ثم التواجد بالواردات الروحانية والتشوق بالإلهامات الربانية.

طوارق[2] أنوار تلوح إذا بدت * فتظهر كتمانا وتخبر عن جمع

* وفتوحات أهل الوسائط. من المحاضرات، والمكاشفات، والمشاهدات.

ـ فصاحب المحاورة، حاضر بالقلب فى مقام القرب باستيلاء سلطان الذكر فهو متنعم بنعيم الدرجات الفردوسية.

ـ وصاحب المكاشفة، قد كشف عنه الغطاء، ورفع عنه العماء وتبدل بيانه بالعيان، واستغنى عن البرهان.

ـ وصاحب المشاهدة: مستغرق فى بحر شواهد الأنوار، وأثار قرب الجوار. وقد صحت سماء سِرِّه عن غيوم أوصاف نفسه، وتجلت شمس روحه مشرقة بشهود أنوار الغيب فصار ليله نهارا، وخفيه جهارا. كما قيل:

* ليلى بوجهك مشرق وظلامه فى الناس سارى *

*والناس فى سدف الظلام ونحن فى ضوء النهار *

وفتوحات أهل النهايات: من الفناء والبقاء، ودوام اللقاء.

ـ فصاحبها بدوام الذكر بعد أن أفنى أفعال نفسه فى أفعال ربه بملازمة الشريعة، وصفاته فى صفاته بمزاولة الطريقة. حتى يتجوهر[3] القلب بنور الذكر، وتعدّى

---

(١) فى (ت) : (الذى).

(٢) فى (ز) : طوارح.

(٣) سقطت من (ط).

الذكر عن كسوة الحرف، والصوت. وانطبع نوره فى مرآة القلب المصفاة عن دنس أوصاف البشرية ثم يسرى إلى الروح، ويتجوهر الروح بجوهر الذكر، ويتخذ الذكر والذاكر فيكون الذكر ذكر الذات. وحينئذ يتنور أجزاء الموجودات بنور ذكره. لأنه محيط بها، ويذكر الله معه. ثم إليه يصعد الكلم الطيب، والذكر الطيب هو الذى لم يكن معلولا بعلة دنياوية، ولا أخراوية. ويكون خالصا لله بأن يذكره ببذل وجوده[1] وإفنائه فيه بمباشرة الحقيقة على مقتضى حقيقة قوله : ﴿ **فاذكرونى** ﴾ ليبقيه به على قضية ﴿ **أذكركم** ﴾ [2].

وهو عبارة عن تجلى جماله الموصوف، بالمذكورية [3] لذاكريته ليفنيه عنها. ويبقيه بمذكوريته، ثم يكون المحو عما يذوق من تجلى صفات الجمال[4] ثم المحو[5] والطمس عما يصادفه من تجلى صفات الجلال. فمن فنى عن أفعاله فهو باق بأفعال الله تعالى. ومن فنى عن صفاته فهو باق بصفات الله، ومن فنى عن ذاته فهو باق بذات الله. كما قال قائلهم:

وقوم تاه فى أرض بقفر * وقوم تاه فى ميدان حبّه
فأفنوا ثم أفنوا ثم أفنوا * وأبقوا بالبقاء[6] بقرب ربه

وقيل :

فالأول. فناء صفاته ببقائه بصفات الحق. ثم فناؤه عن صفات الحق، وشهود

---

(١) فى (ط)، (ز) : (عليه).

(٢) استنادا إلى الآية الكريمة ﴿ فاذكرونى أذكركم واشكروا لى ولا تكفرون﴾.

(٣) فى (ط) : (بالمذكور) وفى (ت) : (بالمذكورة).

(٤) سقطت من (ط).

(٥) فى (ز) : (المحق).

(٦) فى (ز) : (فى).

الحق، ثم فناؤه من شهود فنائه باستهلاكه في وجود الحق وهو فناء الذات فى الذات.

وهذا تحقيق قول من قيل له : «إما أنا وإما أنت وإلاّ فلا نجتمع».

قاتلني[1] وسيفه مسلول * فقال لى واحدنا مقتول[2].

قلت [3]:

قلبى نهبوا ومن حياتى نالوا * قد ملت[4] إليهم ومنى نالوا

إذ قلت بما أعيش قولوا * بالحب فعش وحبهم قتّالُ

---

(١) فى (ز) : (سيقبلنى، وفى (ط) : (استقبلنى).

(٢) فى (ز) : (واحد يا مقبول).

(٣) فى (ز) : (قال الشيخ المصنف رحمه الله).

وفى (ط) : (قال الشيخ المصنف رضى الله عنه).

(٤) فى (ط) : (قدمت).

الباب العاشر

فـــى

معرفة الروح ومقاماته [1]

(١) فى (ط) : وفيه ثلاثة فصول.
وفى (ز) : (وفيه فصلان).

الفصل الأول

فــى

معرفة الروح وماهيته

قال الله تعالى ﴿ **ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربى وما أوتيتم من العلم إلا قليلا** ﴾ [1].

وقال رسول الله (ﷺ) :

« إن الله تعالى خلق الأرواح قبل الأجساد بألفى[2] عام » [3].

وقال : « أول ما خلق الله روحى » [4].

فاعلم أن الناس فى أمر الروح ومعرفته تحزبوا أحزابا كثيرة[5] من الحكماء الأوائل، والعلماء المتقدمين من الصحابة، والتابعين والمتأخرين من المشايخ المعتبرين. أو أطنبوا [6] فيه الكلام، وأكثروا فيه الاختلاف، وأطلقوا عنان النظر فى مسارح الفكر، وخاضوا غمرات ماهية الروح. فأكثرهم تاهوا فى التيه، وتنوعت آراؤهم فيه،

---

(١) آية رقم ٨٥ من سورة (الإسراء) مكية.

(٢) فى (ط)، (ز) : (بألفى ألف).

(٣) الحديث : سبقت الإشارة إليه.

(٤) حديث جابر : سبقت الإشارة إليه. أول مقدمة المؤلف.

(٥) فى (ز) : (أحزبا لكبيرة).

(٦) سقطت من (ط).

ولم يوجد الاختلاف بين أرباب النقل والعقل فى شيء كالاختلاف فى ماهية الروح إلاّ ما شاء الله، فنحن لا نطول[1] بنقل مقالاتهم، وتقرير خيالاتهم. فإن أكثرها نتائج العقول المشوبة بآفة الوهم والخيال، ولم تكتحل عيونها بكحل الاقتداء بالأنبياء فلم يصبها نور الاهتداء، وأما ما نقل عن الأئمة والعلماء الراسخين فى العلم. فقال بعضهم : (إنه جسم لطيف. وقال بعضهم : إنه عرض. وقال بعضهم)[2] : إنه جوهر قائم بنفسه ولكنه مخلوق. وقال الأكثرون: إن الله تعالى أبهم علم الروح على الخلق، واستأثره لنفسه حتى قالوا: إن النبى (ﷺ) لم يكن عالما به[3].

قلت: جل منصب حبيب الله، ونبيه (ﷺ) أن يكون جاهلا بالروح مع أنه يكون عالما بالله. وقد منّ الله عليه بقوله ﴿ **وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما** ﴾ [4].

هب [5] أن علم الروح مما لم يكن يعلمه [6].. ألم يخبر الله أنه علمه ما لم يكن يعلم. فسكوته [7] عن جواب سؤال الروح وتوقفه انتظاراً للوحى حين سألته اليهود. فقد كان لغموضه يرى فى معنى الجواب، ودقة لا يفهمها اليهود لبلادة طباعهم، وقساوة قلوبهم، وفساد عقائدهم.

فإنه قال ﴿ **وما يعلقها إلاّ العالمون**﴾ [8].

---

(١) فى (ط) : (فنحن لا نطول الكتاب).
(٢) ما بين القوسين سقط من (ط).
(٣) سقطت من (ط).
(٤) آية رقم ١١٣ من سورة (النساء) مدنية.
(٥) فى (ط)، (ز) : (أحسب).
(٦) فى (ط) : (يعلم).
(٧) فى (ز)، (ط) : (فأما سكوته).
(٨) آية رقم ٤٣ من سورة (العنكبوت) مكية.

وهم أرباب السلوك، والسائرون [1] إلى الله تعالى. فإنهم لما عبروا عن النفس، وصفاتها، ووصلوا إلى حريم القلب عرفوا النفس بنور القلب المنور بنور الذكر.

ولما عبروا بالسير. عن القلب وصفاته، ووصلوا إلى مقام السر عرفوا بعلم السر القلب.

وإذا عبروا عن السر، ووصلوا إلى عالم الروح. عرفوا بنور الروح السر.

وإذا عبروا عن عالم الروح، ووصلوا إلى منزل الخفى عرفوا بشواهد الحق الروح.

وإذا عبروا عن منزل الخفى ووصلوا إلى ساحل بحر الحقيقة عرفوا بأنوار مشاهدات الجمال الخفى[2].

وإذا أفنوا بسطوات تجلى صفات الجلال عن أنانية [3] الوجود، ووصلوا إلى لجة بحر الحقيقة كوشفوا بهوية الحق تعالى. وإذا استغرقوا فى بحر الهوية وأبقوا ببقاء الألوهية عرفوا الله بالله ووحدوه حين وجدوه. هذا آوان إراءة ماهية كل شيء كما هي. هذا وقت ﴿ **سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق**﴾ [4]. فحينئذ [5] إذا طلع الصباح استغنى عن المصباح، وقد يتحقق[6] للعبد مقام كنت له سمعا، وبصرا، ولسانا، ويدا، ومؤيدا. فبى يسمع وبى يبصر، وبى ينطق، وبى يبطش. ففى هذه الحالة كيف يبقى لمعرفة الروح خطر عند من هذه أحواله، وهو مع هذه الرتبة العلية، والمواهب السنية من لواقط سواقط حبات سنبلات

---

(١) فى (ز)، (ت) : (والسائرين).

(٢) سقطت من (ت).

(٣) فى (ز) : (أنابيب).

(٤) آية رقم ٥٣ من سورة (فصلت) مكية.

(٥) فى (ت) : (فحسب).

(٦) فى (ط) : (وقد تحقق).

ببادر بوادر النبوة. ونوادر الرسالة. فكيف بحال سيد المرسلين، وخاتم النبيين، وحبيب رب العالمين، وأفضل الأنبياء والمرسلين[1] صلوات الله عليه وعلى آله أجمعين فى معرفة الروح، وهو الذى يقول : علمت ما كان وما سيكون.[2]

ثم اعلم أن الروح لطيفة ربانية، وهو أول شىء تعلقت القدرة بإيجاده فى أمر كن.. وإنما قلنا إنه ربانى لاختصاصه بالإضافة إلى الحضرة الربّانية قوله تعالى :

﴿ **ونفخت فيه من روحى** ﴾ [3]. وهو جوهر نورانى قائم بنفسه، والذى يدل على قوله (ﷺ) :

« إن الله تعالى خلق الأرواح قبل الأجساد بألفى عام»[4] وأنه ليس بجسم، ولا عرض لأنه أول مخلوق. وهو جوهر بسيط والجسم مركب. والعرض يحتاج إلى محل. وقد بينا فى فاتحة الكتاب: إن الجسم إذا قبل صورة لا يمكنه[5] أن يقبل صورة غيرها من جنسها إلا أن يخلع الصورة الأولى، ويفارقها والروح ليس بهذه الصفة، وذلك لأنه إذا قبل صورة معقول مّا، وثبتت تلك الصورة فيه ازداد بها قوة على تصور معقول آخر إليها [6] من غير أن يفسد الصورة الأولى فلا يكون [7] جسما وهو أصفى الجواهر وأنورها، وأعلاها وأقربها إلى الحضرة، وهو المستعد لخلافة الله تعالى فى الأرض، وهو الحى، السميع، والبصير، المتكلم، العالم، القادر،

---

(١) فى (ز)، (ط): (وأفضل الأولين والآخرين).

(٢) حديث : علمت ما كان وما سيكون، ينظر فى فهرس الأحاديث النبوية نهاية الكتاب.

(٣) آية رقم ٢٩ من سورة (الحجر) مكية.

وكذا آية رقم ٧٢ من سورة (ص) مكية.

(٤) فى (ز)، (ط) : (بألفى عام) وسبقت الإشارة إلى الحديث.

(٥) فى (ط)، (ت) : (لم يمكنه).

(٦) فى (ت) : (لكنها).

(٧) فى (ز) : (ولا يكون).

المريد، الباقي. خلافة عن الله عز وجل. وقد عرفه الله بقوله ﴿ **قل الروح من أمر ربي** ﴾ [١] .. أي[٢] من قبيل عالم الأمر لا من قبيل عالم الخلق. وذلك أن الله تعالى خلق العوالم كثيرة. كما جاء في الخبر. بروايات مختلفة.

فقال في بعض الروايات: خلق ثلاثمائة وستين[٣] ألف عالم. وفي رواية أخرى: وسبعين ألف عالم[٤]. وفي رواية ثمانية عشر ألف عالم[٥]. ولكنها محصورة في عالمين اثنين وهما الخلق والأمر. كما قال تعالى ﴿ **ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين** ﴾ [٦].

فعبر عن عالم الدنيا، وهو ما يدرك بالحواس[٧] الخمس الظاهرة بالخلق، وعبر عن عالم الآخرة، وهو ما يدرك بالحواس الخمس الباطنة. وهي: العقل، والقلب، والسر، والروح، والخفي بالأمر.

فعالم الأمر هو الأوليات العظائم التي خلقها الله تعالى للبقاء من الروح، والعقل، والقلم، وسمى عالم الأمر أمراً لأنه أوجده بأمر «كن» من لا شيء بلا واسطة شيء.

كما قال ﴿ **وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئا** ﴾ [٨].

---

(١) سبقت الإشارة إلى الآية أول الفصل.

(٢) سقطت من (ز).

(٣) في (ت) : (ثلاثمائة وستون).

(٤) في (ز) : (عالما).

(٥) في (ز) : (ثمانية ألف عالما).

(٦) آية رقم ٥٤ من سورة (الأعراف) مكية.

(٧) في (ز) : (بالجواب).

(٨) في (ط) : (خلقتك ولم تكن شيئا).

وهي آية رقم ٩ من سورة (مريم) مكية.

ولما كان أمره قديما فما كوّن بالأمر القديم كان باقيا وإن كان حادثا. وسمى عالم الخلق خلقا لأنه أوجده بالوسائط من شيء مخلوق[1] سماه خلقا خلقه الله للفناء. فتبين أن قوله ﴿ **قل الروح من أمر ربى** ﴾[2] إنما هو لتعريف[3] معناه أنه من عالم الأمر والبقاء. لا من عالم الخلق والفناء وأنه ليس للاستبهام كما توهموه. جماعة.

ثم اعلم أن الروح الذى تعلقت به القدرة بأمر «كن» أولا هو روح النبى (ﷺ) لقوله:

« أول ما خلق الله روحى » [4]وفى رواية : نورى.

فإن قيل : روى أنه (ﷺ) قال أيضا:

« أول ما خلق الله العقل» ، وقال « أول ما خلق الله القلم» وقال « أول ما خلق الله تعالى جوهره». . ولا يحتمل أن يكون المخلوق الأول المطلق إلاّ واحدا. لأن الشيئين المتغايرين لا يكون كل واحد منهما أولا فى التكون والوجود[5] على الإطلاق. إذ لا يخلو أما إذا حدثا مصاحبين «أو أحدثا متعاقبين :

فإن أحدثا مصاحبين»[6] معا فلا يختص أحدهما من الآخر بالأولية فلا يكون

---

(١) سقط من (ز)، (ت) : (كقوله تعالى ﴿ **وما خلق الله من شيء** ﴾ فكما أن الوسائط كانت مخلوقه من شيء مخلوق) والآية المذكورة هى آية رقم ١٨٥ من سورة (الأعراف) مكية.

(٢) سبقت الإشارة إلى هذه الآية.

(٣) فى (ط) ، (ز) : (الروح).

(٤) سبقت الإشارة إلى هذا الحديث وما بعده. انظر أول الكتاب حديث (جابر بن عبد الله الأنصارى).

(٥) فى (ط)، (ز) : (في التكوين والإيجاد).

(٦) ما بين القوسين سقط من (ط).

واحد منهما أولا على الانفراد، وإن أحدثا متعاقبين يكون المبتدأ أولا والمتعاقب ثانيا. فيكون الأول واحدا منهما. لا محالة [1]. ولا يجوز الخلف فى كلام النبى (ﷺ). لأنه جاء بالصدق، وأنه (ﷺ) قد أثبت الأوليات.

قلنا المخلوق الأول هو مسمى واحد [2] وله أسماء مختلفة فبحسب كل صفة فيه سمى باسم آخر، وقد كثرت الأسماء والمسمى واحد وهو الأصل. وما سواه تبع. فلا ريب [3] أن أصل الكون كان النبى (ﷺ) لقوله:

« لولاك لما خلقت الكون» فهو أولى أن يكون أصلا وما سواه أولى أن يكون تبعا له. لأنه كان بالروح بذر شجرة الموجودات [4] وهى سدرة المنتهى. فكما أن الثمرة تخرج من فرع الشجرة كان خروجه إلى قاب قوسين أو أدنى. ولهذا قال:

« نحن الآخرون السابقون» [5] أى السابقون [6] بالخروج كالثمرة. والسابقون بالخلق كالبذر. فيلزم من ذلك أن يكون روحه (ﷺ) أول شىء تعلقت به القدرة، وأن يكون هو المسمى بالأسماء المختلفة. فباعتبار أنه كان درة صدف الموجودات سمى درة، وجوهرة.[7]..

كما جاء فى الخبر: أول ما خلق الله جوهرة. وفى رواية درة. فنظر إليها فذابت. فخلق منها كذا.

---

(١) فى (ت) : (لا فعاله).

(٢) فى (ط) : (الواحد).

(٣) فى (ز) : (تبعا له لا ريب).

(٤) (فلما بلغ أشده وبلغ أربعين سنة كان بالجسم والروح ثمرة شجرة الموجودات) سقط من (ت).

(٥) حديث : نحن الآخرون السابقون، ينظر فى فهرس الأحاديث النبوية نهاية الكتاب.

(٦) أى (الآخرون) : فى (ز).

(٧) فى (ز) : (سمى الدرة جوهرة).

وإنما باعتبار روحانيته سمى روحا (١)، وباعتبار نورانيته سمى نورا، وباعتبار وفور عقله سمى عقلا.

ونُـقل عن بعض الكبراء من الأئمة: أن أول المخلوقات على الإطلاق ملك كروبى يسمى العقل. وهو صاحب القلم بدليل توجه الخطاب عليه فى قوله أقبل. فأقبل. ثم قال له: أدبر فأدبر (والحديث قول النبى (ﷺ): أول ما خلق الله العقل. فقال له أقبل فأقبل. ثم قال له أدبر فأدبر. ثم قال)(٢): وعزتى وجلالى. ما خلقت خلقا أحب إلىّ منك.. بك أعرف. وبك آخذ وبك أعطى، وبك أعاقب، وبك أثيب(٣). وفى رواية. وبك أُعْبَد.. ولما سماه قلما. قال له اجر بما هو كائن إلى يوم القيامة، وتسميته قلما كتسمية صاحب السيف سيفا.

وقد قيل «لخالد بن الوليد»(٤) رضى الله عنه، سيف الله. فباعتبار غلبة صفاته الملكية يسمى ملكا.. وسمى الملك عقلا لوفور عقله. وقلما باعتبار كتابته على لوح الوجود. وإذا أمعنت النظر وجدت كلما وصف النبى (ﷺ) به العقل. وحكى عنه هو خاصية من خواص روحه الشريف (ﷺ) وهو قوله: أول ما خلق الله العقل. فقال له أقبل فأقبل. ثم قال له أدبر فأدبر. وهذا حال روحه (ﷺ) أنه أول ما خلق الله من خلق. إذ قال له أقبل إلى الدنيا على طريق التجارة لتربح من تجارتك أسبابا تحتاج إليه فى المعرفة. فإن روحك كان عارفا بكليات عالم الأرواح. وهو الغيب جاهلا بجزئياته (٥). وكليات عالم الأجسام، وجزئياته وهو الشهادة. فتحصل من آلات الحواس الخمس، والقوى البشرية ما تصير به عارفا بكليات الغيب والشهادة وجزئياتها. لتكون بالخلافة عالم الغيب والشهادة. ثم قال له: أدبر أى ارجع إلى ربك.

---

(١) فى (ط)، (ز) : وباعتبار روحانيته روحا).

(٢) ما بين القوسين سقط من (ط).

(٣) الحديث : سبقت الإشارة إليه.

(٤) (خالد بن الوليد) : سبقت الإشارة إليه.

(٥) فى (ز) : (بجزوياته) وما بعده تابع.

فأدبر عن الدنيا. فقال له مالى وللدنيا، ورجع إلى ربه ليلة المعراج ثم قال للعقل وعزتى وجلالى ما خلقت خلقا أحب إلىّ منك وهذا أيضا حاله (ﷺ) أنه كان حبيب الله وأحب الخلق إليه، وقوله تعالى للعقل: بك أعرف، وبك آخذ وبك أعطى، وبك أعاقب، وبك أثيب. فهذا كله حاله (ﷺ) لأنه من لم يعرف النبى (ﷺ) بالنبوة والرسالة لم يعرف الله. ولو كان له ألف دليل على معرفة الله...

فمعناه بمعرفتك أعرف. أى من عرفك بالنبوة عرفنى بالربوبية.. وبك آخذ أى أخذ طاعة من أخذ منك ما أتيته من الدين والشريعة.. وبك أعطى. أى بشفاعتك أعطى درجة أهل الدرجات. كما قال (ﷺ). :

«الناس يحتاجون إلى شفاعتى حتى إبراهيم».[1]

وبك أعاقب، وبك أثيب. وذلك لقوله تعالى :

﴿ وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم إصرى قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين ﴾[2].

فالله تعالى أخذ ميثاق كل نبى بعثه بأن يؤمن بمحمد (ﷺ) ويوصى أمته بالإيمان به ونصرة دينه. فمن آمن به من الأمم الماضية قبل بعثته فهو من أهل الثواب. ومن لم يؤمن به من الأولين والآخرين فهو أهل العقاب. فصح فيه قوله: بك أعاقب، وبك أثيب.

فكل ما ذكرناه فى معرفة الروح فهو حال النبى (ﷺ) ومقاله. فكيف يظن به أنه لم يكن عارفا بالروح. والروح هو نفسه. وقال « من عرف نفسه فقد عرف ربه»[3].. وذلك أن الله تعالى لما خلق آدم وبنيه جعلهم الله خلفاء فى الأرض كما قال

---

(١) الحديث : سبقت الإشارة إليه.

(٢) آية رقم ٨١ من سورة (آل عمران) مدنية.

(٣) حديث : من عرف نفسه سبقت الإشارة إليه.

﴿ **ويجعلكم خلفاء الأرض**﴾[1] فمن شرط الخلافة أن يكون المستخلف مجتمع أوصاف المستخلف بالخلافة إلا ما اختص به المنوب بالأصالة. مثل القدم، والأحدية، والصمدية.

والكبرياء، والعظمة، والسلامة عن عيب ونقصان. فالروح خليفة الله، وهو مجتمع صفاته الذاتية. كالحياة، والقدرة، والسمع، والبصر، والكلام، والعلم، والإرادة، والبقاء. والجسد خليفة الروح. وهو مجتمع صفاته التى باجتماعها فى الروح علمنا أنه خليفة الله. وبذلك علمنا أن الجسد خليفة الروح. لأنا وجدنا الجسد قبل اتصال الروح به وبعد انفصاله عنه خاليا. عن هذه الصفات. فلما تعلق الروح به وجدنا فيه هذه الصفات. علمنا أنه بخلافة الروح اتصف بهذه الصفات. ولو لم يكن الروح متصفا بهذه الصفات لخلافته الحق تعالى. لم يكن الجسد بها متصفا. فبقى أن الروح باق أبدا، والجسد فان.

قلنا : وذلك لأن البقاء الأبدى من خاصية الروح فهو مختص بالأصالة. دون خليفة وهو الروح. فإنه حادث أبدى دون أزلى.

ثم اعلم أن الأرواح كلها خلقت من روح (ﷺ) كما روينا فى حديث «جابر». وأن روحه أصل الأرواح. ولهذا سمى أميًا. أى [2] أم الأرواح. فكما كان آدم، عليه السلام، أبا البشر. كان النبى (ﷺ) أبا الأرواح وأمها. كما كان آدم أبا حواء وأمها. (وذلك أن الله تعالى لما خلق روح النبى (ﷺ)) [3] كان الله ولم يكن معه شيء إلا روحه. وما كان شيء آخر حتى ينسب روحه إليه، أو يضاف إليه غير الله. فلما كان روحه أول باكورة أثمرها الله تعالى بإيجاده من شجرة الوجود، وأول شيء تعلق به القدرة. شرفه بتشريف إضافته إلى نفسه تعالى فسماه روحى. كما سمى أول

---

(١) آية رقم ٦٢ من سورة (النمل) مكية.

(٢) فى (ز) : (أنه).

(٣) سقط ما بين القوسين من (ز).

بيت من بيوت الله وضع للناس، وشرفه بالإضافة إلى نفسه فقال له: بيتى. ثم حين أراد أن يخلق آدم سواه ونفح فيه من روحه[1] أى من نفخ الروح المضاف إلى نفسه. وهو روح النبى (ﷺ) كما قال تعالى:

﴿ فإذا سويته ونفخت فيه من روحى ﴾[2].

فكان روح آدم من روح النبى (ﷺ) بهذا الدليل. وكذلك أرواح أولاده لقوله تعالى :

﴿ ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين * ثم سواه ونفخ فيه من روحه﴾ [3].

وقال فى مريم، عليها السلام.

﴿ فنفخنا فيه من روحنا ﴾[4].

فكان [5] النفخ لجبريل، عليه السلام، وروحها من روح النبى (ﷺ) المضاف إلى الحضرة، وهذا أحد أسرار قوله (ﷺ) :

« آدم ومن دونه تحت لوائى يوم القيامة ».[6]

وقد أدى النبى (ﷺ) بروحه ليلة المعراج فى صورة ملك فعرفه حق المعرفة كما جاء فى حديث المعراج فيما يرويه «عبد الله بن عباس»، وعبد الله بن مسعود»

---

(١) فى (ز) : (روحى).

(٢) آية رقم ٢٩ من سورة (الحجر) مكية.

وآية رقم ٧٢ من سورة (ص) مكية.

(٣) آية رقم ٨، ٩ من سورة (السجدة) مكية.

(٤) الآية رقم ١٢ من سورة (التحريم) مدنية.

(٥) فى (ز) : (فكانت).

(٦) الحديث : سبقت الإشارة إليه.

وغيرهما. فى حديث طويل إلى أن قال (ﷺ) ثم رأينا ملكا قد امترقت رجلاه فى الأرضين السفلى. وامترق رأسه من السماء السابعة العليا [1]. غلظ كل جناح من أجنحته مسيرة خمسمائة عام. وما بين كل جناحين مسيرة خمسمائة عام للراكب المسرع. ومن لدن رأسه إلى منتهى قدميه ممتلئا وجوها ونورا ففى كل جزء منه وجوه كثيرة يسبح كل لسان فى هذه الوجوه بلغة أخرى. لا يشبه وجه وجها، ولا لغة لغة، ولا عين عينا، ليس فيه عين إلاّ فيه من البرق والنور ما لا يحصى، فى جانب من جسده نور أحمر. وفى جانب نور أصفر. وفى جانب نور أخضر. وفى جانب نور أبيض، وليس في جسده من أعضائه وريشه وبشرته وشعره جزء إلاّ وهو يسبح بتسبيح آخر فيخرج فى كل يوم من تسبيحه بعدد ما خلق الله من الملائكة يسبحون، لو أراد أن يلتقم السموات السبع بلقمة واحدة لأطاق لا يستطيع أحد من الملائكة ينظر إليه من نوره. لا جبريل، ولا ميكائيل، ولا الكروبيون. وهو الروح المذكور فى القرآن يرفع إليه أمور أهل السموات والأرضين. وهو يرفعه إلى الله تعالى، وهو صاحب الحجب، وصاحب سرادقات العرش وهو كاتب الرحمن.[2]

فاعلم أنه الروح الأعظم والنور الأكبر الذى هو أول شيء تعلقت به القدرة بأمر «كن». كما صرح النبى (ﷺ) فى هذا الحديث.[3] فقال وهو الروح المذكور فى القرآن وقوله: من لدن رأسه إلى منتهى قدميه[4] كان ممتلئا. إشارة إلى أن كل وجه من وجوهه وجه روح ينشأ منه[5] الأنبياء، والأولياء والمؤمنين والأمثل فالأمثل. على حسب علو منشأها[6] وسفلها.. وقوله: يسبح كل لسان فى هذه الوجوه بلغة أخرى لا يشبه وجه وجها ولا لغة لغة، ولا عين عينا. فهكذا وجوه الخلق ولغاتهم

---

(١) فى (ز) : (الطباقية).

(٢) حديث المعراج فيما يرويه ابن عباس وابن مسعود، ينظر فى فهرس الأحاديث النبوية نهاية الكتاب.

(٣) سقطت من (ت).

(٤) حديث الرسول السابق.

(٥) فى (ز) : (من أرواح).

(٦) فى (ط) : (منشأتها).

وعيونهم. لايشبه واحد منها واحداً، وفى الحديث دليل على أن أرواح الملائكة تنشأت[1] منه أيضا.

وقوله: يرفع إليه أمور أهل السموات والأرضين وهو يرفعه إلى الله تعالى هذا حال الروح الأعظم مع الأرواح المنتشأة منه وهو الروح المقدور الأول روح حبيب الله ونبيه (ﷺ) كما أخبر عن هذا الحال بقوله:

« تعرض عليّ أعمال أمتى فأستبشر لمحسنها، واستغفر لمسيئها»[2].

وهو صاحب الحجب إذ به يرفع الحجب وهو صاحب سرادقات العرش الذى به يعبر عنها وهو كاتب الرحمن إذ سماه القلم بنوره كتب الله [3] حروف الموجودات على صحيفة العدم كما قال تعالى:

« لولاك لما خلقت الكون» .[4] وهذا كما يقول الزارع للبذر لولاك لما زرعت الشجرة، وذلك أن روح النبى (ﷺ) كان أو مخلوق وكان بمثابة البذر لشجرة الموجودات. فى البداية ثم كان شخصه بمثابة الثمرة لشجرة الموجودات فى النهاية كما قال (ﷺ):

« نحن الآخرون السابقون »[5].

فكما أن جميع أجزاء الشجرة يتنشأ [6] من البذر كذلك يتنشأ جميع أجزاء شجرة الموجودات من بذر روحه ملكها وملكوتها كما مر شرحها فى حديث جابر[7] وحديث المعراج..

والله أعلم.

---

(١) فى (ط) : (منتشأة)

(٢) حديث : تعرض على أعمال أمتى .. ينظر فى فهرس الأحاديث النبوية نهاية الكتاب.

(٣) فى (ز) : (إذ سماه بالقلم بنوره وكتب الله).

(٤) سبقت الإشارة إليه.

(٥) سبقت الإشارة إلى هذا الحديث.

(٦) فى (ز) : (منتشأ).

(٧) انظر مقدمة الكتاب والفصول الأولى ففيها إفاضة فى هذه القضية.

الفصل الثانى
فى
مقامات الروح

فمنها:

الإرادة:

قال الله تعالى: ﴿ **ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه**﴾[1] .

وقال رسول الله (ﷺ) :

« إذا أراد الله بعبد خيرا استعمله. فقيل له: كيف يستعمله يا رسول الله؟ .

قال : يوقفه للعمل الصالح قبل الموت»[2] .

اعلم أن المشايخ تكلموا فى بيان الإرادة (على ما فتح الله لهم، وسانحهم الوقت به. وأكثرهم أخبروا عن إمارات الإرادة)[3] وموجباتها ومقتضياتها [4] لا عن حقيقة الإرادة وماهيتها. حتى قالوا: «الإرادة ترك ما عليه العادة» .

---

(١) آية رقم ٥٢ من سورة (الأنعام) مكية.

(٢) الحديث : سبقت الإشارة إليه.

(٣) ما بين القوسين سقط من (ز).

(٤) فى (ز) : (ومقتضاها).

وعادة الناس فى الغالب؛ التعريج فى أوطان الغفلة، والركون إلى اتباع الشهوة، والاختلاف إلى ما دعت إليه المنية.. فالمريد ينسلخ عن هذه الجملة؛ فصار خروجه إمارة، ودلالة على صحة الإرادة. فيسمّى تلك الحال إرادة. وهى خروج[1] عن العادة (فهى إمارة الإرادة)[2] وقال الأستاذ أبو القاسم القشيرى[3]: فأما حقيقة الإرادة، فهى نهوض القلب فى طلب الحق تعالى. ولهذا قال إنها لوعة تهون كل روعة.

قلت: [4] وهذا أيضا إمارة الإرادة لا حقيقتها.

فأمّا حقيقة الإرادة:

فهى صفة من صفات الله تعالى. القديمة الأزلية الأبدية القائمة بذاته تعالى. فلما خلق الله الروح جعله قابلا لعكس صفاته خلافة عنه، ولما خلق النفس جعلها قابلة لعكس صفات الروح خلافة عنه. فمن غلبت نفسه روحه كانت إرادته إلى الدنيا وما فيها. ومن غلب روحه نفسه كانت إرادته أخراوية.

كما قال تعالى:

﴿ **منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة** ﴾ [5].

فلا تتجاوز الإرادة الإنسانية عن هاتين المرتبتين إذا وكلت إلى طبعها.

فأما الإرادة الحقيقية التى تنزهت عن الدنيا والآخرة فهى تريد وجه الله تعالى فحسب. كما قال تعالى:

---

(١) فى (ط)، (ز) : (الخروج).

(٢) ما بين القوسين سقط من (ط).

(٣) سبقت الإشارة إليه.

(٤) فى (ط) : (قال الشيخ المصنف رح).

(٥) فى (ط) : (فمنكم) وهى آية رقم ١٥٢ من سورة (آل عمران) مدنية.

﴿ إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا ﴾ [1] أى جزاء فى الدنيا وشكورا فى الآخرة.

وقال :

﴿ ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه ﴾ [2].

فهى نور من أنوار جماله، تجلى به لأرواح خواص عباده يوم خلق الله الخلق فى ظلمة ثم رش عليهم من نوره. فمن أصابه ذلك النور فقد هدى إلى الإرادة **﴿ أفمن شرح الله صدره للإسلام**[3] **فهو على نور من ربه﴾** [4].

ثم من إمارات الإرادة ما قاله : «أبو على الدقّاق»[5]:

الإرادة لوعة فى الفؤاد. لذعة فى القلب. غرام فى الضمير. انزعاج فى الباطن نيران يتأجج فى القلوب.

ومن إمارة صدق [6] الإرادة أن يشاهد المريد بنور الإرادة جمال ولاية مراده. وهو شيخه. فيعشقه.

---

(١) آية رقم ٩ من سورة (الإنسان) مدنية.

(٢) آية رقم ٥٢ من سورة (الأنعام) مكية.

(٣) فى (ط) ، (ز) : (للإرادة).

(٤) آية رقم ٢٢ من سورة (الزمر) مكية.

(٥) (أبو على الدقاق): هو (أبو على الحسن بن محمد الدقاق) كان ثقة فى علومه، ولم يسبقه أحد من معاصريه فى علومه ومشاهداته، كما كان كاملا فى ظاهره. قيل إنه ذهب إليه رجل كبير السن فوجده يلبس عمامة جميلة من صناعة طبرستان، فتمناها الرجل لنفسه. وسأل الدقاق: ما التوكل على الله؟. فقال له: أن تمتنع عن تمنى الحصول على عمائم الناس) ثم ألقى بعمامته.

انظر كشف المحجوب ص ١٩٣.

(٦) فى (ز) : (الصدق).

ومن إمارة عشقه. أن ينسلخ من إرادة نفسه بالكلية فيكون مريد مراد مراده. فلا يخالفه في شيء مما أمره به.

كما حكى عن حال « أحمد بن أبى الحوارى» [1] مع « أبى سليمان الدارانى»[2].

كان بين أحمد وبينه عقد لا يخالفه فيما يأمره فجاءه أحمد يوما وهو يتكلم فى مجلسه. وقال: إن التنور قد سجّـر فما تأمر؟. فلم يجبه. فقال مرتين، وثلاثة.

فقال أبو سليمان: اذهب فاقعد فيه، كأنه ضاق به صدره.

فقال: وتغافل أبو سليمان ساعة ثم ذكر. فقال: اطلبوا أحمد فإنه فى التنور. لأنه على عقد أن لا يخالفنى.

فنظروا فإذا هو فى التنور لم يحترق منه شعرة.

---

(١) (أحمد بن أبى الحوارى): من أهل دمشق صحب الشيخ أبى سليمان الدارانى. وكانا لا يفترقان. كان يقول : من نظر إلى الدنيا نظر إرادة وحب أخرج الله نور اليقين من قلبه.
توفى سنة ٢٣٠هـ.
انظر الرسالة القشيرية ص ١٨.

(٢) (أبو سليمان الدارانى) فى (ز) (الرازى). وهو (أبو سليمان عبد الرحمن بن عطية الدارانى). وداران قرية من قرى دمشق. توفى سنة ٢١٥هـ. وكان معاصراً لأحمد بن أبى الحوارى الذى قال: دخلت يوما على أبى سليمان وهو يبكى فقلت له: ما يبكيك؟ فقال ولم يا أحمد لا أبكى. وإذا جن الليل ونامت العيون وخلا كل حبيب بحبيبه، وافترش أهل المحبة أقدامهم وجرت دموعهم وتفطرت وأشرف الجليل، سبحانه وتعالى، فنادى يا جبريل بعينى من تلذذ بكلامى واستراح إلى ذكرى، وإنى لمطلع عليهم فى خلواتهم أسمع أنينهم، وأرى بكاءهم. فلم لا تنادى فيهم يا جبريل ما هذا البكاء؟ هل رأيتم حبيبا يعذب أحباءه؟ أم كيف يجوز بى أن آخذ قوما إذا جنهم الليل تملقوا لى. فبى حلفت إذا وردوا يوم القيامة لأكشفن لهم عن وجهى الكريم (انظر الرسالة القشيرية ص ١٦، ١٧).

فهذا[1] تحقق صدق الإرادة التى من مواهب الحق تعالى ثم تقول إن القوم قد عدوا المواهب من الأحوال. والمكاسب من المقامات. ولكنا وجدنا فرقا دقيقا بين المواهب المقاماتية والمواهب الأحوالية. فالمواهب المقاماتية ما خص الله تعالى به خواص عباده فى بداية الفطرة من رشاش النور وإصابته وذلك بمثابة البذر. فبالتربية وهى الكسب يبلغ مبلغ كماله كما قال النبى (ﷺ):

« إذا أراد الله بعبد خيرا استعمله» [2].

فإرادة الله بالعبد الخير موهبة منه. والاستعمال هو كسب العبد وهو تربية بذر الإرادة. يبلغ المريد بها مقام المرادية.[3] وأما المواهب الأحوالية ما وهبه الله فى أثناء السلوك ونهايته من الشواهد، والبواده، والواردات، والكشوف. وأمثالها. فلهذا الفرق، جعلنا المواهب المقاماتية من مقامات الروح لمدخل الكسب فيها. ولأن الروح مورد المواهب أولا ثم تسرى آثارها إلى القلب، ومنه إلى النفس ومنها إلى البدن فمنهما [4] تصل إلى القلب تنشأ [5] فيه أخلاق كريمة، وأحوال سنية. وإذا سرت إلى النفس تبدل صفاتها الذميمة بالصفات الحميدة. وإذا سرت إلى البدن تظهر عليه الطاعات والعبادات. ثم تنور الطاعات والعبادات بتنور الصفات والأخلاق، وتصفو الأحوال، وتزداد المواهب إلى أن يصير المريد مرادا للحق تعالى وللخلق.

والله أعلم.

---

(١) فى (ط)، (ز) : (إمارة).

(٢) سبقت الإشارة للحديث.

(٣) فى (ز) : (الإرادية).

(٤) فى (ز) : (فمهما).

(٥) فى (ز) : (تنشيء).

ومنها **الاستقامة**

قال الله تعالى :

﴿ إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا..﴾[1].

وقال رسول الله (ﷺ) :

« استقيموا ولن تحصوا » [2].

وقال : ﴿ لا يستقيم إيمان أحدكم حتى يستقيم قلبه، ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه، ولا يستقيم لسانه حتى تستقيم جوارحه، ولا تستقيم جوارحه حتى تستقيم أعماله ﴾ [3].

اعلم أن الاستقامة من خصائص الروح.

قال الله تعالى:

﴿ لقد خلقنا الإنسان فى أحسن تقويم ﴾[4].

---

(١) فى (ط) : (إن الذين ربنا الله).

وهى الآية رقم ٣٠ من سورة (فصلت) مكية.

وآية رقم ١٣ من سورة (الأحقاف) مكية.

(٢) الحديث : سبقت الإشارة إليه.

(٣) الحديث : سبقت الإشارة إليه.

(٤) آية رقم ٤ من سورة (التين) مكية.

أى الروح الإنسانى. والاعوجاج من خاصية النفس.

قال الله تعالى :

﴿ **إن النفس لأمارة بالسوء** ﴾[1].

والقلب خلق متوسطا بينهما بين إصبعى اللطف والقهر قابلا لكلتا[2] الصفتين. فإن أيد الروح بالإيمان. وروح من الله يبقى على استقامته، ويتنور القلب بنور الإيمان وتستقيم به.

قال تعالى:

﴿ **كتب فى قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه** ﴾[3].

وقال النبى (ﷺ) :

« لا يستقيم إيمان أحدكم حتى يستقيم قلبه» [4] الحديث.

وإن وكلت النفس إلى اعوجاجها تعدى عوجها إلى القلب فيتصف بصفاتها [5].

اعلم أن الشرع قد نزل لتقويم عوج النفس، واستقامة جميع الأركان الظاهرة والباطنة على ما هو المستحق به كما أمر.

قال تعالى[6] : ﴿ **فاستقم كما أمرت** ﴾ [7].

---

(١) آية رقم ٥٣ من سورة (يوسف) مكية.

(٢) فى (ز) : (لكلى).

(٣) آية رقم ٢٢ من سورة (المجادلة) مدنية.

(٤) سبقت الإشارة إلى الحديث.

(٥) فى (ط)، (ز) : (بصفتها).

(٦) فى (ط)، (ز) : (قال الله تعالى).

(٧) آية رقم ١١٢ من سورة (هود) مكية.

ليخرج عن ظلمة ما طبع عليه إلى نور ما أمر به. فإن الخلق [١] خلق في ظلمة الطبع، ثم رش عليهم من نور الشرع.

قال تعالى:

﴿ الله ولى الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور﴾ [٢].

ـ فاستقامة اللسان؛ في تحرى الصدق، وترك الكذب، والغيبة، والبهتان، والنميمة، والفحش، والرفث، وما لا يعنيه في[٣] ملازمة الذكر.

ـ واستقامة كل عضو من الأعضاء؛ في استعماله بإتيان ما أمر به، وانتهائه [٤] إلى مأموريتها بالخير، واطمئنانها إلى ذكر الله، وعبوديته، وتبدل صفاتها الذميمة بالأخلاق الحميدة.

ـ واستقامة القلب؛ في توجهه إلى الله، وإعراضه عما سواه، وتوكله عليه، وتعرضه لنفحات ألطافه قابلا للفيض الإلهى[٥] خلوه عن (الأغيار كشف الأسرار)[٦] وشواهد الأنوار.

ـ واستقامة الروح؛ في استغراقه في بحر المحبة، واستلذاذه بمرارة المحبة.

ـ واستقامة الخفى: في قابليته لتجلى صفات الربوبية، والتحلى بأخلاق الألوهية فانيا عن أنانية نفسه باقيا بهوية ربه.

---

(١) في (ز) : (الحق).

(٢) آية رقم ٢٥٧ من سورة (البقرة) مدنية.

(٣) في (ط) ، (ز) : (وملازمة).

(٤) (عما نهى عنه، واستقامة النفس في خروجها من إمارتيها بالسوء إلى مأموريتها بالخير) سقط من (ت) .

(٥) (واستقامة السر في) سقط من (ت)

(٦) سقط من (ت).

ـ فأما استقامة الطريق. فهى على ثلاثة أوجه:

١ ـ استقامة الطريق إلى النار: وهى على إقدام الشهوات.

قال (ﷺ) :

« حفت النار بالشهوات» [١].

٢ ـ واستقامة الطريق إلى الجنة: وهى على إقدام المكاره فى نهى النفس عن هواها. قال تعالى **﴿ ونهى النفس عن الهوى * فإن الجنة هى المأوى ﴾** [٢]..

وقال (ﷺ) : « حفت الجنة بالمكاره» ..

٣ ـ واستقامة الطريق إلى الله تعالى : وهى على إقدام المتابعة ولزوم المطاوعة. قال الله تعالى:

﴿ وإنك لتهدى إلى صراط مستقيم * صراط الله الذى له ما فى السموات وما فى الأرض﴾ [٣].

أثبتت للنبى (ﷺ) الهداية إلى هذا [٤] الصراط لا هداية الصراط. لأن الهداية إلى الصراط من المكاسب وهداية الصراط من المواهب.

قال تعالى : **﴿ اهدنا الصراط المستقيم﴾** [٥].

---

(١) حديث : حفت النار بالشهوات.. ينظر فى فهرس الأحاديث النبوية نهاية الكتاب.

(٢) آية رقم ٤٠، ٤١ من سورة (النازعات) مكية.

(٣) فى سائر النسخ (له ما فى السموات والأرض)

وهى آية رقم (٥٢، ٥٣) من سورة (الشورى) مكية

(٤) سقطت من (ط).

(٥) آية رقم ٦ من سورة (الفاتحة) مكية.

وهذه الهداية : نور يقذفه الله فى قلوب من يشاء من عباده. كما قال تعالى :

﴿ ولكن جعلناه نورا نهدى به من نشاء من عبادنا ﴾ [1].

فمن تقرب إلى الله باستقامة المكاسب يتقرب إلى الله [2] باستقامة المواهب. ثم الاستقامة من لوازم كل مقام وحال. وبها الترقى من مقام إلى مقام، ومن حال إلى حال. فمن لم يكن له استقامة فى كل مقام وحال يؤول أمره إلى إضاعة السعى، وإبطال الجهد. ويرجع قهقرى.

قال الله تعالى : **﴿ ولا تكونوا كالتى نقضت غزلها من بعد قوة﴾** [3].

فمن أمارات[4] استقامة أهل البداية : الثبات[5] على جادة الشريعة.[6]

ومن أمارات استقامة أهل النهاية: محافظة [7] أحكام الحقيقة بخمود[8] البشرية. وصقالة مرآة القلب بإخراجه [9] عن طبع الطبيعة وتزكية الأوصاف الإنسانية بتحلية الأخلاق الربانية [10].

---

(١) آية رقم (٥٢) من سورة (الشورى) مكية.

(٢) فى (ز) : (إليه).

(٣) آية رقم ٩٢ من سورة (النحل) مكية.

(٤) سقطت من (ت).

(٥) فى (ط) : (الثابت).

(٦) (ومن أمارات استقامة أهل الوسائط مزاولة آداب الطريقة) سقط من (ت).

(٧) فى (ز) : (مخالفة).

(٨) فى (ط) : (بمحو).

(٩) سقطت من (ت) : (بإخراجه).

(١٠) فى (ط) : (أخلاق).

ومنها **الحياء**

قال الله تعالى :

﴿ ألم يعلم بأن الله يرى ﴾ (١).

وقال رسول الله (ﷺ) ذات يوم لأصحابه:

« استحيوا من الله حق الحياء. قالوا : إنا نستحي يا نبي الله. والحمد لله. قال: ليس ذاك ولكن من استحى من الله حق الحياء. فليحفظ (الرأس وما وعى، والبطن وما حوى)(٢) وليذكر الموت والبلى. ومن أراد الآخرة ترك زينة الدنيا فمن فعل ذلك فقد استحيى(٣) حق الحياء» (٤).

اعلم أن الحياء من أوصاف الروح ومقاماته. والحياء والعقل توأمان. وذلك أن الله تعالى لما خلق الروح الأعظم وهو روح النبي (ﷺ) كما مرّ شرحه، نظر إليه بنظر المحبة. لأنه كان حبيب الله غلب عليه الحياء فشق شقتين. وهو القلم فكان إحدى شقتيه: الحياء. والأخرى: العقل. فلا ينفك أحدهما عن صاحبه فأينما يوجد العقل. يوجد الحياء. وأينما يفقد العقل يفقد الحياء.

---

(١) آية رقم ١٤ من سورة (العلق) مكية.

(٢) في (ت) : (الرأس وما حوى والبطن وما وعى) وكذا (ز).

(٣) في (ز) : (من الله حق الحياء).

(٤) الحديث : استحيوا من الله حق الحياء... فليحفظ الرأس وما وعى والقلب وما حوى وليذكر الموت والبلى...، ينظر في فهرس الأحاديث النبوية نهاية الكتاب.

وقد جاء فى الخبر أن الله تعالى لما نظر[1] إلى روح النبى (ﷺ) بنظر المحبة غلب عليه الحياء فتعرق روحه فخلق الله تعالى من قطرات عرقه الأنبياء، عليهم السلام.

وقوله (ﷺ) :

« خلق الورد الأحمر من عرقى» [2].

لعل من أصل هذا العرق أصله. ومن نتائج هذه الحقيقة أن من نظر الآن بنظر المحبة إلى محبوبه غلب عليه الحياء واحمر وجهه، وتعرق.

وقيل الحياء على وجوه: حياء الجناية. كآدم عليه السلام لما قيل[3] : أفرارا منا. قال : بل حياء منك.

ـ وحياء التقصير: كالملائكة. يقولون: ما عبدناك حق عبادتك.

ـ وحياء الإجلال: كإسرافيل، عليه السلام. تسربل بجناحيه حياء من الله تعالى.

ـ وحياء الكرم: كالنبى (ﷺ) كان يستحى من أمته أن يقول: اخرجوا. فقال الله تعالى، عز وجل: ﴿ **ولا مستأنسين لحديث** ﴾ [4].

ـ وحياء الحشمة[5] : كعلى بن أبى طالب، رضى الله عنه. حين سأل

---

(١) فى (ط) : (نظر).

(٢) حديث : خلق الورد الأحمر من عرقى:

حكم عليه الإمام «ابن عراق» فى تنزيه الشريعة ٢٧٠/٢ بالوضع وكذلك العجلونى فى كشف الخفاء ٣٠٢/١، ٤٦٥/٢، ٣٥٢/٢ وعده الصغانى من الموضوعات انظر الحديث رقم ٥٥ ص ٤٠. والهامش التابع له.

(٣) فى (ط) : (لما قال).

(٤) آية رقم ٥٣ من سورة (الأحزاب) مدنية.

(٥) فى (ط) ، (ز) : (وحياء حشمة).

«المقداد»[1] حتى سأل[2] رسول الله (ﷺ) من حكم الذى[3] لمكان فاطمة، رضى الله عنها، منه.

ـ وحياء الاستحقار. كموسى، عليه السلام، قال: عرض بالحاجة[4] من الدنيا فاستحيى أن أسألك يا رب.

فقال له عز وجل[5]: سلنى ولو ملح عجينك، وعلف شاتك.

ـ وحياء الرب سبحانه وتعالى. يدفع إلى العبد كتابا مختوما بعدما عبر الصراط. وإذا فيه فعلت ما فعلت، ولقد استحييت أن أظهر عليك فاذهب فإنى قد[6] غفرت لك.

وعن «أبى سليمان الدارانى»[7] يقول:

قال الله تعالى « عبدى إنك ما استحييت منى أنسيت الناس عيوبك، وأنسيت بقاع الأرض ذنوبك، ومحوت من أم الكتاب زلاتك، ولا أناقشك فى الحساب يوم القيامة».

---

(١) (المقداد) :

هو (المقداد بن عمرو بن ثعلبة) من اليمن. وكان فارس رسول الله (ﷺ)يوم بدر وكانت زوجه (ضباعة بنت الزبير بن عبد المطلب بنت عم النبى (ﷺ). وكان رجلا طوالا آدم، ذا بطن كثير شعر الرأس يصفر لحية، أعين، مقرونا.

ويكنى: أبا معبد ومات بالجرف فحمل على رقاب الرجال حتى دفن بالمدينة سنة (٣٠هـ). وهو ابن سبعين سنة. انظر المعارف ص ٢٦٢.

(٢) فى (ط) : (حتى يسأل).

(٣) فى (ز) : (المذى)وهو الصواب.

(٤) فى (ط): (إنه عرض على الحاجة).

(٥) فى (ط)، (ز) : (فقال عز وجل).

(٦) سقطت من (ز).

(٧) سبقت الإشارة إليه.

قلت [١]:

الحياء حياءان: حياء روحانى منشؤه إنسانية الإنسان مما استفاد الروح عن حياء الرب تعالى خصوصية الخلافة فإن الله حيى كريم. ويحتمل أن يكون هذا الحياء من وصف الكافر كما كان لزليخا حين[٢] ألقت ثوبا على وجه صنم فى زاوية البيت إذ همّت «بيوسف» عليه السلام،. فقال: ماذا تفعلين؟

فقالت: أستحى منه.

وهى كافرة. فى تلك الحالة.

ـ وحياء ربانى. منشؤه نور الإيمان كما قال عليه السلام « الحياء من الإيمان»[٣] وهو برهان الرحمن كما كان[٤] « ليوسف» عليه السلام فى قوله تعالى:

﴿ وهمّ بها لولا أن رأى برهان ربه ﴾ [٥].

قيل: البرهان حياؤه [٦] من الله تعالى لما رأى ذلك الفعل من زليخا. قال: أنا أولى أن أستحى من الله تعالى، وهذا النوع من الحياء لا يكون إلاّ للمؤمن.

ومنه ما جاء فى وصفه (ﷺ). أنه كان أشد حياءً من العذراء فى خدرها[٧]. وقد

---

(١) فى (ط): (قال الشيخ المصنف رح) وفى (ز) : (قال الامام الربانى المصنف رضى الله عنه).

(٢) سقطت من (ت، ز).

(٣) حديث : الحياء من الإيمان، ينظر فى فهرس الأحاديث النبوية نهاية الكتاب.

(٤) فى (ط) : (كما قال).

(٥) آية رقم ٢٤ من سورة (يوسف) مكية.

(٦) فى (ز) : (حياه).

(٧) حديث : كان (ﷺ) أشد حياء ... ينظر فى فهرس الأحاديث النبوية نهاية الكتاب.

خص النبى (ﷺ) بهذا الحياء من الصحابة «عثمان بن عفان» رضى الله عنهم[١].

بقوله : «أحياكم عثمان»[٢].

ثم اعلم أنه ما عبر سالك مقاما من المقامات إلاّ بحياء من هذا النوع [٣] على حسب حالته، وحضوره مع الله تعالى وقربه منه. فإن [٤] الحياء من نتائج الحضور والقرب والمشاهدة فحياء [٥] الحضور لأهل البداية. وأمارته الندامة على ما جرى منه، والتوبة عنه، ولوم النفس عن المخالفات المنهيات وترك الموافقات[٦] المأمورات والرجوع منه إلى الله تعالى وعبوديته وحياء القرب: لأهل الوسائط [٧] بما يباعده من الله ويحجب عنه كما قال (ﷺ) :

« من استحيى من الله حق الحياء فليحفظ الرأس وما وعى» أى سمع والبصر واللسان والفم.. «والبطن وما حوى» أى النفس والقلب[٨]. «والقلب والفرج». ومن أراد الآخرة ترك زينة الدنيا، أى حلالها وحرامها مما زين للناس «ويذكر الموت والبلى». أى يموت قبل أن يموت. كما قيل: مت بالإرادة [٩] تحيى الحقيقة. وحياء المشاهدة. لأهل النهاية وإمارته ذوبان الوجود حياء لشهود المعبود وترك الوجود.

---

(١) سبقت الإشارة إليه.

(٢) حديث : أحياكم عثمان.

(٣) فى (ت) : (وهذا النوع).

(٤) فى (ز) : (كان).

(٥) فى (ط) : (فى حياء).

(٦) سقطت من (ت).

(٧) (وأمارته الاشتغال بما يقربه إلى الله وترك الاشتغال).

(٨) الحديث سبقت الإشارة إليه.

(٩) فى (ط) : (بالطبيعة).

ومنها **الحرية**[1]

قيل فى قوله تعالى ﴿ **ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة** ﴾ [2]: إنما آثروا على أنفسهم لحريتهم عما خرجوا منه فأثروا به.

وقال رسول الله (ﷺ):

« إنما يكفى [3] أحدكم ما قنعت به نفسه، وإنما يصير إلى أربعة أذرع وشبر» [4].

وإنما يرجع الأمر إلى الآخرة.. أشار به النبى (ﷺ) إن قناعة النفس على ما يكفيها من الطعام[5] والثياب الضرورى من الحرية عن رق عبودية الدنيا.

اعلم أن الحرية من أعلى مقامات القرب للروح وهى فك الرقبة عن رق عبودية الكونين.

قال الله تعالى: ﴿ **فلا اقتحم العقبة * وما أدراك ما العقبة * فك رقبة**﴾[6]. يشير إلى أن اقتحامه عقبة المكونات فى فك الرقبة عن رق عبوديتها وهى مقام العبدية

---

(١) فى (ط) : (القناعة).

(٢) آية رقم ٩ من سورة (الحشر) مدنية.

(٣) فى (ط) : (يلقى).

(٤) حديث : إنما يكفى أحدكم ما قنعت به نفسه ... ينظر فى فهرس الأحاديث النبوية نهاية الكتاب.

(٥) فى (ز) : (والشراب).

(٦) آية رقم (١١، ١٢، ١٣) من سورة (البلد) مكية.

مطلقا ولم يتمكن أحد فى هذا المقام من الأنبياء والمرسلين إلا محمد رسول الله (ﷺ) جميعا [1]. والذى يدل عليه قوله تعالى :

﴿ **سبحان الذى أسرى بعبده ليلا** ﴾[2] فقد سماه الله تعالى العبد مطلقا وجعله كاسم العلم له ومن سماه العبد غيره سماه مقيدا كما قال: ﴿ **واذكر عبادنا إبراهيم وإسحاق ويعقوب** ﴾ [3].

وقال ﴿ **واذكر عبدنا أيوب** ﴾[4] وقال : ﴿ **عبده زكريا** ﴾[5] .

فتحقق أن الحرية عن الأغيار مودعة فى عبودية الملك الجبار. فمن ازدادت عبوديته ازدادت حريته فللنفس عبودية الدنيا.

قال (ﷺ) :

« تعس عبد الدرهم. تعسم عبد الدينار. تعس عبد الخميصة» [6].

فإمارة حريتها عنها بأن يتساوى عندها أحجارها وأعراضها [7].

كما كان لحارثة. قال لرسول الله (ﷺ) : عرضت نفسى عن الدنيا فاستوى عندى حجرها وذهبها [8].

وللقلب : عبودية الآخرة. وإمارة الحرية عنها. الاستغناء عنها بالافتقار إلى الله تعالى[9].

---

(١) سقط من (ط).
(٢) آية رقم ١ من سورة (الإسراء) مكية.
(٣) آية رقم ٤٥ من سورة (ص) مكية.
(٤) آية رقم ٤١ من سورة (ص) مكية.
(٥) آية رقم ٢ من سورة (مريم) مكية.
(٦) حديث : تعس عبدالدرهم. تعس عبد الدينار ... ينظر فى فهرس الأحاديث النبوية نهاية الكتاب.
(٧) فى (ز)، (ت) : (أخطارها).
(٨) قول حارثة: عرضت نفسى عن الدنيا ... ينظر فى فهرس الأحاديث النبوية نهاية الكتاب.
(٩) فى (ط) : (بالافتقار إليها).

وللروح: عبودية الدرجات والقربات والكرامات، وإمارة حريته عنها. الإعراض عما سوى الله بالفناء فيه للبقاء به.

وقال «بشر الحافى» [1]:

« من أراد أن يذوق طعم الحرية، ويستريح من العبودية فليطهر السريرة بينه وبين الله تعالى» .

وقال «الحسين بن منصور»[2]:

« إذا استوفى العبد مقامات العبودية كلها يصير حراً من تعب العبودية. فيترسم بالعبودية بلا عناء ولا كلفة» .

وذلك مقام الأنبياء، والصديقين. يعنى تصير العبودية مشربه. ويستلذ بعذوبتها بدلا عن استمرار مشقتها.

وقال «إبراهيم بن أدهم» [3]:

« الحر الكريم يخرج من الدنيا قبل أن يخرج منها» .

قلت[4]: الحر الكريم من يخرج عن الكونين، وإن لم يخرج عنهما كما كان

---

(١) (بشر الحافى) سبقت الإشارة إليه.

(٢) (الحسين بن منصور): قالوا عنه: المستغرق فى المعنى، والمستهلك فى الدعوى هو: أبو المغيث الحسين بن منصور الحلاج كان من الغارقين فى حقائق التصوف له وجد شديد، وروحانية عالية. كان أستاذا لمحمد بن زكريا الرازى. وكان تلميذا لسهل بن عبد الله التسترى. وقال عنه الشبلى: أنا والحلاج شيء واحد خلصنى جنونى وأهلكه عقله. ترك آثاراً كثيرا أهمها الطواسين. وديوان شعر كبير، قتل سنة ٣٠٩هـ. ببغداد. انظر كشف المحجوب. ص ١٧٨.

(٣) سبقت الإشارة إليه.

(٤) فى (ط) : (قال الشيخ المص رح). أى المصنف رحمه الله.

حال النبى (ﷺ) أخرج عن كون الدنيا [1] بالبراق وجبريل. وأخرج عن كون الآخرة بالرفرف وجذبة ادن منى. وأخرج عن كون أنانيته بتجلى كينونية ربه. فلهذا انفرد[2] بالعبدية مطلقا وتوحد بالحرية مطلقا. فكان عبدا لا يعبد إلاّ ربه وكان حراً لا يتعبد إلاّ لربه.

(١) سقطت من (ط).

(٢) فى (ط) : (تفرد).

ومنها **الفتوة**

قال الله تعالى :

﴿ **إنهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى وربطنا على قلوبهم**﴾ [1].

وقال رسول الله (ﷺ) :

« الله فى عون العبد ما دام العبد فى عون أخيه المسلم »[2].

اعلم أن الفتوة اسم جامع لمعان جميلة، وخصال حميدة، وأخلاق كريمة روحانية ومواهب سنية[3] أولها الإيمان التحقيقى لا التقليدى كما كان لأصحاب الكهف ﴿ **إنهم فتية آمنوا بربهم** ﴾ بلا واسطة تقليد بل بنظر تحقيق وكما كان لإبراهيم عليه الصلاة والسلام.

إذ قال إبراهيم ﴿ **إنى ذاهب إلى ربى سيهدين** ﴾[4] ثم زيادة الهداية على الهداية. إنه كما قال: ﴿ **وزدناهم هدى** ﴾[5]. (ولاريب أن الإيمان لا يكون إلا بالهداية فآمنوا بالهداية فزدناهم هدى)[6]. فهو هداية على الهداية.

وقوله: ﴿ **إنى ذاهب إلى ربى** ﴾ أيضا من الهداية.

---

(١) آية رقم (١٣) من سورة (الكهف) مكية.

(٢) حديث : الله فى عون العبد .. ينظر فى فهرس الأحاديث النبوية نهاية الكتاب.

(٣) فى (ز) : (سنية ربانية).

(٤) آية رقم ٩٩ من سورة (الصافات) مكية.

(٥) استكمال آية ١٣ من سورة (الكهف) مكية.

(٦) ما بين القوسين سقط من (ط)، (ز).

وقوله : ﴿ **سيهدين**﴾ طلب الهداية على الهداية.

كقوله تعالى:

﴿ **والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا** ﴾ [1].

فتوفيق[2] المجاهدة فى الله من الهداية. ثم قوله: ﴿ **لنهدينهم سبلنا** ﴾ الهداية على الهداية. ثم الربط على القلب. وهو بمنزلة السكينة قال تعالى : ﴿ **وربطنا على قلوبهم** ﴾ أى أنزلنا السكينة فى قلوبهم وربطنا على قلوبهم ألاّ يلتفتوا [3] إلى غير الله تعالى، وهذا من المواهب السنية ثم العفة والتقى وبذل الندا ومنع الأذى والتحول[4] عن الإخوان والصفح عن عثراتهم، والتعامى عن عيوبهم ورؤية فضلهم وأداء حقوقهم وأماناتهم والسعى فى تعاونهم وتناصرهم وترافقهم والاجتناب عن مخاصمتهم ومخالفتهم.

ومن الفتوة الإثيار، والرفد مع الوفد. والإنصاف وترك الانتصاف، والوفاء بالعهود والاحتراز عن الغدر، والعفو عند المقدرة، ونصرة المظلوم، ورد المظالم، والاستحلال عن الغيبة والبهتان، والمجانبة عن صحبة الأحداث والنسوان.

---

(١) آية رقم ٦٩ من سورة (العنكبوت) مكية.

(٢) فى (ت) : (التوفيق) وفى (ز) : (لتوفيق).

(٣) فى سائر النسخ: (أن يلتفوا).

(٤) فى (ز) : (والتحمل).

ومنها **المحبة**

قال الله تعالى:

﴿ **فسوف يأتى الله بقوم يحبهم ويحبونه** ﴾[1] الآية.

وقال رسول الله (ﷺ):

« من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه» [2].

وقال:

« إذا أحب الله العبد قال لجبريل: قد أحببت فلانا فأحبه. فيحبه جبريل، عليه السلام. ثم ينادى فى أهل السماء إن الله قد أحب فلانا فأحبوه فيحبه أهل السماء. ثم يوضع له القبول فى الأرض. وإذا أبغض العبد (قال مالك لا أحسبه إلاَّ قال فى البغض مثل ذلك). وفى (رواية نافع عن أبى هريرة عن النبى (ﷺ) فى الحب قال:

وإذا أبغض عبدا دعا جبريل فيقول إنى أبغض فلانا فأبغضه قال فيبغضه جبريل ثم ينادى فى أهل السماء: إن الله يبغض فلانا فأبغضوه قال: فيبغضونه. ثم يوضع له البغضاء فى الأرض)»[3].

وقال رجل :

يا رسول الله، متى الساعة؟

---

(١) آية رقم ٥٤ من سورة (المائدة) مدنية.

(٢) الحديث : سبقت الإشارة إليه.

(٣) الحديث سبقت الإشارة إليه.

قال: وما أعددت لها؟

فلم يذكر كثيرا إلاّ أنه يحب الله ورسوله.

قال: فأنت مع من أحببت[1].

وعن النبى (ﷺ) عن جبريل عن ربه عز وجل فى حديث طويل قال:

« ولا يزال عبدى يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه ومن أحببته كنت له سمعا وبصرا ».[2] الحديث.

اعلم أن المحبة صفة من صفات الله تعالى كما أن الجمال صفة من صفاته. قال (ﷺ):

« إن الله جميل يحب الجمال »[3].

فكان فى الأزل محبا لجماله.

ولما كان من خصوصية الجمال العزة والجلال، ومن خصوصية المحبة الذلة، والافتقار. فى اجتماعهما تعسر وانكسار فاقتضت الحكمة الأزلية أن يجعل خليفة مستنيبا أمينا لحمل أمانة صفتيه: الجمال، والمحبة..

وهو محمد الأمين. ليكون بخلافته ونيابته محبا لجماله وجميلا لمحبته. فإن كل محبة من محبة الله. كما أن كل جميل من جمال الله فيحب الله لمحبته ويحبه الله لجماله.

ولهذا سمى حبيب الله. فهو خليفة الله تشرفا وتكرما به ليحب جماله بمحبته خلافة عنه. ويحمل لجماله خلافة عنه ليحبه الله، والله خليفته إنعاما وإكراما.

---

(١) حديث : قال رجل يا رسول الله متى الساعة. قال وما أعددت لها قال أحب الله ورسوله. قال أنت مع من أحببت، ينظر فى فهرس الأحاديث النبوية نهاية الكتاب.

(٥) الحديث : سبقت الإشارة إليه.

(٦) الحديث : سبقت الإشارة إليه.

ليكون قلبه الذى به يحبه، وبصره الذى يبصر جماله كما لو فرضنا مرآة مصفاة ينظر فيها صاحب جمال فينعكس فيها صورة الناظر وصفاته. فالصورة التى فى المرآة تكون خليفة للناظر والناظر يكون خليفة للصورة. التى فى المرآة وكل واحد منهما يحب جمال نفسه وجمال صاحبه بالأصالة والخلافة عنه. فالناظر يحب جمال نفسه وجمال منظوره بمحبته التى هى صفته بالأصالة ويحب جمال نفسه وجمال منظوره بالمحبة التى هى صفة المنظور خلافة عنه. والمنظور يحب جمال نفسه وجمال ناظره بمحبته التى هى صفته بالأصالة. ويحب جمال نفسه وجمال ناظره بالمحبة التى هى صفة ناظره خلافة عنه فوجدت الناظر والمنظور فى الصورة اثنين وفى الحقيقة واحدا. فالمحب والمحبوب على التحقيق واحد.

كما قيل:

* أنا من أهوى ومن أهوى أنا *

وهذا تحقيق قوله: « إن الله تعالى خلق آدم فتجلى فيه » (١). فلما رأى النبى (ﷺ) فى مرآة وجوده المصقولة عن طبع الطبع بمصقل لا إله إلاّ الله تجلى ذات الربوبية وصفاته. فقال:

« أنا من الله أى من عكس ذاته وصفاته ».

وقال: « من عرف نفسه فقد عرف ربه». أى من عرف نفسه بالمرآتية. عرف ربه بأنه المتجلى فيه. ولما كانت من خصوصية المحبة الذلة والافتقار جعلت فى طريق الخليفة استقلالا واستحقاقا (٢) ليفتخر الخليفة بالافتقار. ويقول: الفقر فخرى(٣).

---

(١) الحديث : سبقت الإشارة إليه.

(٢) (وبقيت العزة والجلال التى من خصوصية الجمال فى طرف المستخل استقلالا واستحقاقا) سقط من (ت).

(٣) الحديث : سبقت الإشارة إليه.

ويتعزز المستخلف بعزته وجلاله فيقول: وعزتى وجلالى وارتفاع مكانى. فيكون المكونات تبعا لهذا الخليفة كما قال تعالى لحبيبه: لولاك لما خلقت الكون، ويكون آدم ومن دونه تحت لوائه. فمن وجد سعادة الخلافة فى حمل الجمال والمحبة بقوله: ﴿**يحبهم ويحبونه**﴾ إنما وجد بتبعيته. فأما المحبة فإنها من لوازم وجود الإنسان لأنه جبلت القلوب على حب من أحسن إليها.

وأما الجمال الذى هو محبوب الحق تعالى. فإنه يحصل بمتابعته لقوله تعالى: ﴿ **قل إن كنتم تحبون الله** ﴾ [١] أى تحبونه بمحبة جبلية ﴿ **فاتبعونى** ﴾ بالتبتل إلى الله. وعدم الالتفات إلى ما سواه. ليتحلى الله فى مرآة قلوبكم فتعطون جمالا ﴿ **يحببكم الله** ﴾ [٢]. وإنما كانت العزة والجلال من خصوصية المستخلف لأنه غنى عن العالمين. وإنما كانت الذلة والافتقار من خصوصية الخليفة. لأن العالمين مفتقرون إليه كما قال تعالى:

﴿ **والله الغنى وأنتم الفقراء** ﴾.[٣] فكانت محبة الخليفة ذلة وافتقار ومحبة المستخلف عزة وجلالا.

قال تعالى: ﴿ **من كان يريد العزة فلله العزة جميعا** ﴾ [٤]. أى من كان يريد العزة بغير الله ودينه فلا يجدها فإن العزة لله جميعا. ومن يريد الاعتزاز بالله ودينه فلله العزة ولرسوله وللمؤمنين بمطاوعة الله ومتابعة رسوله وموافقة المؤمنين يجدها. فمن طلب العزة من الله أعزه الله. ومن طلب من غير الله أذله الله. ولهذا قال: « الكبرياء ردائى، والعظمة إزارى. فمن نازعنى فيها ألقيته فى النار» [٥].

---

(١) آية رقم ٣١ من سورة (آل عمران) مدنية.

(٢) استكمال الآية السابقة مباشرة.

(٣) آية رقم ٣٨ من سورة (محمد) مدنية.

(٤) آية رقم ١٠ من سورة (فاطر) مكية.

(٥) الحديث : سبقت الإشارة إليه.

ثم اعلم أن المحبة على ثلاثة أقسام:

محبة إنسانية. ومحبة إيمانية. ومحبة ربانية.

* فأما المحبة الإنسانية فما هو مركوز فى الجبلة الإنسانية وهو على نوعين: محبة روحانية، ومحبة نفسانية.

فالمحبوبات التى هى من نتائج المحبة الروحانية التأله والعلوم العقلية، وأفعال الخير والأخلاق الحسنة كما يكون للرهابين والبراهمة والفلاسفة وغيرهم يشترك فيها المؤمن والكافر. وكذلك محبوبات المحبة النفسانية وهى ما قال تعالى:

﴿ زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا﴾[1].

* وأما المحبة الإيمانية: فهى من نتائج نور الإيمان. فمن ازداد من نور الإيمان ازدادت محبته. وقد أخبر الله تعالى عن المحبة الإنسانية والإيمانية بقوله:

﴿ ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حبا لله ﴾ [٢].

وعلامة هذه المحبة استيلاء محبة الموافقة على القلوب وانزعاج محبة المخالفة عنها واستطابة روح المؤانسة [٣] **﴿ أولئك يسارعون فى الخيرات وهم لها سابقون﴾**[٤]. قد اشتعلت قلوبهم بلزوم دوام ذكر المحبوب عن اللذات، واشتعلت نار المحبة على دواعى الشهوات فانحسمت مواد المخالفات وانقطعت هواجس التبعات كما قيل:

---

(١) آية رقم ١٤ من سورة (آل عمران) مدنية.

(٢) آية رقم ١٦٥ من سورة (البقرة) مدنية.

(٣) فى (ز) : (الأوانسة).

(٤) آية رقم ٦١ من سورة (المؤمنون) مكية.

تعصى الإله وأنت تظهر حبه * هذا محال فى القياس بديع
لو كنت تصدق حبه لأطعته * إن المحب لمن أحب مطيع
فى كل يوم يبتديك بنعمة * منه وأنت لشكر ذاك مضيع

وقال بعضهم: سمعت رجلا بالساحل فى جوف الليل، وهو يبكى ويقول بصوت حزين:

قرة عينى وسرور قلبى، ما الذى أسقطنى من عينك فطوبى لقلوب ملأتها من خشيتك، واستولت عليها محبتك فخشيتك مانعة لها من ولوج كل مقصد خوفا. لحلول سخطك ومحبتك قاطعة لها عن سبيل كل شهوة غير ذكرك.

* وأما المحبة الربانية: فهى التى صفة الله تعالى المنعكسة فى مرآة قلوب المحبوبين المحبين. عند قوله تعالى ﴿ **يحبهم ويحبونه**﴾ وعلامة المحبة فى الظاهر متابعة الرسول (ﷺ) فى ملازمة الفرائض ومداومة النوافـل. كما قال[1] (ﷺ) يقول الله عز وجل :

« لن يتقرب إلىّ المتقربون بمثل ما افترضت عليهم ولا يزال العبد يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه...» [2] الحديث.

وعلامتها فى الباطن أن لا يؤثر على الله غير الله، ولا يكون متولى أمره إلا الله. والله غالب على أمره. والتفاوت بين القوم فى المحبة على قدر العناية من الله تعالى، وكثرة الرعاية من العبد، وتعاهد المعرفة، وتصفية اليقين والصدق فى الطلب. وعلامة تلك المسارعة والمبادرة والحث[3] على السير، وحسن الالتجاء إلى الله تعالى فى كل حال.

---

(١) فى (ط) : (كما قال النبى صلعم).

(٢) الحديث : سبقت الإشارة إليه.

(٣) فى (ط) : (والحس).

قال « أحمد بن الحوارى»[1] :

حججت أنا و«أبو سليمان الدارانى»[2] فبينا نحن نسير إذ سقطت السطيحة منى فقلت «لأبي سليمان» : فقدت السطيحة وبقينا بلا ماء وكان برد شديد.

فقال أبو سليمان : يا راد الضالة، وهادى من الضلالة اردد علينا الضالة.

فإذا واحد ينادى من ذهب[3] له سطيحة.

قال[4] : فقلت أنا. فأخذتها فبينا نحن[5] نسير وقد تدرعنا بالفراء لشدة البرد فإذا نحن بإنسان عليه إطمار وهو يترشح عرقا.

فقال أبو سليمان : تعال ندفع إليك مما علينا من الثياب.

فقال : يا أبا سليمان. أتشير إلى الزهد وتجد البرد أنا أسيح فى هذه البرية منذ ثلاثين سنة ما انتفضت ولا ارتعدت. يلبسنى فى البرد فيحا من محبته ويلبسنى فى الصيف مذاق برد محبته. ومرّ.

وقال «الحسن».[6] صاحب «الفضيل بن عياض» [7] : دخلت على فضيل وهو يبكى.

قلت ما يبكيك يا أبا علىّ ؟.

---

(١) فى (ط) : (قال أحمد بن أبى بكر بن الحوارى) سبقت الإشارة إليه.

(٢) أبو سليمان الدارانى سبقت الإشارة إليه.

(٣) فى (ط) : (ذهبت).

(٤) سقطت من (ط).

(٥) سقطت من (ط).

(٦) (الحسن). سبقت الإشارة إليه.

(٧) سبقت الإشارة إليه.

قال : ويحك يا حسن إنه إذا جن الليل وهدأت العيون واختلط الظلام. افترش أهل المحبة لله أقدامهم[1] وقد أشرف الجليل سبحانه وتعالى عليهم فنادى: بعينى من تلذذ بكلامي، واستراح إليّ. فإني مطلع عليهم فى خلواتهم. أسمع بكاءهم، وأرى أنينهم فلم لا تنادى فيهم يا جبريل. ما هذا البكاء الذى أسمعه منكم؟. هل أخبركم أحد أن حبيبا يعذب أحباءه [2]؟ وهل يجمل بى أن أعذب أقواما وعند البيات أحدهم يطلب مرضاتي. فبى حلفت إنهم إذا وردوا عليّ يوم القيامة جعلت هديتى[3] لهم أن أكشف لهم عن وجهى حتى ينظروا إليّ وأنظر إليهم..

كما سمعت بعض الحكماء يوصى رجلا يقول له فيما يقول:

وكن لربك ذا حب لتخدمه * إن المحبين للرحمن خدام

وإن من دأب المحبين وهجيرهم كثرة الذكر لمحبوبهم على طريق الدوام، والاستقامة بالأقوال، والأعمال، والأحوال كما مر ذكره. ولا ينقطعون، ولا يملون، ولا يفترون[4]. وكيف يفترون وبذكره يتروحون؟

وقد أجمع الحكماء أن من أحب شيئا أكثر ذكره فذكر الله هو الغالب على قلوب المحبين لله عز وجل لا يريدون به بدلا ولا يبغون عنه حولا، ولو قطعوا عن ذكر سيدهم لفسد العيش عليهم، وتشتتوا فى أمورهم، ولتنغصوا فى أحوالهم. وذكر الله هو المستولى على همومهم وعقولهم كما قال «فتح الموصلى»[5] رحمة الله عليه :

---

(١) (وجرت دموعهم على خدودهم وتسمع لدموعهم وقعا على أقدامهم) سقط من (ت).
(٢) فى (ط)، (ز) : (أحبابه).
(٣) فى (ز) : (حديثى).
(٤) فى (ز) : (ولا يفرون).
(٥) (فتح الموصلى): هو (أبو محمد الفتح بن سعيد الموصلى) وهو من أقران بشر بن الحارث الحافى والسرى السقطى. كان كبير الشأن فى باب الورع والمعاملات ومن أقواله: من أدام ذكر الله بقلبه أورثه ذلك الفرح بالمحبوب ومن آثره على هواه أورثه ذلك حبه إياه. ومن اشتاق إلى الله زهد فيما سواه.
انظر الطبقات ص ٦٨.

«إيثار محبة الله تعالى على محبة نفسك من علامة حبك لله عز وجل. فالمحب لله سبحانه لا يجد مع الحب لله لشيء[1] لذة، ولا يغفل عن ذكر الله تعالى».

وقال «فرقد السنجي»[2] في بعض الكتب:

« أن ينال[3] المحبون لله تعالى من طول اجتهادهم يحبونه ويحبون ذكره، ويحببونه إلى خلقه: يمشون بين عباده بالنصائح، ويخافون عليهم يوم تبدو الفضائح. أولئك أولياء الله وأحباؤه، وأهل صفوته، وأولئك لا راحة لهم دون لقائه».

وقال بعض الحكماء:

«ما تلذذ المتلذذون بشيء ألذ من حب الله عز وجل، ومحبة ذكره ».

ويروى عن «أبي نوح» قال:

« سمعت رجلا من العباد يقول:

ـ إذا سأم الطالبون من طلبهم فلن يسأم محبوك من ذكرك ومناجاتك ».

وكانت «رابعة»[4] تقول إذا جنها الليل:

« قد جاء الليل واختلط الظلام، وخلا كل حبيب بحبيبه، وخلوت بك يا محبوب ».

---

(١) في (ز) : (شيء).

(٢) (فرقد السنجي): كوفي تولى البصرة وكان يقول: رأيت في المنام مناديا ينادي يا أشباه اليهود كونوا على حياء من الله عز وجل، فإنكم لم تشكروا إذا أعطاكم، ولم تصبروا حين ابتلاكم. عده الشعراني من الأوائل في طبقاته مع جماعة السلف التابعين.

(٣) في (ز) : (ينام).

(٤) سبقت الإشارة إليها.

وقال «سمنون» (١):

« ذهب المحبون لله بشرف الدنيا والآخرة. لأن النبى (ﷺ) قال: « المرء مع من أحب» .

فهم مع الله تعالى.

قلت: وهذا حال المحبين لله. فكيف حال من أحبه الله، فحاله أن يغنى كينونته فى كينونة الله.

كما قال تعالى : « فإذا أحببته كنت له سمعا وبصرا ولسانا، فبى يسمع، وبى يبصر، وبى ينطق، وبى يبطش» . الحديث(٢) .

وقال « يحيى بن معاذ الرازى»(٣) : حقيقة المحبة ما لا ينقص بالجفاء، ولا يزيد بالبر» .(٤)

قلت(٥): وقوله : « حقيقة المحبة ما لا ينقص بالجفاء فَمُسَلَّم؛ لأنه كلما (٦) جاء من المحبوب محبوب.

ولكن قوله :

ولا يزيد بالبر فغير مُسَلَّم؛ لأنه كما ليس لجمال المحبوب نهاية. ينبغى أن لا يكون لمحبة المحب نهاية. وذلك لأن المحبة على قدر المعرفة.

---

(١) سمنون : هو (أبو الحسن سمنون بن حمزة الخواص) سموه سمنون الصوفية مات بعد أبى القاسم الجنيد. وشى به غلام خليل أحمد بن غالب إلى الخليفة، وصادف أن أحبت امرأة سمنون على ما به فأصغى إلى كلامها الخليفة فأراد نطقه فلما أراد أن ينطق بالحكم وقف لسانه وهى قصة شهيرة. انظر كشف المحجوب ص ١٦٤ ، والطبقات ص ٧٦.

(٢) سبقت الإشارة للحديث.

(٣) سبقت الإشارة إليه.

(٤) هذا الجزء سقط من (ت).

(٤) سقطت من (ت) وفى (ط) : (قال الشيخ المص رح).

(٦) فى (ز)، (ط) : (كل ما) وهو الأصوب.

فكلما ازدادت المعرفة ازدادت المحبة. ولا نهاية للمعرفة فلا يكون نهاية للمحبة. والمعرفة برٌ من الله تزيد به المحبة.[١]

وقال « الجنيد» [٢]:

دفع لى « السرّى»[٣] رقعة وقال : هذه لك خير من سبعمائة قصة أو حديث. تعلو[٤]. فإذا فيها:

فلما [٥] ادعيت الحب قالت [٦] كذبتنى * فما لى أرى الأعضاء منك كواسيا

فما الحب حتى يلصق القلب بالحشا * وتذبل[٧] حتى لا تجيب المناديا

وتنحل حتى لا يبقى لك الهوى * سوى مقلة تبكى بها وتناجيا [٨]

وأنشد ابن عطاء [٩]:

غرست لأجل الحب غصنا من الهوى * ولم يك يدرى ما الهوى أحد قبلى

فأورق أغصانا وأتبع صبوة * وأعقب لى مرًّا من الثمر المحلى

فكل جميع العاشقين هواهم * إذا نسبوه كن من ذلك الأصل

---

(١) فى (ز) : (زيدته).
(٢) سبقت الإشارة إليه.
(٣) سبقت الإشارة إليه.
(٤) فى (ط) : (بعلو).
(٥) فى (ز) : (قد).
(٦) فى (ط) : (قلت).
(٧) فى (ت) : (ويهديك).
(٨) فى (ز) : (وتخد).
(٩) (ابن عطاء) : سبقت الإشارة إليه.

وقيل:

أوحى الله تعالى إلى عيسى عليه السلام أنى إذا اطلعت على قلب عبد فلم أجد فيه حب الدنيا والآخرة ملأته من حبى.

وقال «أبو بكر الكتانى» [1]:

جرت مسألة فى المحبة بمكة أيام الموسم. فتكلم الشيوخ فيها، وكان « الجنيد» أصغرهم سنا. فقالوا هات ما عندك يا عراقى. فأطرق رأسه، ودمعت عيناه: «عبد ذاهب عن نفسه متصل بذكر ربه قائم بأداء حقوقه ناظر إليه بقلبه. أحرق قلبه أنوار هويته. وصفا شربه من كأس وده. وانكشف له الجبار من أستار غيبه. فإن تكلم فبالله. وإن نطق فمن الله، وإن تحرك فبأمر الله، وإن سكن فمع الله. فهو بالله ولله ومع الله».

فبكى الشيوخ وقالوا:

ـ ما على هذا مزيد. جبرك الله يا تاج العارفين.

وقيل فى بعض الكتب المنزلة:

« عبدى أنا وحقك لك محب فبحقى عليك كن لى محبا».

وكان رسول الله (ﷺ) يدعو:

« اللهم اجعل حبك أحب إلىّ من نفسى، وسمعى، وبصرى وأهلى، ومالى، ومن الماء البارد » [2].

---

(١) أبو بكر الكتانى:

(أبو بكر محمد بن على الكتانى) بغدادى الأصل صحب الجنيد والخراز والنورى. وجاور مكة إلى أن مات سنة ٣٢٢هـ. وقال الشهوة زمام الشيطان من أخذ بزمامه كان عبده. انظر الرسالة القشيرية ص ٢٩.

(٢) حديث : دعاء اللهم اجعل حبك أحب إلىّ من نفسى وسمعى وبصرى وأهلى ومالى ومن الماء البارد، ينظر فى فهرس الأحاديث النبوية نهاية الكتاب.

فأراد النبى (ﷺ) أن يكون حب الله تعالى[1] أغلب فى الطبع أيضا، والجبلة من حب الماء البارد. وهذا الحب يشتمل على الذات والصفات من المحب المحبوب.

وهذا كما قال بعضهم لبعض :

كلّـى بكلك مشغول. فقال: كلّى لكلك مبذول.

وقد كتب إلىّ فى أثناء السلوك بعض أجلة المشايخ:

اعلم يا أخى أنه بقدر ما تكون له يكون لك. وقد كنت فى الخلوة «بخوارزم» فوقع هذا الكلام على قلبى وأثر فىّ أثرا عظيما.

فقلت فى نفسى: أكون له بكليتى حتى يكون لى بكليته، وعزمت أن لا أخرج من الخلوة سنين كثيرة أو بقية عمرى. فقعدت بقدر ثلاث سنين أقل أو أكثر. فأخرجنى منها شيخى قدس الله روحه بغير اختيارى، وألزمنى ملازمة خدمته واستفادة صحبته، إلى أن صار الأمر إلى ما صار » [٢].

---

(١) (غالبا على جميع أنواع المحبة له من محبة النفس، ومحبة النفس، ومحبة القلب، ومحبة الزوج، فيحب الله بنفسه، وقلبه، وروحه، وكليته حتى يكون حب الله) سقط من (ت).

(٢) فى (ز) : (واستقامة).

ومنها المراقبة[1]

قال الله تعالى:

﴿ وكان الله على كل شيء رقيبا ﴾[2] .

وقال رسول الله (ﷺ) فى جواب جبريل عليه السلام عن قوله : ما الإحسان؟ قال: « الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه؛ فإن لم تكن تراه فإنه يراك» [3] .

إشارة إلى حال المراقبة، لأن المراقبة علم العبد باطلاع الرب، سبحانه وتعالى، عليه واستدامته لهذا العلم مراقبة لربه عز وجل.

اعلم : أن المراقبة من أعلى مقامات الروح، ولا يتمكن أحد فى هذا المقام إلا بعد فراغه عن المحاسبة، وعبوره عن المقامات القلبية. ولكنها مستعملة فى جميع المقامات ولها فى كل مقام حظ من الخير.

فمراقبة الأبدان. بمحافظة أركان الشريعة.

ومراقبة النفوس. بملازمة آداب الطريقة وتهذيب الأخلاق.

ومراقبة القلوب. بمخالصة الأعمال ورعاية الأحوال عن التغير بالآمال.

ومراقبة الأسرار. عن إسبال الأستار بالنظر إلى الأغيار.

---

(١) وردت المراقبة فى الفصل الثانى من الباب التاسع كأحد مقامات القلب. وهى هنا أحد مقامات الروح.

(٢) آية رقم ٥٢ من سورة الأحزاب مدنية.

(٣) سبقت الإشارة إلى الحديث. انظر المراقبة فى الفصل الثانى من الباب التاسع.

ومراقبة الأرواح عن التدنس بصفات الأشباح متخلقا بأخلاق الملك الفتاح.

ومراقبة الله بخلو القلب، وصفاء السر، ولزوم الباب لمواهب رب الأرباب.

وحقيقة المراقبة:

إن يكون الله رقيبا للعبد على جميع حالاته. حافظا له ومعينا فى جميع مقاماته.

وقال بعضهم:

« من راقب الله في خواطره عصمه الله في جوارحه ».

وقال «الجنيد» :

«من تحقق المراقبة خاف على فوت حظه من ربه لا غير ».

وكان بعض المشايخ له تلامذة، وكان يخص واحداً منهم بإقباله عليه أكثر مما يقبل على غيره. فقالوا له فى ذلك. فقال: أبين لكم فدفع إلى كل واحد من تلامذته طيرا وقال له: اذبحه بحيث لا يراه أحد. ودفع إلى هذا الغلام أيضا فمضوا ورجع كل واحد منهم وقد ذبح طيره وجاء هذا بالطير حيا. فقال: هل لا ذبحته. قال: أمرتنى بحيث لا يراه أحد، ولم أر موضعا ألا يراه أحد. فقال: لهذا أخصه بإقبالي عليه.

وقال « ذو النون» :

«علامة الإيثار ما آثر الله تعالى. وتعظيم ما عظم الله تعالى. وتصغير ما صغر الله تعالى ».

قلت :

« من يراقب الله تعالى بعبوديته يراقبه الله بربوبيته ومن لم يراقبه الله بربوبيته لم يراقبه الله بعبوديته فمن يراقب الله بأعماله يراقبه بأحواله ».

ومنها **العبودية**

قال الله تعالى:

﴿ واعبد ربك حتى يأتيك اليقين ﴾ [1].

وقال رسول الله (ﷺ):

« سبعة يظلهم الله فى ظله يوم لا ظل إلاّ ظله: إمام عادل، وشاب نشأ فى عبادة الله، ورجل قلبه معلق بالمسجد إذا خرج منه حتى يعود إليه، ورجلان تحابا فى الله اجتمعا على ذلك وتفرقا عليه، ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه، ورجل دعته امرأة ذات حسب وجمال فقال: إنى أخاف الله تعالى، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه» [2].

اعلم أن العبودية من أكمل مقامات الروح. لأنه أول عبد عَـبدَ الله مخلصا حين لم يكن شيء مع الله يعبد الله أو يعبد له من دون الله.

فإنه أول من تعلقت القدرة به، وهو فى الحقيقة روح محمد (ﷺ). ولهذا خصه الله تعالى باسم العبدية مطلقا حيث قال تعالى: **﴿ سبحان الذى أسرى بعبده ليلا ﴾** [3].

وقال: **﴿ أرأيت الذى ينهى * عبدا إذا صلى ﴾** [4].

---

(١) آية رقم ٩٩ من سورة (الحجر) مكية.

(٢) حديث: سبعة يظلهم الله فى ظله... ينظر فى فهرس الأحاديث النبوية نهاية الكتاب.

(٣) آية رقم ١ من سورة (الإسراء) مكية.

(٤) آية رقم (٩، ١٠) من سورة (العلق) مكية.

ولأنه كانت العبودية مسلمة له إذ لم يكن تحت رق غير الله تعالى. فالعبودية بهذا الاعتبار هى الحرية عما سوى الله فلما خلق الله الروح خلقه عبداً لله حرا عما سوى الله ثم خلق الموجودات فتصرف الروح فيها بخلافة الحق تعالى. وتعلق ببعضها لمناسبة ما معه[1] فصار عبدا له.

قال رسول الله (ﷺ):

« تعس عبد الدرهم. تعس عبد الدينار. تعس عبد الخميصة» [٦].

ولما كان روح «عيسى» عليه السلام، فى بدء خلقه[٣] غير متعلق بشىء من الموجودات أخبر عن حاله فقال:

﴿ إنى عبد الله﴾.

وكما كان روح محمد (ﷺ) تتخلص عن رق الموجودات، وعرج به ليلة المعراج حتى عبر عن سدرة المنتهى. أخبر الله عنه فقال:

﴿ سبحان الذى أسرى بعبده ليلا﴾ [٤].

ففرق عظيم بين المقامين فى العبدية. بين من هو باق فيخبر عن نفسه، وبين من هو فان عن نفسه باق بربه. فيخبر عنه ربه بكل روح تجرد عن تعلق الكونين، وحرر عن رقها استأهل لمقام العبودية.

وقيل لها:

﴿فادخلى فى عبادى ﴾ [٥].

---

(١) فى (ز) : (سامعة).

(٢) سبقت الإشارة إلى الحديث.

(٣) فى (ت) : (فى كل وخلقته).

(٤) آية رقم ١ من سورة (الإسراء) مكية.

(٥) آية رقم ٢٩ من سورة (الفجر) مكية.

ثم يستحق بجذبات العناية ودخوله الجنة المضافة إلى الحضرة بقوله: ﴿ وادخلى جنتى ﴾ (١).

ولهذا الاستحقاق رد من جوار رب العالمين بالنفخ الخاص إلى أسفل سافلين القالب.

فافهم جدا

ثم اعلم...

أنك عبد من أنت فى قيده وأسره إن كنت فى أسر نفسك. فأنت عبد لنفسك. وإن كنت فى أسر(٢) آخرتك فأنت عبد آخرتك. وإن كنت فى أسر مولاك فأنت عبد مولاك».

وقال «سهل بن عبد الله» (٣):

« لا يصح التعبد لأحد حتى لا يجزع من أربعة أشياء: من الجوع، والعرى، والفقر، والذل ».

وقال «ذو النون» (٤):

«العبودية أن تكون عبده فى كل حال كما أنه ربك فى كل حال»(٥).

قلت: «العبودية أن تكون عبدا لربك حدا (فى كل حال)(٦) عن رق الأشياء ولا تكون ربا لشىء فإن العبد وما يملكه لمولاه».

---

(١) آية رقم ٣٠ من سورة (الفجر) مكية.

(٢) (دنياك فأنت عبد دنياك، وإن كنت فى أسر آخرتك) سقط من (ت).

(٣) سبقت الإشارة إليه

(٤) سبقت الإشارة رليه.

(٥) سقطت مقولة ذى النون من (ط).

(٦) ما بين القوسين سقط من (ز)، (ط).

ومنها **الفقـر**

قال الله تعالى:

﴿ **للفقراء الذين أحصروا فى سبيل الله لا يستطيعون ضربا فى الأرض**﴾ (١).

وقال رسول الله (ﷺ):

« الفقراءُ (٢) الصبَّر هم جلساء الله يوم القيامة» (٣).

وقال: « يدخل الفقراء الجنة قبل الأغنياء بخمسمائة عام نصف يوم » (٤).

اعلم أن الفقر من أشرف مقامات الروح، وذلك لأنه لما خلق كان أول مخلوق ولم يكن معه مخلوق آخر. فكان عبدا مملوكا لا يقدر على شيء وهو كَلٌّ على مولاه(٥).

فنهاية الفقر الرجوع إلى البداية. فالفقر على ثلاثة أوجه:

ـ فقر العوام: وهو بعدم المال كما ولدته أمه.

ـ وفقر الخواص: وهو بعدم الآمال والخروج من أحكام الصفات كما كان فى عالم الأرواح.

---

(١) آية رقم ٢٧٣ من سورة (البقرة) مدنية.

(٢) فى (ز) : (الفقر).

(٣) حديث : الفقراء الصبر هم جلساء الله... ينظر فى فهرس الأحاديث النبوية نهاية الكتاب.

(٤) حديث: يدخل الفقراء الجنة قبل الأغنياء ... ينظر فى فهرس الأحاديث النبوية نهاية الكتاب.

(٥) معنى ولفظ آية قرآنية نسجها المؤلف فى سياق حديثه وهى آية رقم ٧٦ من سورة (النحل) مكية ونصها ﴿ **وضرب الله مثلا رجلين أحدهما أبكم لا يقدر على شيء وهو كَلٌّ على مولاه أينما يوجهه لا يأت بخير هل يستوى هو ومن يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم**﴾.

ـ وفقر الأخص: وهو بعدم الوجود كما كان فى علم الله قبل إيجاده بالوجود ليكون عبدا مملوكا لا يقدر على شيء من الوجود وهو كَلٌّ على مولاه بجود الوجود، ونيل المقصود. وهذا هو الفقر الذى افتخر به النبى (ﷺ) بقوله : « الفقر فخرى» (1).

وهو فقر الفقراء الصبر عن أوصاف الوجود الذين هم جلساء الله يوم القيامة. وهو الفقر الذى أشار إليه من قال: الفقير لا يحتاج إلى الله لأنه فقير عن وجوده غنى بربه. فالغنى بالشيء لا يحتاج إلى ذلك الشيء. وهذا مقام النبى (ﷺ) بقوله:

﴿ **ووجدك عائلا فأغنى** ﴾ (2).

فكان (ﷺ) فقيرا عن وجوده غنيا بربه. ولم يكن غنيا عن ربه.

ومثال ذلك أن القمر يحتاج إلى نور الشمس وهو غنى بنورها عند محاذاتها، ولم يكن غنيا عن نورها. ولهذا قالت المشايخ:

«الاستغناء عن الشيء أتم من الاستغناء بالشيء».

وقول النبى (ﷺ):

« يدخل فقراء أمتى الجنة قبل أغنيائهم بخمسمائة سنة» (3). يدل على أن الفقير الصابر أفضل من الغنى الشاكر.

وكذلك قوله (ﷺ) لرجلين أحدهما فقير وعليه احلاء. والآخر غنى: هذا خير من ملء الأرض مثل هذا (4).

---

(1) سبقت الإشارة إلى حديث (الفقر فخرى).

(2) آية رقم ٨ من سورة (الضحى) مكية.

(3) سبقت الإشارة إلى الحديث.

(4) حديث لرجلين أحدهما فقير والآخر غنى وعليه احلاء والآخر غنى فقال: (هذا خير من ملء الأرض مثل هذا، ينظر فى فهرس الأحاديث النبوية نهاية الكتاب.

وقال:

« صاحب الدرهمين أشد حسابا من صاحب الدرهم» (١).

وقال «الحسن البصرى» :

«إن مما كتب الله تعالى لإبراهيم عليه السلام فى الصحف الأولى: إن أحب أحبابى إلىّ الفقراء الذين يبتغون مرضاتى وأمرى ويحفظون وصيتى. وإن من كرامتهم على أن لا أرزقهم ما يشتغلون به عن طاعتى ».

ويُروى فى حديث آخر يقول الله عز وجل :

« عبادى وأصفيائى: ما زويت (٢) عنكم الدنيا لهوانكم علىّ. ولكن أردت أن تتردد أصواتكم إلىّ وأسمع منكم النداء. فهذه دارى فانزلوها وهذه (٣) جوارى فتبحبحوا» (٤).

وقال رسول الله (ﷺ):

« رأس الدين ترك الدنيا والقربة من الله عز وجل وحب المساكين والدنو منهم» (٥).

وروى عن «أبى هريرة» رضى الله عنه . قال: قال رسول الله (ﷺ):

---

(١) حديث : صاحب الدرهمين أشد حسابا ... ينظر فى فهرس الأحاديث النبوية نهاية الكتاب.

(٢) فى (ط) : (ما زاويت).

(٣) فى (ط): (وهذا).

(٤) فى (ط) : (فتبحجوا) والحديث هو : حديث قدسى

(عبادى وأصفيائى ما زويت عنكم الدنيا لهوانكم علىّ ولكن أردت أن تتردد أصواتكم إلىّ وأسمع منكم النداء فهذه دارى فانزلوها وهذه جوارى فتبحبحوا).

(٥) حديث : رأس الدين ترك الدنيا والقرب من الله... ينظر فى فهرس الأحاديث النبوية نهاية الكتاب.

« يقول الله عز وجل يوم القيامة:

أين صفوتى من خلقى؟

فتقول الملائكة: من هم يا ربنا؟

فيقول: فقراء المسلمين القانعون [1] بطاعتى. الراضون [2] بقدرى أدخلوهم الجنة.

فيدخلون، فيأكلون ويشربون، والناس فى الحساب يترددون» [3].

ودخل رسول الله (ﷺ) على رجل فقير فلم ير له شيئا. فقال[4]:

« لو قسم نور هذا على أهل الأرض لوسعهم» [5].

وقال رسول الله (ﷺ):

« ألا أخبركم بملوك أهل الجنة.

قالوا : بلى يا رسول الله.

قال: كل ضعيف أغبر أشعث ذى طمرين. لو أقسم على الله لأبرّه» [6].

---

(١) فى سائر النسخ : (القانعين).

(٢) فى سائر النسخ : (الراضين).

(٣) حديث : يقول الله عز وجل يوم القيامة أين صفوتى من خلقى فتقول الملائكة من هم يا ربنا فيقول: فقراء المسلمين ... ينظر فى فهرس الأحاديث النبوية نهاية الكتاب.

(٤) فى (ز): (فقال لأصحابه).

(٥) حديث : لو قسم نور هذا على زهل الأرض لوسعهم.. ينظر فى فهرس الأحاديث النبوية نهاية الكتاب.

(٦) حديث : ألا أخبركم بملوك أهل الأرض قالوا بلى يا رسول الله.. ينظر فى فهرس الأحاديث النبوية نهاية الكتاب.

وقال رسول الله (ﷺ):

« الفقر على المؤمن أحسن من[1] العذار الجيد على حد الفرس» [2].

وقيل: « لو لم يكن للفقير فضيلة غير إرادته سعة للمسلمين ورُخص أسعارهم لكفاه ذلك. لأنه يحتاج إلى شرائها [3] والغنى سيحتاج إلى بيعها. هذا لعوام الفقراء فكيف لخواصهم. ولأخص خواصهم » .

وقيل:

« سئل «محمد بن عبد الله الفرغانى» عن الافتقار إلى الله أتم أم الاستغناء بالله؟.

فقال: إذا صح الافتقار إلى الله، صح الاستغناء بالله وإذا صح الاستغناء به[4]. كمل الغنى به. فلا يقال أيهما أتم. الافتقار أم الغنى.[5] لأنهما حالتان لا تتم إحداهما [6] إلا بالأخرى».

وقيل:

أوحى الله تعالى إلى «موسى» عليه السلام: إذا رأيت الفقراء فسائلهم كما تسائل الأغنياء. فإن لم تفعل فاجعل كل شيء عملته[7] تحت التراب.

---

(١) سقطت من (ط).

(٢) حديث: الفقر على المؤمن .. ينظر فى فهرس الأحاديث النبوية نهاية الكتاب.

(٣) فى (ط) : (شراها).

(٤) فى (ط) : (وإذ صح الاستغنا بالله كمل العناية).

(٥) فى (ز)، (ط) : (الغناء).

(٦) فى (ز)، (ط) : (إحديهما).

(٧) فى (ط)، (ز) : (علمته).

وروى عن «أبى الدرداء» أنه قال:

لأن أقع من فوق قصر فأتحطم أحب إلىّ من مجالسة الغنى.. لأنى سمعت رسول الله (ﷺ) يقول:

« إياكم ومجالسة الموتى.

قيل: ومن الموتى؟

قال: الأغنياء » [1].

قال «إبراهيم بن أدهم»:

«طلبنا الفقر فاستقبلنا الغنى[2]. وطلب الناس الغنى فاستقبلهم الفقر».

وقال «ابن الكرمنى»[3]: « إن الفقير الصادق يحترز [4] من الغنى [5] حذرا من[6] أن يدخل عليه فيفسد عليه فقره[7]، كما أن الغنى يحترز من الفقر حذراً أن يدخل فيفسد غناه عليه»[8].

وقيل: « أوحى الله تعالى إلى «موسى» عليه السلام: تريد أن يكون لك يوم القيامة مثل حسنات الخلق أجمع.

قال: نعم.

قال: عد المريض، وكن لثياب الفقراء فاليا.

---

(١) حديث: روى عن أبى الدرداء: إياكم ومجالسة الموتى قيل ومن الموتى قال: الأغنياء.. ينظر فى فهرس الأحاديث النبوية نهاية الكتاب.

(٢) فى (ط): (الغناء) وسبقت الإشارة إلى (إبراهيم بن أدهم).

(٣) فى (ط): (ابن الكربنى). ولعله يقصد (ابن الكرمانى) الذى سبقت الإشارة إليه.

(٤) فى (ط) (ليحتز).

(٥) فى (ت): (الفقر)، وفى (ز) (الغناء).

(٦) سقطت من (ت)، (ز).

(٧) حدث تداخل فى النسخة (ت) ما بين دخول الغنى والفقر فكتب هنا فيفسد غناه عليه.

(٨) سقط هذا السطر من (ت).

فحمل «موسى» عليه السلام على نفسه فى كل شهر سبعة أيام يطوف على الفقراء يفلى ثيابهم، ويعود المرضى»[1].

وقال «سهل بن عبد الله» [2]:

« خمسة أشياء من جوهر النفس:

فقير يظهر الغنى، وجائع يظهر الشبع، ومحزون يظهر الفرح، ورجل بينه وبين رجل عداوة فيظهر المحبة، ورجل يصوم النهار ويقوم الليل فلا يظهر ضعفا».

وقال «بشر الحافى» [3]:

« أفضل المقامات اعتقاد الصبر على الفقر إلى القبر» .

قلت[4]: وتصحيح هذا القول: إن الله تعالى أرانى فى بعض مكاشفاتى العالم بأسره، وفى طرف منه رسم .

فقال لى: ما ترى؟

قلت: العالم بأسره.

فقال: هل تدرى ما هذا الرسم؟

قلت: لا يا رب [5].

قال: هذا رأس سكة الفقر فاحفظه، ولازم عتبته. وها أنا أعالج نفسى فى لزوم هذه العتبة منذ خمسين سنة بفضل الله ومنّه.

---

(١) أوحى الله إلى موسى تريد أن يكون لك يوم القيامة مثل حسنات الخلق أجمع قال عد المريض وكن لثياب الفقراء فاليا .. ينظر فى فهرس الأحاديث النبوية نهاية الكتاب.

(٢) سبقت الإشارة إلى سهل.

(٣) سبقت الإشارة إليه.

(٤) فى (ز) : (قال الشيخ المصنف رضى الله عنه) وفى (ط) رحمه الله.

(٥) فى (ز) : (قلت : باب).

ومنها **التصوف** [1]

قال الله تعالى:

﴿ ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله ﴾ [2].

وعن أنس بن مالك:

قال لى[3] رسول الله (ﷺ):

« إن قدرت أن تصبح وتمسى وليس فى قلبك غش لأحد فافعل. ثم قال: يا بنى ذلك من سنتى ومن أحيا سنتى فقد أحيانى. ومن أحيانى كان معى فى الجنة» .[4]

وقال أنس: كان رسول الله (ﷺ) يجيب دعوة العبد ويركب الحمار ويلبس الصوف.

وذهب قوم إلى أنهم سموا صوفية نسبة لهم إلى ظاهر اللبسة. لأنهم اختاروا لبس الصوف لكونه أرفق، ولكونه لباس الأنبياء عليهم السلام.

روى عن رسول الله (ﷺ) أنه قال:

---

(١) فى (ط) : (الاصطفاء).

(٢) آية رقم ٣٢ من سورة (فاطر) مكية.

(٣) فى (ط) : قال لى رسول الله (ﷺ) يا بنى).. ينظر فى فهرس الأحاديث النبوية نهاية الكتاب.

(٤) حديث سبقت الإشارة إليه.

« مـرَّ بالصحرة من الروحاء سبعون نبيا حفاة عليهم العَـباء يؤمون البيت الحرام»[1].

وقيل :

إن «عيسى» عليه السلام، كان يلبس الصوف والشعر، ويأكل من الشجر ويبيت حيث أمسى.

وقال «الحسن البصرى» [2]:

« لقد أدركت سبعين بدريا كان لباسهم الصوف وكان اختيارهم لبس الصوف لتركهم زينة الدنيا» .

يقال : تصوف . إذا لبس الصوف. كما يقال تقمص إذا لبس القميص.

وقيل: سموا صوفية. لأنهم أهل الصف الأول فى عالم الأرواح.

قد روى أن الأرواح كانت فى أربعة صفوف:

الصف الأول: الأنبياء، وخواص الأولياء.

الصف الثانى : هم المؤمنون.

والصف الثالث : هم المسلمون.

والصف الرابع: هم الكفار والمنافقون.

وقيل: لأنهم فى الصف الأول من[3] يدى الله تعالى بارتفاع هممهم وإقبالهم على الله بقلوبهم ووقوفهم بسرائرهم بين يديه.

---

(١) حديث : مر بالصحرة من الروحاء سبعون نبيا.. ينظر فى فهرس الأحاديث النبوية نهاية الكتاب.

(٢) (الحسن البصرى) سبقت الإشارة إليه.

(٣) فى (ز) : (بين).

وقيل: « كان هذا الاسم فى الأصل صفوى فاستثقل[1] ذلك وجعل صوفياً ».

وقيل: سموا صوفية نسبة إلى الصفة التى كانت لفقراء[2] المهاجرين على عهد رسول الله (ﷺ) الذين قال الله فيهم: ﴿ **للفقراء الذين أحصروا فى سبيل الله** ﴾[3]. هذا وإن كان لا يستقيم من حيث الاشتقاق اللغوى. ولكن صحيح من حيث المعنى. لأن الصوفية يخالط حالهم حال أولئك لكونهم مجتمعين متآلفين مصاحبين لله وفى الله كأصحاب الصفة، وكانوا نحواً من أربعمائة رجل لم يكن لهم مساكن بالمدينة، ولا عشائر. جعلوا أنفسهم فى المسجد كاجتماع الصوفية قديما وحديثا فى الزوايا والربط. وكانوا لا يرجعون إلى زرع، ولا إلى ضرع، ولا إلى تجارة. كانوا يحتطبون، ويرضحون النواء بالنهار وبالليل يشتغلون بالعبادة وتعلم القرآن وتلاوته. وكان رسول الله (ﷺ) يواسيهم ويحث الناس على مواساتهم ويجلس معهم ويأكل معهم. وفيهم نزل قوله تعالى: ﴿ **ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى** ﴾[4] ونزل فى «ابن أم مكتوم»[5]:

---

(١) فى (ز) : (فاستقلب).

(٢) فى (ز) : (للفقراء).

(٣) آية رقم ٢٧٣ من سورة (البقرة) مدنية.

وقد حدث تحريف لهذه الآية حيث أضاف الناسخ (للفقراء المهاجرين الذين أحصروا) وربما دخل هذا إلى معنى آية أخرى. وهى آية ٨ من سورة (الحشر): ﴿ **للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون** ﴾.

(٤) آية رقم ٥٢ من سورة (الأنعام) مكية.

(٥) (ابن أم مكتوم). هو (عبد الله ابن أم مكتوم) وهو ابن قيس من بنى عامر بن لؤى، وأمه : أم مكتوم واسمها عاتكة، قدم المدينة مهاجرا بعد (بدر) وقد ذهب بصره. وكان الرسول (ﷺ) يستخلفه على المدينة يصلى بالناس فى عامة غزواته. شهد القادسية ومعه راية سوداء وعليه درع ثم رجع إلى المدينة فمات بها. وقصته مع النبى (ﷺ) مشهورة وقد نزلت سورة (عبس) من أجله. (انظر المعارف ص ٢٩٠).

﴿ عبس وتولى * أن جاءه الأعمى ﴾ [1].

وكان من أهل الصفة.

وعن «ابن عباس» قال:

وقف رسول الله (ﷺ) يوما على أهل الصفة فرأى فقرهم، وجهادهم، وطيب قلوبهم فقال: « أبشروا يا أصحاب الصفة فمن بقى منكم على التعب الذى أنتم عليه اليوم ماضيا بما فيه فإنه من رفقائى يوم القيامة» [2].

ولم يكن هذا الاسم فى زمن رسول الله (ﷺ) أعنى الصوفى.

وقيل: كان فى زمن التابعين.

ونقل عن «الحسن البصرى» [3] أنه قال:

«رأيت صوفيا فى الطواف فأعطيته شيئا فلم يأخذه.

وقال: معى أربع دوانيق [4] يكفينى ما معى »

ويشيد هذا ما روى عن «سفيان»[5] أنه قال:

« لولا «أبو هاشم الصوفى» ما عرفت دقيق الرياء» .

---

(١) آية رقم (١، ٢) من سورة (عبس) مكية.

(٢) حديث : وقف الرسول يوما على أهل الصفة فقال أبشروا يا أصحاب الصفة .. ينظر فى فهرس الأحاديث النبوية نهاية الكتاب.

(٣) سبقت الإشارة إليه.

(٤) دوانيق : مفردها (دانق) .

(٥) فى (ط) سفين وهو (سفيان الثورى) وقد سبقت الإشارة إليه.

وقيل: لما آثروا الذبول، والخمول، والتواضع، والانكسار، والتخفى، والتوارى. كانوا كالخرقة المرماة والصوفة المرمية التى لا يرغب فيها ولا يلتفت إليها فقال: صوفى نسبة إلى الصوفة كما يقال كوفى نسبة إلى الكوفة.

وقيل: الصوفية قوم كانوا يخدمون الكعبة.

وقيل: سموا بذلك لأنهم تشبكوا بها تشبك الصوف بما ينبت عليه والصوفان نبت أرغب. فالصوفى منسوب إلى الصوفة لاشتغالهم بالعادة وتشبك بعضهم ببعض.

وقيل: الصوفى منسوب إلى الصوفان الذى [1] لاقتصادهم[2] فى الطعم على ما يجرى مجرى الصوفان [3] فى قلة العناء [4] فى الغذاء.

قلت[5]:

اعلم أن نسبة الصوفى بخصوصية الصفاء أولى من غيره وإن كان له وجه بعيد من حيث اللغة [6]، ولكنه وجه قريب من حيث المعنى. وذلك لأن الصفاء من أعز مقامات الروح. إذ هو أول من تعلق به أمر «كن». ولهذا قال تعالى، فى تعريفه لنبيه (ﷺ) ﴿ **قل الروح من أمر ربى** ﴾ [7] وهو نور روحانى صاف عن كدورات

---

(١) فى (ز) : (هو نبت).

(٢) فى (ز) : (واقتصارهم) زائدة.

(٣) (الصوفان) : فى لسان العرب قال ابن منظور إن أبا الهيثم قال: كبش صوفان ونعجة صوفانة. وقيل الصوفانة: بقْلَةٌ معروفة وهى زغباء قصيرة. انظر مادة (صَوَفَ) لسان العرب لابن منظور (طبعة دار المعارف).

(٤) فى (ز) : (الفناء).

(٥) فى (ط) : (قال الشيخ المصنف رح) وفى (ز) : (قال الشيخ المصنف رضى الله عنه).

(٦) فى (ت) : (الكعبة).

(٧) آية رقم ٨٥ من سورة الإسراء مكية.

تعلقات الكونين وكان مصافيا فى محبة الله وعبوديته، لأنه لم يكن معه مخلوق آخر ليحبه أو يتعلق به. فلما خلقت المخلوقات ورده الله تعالى إلى أسفل سافلين القالب تكدر صفوه بظلمات المخلوقات وتبدل أنسه بالوحشة، وقربه بالعبد. وتغيرت تلك المصافات بينه وبين ربه تعالى إلى أن أدركته العنايه، وهبت نفحات الألطاف الربوبية ودعته إلى إقامة العبودية متعرضا لتلك النفحات بجميع الحركات والسكنات، تاركا للشهوات[1]، معرضا عن محال الآفات، وسالكا فى المقامات، ملازما لتزكية النفس، مداوما على تصفية القلب، راغبا فى تحلية الروح، لا يزال يصفى الأوقات عن شوب الأكدار بتصفية القلب عن أقذار النفس وتحلية الروح بأوصاف الحق، فيزهق باطل الآفات، والموانع، والحجب. ويعود إلى تلك المصافات، فلما صافى العبد مع ربه برعاية العبودية صوفى عن كدر الوجود بعناية الربوبية. فهو فان عن أنانيته. باق بهويته. فصار الصوفى باسم[2] علمه. وهذا معنى قول «الجنيد» وقد سئل عن الصوفى فقال: « هو أن يميتك الحق عنك، ويحييك به » .

وكذلك معنى قول «الحصرى» [3]:

« الصوفى لا يوجد بعد عدمه، ولا يعدم بعد وجوده» يعنى الصوفى هو الفانى عن أنانيته المعدوم عن وجوده المجازى الباقى بهوية ربه الموجود بوجوده الحقيقى الذى لا يعدم» .

---

(١) فى (ز) : (تاركا فى الشهوات).

(٢) فى (ز) : (اسم).

(٣) (الحصرى) : هو أبو الحسن على بن إبراهيم الحصرى البصرى سكن بغداد، عجيب الحال واللسان شيخ وقته ينتمى إلى الشبلى مات ببغداد سنة إحدى وسبعين وثلاثمائة. كان يقول: «من ادعى فى شيء من الحقيقة كذبته شواهد كشف البراهين» انظر الرسالة القشيرية ص ٣٢ الحلبى ١٩٥٩.

وكذلك معنى قول «الشيخ أبى الحسن الخرقانى» [1] :

«الصوفى غير مخلوق يعنى قد فنى منه ما كان مخلوقا فهو الباقى ببقاء الله تعالى. الذى لا يعدم».

فنسبة الصوفى إلى معنى الصفاء بهذا الاعتبار أولى.

والله أعلم.

ثم اعلم أن التصوف مع كثرة الأقاويل فيه مبنىّ على ثلاثة أصول:

خروج، وعروج، وولوج.

فأما الخروج : فهو الخروج عن الدنيا، ومطالبات النفس عنها.

وأما العروج : فهو العروج إلى أعلى مراتب العقبى، وملاحظات القلب منها.

وأما الولوج : فهو الولوج فى التخلق بأخلاق الله والفناء فيها.

فالصوفى اسم جامع لمن أدى حق كل مقام وحظى عن كل حال سنى.

والله أعلم.

---

(١) الشيخ أبو الحسن الخرقانى:

إمام متفرد، شرف أهل الزمان. زاره الشيخ أبو سعيد بن أبى الخير وتذاكرا معا فى كل العلوم. فلما أراد أن يستأذن قال له (قد اصطفيتك لتكون خلفاً لى). وقال أبو القاسم القشيرى لما قدمت إلى خرقان فقدت ما كان عندى من فصاحة، ولم أقدر على التعبير من شدة احترامى لهذا المرشد حتى عددت نفسى محروما من الولاية.

(انظر كشف المحجوب).

ومنها **الأدب**

قال الله تعالى، عز وجل:

﴿ ما زاغ البصر وما طغى ﴾ [1].

قيل: حفظ آداب الحضرة.

وقال رسول الله (ﷺ):

« إن الله أدبنى فأحسن تأديبى » [2].

اعلم أن الأدب من أكرم مقامات الروح، وذلك لأن الروح لما كان أول من تعلقت به القدرة، وهو موصوف بالعقل والأدب. ومن أدبه أنه كان مؤتمرا بأوامر الحق، ومنتهيا عن نواهيه. فلما أمره بأن أقبل فأقبل. وأدبر فأدبر. واهبط فهبط. ولم يكن معه موجود آخر ليلتفت إليه فيسيىء [3] أدبه.

ثم اعلم أن الأدب على ثلاثة أوجه:

أدب الروح، وأدب القلب، وأدب النفس.

فأما أدب الروح: فهو مع الله بتوجهه إلى الحضرة، وتبتله عما سواه بعدم الالتفات إليه. كما كان حال النبى (ﷺ) ليلة المعراج **﴿ إذ يغشى السدرة ما**

---

(١) آية رقم ١٧ من سورة (النجم) مكية.

(٢) حديث : سبقت الإشارة إليه.

(٣) فى (ز) : (فقسى).

يغشى * ما زاغ البصر وما طغى ﴾ [1] بالالتفات إلى ما يغشى السدرة من أنواع الكرامات وأصناف التنعمات. تحفظاً لآداب الحضرة.

وأما أدب القلب:

مع النبى (ﷺ) والمشايخ. فبالتعظيم والتوقير، والتسليم لأوامرهم ونواهيهم وإيثارهم على النفس والأهل، والولد، والمال. إيمانا للنبى (ﷺ) وفرض عين. وإرادة للمشايخ، وقرة عين.

قال النبى (ﷺ):

« الشيخ فى قومه كالنبى فى أمته » [2].

أى بالاحترام، وامتثال الأوامر والنواهى.

وأما أدب النفس مع الإخوان والأهل والولد وسائر الخلائق فهو بالشفقة، والرحمة، والنصيحة.

وقال (ﷺ):

« ملاك الدين [3]: التعظيم لأمر الله، والشفقة على خلق الله» [4].

وقال:

« ارحموا من فى الأرض يرحمكم من فى السماء » [5].

---

(١) آيتان (١٦، ١٧) من سورة (النجم) مكية.

(٢) حديث : الشيخ فى قومه كالنبى فى أمته.. ينظر فى فهرس الأحاديث النبوية نهاية الكتاب.

(٣) فى (ت) : (ملاك الأرض).

(٤) حديث ملاك الدين التعظيم لأمر الله ... ينظر فى فهرس الأحاديث النبوية نهاية الكتاب .

(٥) سبقت الإشارة إليه.

وقال :

« إنما الدين النصيحة » [1].

وقال «أبو نصر السراج الطوسى »[2] :

« الناس فى الأدب على ثلاث [3] طبقات :

أما أهل الدنيا : فأكثر آدابهم فى الفصاحة، والبلاغة، وحفظ العلوم، وأسماء الملوك، وأشعار العرب.

وأما أهل الدين: فأكثر آدابهم فى رياضة النفوس، وتأديب الجوارح، وحفظ الحدود، وترك الشهوات.

وأما أهل الخصوصية : فأكثر آدابهم فى طهارة القلوب، ومراعاة الأسرار، والوفاء بالعهود، وحفظ الوقت، وقلة الالتفات إلى الخواطر، وحسن الأدب فى مواقف الطلب، وأوقات الحضور، ومقامات القرب.

وسئل «أبو حفص» [4] عن أدب الفقير فى الصحبة [5] فقال:

« حفظ حرمات المشايخ، وحسن العشرة مع الإخوان، والنصيحة للأصاغر[6]،

---

(١) سبقت الإشارة إليه.

(٢) (أبو نصر السراج الطوسى) هو صاحب كتاب «اللمع» المشهور فى التصوف.

(٣) فى (ز) : (ثلاثة).

(٤) (أبو حفص): هو : أبو حفص عمر بن مسلمة الحداد من قرية يقال لها (كورداباذ) على مدينة نيسابور على طريق بخارى، أحد الأئمة والسادة، مات سنة نيف وستين ومائتين. وكان يقول: (إذا رأيت المريد يحب السماع فاعلم أن فيه بقية من البطالة).
انظر ص ١٨ من كتاب الرسالة القشيرية طبعة ١٩٥٩.

(٥) فى (ز) : (عن أدب تقصير فى لصحبه).

(٦) سقطت من (ز).

وترك صحبة من ليس في طبقتهم. وملازمة الإيثار، ومجانبة الادخار، والمعاونة في أمر الدين والدنيا.

فمن أدبهم: التغافل عن زلل الأخوان، والنصح فيما تجب فيه النصيحة في الخلاء، وكتم عيب الأصحاب، واطلاعهم على عيوبهم في السر، والقيام بخدمتهم، واحتمال الأذى منهم. فبذلك يختبر الفقير حلمه، ويظهر جوهره.

ومن آداب القوم :

أن لا يرون لأنفسهم ملكا يختصون به.

قال «إبراهيم بن شيبان» (١) :

« كنا لا نصحب من يقول : نعلى » (٢).

وقال «أحمد القلانسي» :

« دخلت على قوم من الفقراء (٣) بالبصرة فأكرمونى وبجلونى. فقلت يوما لبعضهم: أين إزارى. فسقطت من عينهم» (٤).

وكان «إبراهيم بن أدهم» إذا صحبه إنسان شارطه على ثلاثة أشياء :

ـ أن تكون الخدمة والأذان له، وأن تكون يدهم في جميع ما يفتح الله عليهم من الدنيا كيده.

---

(١) (إبراهيم بن شيبان) : هو [أبو إسحاق إبراهيم بن شيبان القرمسيني] له من المقامات والورع والتقوى ما يعجز عنه كثير من الخلق. صحب أبا عبد الله المغربى، وإبراهيم الخواص وغيرهم. وقالوا إنه كان حجة الله على الفقراء. وأهل الأدب والمعاملات.

(انظر ما قاله فيه الشعرانى في طبقاته ص ٩٧ جـ١)

(٢) في (ط) : (فعلى).

(٣) (يوما) زائدة في (ز).

(٤) في (ط) : (فسقطت عن عينهم).

فقال رجل من أصحابه: أنا لا أقدر على ذلك. فقال : أعجبني صدقك.

وكان «إبراهيم بن أدهم» ينطر البساتين، ويعمل فى الحصاد، وينفق على أصحابه.

وكان من أخلاق السلف: كان من احتاج إلى شيء من مال أخيه استعمله من غير أمره[1].

قال الله تعالى ﴿ **وأمرهم شورى بينهم** ﴾ [2]. أى مشاع هم فيه سواء.

ومن الأدب :

تقديم من يعرفون فضله، والتوسعة له في المجلس والإيثار بالموضع.

روى أن رسول الله (ﷺ) كان جالسا فى صفة ضيقة فجاء قوم من البدريين[3] فلم يجدوا موضعا يجلسون فيه. فأقام رسول الله (ﷺ) من لم يكن من أهل بدر. فجلسوا مكانهم. فاشتد ذلك عليهم.

فأنزل الله تعالى:

﴿ **وإذا قيل انشزوا فانشزوا** ﴾ [4] الآية.

حُكِيَ أن «علىٍّ بن بندار الصوفى» [5] ورد على «أبى عبد الله بن

---

(١) فى (ز) : (من غيره وأمره).

وفى (ت) : (من غير مؤامرة).

(٢) آية رقم (٣٨) من سورة (الشورى) مكية.

(٣) فى (ز) : (فجاه من البدر).

(٤) آية رقم ١١ من سورة (المجادلة) مدنية.

(٥) (على بن بندار الصوفى) :

هو (أبو الحسن على بن بندار بن الحسين الصوفى. هو من أهل مشايخ نيسابور ومقدميهم. صحب الجنيد ببغداد وغيره. له فى علوم الحديث وعلم الحقائق. وغير ذلك.

انظر الطبقات للشعرانى ص ١٠٧ جـ١.

خفيف»[1] زائرا. فتماشيا. فقال أبو عبد الله: تقدم.

فقال: بأى عذر.

قال: بأنك لقيت «الجنيد»[2]، وما لقيته.

ومن الأدب: ترك التكلف مع الأخوان.

قيل: لما ورد «أبو حفص» العراق تكلف له «الجنيد» أنواع الأطعمة فأنكر ذلك «أبو حفص» وقال: صيّر أصحابى مثل المخانيث[3] يقدم لهم الألوان والفتوة عندنا ترك التكلف[4] يستوى مقامه وذهابه.

ومن الأدب: ستر عورات الإخوان.

قال «عيسى عليه السلام» لأصحابه: كيف تصنعون إذا رأيتم أخاكم نائما فكشفت الريح عنه ثوبه؟

قالوا[5]: نستره ونغطيه.

فقال: بل تكشفون عورته.

---

(١) (أبو عبد الله الخفيف): هو [أبو عبد الله محمد بن خفيف الضبى] أقام بشيراز وهو شيخ المشايخ وأوحدهم فى وقته له فى علوم الحقائق قدر كبير، وكذلك فى المقامات والأحوال. وتوفى سنة (٣٧١هـ). وكان يقول: التصوف تصفية القلوب ومفارقة الطبيعة. انظر الطبقات الكبرى للشعرانى جـ١ ص ١٠٣.

انظر كشف المحجوب ص ١٨٨.

(٢) سبقت الإشارة إليه.

(٣) فى (ت) : (للخابيث). وفى (ز) : (الأخانيث).. ويقصد هنا المخنثين.

(٤) (وإحضار ما حضر فإن التكلف يؤثر مفارقة الضيف وبترك التكلف) أضافه الناسخ على هامش (ت). وقد وجد فى (ط)، (ز).

(٥) فى (ط) : (قال: أنستره).

قالوا : سبحان الله من يفعل هذا؟

قال : أحدكم يسمع فى أخيه بالكلمة فيزيد عليها ويشيعها بأعظم منها.

ومن الأدب: الاستغفار للإخوان بظهر الغيب والاهتمام لهم من الله تعالى فى دفع المكاره عنهم.

حُكِيَ: أن أخوين: ابتُـلى[1] أحدهما بهوى. فأظهر عليه أخاه.

فقال: إنى ابتليت بهوى. فإن شئت ألا تقعد على محبتى لله فافعل.

فقال: ما كنت لأخل عقد إخائك لأجل خطيئتك، وعقد بينـه وبين اللـه عهـدا [2]. أن لا يأكل ولا يشرب حتى يعافيه الله تعالى من هواه. فطوى أربعين يوما. كلما يسأله عن هواه فيقول: ما زال.

فبعد الأربعين أخبره أن الهوى قد زال. فأكل وشرب.

وقال «ذو النون المصرى»[3]:

أدب العارف فوق كل أدب لأن معروفه مؤدب قلبه.

وقال بعضهم: يقول الحق سبحانه: من ألزمته القيام مع أسمائى وصفاتى ألزمته الأدب[4].

(ومن كشفت له عن حقيقة ذاتى ألزمته العطب)[5] فاختر أيهما شئت. الأدب أو العطب.

---

(١) فى (ط) : (ابتلا).

(٢) فى (ز) : (عقدا).

(٣) سبقت الإشارة إليه.

(٤) فى (ز) : (العطب).

(٥) سقط ما بين القوسين من (ز).

وقيل: مدّ «ابن عطاء»[1] يوما رجله بين أصحابه وقال: «ترك الأدب بين أهل الأدب أدب».

ويشهد بهذه الحكاية الخبر الذى روى عن النبى (ﷺ) كان عنده «أبو بكر» و«عمر» رضى الله عنهما، فدخل عثمان، رضى الله عنه، فغطى فخذه وقال:

« ألا أستحى من رجل تستحى منه الملائكة»[2]. نبّه (ﷺ) على أن حشمة «عثمان» رضى الله عنه، وإن عظمت عنده الحالة التى كانت بينه، وبين أبى بكر، وعمر رضى الله عنهما، كانت أصفى.

وفى قريب من معناه أنشد:

فىّ انقباض وحشمة فإذا * صادفت أهل الوفاء والكرم

أرسلت نفسى على سجيتها * وقلت ما قلت غير محتشم

وقال «الجنيد» :

إذا صحت المحبة سقطت[3] شروط الأدب.

فالأدب كل الأدب. أن العبد إذا قام بحقوق الله تعالى يرزقه[4] علما بمعرفة النفس، وعيوبها، ومحاسن الأخلاق، ومعرفة محاسن الآداب وتوقفه من آراء الحقوق على بصيرة، ويفقهه فى كل ذلك ولا يفوته شىء مما يحتاج إليه فيما يرجع إلى حقوق الحق، وفيما يرجع إلى حقوق الخلق.

فكل تقصير يوجد من خبث النفس، وعدم تزكيتها وبقاء صفاتها عليه. فإن صحبت[5] ظلمت بالإفراط تارة والتفريط أخرى.. وبعدت الواجب فيما يرجع إلى

---

(١) سبقت الإشارة إليه.

(٢) حديث : الا أستحى من رجل تستحى منه الملائكة، ينظر فى فهرس الأحاديث نهاية الكتاب.

(٣) فى (ز) : (سقط).

(٤) فى (ز) : (يرزقه الله علما).

(٥) فى (ز) : (صحبة).

الحق: والخلق، والحكايات، والمواعظ، والآداب وسماعها. لا يعمل فى النفس زيادة تأثير ويكون كثير تقلب فيه الماء من فوق فلا يمكث فيه. ولا ينتفع به، وإذا أخذت بالتقوى والزهد فى الدنيا نبع ماء الحياة، وتفقهت وعلمت وأدت الحقوق، وقامت بواجب الآداب، وواجب الصحبة[1] بتوفيق الله تعالى.

---

(١) فى (ز) : (الصحرية).

ومنها **الصحبة**

قال الله تبارك وتعالى:

﴿ **ثانى اثنين إذ هما فى الغار إذ يقول لصاحبه[1] لا تحزن إن الله معنا**﴾ [2].

وقال رسول الله (ﷺ):

« واشوقاه إلى لقاء إخوانى. قالوا: أولسنا بإخوانك؟ قال: بل أنتم أصحابى، وإنما إخوانى الذين لم يأتوا بعد ».

وقال: « الله[3] فى أصحابى الله الله فى أصحابى لا تتخذوهم غرضا بعدى فمن أحبهم فبحبى أحبهم، ومن أبغضهم فببغضى أبغضهم ومن أذاهم أذانى ومن آذانى فقد أذى الله ومن آذى الله[5] فيوشك أن يأخذه» [6].

اعلم أن الصحبة من أشرف مقامات الروح مع الله تعالى إذ لم يكن معه غير الله ليصحبه، وأنه قد خلق قبل الأجساد بألفى عام[7].

---

(١) فى (ز) : (لصاحبها).

(٢) آية رقم ٤٠ من سورة (التوبة) مدنية.

(٣) فى (ز) : (بعدهم).

والحديث : واشوقاه إلى لقاء إخوانى. قالوا أولسنا بإخوانك قال بل أنتم أصحابى وإنما إخوانى الذين لم يأتوا بعد، ينظر فى فهرس الأحاديث النبوية نهاية الكتاب.

(٤) فى (ط) : (أى اتقوا الله).

(٥) (ومن آذى الله) سقطت من (ت).

(٦) حديث : الله الله فى أصحابى لا تتخذوهم غرضا بعدى فمن أحبهم فبحبى ومن أبغضهم فببغضى...، ينظر فى فهرس الأحاديث النبوية نهاية الكتاب.

(٧) سبقت الإشارة إليه.

كما ورد به الخبر، وأنه قد صحب مع الله فى هذه المدة فأورثته الصحبة شرفا، ورتبة اختص به عن العالمين. كما أورثت صحبة النبى (ﷺ) الصحابة شرفا، ورتبة اختصوا بها عن العالمين.

قال رسول الله (ﷺ):

« لا تسبوا أصحابى، فوالذى نفسى بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أُحُدٍ ذهبا ما أدرك مد أحدهم، ولا نصيفه» [1].

ولهذا الشرف وجد الروح اختصاص رتبة اضافته إلى الحضرة بقوله : **﴿ من روحى﴾**.

اعلم أن كمالية كل شيء ونقصانه مودعة فى الصحبة مثاله كالنواة. كماليتها مودعة فى صحبة التراب، وتربيتها بالماء والهواء والشمس ، ودهقنة الدهقان، ونقصانها أيضا مودعة فى صحبة التراب عند اعوان الماء، أو أحد أسباب التربية. فكذلك كمالية الروح ونقصانه مودعة فى صحبة القالب. فإن وجد التربية بماء الإيمان ولواقح أعمال الشريعة، وطلوع شمس العناية ودهقنة النبى أو الشيخ تكاملت شجرة العبودية، وأثمرت ثمرات المعرفة والتوحيد.

كما قال تعالى:

﴿ تؤتى أكلها كل حين بإذن ربها ﴾ [2].

وإن عدم منه بعض أسباب التربية تناقض الروح والحس بصحبة القالب. نقصان النواة بصحبة التراب عند أعوان بعض أسباب التربية.

---

(١) حديث : لا تسبوا أصحابى فوالذى نفسى بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبا ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه، ينظر فى فهرس الأحاديث النبوية نهاية الكتاب.

(٢) آية رقم ٢٥ من سورة (إبراهيم) مكية.

كما قال تعالى:

﴿ والعصر * إن الإنسان لفى خسر * إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات...﴾[1].

فمن أعظم أسباب التربية صحبة شيخ كامل، واصل، صاحب الولاية، عالم بأركان الشريعة، واقف على آداب الطريقة، محق بدقائق الحقيقة، مكاشف لأسرار السلوك، محبب الله إلى عباده، ومحبب عباد الله إلى الله. داع إلى الله.

قال رسول الله (ﷺ) حاكيا عن ربه:

« إذا كان الغالب على عبدى الاشتغال بى، جعلت نعمته ولذته فى ذكرى. فإذا جعلت نعمته ولذته فى ذكرى عشقنى وعشقته، ورفعت الحجاب فيما بينى وبينه لا يسهو إذا سهى[2] الناس. أولئك كلامهم كلام الأنبياء، أولئك الأبطال حقا، أولئك الذين إذا أردت بأهل الأرض عقوبة أو عذابا ذكرتهم فصرفته بهم عنهم» [3].

ولا يصحب أكثر مدعى أهل العصر المشيخة الذين ينسبون إلى البيوتات ويتشيخون بالآباء والأجداد، وهم بمعزل عن رتبة المريدين الصادقين الطالبين من أرباب الرياضات وأصحاب السلوك المقتدين بالمشايخ والرجال البالغين فإنهم قطاع الطريق

---

(١٠) آية رقم (١، ٢، ٣) من سورة (العصر) مكية.

(١١) فى (ز) : (سهو).

(١٢) حديث : قدسى.

إذا كان الغالب على عبدى الاشتغال بى جعلت نعمته ولذته فى ذكرى، فإذا جعلت نعمته ولذته ذكرى عشقنى وعشقته ورفعت الحجاب فيما بينى وبينه لا يسهو إذا سها الناس أولئك كلامهم كلام الأنبياء أولئك الابطال حقا. أولئك الذين أردت بأهل الأرض عقوبة أو عذابا فصرفته بهم عنهم، ينظر فى فهرس الأحاديث نهاية الكتاب.

على الصادقين من الطلبة، ولا يصحب أيضا جماعة يسمون أنفسهم الملامتية [١]، والقليدرية [٢]، والحيدرية، والجريرية. فإن الغالب على أكثرهم الإباحة والزندقة إلا من شاء [٣] الله به خيرا، والضابط في تمييز أهل الخير منهم ومن غيرهم إقامة الشريعة على قانون المتابعة والتأدب بآداب الطريقة على وفق سير المشايخ، ومن ادعى أنه خلص مع الله تعالى ضميره، ونال رتبة فى الحقيقة أنه تنزه عن الشريعة وأن الارتسام بمراسم الشريعة رتبة العوام المتحصرين فى مضيق الاقتداء تقليداً. فاعلم أنه من أهل الإلحاد والزندقة والفلسفة والإباحة. فاحذرهم إن صحبتهم، وظلمة أنفاسهم سم قاتل لقلوب المبتدئين من المريدين، ولم يعلم الجاهل المغرور أن الشريعة قشر لب الحقيقة، واللب لا ينعقد ولا يتربى إلا بالاستمداد عن القشر. وكل حقيقة ردتها الشريعة زندقة. وإن الشريعة من أهل الحقيقة تقيد[٤] بحقوق العبودية، وحقيقة العبودية. وصار مطالبا بأمور وزيادات لا يطالب بها من لم يصل إلى ذلك المقام، لا إنه يخلع عن عنقه ربقة التكليف، ويخامر باطنه الزيغ والتحريف.

روى عن «أبي محمد الجريرى»[٥] يقول:

سمعت الجنيد يقول لرجل ذكر المعرفة فقال الرجل: أهل المعرفة بالله يصلون

---

(١) الملامتية : أهل هذه الجماعة من الصوفية يتميزون بأنهم يختارون أن تلام أجسامهم لتسلم قلوبهم. وهى مرتبة عالية لا يصل إليها حتى الزهاد. ومبدأ هذه الجماعة أو هذه الطائفة انتشر على يد شيخ عصره (حمدون القصار) وله أقوال كثيرة فى هذا المجال.
انظر كشف المحجوب ص ٧٥ وما بعدها.

(٢) فى (ز) : (القلاية). وفى (ت) القليدرية.
ربما كانت القادرية.

(٣) فى (ز) : (إلا ما شاء).

(٤) فى (ز) : (نقيل).

(٥) سبقت الإشارة إليه.

إلى ترك الحركات من باب البر والتقوى إلى الله تعالى فقال «الجنيد» : إن هذا قول قوم تكلموا بإسقاط الأعمال وهذه عندى عظيمة. والذى يسرق ويزنى أحسن حالا من الذى يقول هذا.

وإن العارفين بالله أخذوا الأعمال عن الله تعالى، وإليه يرجعون فيها ولو بقيت ألف عام لم أنقص من أعمال البرِّ ذرّة إلا أن يحال بى[1] دونها. وإنها لا كد فى[2] معرفتى ولو قوى الحال[3].

ومن أوصاف المشيخة أن يكون من أهل الولاية، وإن لم يستأهل للاقتداء كل ولى. لأن أهل[4] الولاية على ثلاثة أقسام:

ولى مجذوب غير[5] متدارك بالسلوك[6] فالولى المجذوب الذى غير متدارك بالسلوك لا يصلح للمشيخة؛ لأنه غير واقف على المقامات والآفات، والقواطع وطريق إصلاح الأحوال فلا يصلح للاقتداء، وإن صلح للاهتداء[7].

فأما الولى السالك المتدارك بالجذبة. والولى المجذوب المتدارك بالسلوك فهما يستأهلان للمشيخة والاقتداء. ولكن المجذوب السالك أولى بالاقتداء. لأنه أعلى مقاما وأقوى حالا من السالك المجذوب، وذلك لأن الطريق إلى الله بنوعين اثنين:

أحدهما : طريق من العبد إلى الله؛ فهو ضلالة فى ضلالة.

---

(١) سقطت من (ز).

(٢) فى (ز) : (لا كوفى).

(٣) فى (ط)، (ز) : (أقوى لحالى).

(٤) فى (ز) : (أصل).

(٥) سقطت من (ت) .

(٦) (وولى سالك غير متدارك بالجذبة، وولى مجذوب متدارك بالسلوك) سقط من (ت).

(٧) فى (ز) : (للاقتداء).

وثانيهما : طريق من الله إلى العبد فهو هداية فى هداية. وهو طريق المجذوب.

فإن بسطوة الجذبة تنحرق[1] الحجب ويحترق فى لحظة ما لا يندفع ولا يرتفع للسالك فى سنين كثيرة بالمجاهدة والمكابدة ثم تحتجب[2] الجذبة، ويتدارك العبد بالسلوك مؤيدا بتأييد الجذبة. فيستأنف السير بالمعاملة والشوق والمحبة. ثم يتبدل السير بالطير. ثم بهبوب الرياح المرسلة.

ثم بلمعان البرق الخاطف إلى أن يبلغ أعلى عليين الروحانية وينقطع الطريق ويتعذر العبور ثم يتدارك السالك بالجذبة وتتخلص الجذبة عن الاحتجاب وتخطفه عنه تفنيه وتوصله إلى الحق، وتبقيه به. فهذه حقيقة قوله (ﷺ): « جذبة من جذبات الحق توازى عمل الثقلين » [3].

فإن عمل الثقلين لا يوصل السالك إلى الحق كما توصله الجذبة.

وللمشيخة إمارات ودلالات، وأوصاف وأخلاق يطول شرحها ليستحق بها الاقتداء، ويصح له الاهتداء، وكذلك للمريد الصادق الطالب المستصحب أمارات وأحوال يستحق بها الصحبة فنحن نقتصر فى شرحها على ما قال الشيخ «أبو سعيد ابن أبى الخير»[4] رحمة الله عليه. حين سئل عن الشيخ المحقق والمريد المصدق فقال:

« أدنى أحوال الشيخ أن يكون موصوفا بعشر خصال حتى تسلم له المشيخة :

أولها : أن يصير مراداً حتى يمكنه أن يربى المريد.

ثانيها [5]: أن يكون سالكا للطريق حتى يقدر على الدلالة لغيره.

---

(١) فى (ط) : (تحرق).

(٢) فى (ز) : (تحجب).

(٣) حديث : جذبة من جذبات الحق توازى عمل الثقلين، ينظر فى فهرس الأحاديث النبوية نهاية الكتاب.

(٤) (أبو سعيد بن أبى الخير) سبقت الإشارة إليه.

(٥) سقطت من (ط) .

ثالثها [1] : أن يكون مؤدبا مهذبا حتى يؤدب المريد ويهذبه.

رابعها : أن يكون جواداً سخيا غير ملتفت إلى الكون حتى يمكنه أن يؤثر به مريده.

خامسا : أن لا يتعلق بمال المريد حتى لا يحتاج إلى استعماله فى حقه.

سادسها : إذا أمكنه أن يعظ بالإشارة فلا يعظ بالعبارة.

سابعها [2] : إن أمكنه أن يؤدب المريد بالرفق فلا يؤدبه بالعنف والغضب.

ثامنها : إن كان ما يأمر المريد به يجب أن يباشره من قبل أن يأمر المريد به.

تاسعها : أن كل ما يزجره عنه، فينبغى أن ينزجر عنه أولا.

عاشرها : أنه إذا أقبل مريد الله فلا يرده لأحد من خلقه.

وقال : أقل أحوال المريد أن تكون هذه الخصال العشرة موجودة فيه. حتى تصح منه الإرادة.

أولها : أن يكون لبيبا فهما حتى يفهم إشارة الشيخ.

ثانيها : أن تكون نفسه مطيعة له حتى يمكنه أن يكون (ممتثلا لأوامر الشيخ)[3].

ثالثها : أن يكون حديد السمع ليدرك كلام الشيخ[4].

رابعها [5] : أن يكون منور القلب ليرى عظمة الشيخ.

خامسا : أن يكون صادق اللهجة[6] ليصدق فيما يخبر عن حاله.

---

(١) كتب الناسخ ثانيها فى (ط) وباقى الكلام للثانى.
(٢) فى (ط) كتب الناسخ (سادسها). لكن الكلام للفقرة السابعة.
(٣) سقطت من النسخة (ز).
(٤) مكررة. فى (ز).
(٥) فى (ز) . اختلط الرابع بالخامس. ولم يكتب (الخامس) .
(٦) فى (ط) : (القول).

سادسها : أن يكون يكون صادق العهد ليفى بما التزم.

سابعها : أن يكون سخيا جواداً ليمكنه أن يخرج عما فى يده.

ثامنها : أن يكون حافظا للسر ليكتم أسرار الشيخ.

تاسعها : أن يكون متعظا محبا للنصيحة ليقبل نصيحة الشيخ.

عاشرها [1] : أن يكون عيارا ليفتدى بروحه العزيز فى الطريق.

فإن كان الشيخ والمريد مزينين[2] بهذه الأوصاف يحصل المقصود على أسرع الأحوال.

قال «أبو بكر الطمستانى» [3] :

اصحبوا الله فإن لم تطيقوا فاصحبوا مع من يصحب مع الله لتوصلكم بركات صحبته[4] إلى صحبة الله عز وجل.

وقيل : أوحى الله تعالى إلى «موسى» عليه السلام: « كن يقظا مرتادا لنفسك أخدانا. وكل خدن لا يوافيك طائعا على مسرة فاقصه ولا تصحبه فإنه يقسى قلبك. وهو لك عدو. وأكثر من ذكرى تستوجب شكرى والمزيد من فضلى» .

---

(١) (العاشر) مكرر فى (ط).

(٢) فى (ز) : (مزينهن)، وفى (ط) : (مزينا).

(٣) (أبو بكر الطمستانى)

قال صاحب الرسالة القشيرية عنه كان أوحد وقته علما وحالاً ومات بنيسابور بعد سنة ٣٤٠هـ. وكان يقول: النعمة العظمى الخروج من النفس، والنفس أعظم حجاب بينك وبين الله (وانظر الطبقات الكبرى جـ١ ص ١٠٤).

(انظر الرسالة القشيرية ص ٣١).

(٤) فى (ز) : (صحبتهم).

وقال «ذو النون المصرى»[1] :

لا تصحب مع الله إلا بالموافقة، ولا مع الخلق إلا بالمناصحة[2]، ولا مع الشيطان إلا بالعداوة.

---

(١) سبقت الإشارة إليه.

(٢) (ولا مع النفس إلا بالمخالفة) سقط من (ت).

ومنها **السماع**

قال تعالى:

﴿ فبشر عباد * الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب ﴾ (١).

روى عن «عائشة» رضى الله عنها. أن «أبا بكر» رضى الله عنه دخل عليها وعندها جاريتان تغنيان، وتضربان بالدفين، ورسول الله (ﷺ) مسجى بثوبه فانتهرهما أبو بكر، رضى الله عنه. فكشف رسول الله (ﷺ) عن وجهه وقال:

« دعهما يا أبا بكر فإنها أيام عيد » (٢).

اعلم أن السماع من أجلّ مقامات الروح؛ لأنه استسعد بسعادة سماع خطاب الحق تعالى، وهو فى كتم العدو إذ قال للسماء والأرض وهما فى كتم العدم:

﴿ ائتيا طوعا أو كرها ﴾ (٣) وكان الخطاب مع أهل السماء والأرض كقوله تعالى: **﴿ واسأل القرية ﴾** أى اسأل أهل القرية. وهم الأرواح لا الأجساد(٤).

بدليل قوله تعالى **«قالتا أتينا طائعين»** وما قال «طائعات» لأن خطاب مع العقلاء. وأن فى قدرة الله تعالى لا فرق بين أن يسمع حيوانا، أو جمادا، أو معدوما كما أسمع النار بقوله **﴿ يا نار كونى بردا وسلاما على إبراهيم ﴾** (٥).

---

(١) آية رقم (١٧، ١٨) من سورة (الزمر) مكية.

(٢) حديث عائشة : انظر الرياض النضرة فى مناقب العشرة الجزء الأول وانظر نهاية الأرب للنويرى جزء ١٩ خاص بأبى بكر الصديق.

(٣) آية رقم ١١ من سورة (فصلت) مكية.

(٤) فى (ز) : (والأجسام).

(٥) آية رقم ٦٩ من سورة (الأنبياء) مكية.

فلما أسمع الله تعالى الأرواح المعدومة خطاب:

﴿ **ائتيا طوعا أو كرها**﴾ استفرغت عذوبة سماع الخطاب للأرواح.ارتاحوا للإتيان طوعا فقالوا: ﴿ **أتينا طائعين**﴾ بخلاف تراب الأجساد الذى جاء جبريل إليه فقال: أجب ربك.

فلما سمع الخطاب بواسطة جبريل عليه السلام لم تجد ذوق سماع الحق تعالى فلم يجبه بالطوع [1]. بل أقسم عليه، واستعفى أن يقبض عنه قبضه حتى بعث الله عزرائيل إليه فقبض منه قبضة على كره منه. ولو كان الله أسمع التراب خطابه بلا واسطة. كما أسمع الأرواح لارتاح للإجابة طوعا، ورغبة، ألا ترى أن الذرات الترابية لما أخذها الله تعالى من بنى آدم من ظهورهم ذرياتهم ﴿ **وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى** ﴾ [2]. فلما أسمعها خطابه كيف ارتاحت الذرات والأرواح لعذوبة سماع الخطاب.

وقالوا طوعا ورغبة : ﴿ **بلى**﴾.

فالآن ﴿ **من كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد**﴾ [3] إذا سمع قولا من القرآن أو شعراً بالألحان، أو ضروبا بالأوزان، أو معنى من العرفان يرتاح له ويذكره ذوق عذوبة ذلك السماع. وتحدده شوق لذاذة [4] ذاك الخطاب. فيحركه بالتواجد ثم بالوجد، ثم بالوجود.

قيل: سمع الشبلى[5] قائلا يقول :

أسائل عن سلمى فهل من مخبر * يكون له علم بها أين تنزل

(١) فى (ت) : (بالورع).
(٢) آية رقم (١٧٢) من سورة (الأعراف) مكية.
(٣) آية رقم ٣٧ من سورة (ق) مكية.
(٤) فى (ز) : (لذاته).
(٥) سبقت الإشارة إليه.

فزعق وقال :

ـ لا والله ما فى الدارين مخبر[1].

وقيل: الوجد سر صفات الباطن كما أن الطاعة سر صفات الظاهر. وصفات الظاهر: الحركة والسكون وصفات الباطن: الأحوال والأخلاق.

وقال شيخنا «السعيد الشهيد شرف بن المؤيد البغدادى»[2] فى كتابه (تحفة البررة) : إن الله تعالى كما خلق للإنسان قالبا [3] وروحا. فكذلك خلق لحواسه الخمس[4] التى هى: السمع، والبصر، والذوق، والشم، واللمس. قلبا وروحا.

فقالبه ما تعلق بالقالب[5]. وروحه ما تعلق بالقلب.

ولما كان القالب فى حيز الاشتراك مع البهائم والأنعام صارت صورة الحواس مشتركة بين الإنسان وغيره من الحيوان. فللقالب المشترك حواس مشتركة وللقلب المخصوص بالإنسان روح الحواس[6] المخصوص بالإنسان فمن ليس له من عالم الإنسانية غير خط الحواس الظاهر[7] وحرم حقيقة روح الحواس الظاهرة الذى هو حقيقة حواس الباطن فهو كالنعم والبهيمة.

ومن خلق جهنم وذراها.

---

(١) فى (ز) : (عنه مخبر).

(٢) فى (ط) : (أبو سعيد شرف بن مؤيد البغدادى) وكتابه: تحفة البررة. سبقت الإشارة إليه.

(٣) فى (ت) : (قلبا).

(٤) فى (ز) : (الخمسة).

(٥) فى (ز) : (الظاهرة).

(٦) سقطت من (ز).

(٧) فى (ز) : (الظاهرة).

قال الله تعالى :

﴿ **ولقد ذرأنا[1] لجهنم كثيرا من الجن والإنس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون** ﴾ [2].

فبالحواس الظاهرة تدرك عالم الجواهر والأعراف وبالحواس الحقيقة يدرك صورة حقائق الغيب، قال تعالى في صفة الكفار:

﴿ **وتراهم ينظرون إليك وهم لا يبصرون** ﴾ [3]. يعني أنهم[4]، والله أعلم، كانوا ينظرون إلى صورة النبي (ﷺ) بالحواس الظاهرة. وما كانوا يبصرون صورة نبوته بالحس الحقيقي الروحاني، قال الله تعالى :

﴿ **إنهم عن السمع لمعزولون** ﴾ [5].

فلا شك أنهم كانوا معزولين[6] عن حاسة السمع الظاهرة وكانوا معزولين عن السمع الحقيقي الروحاني الذي هو روح السمع الظاهرة. وكانوا يسمعون القرآن من حيث قرع الأصوات المتموجة بالصماخ تموجا مخصوصا حرفيا. فيحس بها الحاسة المتعينة المتموجة الظاهرة فيفهمون بها منه أساطير الأولين ولا يسمعونه بالسمع الحقيقي. الذي هو روح السمع الظاهر إذ كانوا عنه معزولين حتى يدركوا كلام الله، سبحانه وتعالى، فيؤمنوا به فما هو المعتبر من الحواس الحقيقية اعتبارا يعتد بها السمع والبصر.

---

(١) في (ط) : (ذرئنا).

(٢) آية رقم ١٧٩ من سورة (الأعراف) مكية.

(٣) آية رقم ١٩٨ من سورة (الأعراف) مكية.

(٤) سقطت من (ز).

(٥) آية رقم ٢١٢ من سورة (الشعراء) مكية.

(٦) في (ز) : (كانوا معزولون).

قال الله تعالى فى معرض الامتنان على العباد فى مواضع من القرآن العظيم :

﴿ وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلا ما تشكرون ﴾ (١).

فبدأ بالسمع ثم بغيره. لأن الإحياء من السمع قال الله تعالى **﴿ ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون ﴾** (٢).

فكما أن الإحياء الذى يتعلق بالبشر. إنما كان منشؤه من السمع وبه. فكذلك إحياء القلوب الذى يتعلق بالنشأة الأخرى التى هى مبدأ ظهور آثار الحياة الطيبة التى ذكرها الله تعالى بقوله :

﴿ فلنحيينه حياة طيبة ﴾ (٣).

انفتح السمع الحقيقى وزال الصم الذى ذكره الله بقوله: **﴿ صم بكم ﴾** (٤). فسمع العبد من حروف القرآن أو من غير تلك الحروف المعينة المودعة بين الدفين كلام الله تعالى. فاشتاق إلى الحضرة وصبا (٥) إليها «والأذن تعشق قبل العين أحيانا».

فانقذ نفسه من النار. قال الله تعالى:

﴿ لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا فى أصحاب السعير ﴾ (٦).

---

(١) آية رقم ٧٨ من سورة (النحل) مكية.

(٢) آية رقم ٦٨ من سورة (الزمر) مكية.

(٣) آية رقم ٩٧ من سورة (النحل) مكية.

(٤) جزء من آية ١٨ من سورة (البقرة) مدنية.

(٥) فوق السطر فى (ت) كتب الناسخ (أى مال).

(٦) آية رقم ١٠ من سورة (الملك) مكية.

فإذن السمع ينقذ العبد من السعير. والبصر يختطفه من الجنة. وابتداء السير هو الممر على السعير.

قال الله تعالى:

﴿ **وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا** ﴾ [1]. وكذلك صارت مرتبة ذوى الأبصار فوق مرتبة ذوى السمع.

ألا ترى أن محمدا (ﷺ) كان صاحب البصر. قال الله تعالى:

﴿ **ما زاغ البصر وما طغى** ﴾ [2].

وموسى (عليه السلام) كان صاحب السمع. قال الله تعالى ﴿ **وكلم الله موسى تكليما** ﴾ [3].

وناهيك بموسى عليه السلام وسيره إشارة إلى الابتداء بالسمع، وإلى الانتهاء بالبصر.

قال الله تعالى حكاية عن ابتداء ظهور آثار روحانيته ﴿ **فلما أتاها** [4] **نودى من شاطئ الوادى الأيمن فى البقعة المباركة من الشجرة أن يا موسى إنى أنا الله رب العالمين** ﴾ [5].

وقال تعالى[6] حكاية عن مرتبة تمكنه:

---

(١) آية رقم ٧١ من سورة (مريم) مكية.

(٢) آية رقم ١٧ من سورة (النجم) مكية.

(٣) آية رقم ١٦٤ من سورة (النساء) مكية.

(٤) فى (ت) : (انتهى)، وفى (ز)، (ط) : (ايتها).

(٥) آية رقم ٣٠ من سورة (القصص) مكية.

(٦) فى (ط) : (وقال الله تعالى).

﴿ ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه قال رب أرنى أنظر إليك قال لن ترانى﴾ (١) الآية.

وقال عَقِبَهُ :

﴿ قال يا موسى إنى اصطفيتك على الناس برسالاتى وبكلامى فخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين ﴾ (٢).

فبين الحق سبحانه وتعالى أن حظ موسى عليه السلام منه سبحانه على استقلال الرسالة والكلام. فأمره بقبول الاصطفاء من هذا الوجه المخصوص ورؤية المن والفضل من الله تعالى والخروج عن عهدة الشكر. ليستحق بشكره على هذه النعمة على قضية **﴿ لئن شكرتم لأزيدنكم ﴾** (٣).

مزيد معنى الرؤية على تبعية النبى (ﷺ) ولذلك قال:

« اللهم اجعلنى من أحمد » (٤).

وقال النبى (ﷺ) :

« لو كان موسى حيا ما وسعه إلاَّ اتباعى» (٥).

لأنه الطالب الصادق، والسالك الوافق، والمريد المتعطش فإذا تيقن أن الحظ الأوفر، وهو الرؤية التى تتعلق بالبصر يستحيل أن تحصل إلا بمتابعة المصطفى ألزم على نفسه المتابعة بخلاف إبليس الكاذب فى دعواه.

---

(١) آية رقم ١٤٣ من سورة (الأعراف) مكية.

(٢) آية رقم ١٤٤ من سورة (الأعراف) مكية.

(٣) آية رقم ٧ من سورة (إبراهيم) مكية.

(٤) فى (ز) : (من أمة أحمد).

(٥) الحديث : سبقت الإشارة إليه.

فإنه ما وسعه فى إدراك رضى المحبوب إلا متابعة آدم فـ ﴿ **أبى واستكبر وكان من الكافرين** ﴾ [١].

فلما كان ظهور السمع الحقيقى مبدأ الظهور آثار الحياة الطيبة التى بها تصير المضغة التى إذا صلحت صلح بها سائر الجسد، وإذا فسدت فسد بها سائر الجسد. فلما [٢] كان تعلق السمع الظاهر الحسى بالقلب أشد والبون بينهما أقرب من البعد الذى بين البصر الظاهر الحسى إلى البصر الحقيقى الروحانى. ولذلك يؤدى آثار ما يتعلق بالسمع الظاهر إلى القلب أسرع مما يؤدى إليه آثار البصر الظاهر.

ألا ترى أن الإنسان ربما غشى عليه [٣] إذا سمع بعض الأصوات الطيبة المناسبة الأوزان سواء كان صاحب قلب أو لم يكن. ولا يصير مغشيا عليه برؤية الأشياء المستحسنة فى البصر الظاهر.

وهذا السمع الحقيقى ربما يتحلى به العبد ولم يشعر بذلك التجلى فيسمع الأشياء بقلبه ولا يشعر باستماعه عليه لذلك الشيء من حيث الظاهر. وإن كان القلب الذى هو السامع مشعرا بحقيقة استماعه، وإنما يكون ذلك لمباينة بين الظاهر والباطن. وإن هذه المباينة لا ترتفع ألبتة إلا بواسطة المجاهدة والرياضة. فإذا سمع الإنسان صوتا سواء [٤] كان ذلك الصوت موزونا مناسبا أو لم يكن فله من ذلك السمع حظ لا محالة[٥] من حيث (الظاهر. وإن كان القلب الذى هو السامع مشعراً بحقيقة استماعه، وإنما يكون ذلك لمباينة بين الظاهر والباطن. فإن هذه المباينة لا ترتفع ألبتة بواسطة المجاهدة والرياضة. فإذا سمع الإنسان صوتا سواء كان ذلك الصوت

---

(١) آية رقم ٣٤ من سورة (البقرة) مكية.

(٢) فى (ز) : (قلبا).

(٣) سقطت من (ت).

(٤) سقطت من (ز).

(٥) فى (ز) : (لا حالة).

موزونا مناسبا. أو لم يكن فله من ذلك السمع حظ لا محالة من حيث)[1] الإدراك الحسي. فإن كان له مع هذا الحس روح الحس. أى السمع الحقيقى كان له منه حظان اثنان:

أحدهما : إدراك الحس.

وثانيهما : حظ إدراك السمع الحقيقى، وإن كان السمع الحقيقى لا يتوقف على ما يستفيد من السمع الظاهر. فإن له فى عالمه إدراكات غير محصورة.

ولذلك قال بعض المشايخ :

« وفى فؤادى قول يغنينى» .

ففى مبدأ ظهور هذا السمع يَغلب عليه تصرفات هذا الحس إذ هو قشره وقالبه فيتخير إدراكاته. فإذا كمل وبلغ الغاية القصوى عمت الأوقات كلها. إذ منبعه الحقيقى فوق عالم الزمان والمكان.

فإذا التفت السالك إلى الكون سمع تسبيح الأشياء بأسرها ﴿ **وإن من شىء إلا يسبح بحمده** ﴾ [2].

وإذا اختطفه الحق سبحانه وتعالى عن الكون سمع كلام الحق. سبحانه. فاستغرقت أوقاته فى السماع.

ولذلك قال «الحصرى» [3]:

« إيش اعمل بسماع ينقطع[4] إذا انقطع منه من يسمع». ينبغى أن يكون

---

(١) ما بين القوسين سقط من (ط)، (ز).

(٢) آية رقم ٤٤ من سورة (الإسراء) مكية.

(٣) سبقت الإشارة إليه.

(٤) فى (ز) : (منقطع).

سماعك سماعا متصلا غير منقطع. فإذا سمع السالك صوتا واستوفى الصماخ منه حظه، والسمع الحقيقى حقه فلو كانت المباينة بين الظاهر والباطن مرتفعة بالمجاهدة، وغيرها ممكن للسامع أن يعبر عما هو مسموع سمعه الحقيقى من مجرد الصوت[1] الظاهر بكلام منظور معلوم. فيسمع من صوت البراعة كلاما معلوماً. مفهوما وكذلك من سائر الأصوات كصرير الباب[2]، وأصوات الطيور وغيرهما.

روى عن أمير المؤمنين وقدوة السالكين «على» رضى الله عنه، أنه سمع صوت ناقوس فقال لأصحابه:

ـ أتدرون ما يقول؟

قالوا: لا.

قال: إنه يقول: سبحان الله حقا حقا إن المولى يبقى.

أورده الأستاذ «أبو القاسم القشيرى» فى الرسالة.

وقال أيضا: سمعت «السلّمى»[3] يقول:

دخلت على «أبى عثمان المغربى»[4] وواحد يستقى الماء من البئر على بكرة. فقال:

---

(١) فى (ز) : (السمع).

(٢) فى (ت) : (النبات).

(٣) فى (ز) : (الشبلى). وهو تحريف.

وقد سبقت الإشارة إلى السلمى . وانظر ص ١٧٢ من الرسالة الطبعة الثانية سنة ١٩٥٩ .

(٤) (أبو عثمان المغربى): هو (أبو عثمان سعيد بن سلام المغربى) أوصى بأن يصلى عليه الإمام (أبو بكر بن فورك) وقد ذكر صاحب الرسالة أهم كراماته وأحواله. وقد مات سنة ٣٧٣هـ انظر الرسالة ص ٣٢.

يا أبا عبد الرحمن. تدرى إيش تقول البكرة؟

ـ فقلت: لا.

فقال: يقول الله.

وهذا ربما تستبشعه العقول الغير مستخلصة عن آفات البشرية. ومن لم يذق لا يدرى.

فأما إذا لم تكن المباينة مرتفعة لا يمكنه أن تغير منه بشيء مفهوم وربما لا يشعر بسماعه، وإن سمعه وغير ذلك السماع حالته فى الظاهر وهذا هو حال أرباب المواجيد الذين وجدوا فى الباطن من السماع واردات وردت على قلوبهم فغيرت[1] صفات قلوبهم وأدى ذلك التغير إلى الظاهر، لكنهم ما فهموا شيئا، ولا أدركوا كلاما وهذا السمع؛ أعنى السمع الحقيقى الروحانى تبع لا محالة لحقيقة القلب إذ هو له بمنزلة الحاسة للقالب. فكما أن الشخص يسمع الكلام أو الصوت بواسطة الحاسة عمن[2] يكون معه[3]. فإذا كان مع الله سمع من الله. وإذا كان مع غيره سمع من ذلك الغير. فإذا سمع العبد كلاما أو صوتا وكان القلب مع الله سمعت حاسته ذلك الكلام أو الصوت من المتكلم أو الصامت وسمع القلب ذلك الكلام، أو مراد الله تعالى منه إلى الحق ولذلك ربما يسمع شيئا ويفهم من ذلك الشيء شيئا آخر. ويسمع هزلا ويفهم من ذلك الهزل جدا.

قال الله تعالى:

﴿ الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه ﴾ [4].

---

(١) فى (ز) : (فقبرت).

(٢) فى (ط)، (ز) : (عن من).

(٣) (أو مخاطبه فكذلك القلب إنها يسمع الكلام عمن يكون معه) من (ط)، (ز) وسقط من (ت).

(٤) آية رقم ١٨ من سورة (الزمر) مكية.

وقال بعض المشايخ: كنت أقرأ القرآن مرة وأسمع من نفسى فصار كأنى أقرأ وأسمع من النبى (ﷺ) ثم صار وكأنى أقرأ وأسمع من جبريل (عليه السلام) ثم صار كأنى أقرأ وأسمع من الله.

ثم اعلم أنه تختلف أحوال أشخاص الإنسان اختلافا ظاهرا. فبعضهم من اتصف قلبه بصفات النفس وغلبت عليه آفات الشهوات، ودواعى الهوى فانحط عن ذروة الإنسانية إلى حضيض البهيمية.

وبعضهم من اتصفت نفسه بالصفات[1] القلبية، فاستنارت بنور القلب، واطمأنت فى العبودية.

قال الله تعالى: ﴿ **يا أيتها النفس المطمئنة * ارجعى إلى ربك راضية مرضية * فادخلى فى عبادى * وادخلى جنتى** ﴾[2] فدخلوها فى زمرة العباد هو اتصافها بصفات الأرواح التى من خصائصها العبودية.

وبعضهم من له منزلة من بين المنزلتين فيكون قلبه باقيا على فطرته الأولى. لا هو تصرف فى النفس تصرفا بينا يزيل به عنها حقائق الظلمة، ولا تصرفت النفس فيه تصرفا بينا يزيل به عنه حقائق النورانية. فتارة يغلب النفس على قلبه، وتارة يغلب القلب على نفسه. هذا هو حال أكثر المسلمين. فمن اتصف قلبه بصفات النفس. فإن كان ذلك الاتصاف مبطلا حقيقة خاصية جوهرة كما فى الكفار، فلا بد وأن يبطل فيه السمع والفقه اللذان من صفات كماله.

كما قال تعالى: ﴿ **لهم قلوب لا يفقهون بها** ﴾[3] الآية.

---

(١) فى (ز) : (بصفات).

(٢) آية رقم (٢٧، ٢٨، ٢٩، ٣٠) من سورة (الفجر) مكية.

(٣) آية رقم ١٧٩ من سورة (الأعراف) مكية.

وإن لم يكن ذلك الاتصاف مبطلا لحقيقة جوهره وذاتيات صفاته بل مغيراً [١] لبعض صفاته، ومبطلا لبعضها. فإما أن يكون بحيث أن أبطل السمع الحقيقى أو لا يكونَ. فإن لم يكن بحيث قد أبطلت سمعه الحقيقى وربما غامضه [٢] فى السماع وارد حق أو فجأه خطاب عينى فيكون مخالفا لما اعتاده من طبائع الحيوانية. فلم يحتمله الروح الحيوانى فيهلك بغتة. فلا تستغربن ذلك. فإن الأطباء قد اتفقوا على أن الفرح المفرط والغم المفرط مهلكان. خصوصا إذا اعتريا القلب بغتة. فإن لم يهلكه غير حاله إما بإنابة إلى الله تعالى. أو بمرض وتبديل مزاج.

وإن كان ذلك الاتصاف أبطل حقيقة جوهره، أو أبطل سمعه الحقيقىٰ فلا يكون سمعه إلا على طفيل القالب وواسطة الحاسة. فلو سمع القرآن فهم منه أساطير الأولين. ولو سمع شعرا فتخيل معناه إلى ما يقتضى هواه فيزيد سماعه فى زندقته.

قال «ذو النون» رضى الله عنه:

السماع وارد حق جاء[٣] يزعج القلوب إلى ربها فمن أصغى إليه بحق تحقق. ومن أصغى إليه بنفس تزندق. لكنه مع هذا إن لم يكن ذلك الاتصاف مبطل ولو بعد حين. وذلك إذا كان بدرقنة همة الشيخ.

وأما من اتصفت نفسه بالصفات القلبية فيكون حاسة سمعه تبعا لحقيقة سمع قلبه. فلا يستمع فى الظاهر شيئا إلا وقد سمع فيه من القلب أشياء. فتارة يسمع من مجرد الصوت حقائق الترغيب والتشويق، ولطائف المخاطبات. أو الترهيب والتخويف ومستلذات المعاتبات. وتارة يسمع الكلمات فيسبق السمع الباطن السمع الظاهرى. فيغير مدرك الظاهر كما حكى الأستاذ فى الرسالة.. أنه سمع «أبو سلمان

(١) فى (ز) : (متغيرا).

(٢) غير واضحة فى سائر النسخ.

(٣) سقطت من (ط).

الدمشقى»[1]. طوّافا ينادى. يا سعتى برى فسقط مغشيا عليه. فلما أفاق سُئِل. فقال: حسبته يقول اسع ترى برى بربى ويبلغ حاله إلى مرتبة لا يتوقف سماعه على إسماع شىء بالحس بل لا ينقطع سماعه من الغيب كما مر من حكاية الحصرى كما لا تتقطع أبصاره ولا يزاحمه النظر الحسى فكذلك لا ينقطع سماعه ولا يزاحمه السمع الحسى.

وأما من بقى فى منزلة بين المنزلتين على غلبات صفات النفس وبقاء صفات القلب حتى يغلب تارة صفات نفسه فتوقعه فى الفتنة. وتارة تغلب صفات قلبه فتخرجه من الظلمات إلى النور. ﴿ **خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا**﴾. فإذا غلبت عليه صفات النفس يخاف عليه من السماع تهييج الشهوات وإثارة الآفات المستكنة، والصادق فى طلبه مقصور الهمة على قهر النفس، وإحياء صفات القلب فيراعى أوقاته ويعالج باطنه بما يوافقه.

حكى الأستاذ فى الرسالة أنه كان «ابن زيرى»[2] من أصحاب الجنيد شيخا فاضلا فربما كان يحضر موضع سماع. فإن استطابه فرش إزاره وجلس عليه وقال: الصوفى مع قلبه.

وإن لم يستطب قال: السماع لأرباب القلوب ومر وأخذ نعله.

وأما الكلام فى تحليل السماع وتحريمه فمنه ما يتعلق بالأحاديث والآثار. ومنه ما يتعلق بأحكام المجتهدين من الأئمة ومنه ما يتعلق بإشارات المحققين من المشايخ الصوفية.

فأما ما يتعلق[3] بالأحاديث والآثار فمنه ما روى « ابن شهاب الزهرى» عن

---

(١) (أبو سلمان الدمشقى) : هو أبو سلمان الداراني الدمشقى الذى سبقت الإشارة إليه.

(٢) (ابن زيرى) : ذكر هكذا فى الرسالة ص ١٦٩ السطر ٧.

(٣) فى (ط) : (فأما ما تعلق).

«عروة» عن «عائشة» رضى الله عنها، أن «أبا بكر» رضى الله عنه، دخل عليها وعندها جاريتان فى أيام منى تغنيان، وتدففان، وتضربان ورسول الله (ﷺ) متغشى بثوبه فانتهرهما [1] أبو بكر فكشف رسول الله (ﷺ) عن وجهه وقال: دعهما يا أبا بكر. فإنها أيام عيد»[2].

وتلك أيام منى ورسول الله (ﷺ) بالمدينة.

وقالت «عائشة» رضى الله عنها : رأيت رسول الله (ﷺ) يسترنى بثوبه وأنا أنظر إلى الحبشة وهم يلعبون [3] وأنا جارية [4].

واتفق البخارى ومسلم على تخريجه من طريق ابن شهاب، وروى الزهرى أيضا : وقال «بسايب بن يزيد»[5] بينا نحن مع «عبد الرحمن بن عوف» رضى الله عنه. فى طريق الحج ونحن نوم بمكة [6] اعتزل عبد الرحمن الطريق ثم قال «لرباح بن المغترف»[7] : غنّــنا يا أبا حسان.

وكان يقصد يحسن النصب فبينا «رباح» يغنيهم أدركهم «عمر بن الخطاب» رضى الله عنه فى خلافته. فقال :

ـ ما هذا ؟

---

(١) فى (ت) : (فانتهرهن).

(٢) الحديث : سبقت الإشارة إليه.

(٣) فى (ز) : (فى المسجد).

(٤) حديث : قالت عائشة رأيت الرسول يسترنى بثوبه وأنا أنظر إلى الحبشة وهم يلعبون فى المسجد وأنا جارية، ينظر فى فهرس الأحاديث النبوية نهاية الكتاب.

(٥) فى (ز) : (سايب بن زيد) . لعله يقصد أسامة بن زيد والذى سبقت الإشارة إليه.

(٦) فى (ز) : (ونحن نام مكة).

(٧) فى (ز) : (الرباح لا المغترف).

فقال عبد الرحمن ـ ما بأس بهذا نلهو ونقصر عنا.

فقال عمر : فإن كنت آخذا فعليك بشعْر «ضرار بن الخطاب» .

وضرار: رجل من بنى محارب بن فهر. والنصب : ضرب من أغانى الأعراب.

* وروى «عمر بن عبد العزيز»[1]. عن «عبد الله بن الحارث بن نوفل»[2] أنه رأى «أسامة بن زيد» [3] فى مسجد رسول الله (ﷺ) مضطجعا رافعا إحدى رجليه على الأخرى يتغنى بالنصب. وهذا الحديث رواه «يونس بن زيد»[4] وجماعة الذهرى عن «عمر بن عبد العزيز». وقال «مسلم بن الحجاج» : والحديث كما قال القوم.

* وروى «وهب بن كيسان» قال: : قال «عبد الله بن الزبير».[5] وكانَ متكئا يغنى. قال فقال له رجل تغنى فاستوى جالسا ثم قال: وأى رجل من المهاجرين لم أسمعه يتغنى النصب.

---

(١) (عمر بن عبد العزيز) : سبقت الإشارة إليه.

(٢) (عبد الله بن الحارث بن نوفل) : ونوفل بن الحارث بن عبد المطلب كان أسن من أسلم من بنى هاشم. أسر يوم بدر ففداه العباس عم النبى. أما لقب عبد الله فكان: «ببّة». وكان أصم وخرج مع ابن الأشعث فلما هزم هرب إلى عمان فمات بها (انظر المعارف ص ١٢٧).

(٣) (أسامة بن زيد) : أبوه زيد بن حارثة مولى السيدة خديجة زوج رسول الله (ﷺ) ثم وهبته له. فأعتقه. وكانت أم أيمن مما ورث الرسول عن أبيه فأعتقها وزوجها بزيد بن حارثة فولدت له أسامة. فصار أسامة وأيمن أخويْـن لأم وكان أسامة بن زيد بن حارثة مولى رسول الله (ﷺ) وله ابنان : محمد بن أسامة، والحسن بن أسامة. (انظر المعارف) ص ١٤٤.

(٤) (يونس بن زيد) (رواه يونس بن زيد) عمر بن عبد العزيز لما رأى أسامة بن زيد مضطجعا ورافعا إحدى رجليه على الأخرى يتغنى بالنصب.

(٥) (عبد الله بن الزبير) : كان من عباد الصحابة اشتهر بالخشوع وكان يسمى حمامة المسجد. قتل سنة ٧٣هـ وكان يومها عنده [٧٢ عاما] صلب على باب الكعبة. وكان أطلس لا لحية له. قتله الحجاج حين بويع له بالخلافة وأطاعه أهل الحجاز واليمن والعراق. أقام فى الخلافة ٩ سنين ثم حاصره الحجاج وقتله. (انظر الطبقات الكبرى للشعرانى).

* وروى ابن جريج. قالت «عائشة» [1]:

سألت[2] عطاء عن الغناء[3] بالشعر.

وقال لا أرى به [4] بأسا إن لم يكن فحشا.

* وروى «سعيد بن جبير»[5] عن «ابن عباس» رضى الله عنه فى هذه الآية :

﴿ **ومن الناس من يشترى لهو الحديث** ﴾ [6].

قال [7]: نزلت فى الغناء وأشباهه.

* وروى «أبو الصهباء»[8] عن «ابن مسعود» قال:

﴿ **ومن الناس من يشترى لهو الحديث ليضل عن سبيل الله**﴾.

قال : هو والله الغناء.

* وروى «عكرمة» عن «ابن عباس» :

﴿ **وأنتم سامدون**﴾ [9] قال : هو الغناء بالحميرية.

---

(١) سقط من (ط)، (ز).

(٢) فى (ط) : (سئلت). وسقطت من (ت).

(٣) فى (ط) : (الغنى).

(٤) فى (ط) : (قال لا أرا بأسا).

(٥) (سعيد بن جبير) : ظل يبكى حتى عمشت عيناه، كان له ديك يقوم على صياحه. فلم يصح ليلة فنام سعيد عن ورده فدعا على الديك فمات لوقته. فعزم ألا يدعو على شيء بعدها وكان يقول علامة الإجابة حلاوة الدعاء. وقتله الحجاج قتلة ماكرة سنة (٩٥هـ) . انظر الطبقات ص ٣٦.

(٦) آية رقم ٦ من سورة (لقمان) مكية.

(٧) فى (ز) : (قد).

(٨) (أبو الصهباء) : هو (عكراش بن ذؤيب) من بنى تيم. شهد الجمل مع السيدة عائشة فقال الأحنف: كأنكم وقد جيىء به قتيلا. وكان يكنى أبا الصهباء. ولد له عبد الله، وعبيد الله، وعبد السلام. (انظر المعارف لا قتيبة) ص ٣١٠.

(٩) آية رقم ٦١ من سورة (النجم) مكية.

* وروى «أبو مالك الأشعرى» عن النبى (ﷺ) أنه قال:

« يشربون ناس من أمتى الخمر يسمونها بغير اسمها وتضرب على رءوسهم المعازف خسف الله بهم الأرض ويجعل منهم القردة والخنازير» [١].

* وروى «ابن عباس» رضى الله عنه عن النبى (ﷺ) قال: إن الله تبارك وتعالى حرم عليكم الخمر والميسر والكوب « وهو الطبل وقال كل مسكر حرام» [٢].

* وروى «ابن وائل» عن «ابن مسعود» قال:

«الغناء ينبت النفاق فى القلب. كما ينبت الماء البقل»[٣].

* ونقل «أبو طالب المكى»[٤] وقال: سمع من الصحابة «عبد الله بن جعفر» و«ابن الزبير» و«المغيرة بن شعبة» و«معاوية» وغيرهم وقال:

قد فعل ذلك كثير من السلف: صحابى، وتابعى، بإحسان قال ولم يزل الحجازيون عندنا بمكة يسمعون السماع فى أفضل الأيام فى السنة، وهى الأيام المعدودات التى[٥] أمر الله تعالى عباده فيها بذكره، وهى أيام التشريق. ولم يزل أهل المدينة مواظبين مع أهل مكة على السماع إلى زماننا هذا.

---

(١) حديث : يشربون ناس من أمتى الخمر يسمونها بغير اسمها وتضرب على رءوسهم المعازف ، ينظر فى فهرس الأحاديث النبوية نهاية الكتاب.

(٢) حديث : وروى ابن عباس عن النبى (ﷺ).
إن الله تبارك وتعالى حرم عليكم الخمر والميسر والكوب وهو الطبل. وقال كل مسكر خمر حرام، ينظر فى فهرس الأحاديث النبوية نهاية الكتاب.

(٣) حديث: الغناء ينبت النفاق فى القلب... ينظر فى فهرس الأحاديث النبوية نهاية الكتاب.

(٤) (أبو طالب المكى) : هو [محمد بن على بن عطية أبو طالب المكى] الزاهد الورع المتعبد صاحب كتاب قوت القلوب أول موسوعة صوفية. وكتاب (علم القلوب) مما جعله حجة فى هذا الباب وقد توفى سنة ٣٨٦ هـ.
انظر [البداية والنهاية لابن كثير. وانظر دول الاسلام ص ٢٣٤.

(٥) فى (ت) : (الذى).

* وأما ما يتعلق بأقاويل المجتهدين من الأئمة.

فالشافعي[١]، رضى الله عنه، لا يحرمه ويجعله فى العوام مكروها حتى لو احترف بالغناء واتصف على الدوام بسماعه على وجه النهى. يرد به الشهادة، ويجعله مما يسقط المروءة ولا يلحقه بالمحرمات.

* وروى عن «ابن جريج» أنه كان يرخص فى السماع فقيل له إذا أتى بك يوم القيامة ويؤتى بحسناتك وسيئاتك ففى أى الجانبين[٢] سماعك فقال: لا فى الحسنات ولا فى السيئات يعنى أنه من المباحات.

وحكى القاضى «أبو الطيب الطبرى» عن «الشافعى» رضى الله عنه، ومالك[٣] وأبى حنيفة[٤] رضى الله عنهما. وسفيان[٥] وجماعة من العلماء ألفاظا استدل بها على أنهم رأوا تحريمه[٦].

---

(١) الشافعى : هو (أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعى) صاحب المذهب الفقهى الشهير. وأحد المذاهب الفقهية الأربعة التى وجدت طريقها عند المسلمين. عاش أربعا وخمسين سنة منها أربع سنين بمصر حتى توفى بها ليلة الجمعة سنة ٢٠٤هـ، نشأ فى حجر أمه فى قلة عيش وضيق حال، وجالس العلماء فى صباه حتى أصبح من أئمة المذاهب الفقهية.
انظر الطبقات ص ٤٣ جـ١ .

(٢) فى (ز) : (الجنبين).

(٣) مالك : هو مالك بن أنس. كان يقول: مثلُ المنافقين فى المسجد كمثل العصافير إذا فتح باب القفص طارت العصافير. وهو صاحب المذهب المعروف باسمه. ولد سنة ٩٣ هـ وتوفى سنة ١٧٩ هـ بالبقيع.

(٤) أبو حنيفة : هو الإمام الشهير (أبو حنيفة النعمان بن ثابت) ولد سنة ٨٠ من الهجرة وتوفى سنة ١٥٠هـ وهو ابن سبعين عاما. أُكره على توليته القضاء وضرب على رأسه فلم يوافق أيام مروان.
انظر الطبقات ص ٤٥ .

(٥) سبقت الإشارة إليه.

(٦) فى (ز) : (تحريمها).

وقد قال الشافعي في كتاب: (أدب القضاء) :

«إن الغناء لهو مكروه يشبه الباطل. فمن استكثر فيه فهو سفيه ترد شهادته» .

وقال: وأما «أبو حنيفة» رضى الله عنه، فإنه كان يكره ذلك ويجعل سماع الغناء من الذنوب.

وكذلك سائر أهل الكوفة. سفيان الثورى، وحماد، وإبراهيم، والشعبى. ولا مزيد على ما ذكره حجة الاسلام : «محمد الغزالى»[1] رحمه الله فى إباحة السماع فى «إحياء علوم الدين» إجمالا وتفصيلا وردا على القائلين بتحريم السماع. ولا نطول هذا المختصر بنقله، وحاصل كلامهم يرجع إلى أن السماع لهو. وكل لهو حرام. إلاّ ما صح جوازه عن النبى (ﷺ) .

والنزاع[2] فى المقدمتين جميعا.

أمّا الأولى فلأن[3] عندنا يقسم السماع إلى ما يتعلق باللهو وإلى ما لا يتعلق به.

والمتعلق باللهو، وإن كان مباحا فى الشرع حقيقة فعند أكثر العلماء فهو محظور

---

(١) (محمد الغزالى) : هو أبو حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالى الطوسى ولد سنة ٤٥٠هـ وتوفى سنة ٥٠٥هـ تفقه على إمام الحرمين.

كان من أذكياء العالم فيما تكلم فيه. درّس بالمدرسة النظامية ببغداد سنة ٥٨٤ وله ٣٤ سنة فحضر عنده رءوس العلماء فكان ممن حضر عنده أبو الخطاب، وابن عقيل وهما من رءوس الحنابلة. وغيرهم كثير. ترك مؤلفات كثيرة أهمها إحياء علوم الدين الموسوعة التى حوى فيها أركان السنن ولم يترك بعد ذلك موضوعا صوفيا أو فلسفيا أو كلاميا إلا كتب فيه الكتب الكثيرة. ثم انتهى صوفيا.

انظر البداية والنهاية جـ١٢ مجلد ٦ ص ١٦٣ .

(٢) فى (ز) : (والبرّاع).

(٣) فى (ت) : (الأولى عندنا).

فى معاملة أرباب القلوب وقد جلت رتبة هذه الطائفة عن أن يستمعوا بهذا (١) ويجتمعوا للسماع بسهو وقد استفاض واشتهر (٢) أن «أبا الحسن النورى»(٣) حضر مجلسا فيه سماع فسمع هذا البيت.

ما زلت أنزل فى ودادك منزلا * يتحير الألباب عند نزوله

فقام، وتواجد، وهام على وجهه. فوقع فى أجمة قصب قد قطع وبقى أصوله مثل السيوف، وكان يغدو فيها ويعيد البيت إلى الغداة، والدم يخرج من رجليه فورم قدماه وساقاه وعاش بعده أياما قلائل، ومات.

حكى الأستاذ فى الرسالة:

أن «الرقى»(٤) قال: سمعت الدراج يقول:

كنت أنا وابن القوطى مارين على الدجلة بين البصرة والأيلة فإذا بقصر حسن له منظر وعليه رجل وبين يديه جارية تغنى وتقول:

فى سبيل الله ود كان منى لك يبذل * كل يوم يتلون غير هذا بك أجمل

فإذا شاب تحت المنظر بيده ركوة، وعليه مرقعة يسمع.

فقال : يا جارية :

بحياة مولاك اعبدى * كل يوم يتلون غير هذا بك أجمل

(١) فى (ز) : (بلهو).

(٢) فى (ز) : (وأشهد).

(٣) (أبو الحسن النورى) : سبقت الإشارة إليه.

(٤) (الرقى) : هو [أبو إسحاق إبراهيم بن داود الرقى] انظر الرسالة ص١٧١ أثناء حديثه عن السماع. والرقى من كبار مشايخ الشام. من أقران الجنيد، وابن الجلاء. توفى سنة ٣٢٦هـ. وقيل إنه من المعمرين. (انظر ص ٢٧ من الرسالة القشيرية).

فقال الشاب قولى، فأعادت. فقال الفقير :

هذا والله تلوّنى مع الحق، وشهق شهقة خرج فيها روحه.

فقال صاحب القصر للجارية : أنت حرة لوجه الله تعالى، وأهل البصرة فرغوا من دفنه، والصلاة عليه. فقام صاحب القصر وقال: أليس تعرفوننى. أشهدكم أن كل شىء لى فى سبيل الله تعالى، وكل مماليكى أحرار. فأتزر بإزار وارتدى برداء، وتصدق بالقصر، ومر فلم ير له بعد ذلك وجه، ولا سمع له أثر.

وحكى أن نقيب العلوية بنيسابور كان منكراً لسماع القوم وينسب مواجيدهم وحركاتهم فى السماع إلى التكلف والإراءة[1] فاتفق أن حضر سماع بعض المشايخ. أظنه «أبا سعيد بن أبى الخير»[2]. فذكر القوال بيتا. فصعق بعض الفقراء وقام وقعد ميتا فشاهد السيد تلك الواقعة فقال:

يمكن أن يكذب الرجل فى حالته، ولا يمكن أن يكذب فى موته.

فهذه الحكايات المشهورة تعرفك أن سماع القوم ليس هو مما ينسب إلى اللهو واللعب. فإنهم يسمعون من حيث سماع[3] التوحيد بحق. لا بحظ فهم بين استتار يوجب التلهية [4] أو تجل يورث الترويح[5]، أو خطاب يقتضى الاشتياق أو غياب يزيد فى الإحراق. فتارة يخاطبهم الحق بأشعارهم فيختطفهم عن أذكار ستورا. فتارة يتضرعون بين يدى الحق بأحوالهم وأموالهم. فيملأ قلوبهم سرورا وحبورا [6].

---

(١) كان يجب على المؤلف استخدام لفظ المراءاة بدلا من الإراءة لأنها من الرياء وليست من الرؤية.

(٢) سبقت الإشارة إليه.

(٣) فى (ز) : (من حيث صفاء).

(٤) فى (ز) : (التلهيب).

(٥) فى (ط) : (التربح).

(٦) فى (ز) : (عن أذكار البشرية مستورا).

وأما المقدمة الثانية : وهى أن كل لهو حرام إلا ما صح جوازه عن النبى (ﷺ) فهى صادقة. وإن كان فيها تطويلا أن السماع الذى يتعلق باللهو قد ثبت جوازه عن النبى (ﷺ).

فإن حديث عائشة أن أبا بكر دخل عليها، وعندها جاريتان تغنيان، وتدففان، وتضربان، والنبى (ﷺ) متغشى بثوبه فانتهرهما أبو بكر. فكشف النبى (ﷺ) عن وجهه وقال:

«دعهما»[1]. حديث ثابت متفق على صحته أورده البخارى ومسلم فى صحيحيهما.

وروى عن «عروة بن الزبير» قال: قالت عائشة، رضى الله عنها. لقد رأيت رسول الله (ﷺ) يقوم على باب حجرتى والحبشة يلعبون فى المسجد بالدرق والحراب ورسول الله (ﷺ) يسترنى بردائه لكى أنظر إلى لعبهم. ثم يقوم من أجلى حتى أكون أنا التى أنصرف[2] فاقدروا قدر الجارية الحديثة السّن الحريصة على اللهو. وهذا أيضا مما اتفقا على تخريجه. وهذه الأحاديث مما قد خرجنا فى كتابنا الموسوم بـ «زبدة العوالى وحلية الأمالى»[3] فصح إباحة النظر إلى اللهو، وإباحة الرقص فإنه لا يخفى عادة الحبشة فى الرقص واللعب. واباحة اللعب فى المسجد وإباحة نظر النسوان إلى الرجال المشتغلين باللهو واللعب، فإذا ثبت جواز هذه الأشياء ثبت أن السماع مباح وإن كان مقرونا باللهو واللعب شرعا إذا لم يقترن بمحظور شرعى. أو ما يؤدى إلى محظور شرعى.

والله أعلم.

---

(١) سبقت الإشارة إليه.

(٢) سبقت الإشارة إليه.

(٣) كتاب المؤلف [زبدة العوالى وحلية الأمالى] لم يرد ذكر هذا الكتاب ضمن مؤلفاته والتى تحدثت عنها المصادر التى أرخت له. مما يضيف رصيداً جديداً إلى ما قيل.

* أما ما يتعلق بالمحققين من المشايخ.

فقد نقل عن بعضهم: إنكار السماع، ومنهم المريدين عن الاشتغال به. وعن بعضهم تجويز السماع بل الاشتغال به، والتروى عن مشاربه وإذا تأملت فى أقوالهم، وكشفت الغطاء عن أحوالهم. وجدتهم متفقين على الحقيقة غير مختلفين إلاّ فى الظاهر. وإنما تطرق الاختلاف فى أقوالهم لا فى صورة معينة تريك وجه التناقص، ولكن فى صورة مختلفة، وأقوال متباينة، ومقامات متباعدة. وإذا اختلفت الأحوال زال التناقض من الأقوال.

ومما يدلك على هذا اتفاق شافعيّهم، وحنفيهم على إثبات السماع واجتماعهم فى مجالس السماع.

حكى الشيخ «أبو نصر السراج»[1] فى (اللمع)[2] قال:

سمعت «أبا الحسين على بن محمد الصيرفى»[3] قال: سمعت رويما [4] وقد سئل عن المشايخ الذين لقيهم. كيف كان يجدهم فى وقت السماع. فقال: مثل قطيع الغنم إذا وقع فى وسطها الذئب[5]. وقال سمعت الوجيهى يقول:

---

(١) (أبو نصر السراج) سبقت الإشارة إليه.

(٢) كتاب (اللمع) : من أهم الكتب التى تتناول موضوع التصوف وله طبعات فيما نعلم.

(٣) (أبو الحسين على بن محمد الصيرفى) سبقت الإشارة إليه.

(٤) فى (ت) : (غير واضحة. وفى (ز) : (رويها). ورويم هو : (أبو محمد رويم بن أحمد) بغدادى من أجلة المشايخ مات سنة ٣٠٣هـ كان فقيها على مذهب داود الظاهرى.
وكان يقول : من حكم الحكيم أن يوسع على إخوانه فى الأحكام ويضيق على نفسه فيها فإن التوسعة عليهم اتباع العلم والتضييق على نفسه من حكم الورع. [انظر الرسالة القشيرية] ص٢٢

(٥) فى (ط) : (وسطهم)، وفى (ز) : (وسطه).
وفى (ز) ، (ط) : (الذئاب).

سمعت الطراس القوارى[1] بمصر يقول:

دخلت على «إسرافيل» أستاذ «ذى النون» وهو جالس وينكث[2] بإصبعه على الأرض ويترنم (مع نفسه بشيء فلما رآنى قال: تحسن تقول شيئا. قلت: لا.

قال: أنت بلا قلب)[3]. فمن منع منهم المريدين عن السماع وأنكر عليهم الاجتماع بالسماع فلفوائد. منها:

أن المريدين فى شرح إرادتهم، وعزة طلبهم قد غلبت عليهم الصفات النفسانية والأهواء المختلفة. وكذلك احتاجوا إلى المجاهدة والرياضات الشاقة فخافوا عليهم إثارة فتنة قد أماتوها، وتهييج داعية قد قيدوها، وتذكر شهوة قد نسوها. والنزاع إلى معشوقة قد فارقوها، والتحنن إلى بلاد قد رحلوا عنها.

سئل «الشبلى» عن السماع فقال: ظاهره فتنة، وباطنه عبرة فمن عرف الإشارة حل له استماع العبرة، وإلا فقد استدعى الفتنة، وتعرض للبلية.

وقال «الجنيد» :

إذا رأيت المريد يحب السماع فاعلم أن فيه بقية من البطالة.

* ومنها: أنه ربما يقع المريد فى آفات الرياء. فيميل طبعه إلى قبول الخلق، ويستحلى تقربهم إليه، وتبركهم إلى وجده فيجره ذلك إلى تكلف فى إظهار الوجد لا سيما وقد وجدوا رخصة فى التواجد. فعلى ظن التواجد المحمود الذى هو التوجه إلى الحضرة باستمداد الحق. والاستعانة به فى نفى الصفات النفسانية والالتفات إلى الغير يوقعهم الشيطان فى التواجد الذى هو نتيجة الرياء الصرف.

(١) (الطراس القوارى) وفى (ز)، (ط) [الطلاس الرازى].

(٢) فى (ز) : (وسكت)، وفى (ط) : (ونكت).

(٣) ما بين القوسين سقط من (ز).

حُكى: أن «أبا القاسم النصراباذى»[1] كان كثير الولع بالسماع فعوتب فى ذلك فقال: نعم هو خير من أن تقعد وتغتاب. فقال له «أبو عمر بن نجيد» [2]: هيهات يا أبا القاسم زلة فى السماع خير[3] من كذا وكذا سنة تغتاب الناس، وذلك أن من مزلة السماع أنه يكذب على الله. أنه وهب له شيئا، وما وهب له. والكذب على الله من أقبح الزلات. وكذلك قال أبو على الدقاق[4].. وقرئ بين يديه ﴿ **إِنّ الذين يفترون على الله الكذب**﴾.[5] قال: هو الصوفى إذا صاح فى غير وقته.

* ومنها: أنه قلما [6] يخلو مجلس سماع عمن لا[7] يكون من جنسهم بل يكون من أرباب النفوس، وأبناء الدنيا. فربما لا تؤدى أحوالهم. وتعود غائلة حضورهم إليهم فيشقى بهم جليسهم، ومن شأنهم أن لا يشقى بهم جليسهم. ولذلك قال «الجنيد» : السماع يحتاج إلى ثلاثة أشياء:

الزمان، والمكان، والإخوان.

---

(١) (أبو القاسم النصراباذى) سبقت الإشارة إليه.

(٢) (أبو عمرو بن نجيد) : وهو [أبو عمرو إسماعيل بن نجيد بن أحمد بن يوسف بن سالم بن خالد السلمى] جد الشيخ الصوفى الكبير أبى عبد الرحمن السلمى شيخ القشيرى. صحب أبا عثمان وكان من أكبر أصحابه. له طريقة ينفرد بها عن تلبيس الحال وصون الوقت، وهو آخر من مات من أصحاب أبى عثمان فى سنة ٣٦٦هـ كان يقول: من صحت بدايته صحّت نهايته.

(انظر الطبقات الكبرى للشعرانى جـ١ ص١٠٣).

(٣) فى (ز) ، (ط) : (شر).

(٤) (أبو على الدقاق) سبقت الإشارة إليه.

(٥) آية رقم ١١٦ من سورة (النحل) مكية.. وفى سائر النسخ بدون «إن».

(٦) فى (ز) : (قل ما).

(٧) (ز) : (عمالا).

* ومنها : أن السماع يظهر مخفيات الباطن ومستورات القلوب ويبرز الجوهر المكنون. فيصير المريد بذلك عرضة للآفات. إذ هو مأمور بإخفاء الأحوال. لا سيما عن الأغيار فلذلك قالوا: كل عمل وقع عليه نظر الخلق صار هباءً منثورا وقال بعضهم : الفقير الصادق هو الذى لا يضمر شرا ولا يظهر خيرا.

* ومنها : أنه ربما خلطوا جدهم بهزل[1] ما. أو وقعوا فى اعتراض على محق. وتركوا بعض[2] آداب الصحبة أو عقلوا عن مراقبة باطنهم لحظة. فتصرفت فيهم الشياطين وسولتهم وأغوتهم. وكثيرا ما يكون هذه التصرفات فى صورة الوجد وإظهار غلبات الأحوال.

حكى الشيخ «أبو الحسن على بن عثمان الهجويرى»[3] صاحب كتاب «كشف المحجوب» فيه قال:

سمعت الشيخ أبا العباس الشقانى[4] يقول: كنت فى مجلس قوم اشتغلوا

---

(١) فى (ز) : (بمنزل).

(٢) فى (ز) : (على).

(٣) فى (ت) : (المحورى)، وفى (ط) : (الهجورى).

والصحيح هو : [الهجويرى] صاحب كتاب [كشف المحجوب] هو [أبو الحسن على بن عثمان بن أبى على الجلابى الهجويرى الغزنوى] المعروف صاحب الكتب الهامة مثل سفينة الأولياء، وكشف المحجوب، وأسرار الخرق والملونات وغيرها. ولد فى أواخر القرن الرابع الهجرى وتوفى كما قالت بعض المصادر سنة ٤٧٠هـ.

انظر مقدمة تحقيق كتاب كشف المحجوب.

(٤) (أبو العباس الشقانى) : هو (الشيخ أبو العباس أحمد بن محمد الأشقانى) كما ورد فى كشف المحجوب للهجويرى. كان إماما فى أصول العلوم وفروعها، وحجة فى كافة نواحيها. أسس مذهبه على الفناء. وكل شطحاته لم تخرج عن حد النفس. وكان يقول كل إنسان له مراد مستحيل.

انظر كشف المحجوب ص ١٥٩.

بالسماع. فرأيت الشياطين عرايا يطوفون ويلعبون بين أيديهم وينفخون فيهم فيتواجد الفقراء بذلك. وهذا مما لا يقف عليه إلا صاحب نظر كامل واقف على مكائد الشيطان، وتصرفاته في المريدين.

ولهذا قال «أبو علي الروزباري» (١):

«ليتنا تخلصنا منه رأسا برأس».

فلما تحقق عندهم هذه الآفات في السماع احترزوا عنه واستجلبوا فوائده، بطرف آخر، وطائفة أخرى كرهت ذلك وزعمت أن الذى يتعرض لاستماع هذه الرباعيات لا يخلو من وجهين. إما قوم متمهلين من أهل الرعاية والفتنة أو قوم وصلوا إلى الأعمال السنية. وعانقوا المقامات الرضية. وأماتوا أنفسهم بالرياضات والمجاهدات، وطرحوا الدنيا، وراء ظهورهم، وانقطعوا إلى الله بجميع معانيهم. ولسنا نحن من هؤلاء، ولا من هؤلاء. فلا معنى لاشتغالنا بذلك، وترك ذلك أولى بنا. والاشتغال بالطاعات، وأداء المفروضات، واجتناب المحرمات شغلنا عن ذلك.

ومن رخص السماع للمريدين فكانت رخصته على سبيل المعالجة، والتدبير الصالح. فإن الله تعالى ما خلق دواء وأودع فيه شفاء إلا وقد قاربه بنوع ضرر يتوقع من استعماله. إن لم يتداركه المعالج بحسن التدبير وما من شيء من المعاملات الشرعية والأوامر الإلهية التى يتوقع النجاة وبها الفوز بالدرجات إلا وفيها آفات تؤدى إلى الهلاك إذا لم يستعملها العبد على شرطها. فأولى أركان الإسلام بالاعتبار الصلاة.

---

(١) في (ت) : (الزوبذباري)

(أبو علي الروزباري). (واسمه أحمد بن محمد) وهو من ذرية كسرى، ذهب إلى بغداد ومصر وسكن بها حتى مات سنة ٣٢٢هـ ودفن بالقرافة قريبا من ذى النون المصرى. وكان يقول شيخى فى الطريقة الجنيد، وفى الفقه أبو العباس بن سريج وفى الأدب ثعلب وفى الحديث إبراهيم الحربى.

انظر الطبقات للشعرانى ص ٩١ جـ١.

ومنها :

الفوز والفلاح. قال الله تعالى:

﴿ قد أفلح المؤمنون * الذين هم فى صلاتهم خاشعون ﴾[1].

ومنها : الويل والخسران. قال الله تعالى:

﴿ فويل للمصلين * الذين هم عن صلاتهم ساهون ﴾[2].

وقال النبى (ﷺ) :

« رب قائم ليس حظه من قيامه إلا السهر ورب صائم ليس حظه[3] من صيامه إلا الجوع والعطش[4]..» [5].

وكما رأى «الشقانى»[6] الشياطين يلعبون بأهل السماع رأى رسول الله[7] (ﷺ) الشياطين يدخلون فرج الصفوف فى الصلاة.

فإنه قد صح فى حديث «أنس بن مالك» رضى الله عنه.

عن رسول الله (ﷺ) أنه قال:

« رصّوا صفوفكم وقاربوا بينهما. وحاذوا بالأعناق فوالذى نفسى بيده إنى لأرى الشيطان يدخل من خلل الصف كأنها الحذف» [8].

---

(١) آية رقم (١، ٢) من سورة (المؤمنون) مكية.

(٢) آية رقم ٤، ٥) من سورة (الماعون) مدنية.

(٣) سقطت من (ط).

(٤) سقطت من (ط).

(٥) حديث : رب قائم ليس حظه من قيامه إلا السهر ورب صائم ليس حظه من صيامه إلى الجوع والعطش، ينظر فى فهرس الأحاديث النبوية نهاية الكتاب.

(٦) سبقت الإشارة إليه.

(٧) فى (ط)، (ز) : (رأى النبى).

(٨) حديث : رصّوا صفوفكم وقاربوا بينهما وحاذوا بالأعناق فوالذى نفسى بيده إنى لأرى الشيطان يدخل من خلل الصف كأنه الحذف، ينظر فى فهرس الأحاديث النبوية نهاية الكتاب.

وصح فى حديث «أبى هريرة» رضى الله عنه . أن رسول الله (ﷺ) قال[٢] :

« إذا نودى بالصلاة أدبر الشيطان له ضراط حتى لا يسمع التأذين. فإذا قضى النداء أقبل حتى إذا ثوب[٢] بالصلاة أدبر حتى إذا قضى التثويب أقبل حتى يخطر بين المرء ونفسه ويقول: اذكر كذا وكذا لما لم يكن يذكر حتى يضل الرجل. لن يدرى كم صلى ».

فلا يسوغ لأحد ترك الصلاة بعلة طواف الشيطان بين يدى المصلى ولا بعلة مزاحمته بالوسوسة وإلقاء الخواطر المذمومة. فطريق المريد أن يجد فى تنقيح الأعمال وتهذيبها، وإزاحة الآفات عنها. وهذا هو فائدة الرياضة ليصير بها مناجيا ربه فى صلواته بعد أن كان ضحكة للشياطين، وأسير تصرفاتهم فكما [٣] أن المصلى لا يترك الصلاة لآفة يجدها فى خلال صلاته. بل يجد فى تنقيح الصلاة وتصحيحها فكذلك الشيخ لا يترك السماع[٤]. بعد أن يتحقق عن طريق تربية المريدين به إذا وجد آفة تلحقه بل يزيل الآفة بهمته وولايته ويريهم بصفوته وزبدته. فإن للمريدين، وأصحاب الرياضة، والمجاهدة، وأرباب الخلوة، والعزلة. أطواراً وأحوالا مختلفة. فربما يذيقهم الوقت لذة بسط يحيى الحق سبحانه بها قلوبهم. فيزيل عنهم نصب الرياضة وتعب المجاهدة وربما يوقعهم فى قبض يؤدى إذا استكمل شأنه إلى ملالة وسآمة يخاف منها إزعاج المريد عن الخلوة وقبول باطنه لتصرفات الشيطان والنفس. ففى كلا الوقتين يربيه الشيخ على مقتضى نظره الناقد. فإذا كان فى البسط يزيد فى السماع فى تشويقه وتعشيقه فيشحذ به دواعى قلبه الوامق حتى يصير بحيث لا يبالى

---

(١) حديث : إذا نودى بالصلاة أدبر الشيطان له صراط حتى لا يسمع التأذين فإذا قضى النداء أقبل، ينظر فى فهرس الأحاديث النبوية نهاية الكتاب.

(٢) فى (ت) : (نوت).

(٣) فى (ت) : (لكنها).

(٤) فى (ت) : (الصلاة).

ببذل مهجته وروحه فيتبدل بذلك سيره بالطيران. فيقطع بلحظة ولمحة ما لا يتوقع قطعه في غيره بسنة. وإذا كان في القبض ينشطه ويقويه ويزيل تعبه ويريحه من نصبه، ويدفع بذلك منه إصر المجاهدة، وعبء الرياضة، ويحيى به قلبه، ويفك به روحه عن أسر الشيطان. واستيلاء النفس.

وإذا استراح السالك به عن كلالة عرضت وشامة سنحت عن الرياضة، واستيلاء خواطر الأعداء عاد[1] رونق وجه طلبه. ولا تستغربن ذلك في حال المريد والسالك. فإنك تشاهد في الظاهر أنه ربما يغيب عاشق عن معشوقه. فيمحو أطول المفارقة آثار الشوق من قلبه ويخلق النزاع في باطنه إلى محبوبه فيقل أنينه بل يفنى حنينه. فإذا اتفق له سماع أبيات تعلق بواقعته وتتضمن تغيير معشوقه وتذكره أيام الوصال، ولذات المعاشقة والمغازلة، ولطائف الاستمتاع بحال المعشوق حركة السماع وهيج دواعي طلبه. وأثار أشواق قلبه وجدد نزاع ضميره إلى أن طفق[2] يمزق ثيابه وربما سعى في إهلاك نفسه وإزهاق روحه. لا سيما إذا صحبه سكر.. وكذلك إذا استولت صفات النفس، ودواعي الهوى على القلب الهائم فانسدت بذلك طريق القلب الذي يلي الغيب.

فلا يروحه نسيم نفحات ألطاف الرب. فبقى القلب كالعاشق المهجور. المبتلى بالآفات[3] والحرمان فإذا امتدت مدة الهجران وطالت أيام الحرمان، ولم يتمكن بعد في صدق الطلب آنس بالوحشة ونسى لذة المناجاة. وإذا حركه السماع واستوى[4] زبد قلبه هيج أشواقه الكامنة فيستحكم بذلك عقدة الإرادة. وتجدد عهد الطلب. فتبين أن السماع في حق المريد في ابتداء من أنفع المعالجات وأنجح التدابير لا سيما إذا لم يقارنه آفة صحبة الأغيار، ولم يزاحمه مجالسة الأشرار. ولم يكدره حضور من

---

(١) سقطت من (ز).

(٢) في (ز) : (نطق).

(٣) في (ز) : (المبيلاّ بآفات).

(٤) في (ز) : (واستورى).

يزيغ قلب المريد من الحق إلى الباطل بل يكون فى حراسة همة شيخ تمنع هيبته المريد عن الحركات[1] المتكلفة وخلط الجد بالهزل، ومرح الطلب بالطرب وأما الكبراء والسادة منهم فجلت رتبتهم عن أن يستكملوا بشيء ويكون فيهم فضلة لطارق يطرقهم ولوارد يرد عليهم ولذلك قال بعضهم:

أنا ودم كله لا ينفد فى قول[2].

وحُكِيَ :

عن «سهل بن عبد الله التسترى»[3] أنه قال:

«حالى فى الصلاة، وقبل الدخول فى الصلاة شيء واحد».

وذلك أنه يراعى قلبه، ويراقب الله بسره قبل دخوله فى الصلاة. ثم يقوم إلى الصلاة بحضور قلبه، وجمع همه فيدخل فى الصلاة بالمعنى الذى كان قبل الصلاة. فكذلك حاله يكون قبل السماع وبعده بمعنى واحد فيكون سماعه متصلا، ووجده متصلا وشربه دائما وعطشه دائما. وكلما ازداد شربهَ ازداد عطشه. وكلما ازداد عطشا ازداد شربا. فلا ينقطع أبدا.

حكى «الوجيهى»[4] أنه كان جماعة من الصوفية متجمعين[5] فى بيت ومعهم قوال فهم يقولون، ويتواجدون فأشرف عليهم «ممشاد الدينورى»[6] فلما نظروا إليه سكتوا جميعا، فقال لهم «ممشاد»:

---

(١) هير همة) زائدة فى (ز).

(٢) فى (ط) ، (ز) : (أنا ردم كله لا ينفد). ولم أعثر على قائلها فيما بين يدى من مراجع.

(٣) سبقت الإشارة إليه.

(٤) الوجيهى : سبقت الإشارة إليه.

(٥) فى (ط)، (ز) : (مستجمعين).

(٦) (ممشاد الدينورى) : من أئمة المشايخ فى طريق الحقائق. كان يقول: أدب المريد فى التزام حرمات المشايخ وخدمة الأخوان، والخروج عن الأسباب، وحفظ آداب الشرع. ومات سنة ٢٩٩ هجرية. انظر الرسالة القشيرية ص ٢٧.

ما لكم قد سكتم. ارجعوا إلى ما كنتم فيه، فلو جمع ملاهى الدنيا فى أذنى ما شغل همى، ولا شفى ما بى.

قال الشيخ «أبو الحسن على بن عثمان الجلابى»[1] فى كتاب «كشف المحجوب» :

دخلت يوما فى صميم الصيف على الشيخ «أبى أحمد بن المظفر بن أحمد بن حمدان »[2] مع شاب السفر وغبار الطريق فقال لى:

يا أبا الحسن ، إيش إرادتك فى الحال.

فقلت: السماع.

فاستحضر قوالا، وجماعة من أهل السماع، وكنت على قوة الإرادة، وحرقة الابتداء وحدة الشباب فلما سمعت السماع استولى على سلطان الوجد، واضطربت اضطرابا شديدا. فلما سكنت غلبات الوقت وسكت القوال.

قال لى الشيخ: كيف وجدت السماع؟

فقلت: أيها الشيخ استرحت به، وطاب وقتى فيه.

فقل: سيجيىء وقت يستوى عندك هذا السماع ونعيق الغراب. فإن قوة السمع تكون عند عدم المشاهدة. فإذا حصلت المشاهدة اضمحلت ولاية السمع. فانظر حتى لا تعتاد ذلك. فتصير طبيعة تمنعك عن الكمال.

---

(١) فى (ط) : (الجلاتى. وقد سبقت الإشارة إليه وهو (الهجويرى) صاحب كتاب: «كشف المحجوب».

(٢) (أبو أحمد بن المظفر بن أحمد بن حمدان) : رئيس الأولياء، وناصح أهل الصفاء. كان جالسا على مرتبة الرئاسة. فتح الله له باب أسرار التصوف، وأكرمه بتاج الكرامة. كان يتكلم بدقة نظر فى الفناء والبقاء وغيره كان يقول: إن اختيار الإنسان صفة من صفاته يكون محجوبا بها عن صفات الله. فالإرادة الإلهية أزلية والاختيار الإنسانى حادث.

(انظر كشف المحجوب ص ٢٠١).

قال الشيخ «أبو نصر السراج»[1] رحمه الله:

وهو لا يعنى الكبراء ربما يحضرون فى هذه المواضع التى فيها السماع لأحوال شتى، وجهات مختلفة. فربما يجتمعون معهم من جهة مساعدة أخ من إخوانهم وربما يحضرون لعلمهم ونياتهم وكبر عقولهم حتى تعرفوهم ما لهم وما عليهم من شرائط السماع وآدابها، وربما يجتمعون مع غير أبناء جنسهم من سعة أخلاقهم وتحملهم فيكونون معهم باينين منهم، ومنفردين عنهم ببواطنهم، وإن كانوا مع جلسائهم بظواهرهم.

قلت[2] إلى هنا ما ذكره الشيخ الشهيد (رضى الله عنه) فى فضل السماع. من كتابه الموسوم «بتحفة البررة».[3] تيمنا بميامن كلماته الشريفة، وإشاراته اللطيفة. متبركا بنتائج نفائس أنفاسه العزيزة. ليكون الكتاب بطراز فوائده مطرزا. والمتأملون بتناول موائده معززا.

فأما اختيارى من الأقاويل فى السماع ما قال «الجنيد»، رحمة الله عليه: السماع: حرام على العوام لبقاء نفوسهم. مباح للخواص لوفور علومهم، واجب على أصحابنا لفناء حظوظهم.

وقال «أبو بكر الكتانى» [4]:

سماع العوام على متابعة الطبع وسماع المريدين رغبة ورهبة. وسماع الأولياء رؤية الآلاء والنعم، وسماع العارفين على المشاهدة، وسماع أهل الحقيقة على الكشف والعيان.

ولكل واحد من هؤلاء مصدر ومقام. فلا ريب فى أن السماع مشتمل على كثير من الفوائد.

---

(١) سبقت الإشارة إليه.

(٢) فى (ط) ، (ز) : (قال الشيخ المصنف).

(٣) فى (ز) : (أوردته لفظا بلفظ).

(٤) سبقت الإشارة إليه.

قال الله تعالى: ﴿ **الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه** ﴾ (١).

وقال: ﴿ **وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق** ﴾ (٢).

فكل سماع قول يفيد هذه المعانى لصاحبه من الهداية والرشد والمعرفة واللب فهو السماع الحق الذى اسمعه الحق تعالى فمن القوم من يسمع فى الله وبالله ومن الله ولا يسمع بالسمع الإنسانى بل يسمع بالسمع الربانى كما قال تعالى « كنت له سمعا فبى يسمع ».

عن «ابن عباس» رضى الله عنه، قال:

«أوحى الله إلى «موسى بن عمران» عليه السلام: إنى جعلت فيك عشرة آلاف سمع حتى سمعت كلامى، وعشرة آلاف لسان حتى أجبتنى »(٣).

فمن كان له مثل هذه السمع فقد يسمع من الناقوس التوحيد كما سمع «علىّ» رضى الله عنه.

وهذا سماع لم يختلف فيه أحد من المسلمين، وكذلك السماع يتضمن آفات كثيرة. وفتنا عظيمة. لمن تصدى بالحرص عليه. إذ قلّت أعماله، وانفسدت أحواله وربما تطلب النفوس الاجتماع فى السماع لتناول الشهوة، واستروحا إلى الطرب، واللهو، والعشرة واستجلاءً لمواطن الغفلات، والمطانبات ولا سيما فى زماننا. فإن أكثر من تزيا بزى الطلبة هم البطلة من أرباب أصحاب النفوس والأهواء الذين ينتسبون إلى التصوف. ويتشبهون بأهل التعرف.

---

(١) آية رقم ١٨ من سورة (الزمر) مكية.

(٢) آية رقم ٨٣ من سورة (المائدة) مدنية.

(٣) حديث عن ابن عباس قال: أوحى الله إلى موسى عمران عليه السلام إنى جعلت منك عشرة آلاف سمع حتى سمعت كلامى.. ينظر فى فهرس الأحاديث النبوية نهاية الكتاب.

يتداخلون فى هذا الشأن بأغراض فاسدة، ويتعاملون فى أسواق كاسدة. شيوخهم عن التقوى عرية[1]. وشبابهم عن الفتوى برية. يباشرون الهوى فى اجتماعهم. ويعاشرون الرجال النساء فى سماعهم. فلعمرى الواجب على ذوى الاجتهاد الصائب تحريم السماع بهذه العلل. وسد هذا الخلل. اللهم إلاَّ أن يكون شيخا كاملا واصلا. صاحب الولاية والتصرف. وله أصحاب من الطالبين الصادقين. فمن ذوى جد واجتهاد مواظبين على العزلة، والخلوة منقطعين إلى الله ملازمى ذكر الله. مجاهدى كفار النفوس بسيف الصدق وتأييد الله يسلم لهم السماع. بشرط حصول الزمان والمكان والأخوان، فى بعض الأوقات، بحسب نظر الشيخ المعالج الواقف على دائهم ودوائهم وإن اتفق حضور بعض أولى الإرادة فمن لم يكن من جملتهم ولا فى زمن لهم. بل متبرك بهم، ومتوسل إليهم، ومتأدب بآدابهم يساغ له ذلك الحضور لينال بركة صحبتهم. فإنهم قوم لا يشقى بهم جليسهم.

* وأما آداب أهل السماع فكثيرة.

وهى مقصورة على ثلاثة أصول:

أحدها: الصدق مع الله فى جميع أحواله فيه بحيث تكون حركاته وسكناته لله، وفى الله، وبالله.

وثانيها: حسن المراقبة ليتمكن الوجد فيه، ويمتلى منه ولا يتحرك إلا بتحريك الوجد، وتصرف الوارد. أو موافقة الإخوان.

وثالثها : حفظ[2] القلوب، ورعاية الحقوق. فيراعى جانب الشيخ بالتواضع، والتذلل، والخضوع[3].

---

(١) فى (ز) : (عن القوى علاية).

(٢) سقطت من (ز).

(٣) فى (ز) : (الحضور).

ويحسن الأدب حين يضع رأسه على قدمه لئلا يكون على هيئة السجود. ويتآدب في الرجوع، ويراعي جانب الإخوان بضبط الحركات. لئلا يقع على أحد ولا يشوش عليهم، حالاتهم. ويقدمهم على نفسه، ويؤثر الوقت عليهم بقدر الإمكان، ويوافقهم في القيام. وكشف الرأس، ووضع الرأس في الأقدام ويجب على الشبان. موافقة المشايخ[1]. ولا يجب على الشيوخ موافقتهم، ويراعي نفسه عن التعرى[2] والخروج عن الثياب. ورمى الخرقة إلى القوال، وتمزيقها. والزعقات. إلاّ عن ضرورة. ونية صالحة مجتنبا فيها التكلف، والمراعاة[3]. ثم الحكم في جميع ما يصدر من القوم في السماع القاء الخرقة. والتمزيق، والتخريق. وغير ذلك مفوض إلى رأى الشيخ. أو مقدم القوم واستصوابه، من غير تصنع بعض القوم. لاستخراج حظ من حظوظ النفس. فإن من شرائط الصحبة، وآدابها. رعاية الحقوق، وترك الحظوظ.

وقد ورد في إلقاء الخرقة إلى الحادى إذا أحسنت النية أن «كعب بن زهير»[4] دخل على رسول الله (ﷺ) المسجد وأنشد أبياته التي أولها :

* بانت سعاد فقلبي اليوم متبول *

حتى انتهى إلى قوله فيها:

إن الرسول لنور يستضاء به * مهند من سيوف الله مسلول

فقال له رسول الله (ﷺ) :

ـ من أنت.

---

(١) في (ز) : (الشيوخ).

(٢) في (ت) : (القوى).

(٣) في (ز) : (المرايات).

(٤) كعب بن زهير. معروف هو وقصة إسلامه والبردة التي ألقاها الرسول عليه لقصيدته المشهورة.

فقال: أشهد أن لا إله إلاّ الله، وأشهد أن محمد رسول الله.. أنا كعب بن زهير.

فرمى إليه رسول الله (ﷺ) بردةً كانت عليه فلما كان زمن «معاوية». بعث إلى «كعب بن زهير» بعنا بردة رسول الله (ﷺ) بعشرة آلاف . فوجه إليه: ما كنت لأوثر بثوب رسول الله (ﷺ) أحدا، فلما مات «كعب» بعث «معاوية» إلى أولاده بعشرين ألفا وأخذ البردة، وهى البردة التى عند الإمام «المستعصم بالله»[1] أمير المؤمنين. أعاد الله بركتها على أيامه الزاهرة. وقد ورد فى تواجد القوم وموافقة بعضهم لبعض، وسقوط الخرقة وسنة تخريقها وقسمتها على الحاضرين. ما وروى «أنس بن مالك» رضى الله عنه، قال:

كنا عند رسول الله (ﷺ): إذ نزل عليه «جبريل» عليه السلام فقال:

« يا رسول الله، إن فقراء أمتك يدخلون الجنة قبل الأغنياء بنصف يوم، وهو خمسمائة عام[2]. ففرح رسول الله (ﷺ)» .

وقال:

ـ أفيكم من ينشدنا.

---

(١) المستعصم بالله: هو أبو أحمد عبد الله ابن المستنصر بالله آخر خلفاء بنى العباس بالعراق ولد سنة ٦٠٩هـ، وبويع بالخلافة فى العشرين من جمادى الأولى سنة ٦٤٠. ثم قتل فى يوم الأربعاء الرابع عشر من شهر صفر سنة ٦٥٦ وعنده سبع وأربعين سنة. فكان آخر خلفاء الدولة العباسية بعدما سقطت (بغداد) عاصمة الخلافة فى أيدى التتار ـ وبعد أن قتلوه ثم قتلوا ولديه وأسروا الثالث مع بنات ثلاث له. نقلت المصادر مدى إكرامه للعلماء وتقديره للعلم كما أجاز هو لبعض الشيوخ مثل : الإمام محيى الدين بن الجوزى، والشيخ نجم الدين البارزائى وحدثا عنه بهذه الإجازة. لكنه كان فيه لين، وعدم تيقظ ومحبة للمال كثيرة. كما يقول ابن كثير فى البداية والنهاية.

انظر البداية والنهاية جـ١٣ مجلد ٧ ص ٢٠٤.

(٢) سبقت الإشارة إلى الحديث.

فقال بدوى:

ـ نعم يا رسول الله.

فقال:

ـ هات.

فأنشد(۱۷۹):

(كل صبح وكل إشراقِ * تبك عينى بدمع مشتاقِ)[1]
قد لسعت حية الهوى كبدى * فلا طبيب لها ولا راقى
إلاّ الحبيب الذى شغفت به * فعنده رقيتى وترياقى

فتواجد رسول الله (ﷺ) وتواجد الأصحاب معه حتى سقط رداءه عن منكبه فلما فرغوا آوى كل واحد إلى مكانه. فقال «معاوية بن أبى سفيان» رضى الله عنه:

ما أحسن لعبكم يا رسول الله.

قال: مه يا معاوية. ليس بكريم من لم يهتز عند ذكر الحبيب.

ثم قسم رداء رسول الله (ﷺ) بين حاضريه[2] أربعمائة قطعة. وذهب بعضهم إلى أن المخروج من الخرق تقسم على الجميع، وما كان من ذلك صحيحا يعطى القوال.

---

(١) فى (ز) : (فأنشأ).
(٢) ما بين القوسين سقط من (ز).
(٣) فى (ز) : (حاضريهم).

واستدل بما روى عن «أبى قتادة» قال:

«لما وضعت الحرب أوزارها يوم حنين، وفرغنا [1]من القوم. قال رسول الله (ﷺ) من قتل قتيلا فله. وهذا له[2] وجه فى الخرقة الصحيحة.

والله أعلم.

وللسماع آداب كثيرة. فاختصرنا على هذا القدر لئلا يطول به الكتاب.

---

(١) فى (ز) : (وعلى غنا).

(٢) فى (ز) : (فله سلبه وهداله).

فصــل

فـــى

« خاتمة الكتاب »

فصل فى
خاتمة الكتاب

قال الله تعالى:

﴿ سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق ﴾ [1].

اعلم أن الله تعالى فى تحقيق قوله « كنت كنزا مخفيا فأحببت أن أعرف، فخلقت الخلق لأعرف بهم» [2].

لما خلق الخلق. أى أرواح الخلق. خلقهم فى ظلمة الخلقية ثم رش عليهم من نوره. أى من نور القِدَم. فمن أصابه[3] ذلك النور. فقد اهتدى. أى اهتدى بنور القدم إلى ذات القديم وصولا ومعرفة لذاته، وصفاته، وهم المجذوبون المقبولون من أهل العناية. ومن أخطأه. أى لم يصبه نور القدم فقد ضل. أى عن طريق الوصول إلى الله تعالى. ومعرفته، وضل فى شجرة المخلوقات عن أن يكون ثمرة كما يقال ضل الماء فى اللبن. وهم المخذولون. المردودون من أهل الشقاوة.

ثم اعلم أن العالم شجرة ثمرتها الإنسان، وبذرها روح النبى (ﷺ) بقوله:

---

(١) آية رقم ٥٣ من سورة (فصلت) مكية.

(٢) سبقت الإشارة إليه.

(٣) فى (ت) : (فمن أصابهم).

« أول ما خلق الله روحى» [1]. وهو الروح المشرف بشرف إضافة من روحى..

ولهذا قال (ﷺ):

« أنا من الله، والمؤمنون منى » [2].

لأنهم خلقوا من بذر روحه. كالثمار على الشجرة كما خلقت الشجرة منه، كما مر شرحه، وكما أن فى البذر نفس[3] النبات معبأة لتنمو بها الشجرة فكذلك فى بذر الروح النبوى. الملكوت معبأ [4] لتنمو به شجرة العالم، ولما كانت أجزاء البذر[5] متساوية فى الجنسية على طبيعة واحدة. وهى إما السكون أو الحركة. فإن كانت طبيعتها السكون فانا نشاهدها متحركة عند النشوء والنمو[6].

فلا بد من محرك، وإن كانت طبيعتها الحركة فينبغى أن تكون الحركة الطبيعية من نوع واحد. إما إلى علو. أو إلى أسفل.

فلما وجدنا بعض أجزاء البذر يتحرك إلى العلوّ، وبعضها يتحرك إلى السفل. علمنا أنه لا بد له من محرك فاعل مختار، قادر، عليم، حكيم. يدبر أمر البذر على قانون الحكمة البالغة الأزلية. لتصير شجرة كاملة. مثمرة ذات عروق وأغصان، وأوراق، وأزهار وثمار.[7] وهو الذى ينشئ أقسام الشجرة المختلفة من الأجزاء المتساوية المتفقة فى الجنسية على خلاف طبيعتها بالقدرة الكاملة. والإرادة القديمة. إظهارا

---

(١) سبقت الإشارة إليه.

(٢) حديث : أنا من الله والمؤمنون منى، ينظر فى فهرس الأحاديث النبوية نهاية الكتاب.

(٣) فى (ط) : (النفس)، وفى (ز): (النامية).

(٤) فى (ط) : (معبى). وسقطت من (ز).

(٥) فى (ط) : (البدن).

(٦) فى (ز)، (ط) : (النماء).

(٧) فى (ز) : (وأثمار).

للقدرة والحكمة. ثم تخصيص الجزء المخصوص بالثمارية من بين الأجزاء المتساوية في الطبيعة يدل على مزيد عناية منشئه في حقه، وله شرف بذلك ومزية على إخوانه من الأجزاء. وهذا المعنى ينبئك على مالكية منشئ الشجرة وملكيته على مملكة الشجرة وهو قوله تعالى:

﴿ **أأنتم أنشأتم شجرتها أم نحن المنشئون** ﴾.[1] فبالمالكية يتصرف فيها، وبالملكية يحكم على كل جزء منها بأمر «كن» عرقا أو غصنا أو ورقا أو ثمرة وبالمشيئة[2] يكونه ما يشاء كما قال تعالى:

﴿ **وربك يخلق ما يشاء ويختار** ﴾ [3].

فإذا اتفق[4] لك بهذا البرهان القطعي. إن الله سبحانه وتعالى. فاعل، مختار حكيم.

فاعلم أنه الذي أنشأ شجرة العالم من بذر الروح النبوى في البداية ثم جعله ثمرة شجرة العالم في النهاية. ولهذا قال: ﴿ **نحن الآخرون السابقون** ﴾ [5].

أي الآخرون بالثمارية السابقون بالبذرية، وجعل الأنبياء والأولياء. كذلك اثمارا على أغصان الشجرة بحسب مراتبهم في القربات. بعضهم أعلى درجة من بعض.

كما قال تعالى : ﴿ **تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض** ﴾ [6].

---

(١) آية ٧٢ من سورة (الواقعة) مكية.

(٢) في (ز) : (وبالمنشأية).

(٣) آية رقم ٦٨ من سورة (القصص) مكية.

(٤) في (ز) : (فإذا تحقق).

(٥) سبقت الإشارة إليه.

(٦) آية رقم ٢٥٣ من سورة (البقرة) مدنية.

ومن هذا قال (ﷺ):

« آدم ومن دونه تحت لوائى يوم القيامة» (١).

لأنه بلغ من الشجرة ذروة قاب قوسين أو أدنى، وبقى كل نبى على غصن من أغصان الشجرة وهى السموات ثم جعل أشخاص بنى آدم كالغراس التى تخرج من أصل الشجرة. ولهذا قيل للإنسان العالم الصغير، فشخص كل واحد من الأشخاص شجرة بالصورة وحقيقة وجوده مخبوءة فيها بالثمارية قد رد إلى أسفل السافلين بتعلق بذر الروح فى أرض القالب، وهى عرق شجرة الإنسانية فكل روح أصابه النور المرشش فى عالم الأرواح، وهو أصل الإيمان لم يسكن فى أسفل عرق الشجرة، وهو النفس الشهوانية المتعلقة بالدنيا وزينتها وشهواتها فإنه يحركه النور إلى علو أغصان الشجرة وهى القلب بالسير فى صورة الأعمال الصالحة المأمورة الشرعية ليخرجه من ظلمات الطبيعة إلى نور الشريعة بالإيمان والعمل الصالح.

لقوله تعالى ﴿ **إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات** ﴾ (٢).

والإيمان الحقيقى هو قبول كلمة الله التى ضرب الله بها مثلا كلمة طيبة وهو قول لا إله إلاّ الله كشجرة طيبة أى كغصن شجرة طيبة، وهى شجرة التوحيد توصل بها على غصن شجرة الإنسانية وهو القلب، أصلها ثابت. أى أصل شجرة التوحيد ثابت فى النور والمرشش، الذى محله القلب، وإنما يثبت فيه وينضم إليه لأنهما من جنس واحد، وأصلهما الوحدانية والجنسية علة الضم وفرعها، أى الفرع المنشأ من أصل التوحيد، ونور الوحدانية وشجرة الإنسانية فى السماء أى سماء الروحانية تؤتى أكلها أى ثمرتها وهى الوحدة كل حين. أى فى أوانها وحينها بإذن ربها. أى بلا واسطة طبيعية. بل بأمر ربانى كما نودى موسى معنى السالك من الشجرة. أى شجرة

---

(١) سبقت الإشارة إليه.

(٢) آية رقم ٦ من سورة (التين) مكية.

التوحيد ﴿ **إنى أنا ربك فاخلع نعليك** ﴾ [1]. أى نعلى الدنيا والآخرة من قدم همتك ﴿ **إنك بالواد المقدس طوى** ﴾ [1] أى الحضرة المقدسة المطوية فيها الدارين.

كما قال تعالى ﴿ **والسموات مطويات بيمينه** ﴾ [2].

ومن تلك الشجرة أتى ما أتى بإذن ربها من ثمرة أنا الحق، وسبحانى. فافهم جداً.

وكل روح أخطأه النور المرشش فى عالم الأرواح وكل إلى طبيعة ظلمة الخلقية يسكن فى أسفل عرق شجرة الإنسانية وهو النفس الشهوانية، كما سكن آدم إلى حواء.

كما قال تعالى ﴿ **وخلق منها زوجها ليسكن إليها** ﴾ [3].

فكذلك النفس خلقت من جنب الروح ليسكن إليها ولولا سكونه إليها لما أقام فى عالم الأجسام[4] للتجارة التى بعث بها إليه. لكن بشرط النكاح الشرعى لا بالسفاح الطبعى، وهو أن يكون سكونه إليها بالأمر بحيث لا يشغله عن التجارة التى له فيها النجاة من عذاب أليم وهو البعد عن الحضرة، وله فيها الدرجات فى جنات النعيم. وهى مقامات القرب إلى الحضرة.

كما قال تعالى: ﴿ **هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم * تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون فى سبيل الله بأموالكم وأنفسكم** ﴾ [5].

---

(١) آية رقم ١٢ من سورة (طه) مكية. (وفى سائر النسخ: أن يا موسى...) وهو تحريف.

(٢) آية رقم ٦٧ من سورة (الزمر) مكية.

(٣) آية رقم ١٨٩ من سورة (الأعراف) مكية.

(٤) فى (ز) : (الأجساد).

(٥) آية رقم (١٠، ١١) من سورة (الصف) مدنية.

وذلك أنه بنور الإيمان يشاهد سوء خاتمة الركون إلى الدنيا وشهواتها يعرض عنها، ويتوجه إلى الحضرة ويقول لأهله ﴿ **امكثوا إنى آنست نارا لعلى آتيكم منها بقبس أو أجد على النار هدى**﴾ [1]. فيحرم على نفسه السكون فى أسفل عرق شجرة الإنسانية فيجاهد فى سبيل الله بالخروج عن نفسه وماله. ويوفى بعهده من الله إذا اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة.[2] فى تسليم الثمن وطلب المشترى. فبترك الدنيا وشهواتها، وبذل النفس والمال يتربى الفرع الموصل من الكلمة على غصن القلب إلى أن يبلغ سموات الروحانية فيؤتى ثمرات لا مقطوعة ولا ممنوعة إلى أبد الآباد.. ذلكم خير لكم. أى ربح هذه التجارة خير لكم من السكون فى أسفل عرق شجرة الإنسانية، والركون إلى استيفاء الحظوظ الفانية، إن كنتم تعلمون أن السكون فى أسفل عرق شجرة الإنسانية هو السكون فى أسفل نار جهنم خالدين فيها أبدا. لأن كل جزءٍ من البذر إذا بقى فى عرق شجرة الإنسانية، ولم يجذبه قوة النور المرشش إلى أغصان الروحانية التى يعبر عنها بالجنان[3]. فلا خلاص له من جهنم أبدا، وإنما يخرج من جهنم عرق شجرة الإنسانية جزء من بذر الروح، ولو بعد حين. أن يكون فيه مثقال ذرة من النور المرشش فى عالم الأرواح لقصده وميله إلى عالمه، وقابليته لجذبات الحق تعالى.

ثم اعلم أن أجزاء بذر الروح المتفرقة فى شجرة الإنسانية على ثلاثة أقسام. كما قال تعالى:

﴿ **وكنتم أزواجا ثلاثة** ﴾[4] قسم منها ما قدّر الله تعالى أن يصير جزءاً من أجزاء الشجرة ثابتا فيها [5].

---

(١) آية رقم ١٠ من سورة (طه) مكية.

(٢) معنى آية قرآنية. ﴿ إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة﴾.

(٣) سقطت من (ت).

(٤) آية رقم ٧ من سورة (الواقعة) مكية.

(٥) غير واضحة فى (ت) وسقطت من (ز).

فهم أصحاب المشأمة[1]، وأهل النار المخلدون فيها.

كما قال تعالى: « هؤلاء فى النار ولا أبالى» [2]..

وقسم منها ما قدّر الله تعالى أن يكون سائرا فى الشجرة بتوفيق الله إلى أن يخرج من أغصان الشجرة بالزهرية ولا يبلغ إلى رتبة الثمارية. وهو مقام المؤمنين إذ خرجوا من ظلمة نفس الشجرة. إلى نور فضاء الروحانية وهم أصحاب الميمنة الذين وردوا جهنم الشجرة ونجوا منها بترك الشرك[3]. ونور الإيمان [4]. (ودخلوا جنات الأزهار)[5]. كما قال تعالى : « هؤلاء فى الجنة ولا أبالى» [6] وهم طائفتان:

طائفة يخرجون من ها هنا[7] بالسير، وتزكية النفس، والمجاهدات. وهم الذين إذا وردوا النار يوم القيامة تقول النار لأحدهم : جُزْ يا مؤمن فقد أطفأ نورك لهبى. وذلك لأنهم لما وردوا اليوم جهنم بالنفس الشهوانية وتلهبت نار شهواتهم، فقد أطفأوها بشعلة أنوار إيمانهم، ونهوا أنفسهم عن الهوى، وطائفة يخرجون منها يوم القيامة بعد تزكية نفوسهم بورود النار والثبات فيها، وذلك لأنهم كانوا ههنا بمعزل عن تزكية النفس فخابوا وخسروا. كما قال تعالى :

﴿ قد أفلح من زكاها * وقد خاب من دساها ﴾ [8].

---

(١) فى (ت) : (فهم أصحاب المشأهدة).

(٢) جزء من حديث قدسى.

(٣) فى (ت) غير واضحة، وفى (ط) : (بتقوى الشرك).

(٤) ﴿ **ثم ننجى الذين اتقوا**﴾ نجوا بحسب مراتبهم فى التقوى ونور الإيمان. سقط من (ت).

(٥) ما بين القوسين سقط من (ز)، (ط).

(٦) بقية الحديث: هؤلاء فى الجنة ولا أبالى.

(٧) غير واضحة فى (ت).

(٨) آية رقم (٩، ١٠) من سورة (الشمس) مكية.

وكان أمرهم ههنا مبنيا على خلط الأعمال الصالحة بالسيئة. وذلك لأن النور المرشش، وإن كان قد أصاب أرواحهم شيئا ما ولكن باستيلاء ظلمات صفات النفس واستعلائها، وخذلان الحق. صار ملبوسا، مغلوبا. بظلم سيئات الأعمال فى بعض الأوقات. خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا. فبالعمل الصالح الذى من نتائج النور كان السالك سائرا إلى الله، وبالعمل السيئ الذى من نتائج ظلمه صفات النفس. كان يرجع قهقرى عسى الله أن يتداركهم بجذبة العناية، ويتوب عليهم. أى : يرجع بهم إلى السير بتقوية النور، واستيلائه على ظلمات صفات النفس، وإطفاء لهب نار شهواتها ليجوزوا على النار. كالريح المرسلة، ولما كان بعض أجزاء بدن الروح مستعدا فى أصل الفطرة للثبوت فى شجرة الإنسانية، وبعضها مستعدا للخروج منها بعد الموت.

قال رسول الله (ﷺ) : فى جواب من سأله عن زرارى المشركين.

قال: « الله أعلم بما كانوا عاملين» (١).

يعنى إن كانوا ممن أصابهم النور المرشش لكانوا عاملين بما يدخلهم الجنة، ولو كانوا ممن أخطأهم لكانوا عاملين بما يدخلهم النار.

والقسم الثالث منها : فهم ﴿ **والسابقون السابقون * أولئك المقربون** ﴾ (٢).

من الأنبياء والأولياء. وقد قدر الله تعالى لهم أن يكونوا مجذوبين من أجزاء بذر الروح، بالسير فى شجرة الإنسانية من مقامات النفس، والطير على أغصانها فى مقامات القلوب. وكالريح المرسلة إلى أزهارها على مقامات الروحانية. وكالبرق الخاطف بجذبات الألوهية للخروج عن قشر الوجود. فانيا عن الشجرية باقيا بالثمارية. فى مقامات الوصول. وهم الذين أحبهم الله أن يخلقهم ليعرفوه. إظهاراً للكنز

---

(١) حديث : فى جواب من سأله عن زرارى المشركين... ينظر فى فهرس الأحاديث النبوية نهاية الكتاب.

(٢) فى (ز) : (السابقون) واحدة. وهى آية رقم (١٠، ١١) من سورة (الواقعة) مكية.

المخفى، وسائر المخلوقات كان تبعا لوجودهم كما أن سائر أجزاء الشجرة يكون تبعا للثمرة. قال الله تعالى:

﴿ **وما خلقت الجن والإنس إلاّ ليعبدون** ﴾ [1]. أى ليعرفون.. وأما فائدة تكرار السبق فى حقهم ﴿ **والسابقون السابقون * أولئك المقربون** ﴾ [2]. من وجوده منها أنهم هم ﴿ **الذين سبقت لهم منا الحسنى** ﴾[3] بأنه تعالى يجعلهم مستحقين لجمال به يحبهم، ويجعلهم مستعدين لكمال به يحبونه. فهم السابقون بسبق العناية فى حقهم.

ومنها: أنهم السابقون على سائر أجزاء بذر الروح من السائرين للخروج من شجرة الإنسانية بالخروج للثمارية. ولاية، ونبوة، ورسالة. على حسب مراتبهم بالخروج والتفاوت فيما بينهم بالنقصان والكمال بالثمارية. وصغرها وكبرها.

ومنها : أنهم أهل السبق بالمحبوبية، والمحبية فى القدم. وأهل السبق فى استماع خطاب الله، والائتمار بأمره، وجواب خطابه حين خاطبهم بقوله ﴿ **ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين** ﴾ [4]. (وأهل السبق بالخروج من العدم إلى عالم الأرواح، وأهل السبق فى خروج ذرياتهم من صلب آدم للميثاق، وأهل السبق فى الحضور عند رب العالمين، وأهل السبق فى استماع خطاب قوله : ﴿ **ألست بربكم** ﴾. وأهل السبق فى جواب ﴿ **قالوا بلى** ﴾ وأهل السبق فى الإحياء بنفخ الصور)[5]. وأهل السبق فى الجواز على الصراط، (وأهل السبق فيمن يكلم الله[6]، وينظر إليهم، وهم

---

(١) آية رقم ٥٦ من سورة (الذاريات) مكية.

(٢) سبقت الإشارة حالية.

(٣) فى (ط) : (الذين سبقت لهم من الله الحسنى)
وهى آية رقم ١٠١ من سورة (الأنبياء) مكية.

(٤) آية رقم ١١ من سورة (فصلت) مكية.

(٥) ما بين القوسين سقط من (ت).

(٦) فى (ط) : (كلمهم).

أهل السبق فى دخول الجنة) [1]، وأهل السبق فى رؤية الله تعالى حين يتجلى لعباده بذاته وصفاته (تبارك وتعالى وتقدس)[2].

ثم اعلم أن الأرواح لما خوطبوا، وهم فى حظائر القدس وجوار رب العالمين بقوله:

﴿ اهبطوا بعضكم لبعض عدو ﴾ [3].

أى اهبطوا بالبذرية [4] إلى أرض القالب. بعضكم أى بعض روحكم[5] عدو. وذلك لأن الله تعالى خلق النفس بازدواج الروح والقالب من الروح والقالب. فهى بعض الروح. كما أن حواء كانت بعض آدم. (عليه السلام). وهى عدو للروح.

كما قال (ﷺ):

﴿ أعدى أعداؤك[6] نفسك التى بين جنبيك ﴾ [7].

والروح أيضا عدو لها، وذلك لأن الروح علوى النسب عليه [8] الهمة نزاع إلى الحضرة ثم يحن إلى ربه شوقا إلى لقائه. لأنه أنشأه من لا شيء، وشرفه بالإضافة إلى حضرته، وكان أنيسا له برهة من الدهر قبل خلق المكونات. وهو الأصل وما سواه فهو فرع له. وهو قاصد والحق مقصوده وهو طالب والحق مطلوبه. وهو محب والحق

---

(1) ما بين القوسين سقط من (ز).

(2) ما بين القوسين سقط من (ط).

(3) آية رقم ٣٦ من سورة (البقرة) مدنية.

(4) (بعضكم لبعض عدو بالذرية) هكذا فى (ط).

(5) (لبعض روحكم) سقطت من (ت).

(6) فى (ط) : (أعدى عدوك) والصحيح لفظا «أعدى أعدائك».

(7) الحديث : سبقت الإشارة إليه.

(8) فى (ز) : (علوية). وقليلا ما يصف المؤلف الروح بصفة مؤنثة فالروح عنده مذكر دائما. ويبدو أنه اضطر إلى هذا.

محبوبه. وهو تابع يستتبع النفس إلى الحضرة قهرا وقسرا. على خلاف طبعها. فهى تعاديه لخسة طبعها، ودناءة همتها، ورداءة جوهرها. فإنها سفلة سفلية. تنزع إلى الدنيا الدنية. لأنها تنشأت منها. أو تربت بلبان شهواتها، واستلذت[1] بملاذها، وتمتعاتها. فهى تستتبع الروح. إلى أسفل الدنيا، وتدعوه إلى استيفاء لذاتها قهرا وقسرا على خلاف طبعها فيعاديها الروح بعلو همته، وعظم شأنه، ولكل واحد منهما أعوان[2] وأنصار[3] يعينون صاحبهم وينصرونه. فأعوان الروح وأنصاره العقل، والقلب وهما يستمدان من الله ورسوله وآلة استمدادها حواس القلب، وهى معدة فى القوة، وما خرجت بعد إلى الفعل، وأوان البلاغة. وقت إخراجها [4] القوة إلى الفعل. بتصرف الائتمار بأوامر الشرع والانتهاء عن نواهيها [5] حتى يتقى القلب من قبيل من هم (﴿ **صم بكم عمى فهم لا يعقلون** ﴾)[6].

ولهذا قال (ﷺ) :

« إن فى جسد ابن آدم لمضغة إذا صلحت صلح بها سائر الجسد. وإذا فسدت فسد بها سائر الجسد. ألا وهى القلب» [7].

وإن أعوان النفس الهوى والشهوة، وهما يستمدان من الدنيا والشيطان. وآلة استمدادها حواس القالب. وهى من ابتداء الطفولية إلى نهاية البلاغة معدة بالفعل فى إعانة النفس ونصرتها مستمدة بآلة حواس القالب من الدنيا والشيطان فى تزيين زينتها لتصير النفس أمارة بالسوء ويظهر سلطانها على الروح وتستأسره وتحبه فى

---

(١) فى (ز) : (واستأنست).

(٢) فى (ت) : (أعوانا وأنصارا).

(٣) فى (ت) : (وقت آخر من).

(٤) (ووقت إفسادها وإبطال استعدادها بترك أوامر الشرع وإتيان نواهيها) سقط من (ت).

(٥) آية رقم ١٧١ من سورة (البقرة) مدنية.

(٦) الحديث : سبقت الإشارة إليه.

سجين الطبيعة الحيوانية، وأعوان[1] الروح أعنى العقل، والقلب. غير مستعدين لإعانته ونصرته لضعفهما، وعدم استطاعتهما. وتعطل حواس القلب التى منها استمدادها من الله ورسوله فبقى جميع أجزاء الروح فى أسفل أرض القالب بالبذرية. بعضه لبعض عدو.

كما قال تعالى:

﴿ اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم فى الأرض مستقر ومتاع إلى حين﴾[2].

أى إلى حين مشيئة الله تعالى، وإرادته القديمة بالحكمة البالغة أن تهب نفحات ألطاف الحق عن مهب العناية ووقف مشام الروح لتنسمها والتعرض لها **﴿ فتلقى آدم من ربه كلمات ﴾**[3].

وهى قوله: **﴿ ربنا ظلمنا أنفسنا﴾** باتباع الهوى وشهوات النفس، **﴿ وإن لم تغفر لنا﴾** تستر علينا جناح فضلك **﴿ وترحمنا﴾** بأن تنظر بنظر الرحمة إلى النفس الأمارة فتزيل عنها الأمارية، وتجعلها مأمورة باختصاص إلاَّ ما رحم ربى لتخلص من أسرها، وحبسها فيكون من عبادك المخلصين. وإلا **﴿ لنكونن من الخاسرين﴾** الذين خسروا أنفسهم باتباع الهوى والشهوات. فبقوا فى أسر النفس فى أسفل سافلين صفات القالب فاجعلنا ممن تؤتيه هدى منك، ووفقته لاتباع هداك فلا خوف عليهم من أسر النفس وسلطانها عليهم ولا هم يحزنون على ما فات لهم من التمتعات النفسانية والتلذذات الشهوانية الحيوانية بما اجتبيتهم على خليقتك وتبت عليهم. ناديت نفوسهم بخطاب :

---

(١) فى (ط)، (ز) : (وإن أعوان).

(٢) آية رقم ٣٦ من سورة (البقرة) مدنية.

(٣) آية رقم ٣٧ من سورة (البقرة) مدنية.

﴿ ارجعى إلى ربك ﴾ (1).

وهديتهم بتجلى جمالك إلى حضرة جلالك.

* ثم اعلم أيها الطالب الصادق، والسالك الحاذق، والمجذوب العاشق أنى شرحت لك فى هذا المختصر ما يحتاج إليه فى الرجوع من أسفل سافلين الطبيعة الإنسانية. إلى أعلى عليين من مراتب قرب الربانية. شرحاً وافيا، وبيانا كافيا. فأريد أن يكون ختامه مسكا تتعطر بفائحته مشام الأرواح المقدسة، والمدنسة.

فأما المقدسة منها : فلما شمت روائح ألطاف الحق من هذا المهب اتبعتها للوصول به وحصول المقصود منه.

وأما المدنسة: فليكون حجة عليها، وإن لم يكن لها مما لا بد للطالب الراغب منه. فمن عمل به فقد عمل بجميع ما فى هذا الكتاب. بل عمل فى الحقيقة بجميع ما فى الكتب المنزلة والله الموفق والمعين.

قال بعض المشايخ:

الطرق إلى الله بعدد أنفاس الخلق فطريقنا الذى نشرع فى شرحه. أقرب الطرق إلى الله، وأوضحها، وأرشدها. لأن الطرق مع كثرة عددها محصورة فى ثلاثة أنواع:

أحدها : طريق أرباب المعاملات. بكثرة الصوم، والصلاة، وتلاوة القرآن، والحج، والجهاد. وغيرها من الأعمال. وهو طريق الأخيار.

فالواصلون بهذا الطريق فى الزمان الطويل أقل من القليل.

وثانيها: طريق أصحاب المجاهدات، والرياضات فى تبديل الأخلاق، وتزكية النفس، وتصفية القلب وتخلية الروح، والسعى فيما يتعلق بعمارة الباطن وهو طريق الأبرار.. فالواصلون بهذا الطريق أكثر من ذلك الفريق. ولكن وصول البوادر منهم من

---

(1) آية رقم ٢٧ من سورة (الفجر) مكية.

النوادر كما سأل «ابن منصور»[١] عن «إبراهيم الخواص»[٢] : فى أى مقام تروض نفسك.

قال: أروض نفسى فى مقام التوكل منذ ثلاثين سنة.

فقال: إذا أفنيت عمرك فى عمارة الباطن. فأين أنت من الفناء بالله.

وثالثها: طريق السائرين إلى الله، والطائرين بالله. وهو طريق الشطار من أهل المحبة. السالكين بالجذبة.. فالواصولون منهم فى البدايات. أكثر من غيرهم فى النهايات. فهذا الطريق المختار مبنى على الموت بالإرادة.

قال (ﷺ) :

« موتوا قبل أن تموتوا» [٣].

محصور فى عشرة أصول:

أحدهما : التوبة. وهى الرجوع إلى الله بالإرادة. كما أن الموت رجوع بغير الإرادة.

كقوله تعالى. ﴿ ارجعى إلى ربك راضية مرضية ﴾ [٤].

وهى الخروج[٥] عن الذنوب كلها. والذنب ما يحجبك عن الله من مراتب الدنيا والآخرة.

فالواجب على الطالب. الخروج عن كل مطلوب سواه حتى الوجود. كما قيل: وجودك ذنب لا يقاس به ذنب.

---

(١) (ابن منصور) : ربما قصد به أبو المغيث الحسين بن منصور الحلاج الذى سبقت الإشارة إليه.

(٢) (إبراهيم الخواص) سبقت الإشارة إليه.

(٣) حديث : (موتوا قبل أن تموتوا) ينظر فى فهرس الأحاديث النبوية نهاية الكتاب.

(٤) آية رقم ٢٧ من سورة (الفجر) مكية.

(٥) فى (ط) : (وهى الرجوع).

وثانيها: الزهد فى الدنيا:

وهو الخروج عن متاعها وشهواتها. قليلها وكثيرها. مالها، وجاهها.

كما أن بالموت يخرجون منها.

وحقيقة الزهد: أن تزهد فى الدنيا والآخرة.

قال (ﷺ):

« الدنيا حرام على أهل الآخرة. والآخرة حرام على أهل الدنيا. وهما حرامان على أهل الله» (١).

ثالثها: التوكل على الله.

وهو الخروج من الأسباب والتسبب بالكلية ثقة بالله كما هو بالموت.

﴿ ومن يتوكل على الله فهو حسبه﴾ (٢).

ورابعها: القناعة.

وهى الخروج عن الشهوات النفسانية، والتمتعات الحيوانية. كما هى بالموت إلاّ ما اضطر إليه من حاجة الانسانية فلا يسرف فى المأكول، والملبوس، والمسكن. ويختصر على ما لا بد منه لقوته.

وخامسها: العزلة.

وهى الخروج عن مخالطة الخلق بالانزواء والانقطاع كما هو بالموت. إلا عن خدمة شيخ واصل، كامل، مرب له. وهو كالغسال للميت. فينبغى أن تكون بين

---

(١) حديث : الدنيا حرام على أهل الآخرة، والآخرة حرام على أهل الدنيا والاثنان حرام على أهل الله ، ينظر فى فهرس الأحاديث النبوية نهاية الكتاب.

(٢) آية رقم ٣ من سورة (الطلاق) مدنية.

يديه' كالميت بين يدى الغسال يتصرف فيه كما شاء ليغسله بماء الولاية عن جنابة الأجنبية، ولوث الحدوث، وأصل العزلة: عزل الحواس بالخلوة عن التصرف فى المحسوسات. فإن كل آفة، وفتنة، وبلاء، ابتلي الروح بها. وكانت تقوية النفس، وتربية صفاتها. فيها دخلت من روزنة الحواس، وبها استتبعت النفس الروح إلى أسفل السافلين، وقيدته بها واستلولت عليه.

فبالخلوة وعزل الحواس ينقطع مدد النفس عن الدنيا والشيطان بإعانة الهوى، والشهوة كما أن الطبيب فى معالجة المريض يستعمل أولا الاحتماء عما يضره، ويزيد فى علل مرضه فيقطع بذلك عنه مدد المواد الفاسدة التى ينبعث به المرض وينقى به المواد وقد قيل: الحمية رأس كل دواء. ثم يزيل عنه المواد الفاسدة. ويتقوى به قوى الطبيعة. وتنجذب الصحة. فالمسهل هنا بعد الاحتماء، وتنقية المواد الذكر الدائم.

وسادسها: ملازمة الذكر:

وهو الخروج عن ذكر ما سوى الله بالنسيان.

قال الله تعالى: ﴿ **واذكر ربك إذا نسيت**﴾ (١).

أى إذا نسيت غير الله. كما هو بالموت.

فأما نسبة المسهلية بالذكر. وهو كلمة ﴿ **لا إله إلاّ الله**﴾ فبأنه معجون مركب من النفى والإثبات. فبالنفى يزيل المواد الفاسدة التى تولد منها مرض القلب، وقيود الروح، وتقوية النفس، وتربية صفاتها. وهى الأخلاق الذميمة النفسانية، والأوصاف الشهوانية الحيوانية وتعلقات الكونين. وبإثبات إلاّ الله. ونوره تحصل صحة القلب. وسلامته عن الرذائل. من الأخلاق بانحراف مزاجه الأصلى، واستواء مزاجه، تنوره وحيويته. بنور الله. وتجلى الروح بشواهد الحق. وتجلى ذاته، وصفاته. وأشرقت أرض

---

(١) آية رقم ٢٤ من سورة (الكهف) مكية.

النفس بنور ربها. وزالت عنها ظلمات صفاتها ﴿ **يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات وبرزوا لله الواحد القهار** ﴾ [1].

فعلى قضية ﴿ **فاذكرونى أذكركم** ﴾ [2] بتبدل الذاكرية بالمذكورية والمذكورية بالذاكرية. فيفنى الذاكر فى الذكر ويبقى المذكور خليفة للذاكر. فإذا طلبت الذاكر وجدت المذكور. وإذا طلبت المذكور وجدت الذاكر.

فإذا أبصرتنى أبصرته * وإذا أبصرته أبصرتنا

وسابعها: التوجه إلى الله بكلية وجوده.

وهو الخروج عن كل داعية تدعوه[3] إلى غير الحق كما هو بالموت. فلا يبقى له مطلوب، ولا محبوب ولا مقصود، ولا مقصد إلاّ الله. ولو عرض عليه مقامات جميع الأنبياء والمرسلين. لا يلتفت إليها بالأعراض عن الله لحظة.

قال «الجنيد» :

لو أقبل صديق على الله ألف سنة. ثم أعرض عنه لحظة. فإن ما فاته أكثر مما ناله.

وثامنها : الصبر.

وهو الخروج عن حظوظ النفس بالمجاهدة والمكابدة. كما هو بالموت. والثبات على فطامها. عن مألوفاتها، ومحبوباتها لتزكيتها. وخمود شهواتها والاستقامة على الطريقة المثلى لتصفية القلب، وتحلية الروح.

قال الله تعالى : ﴿ **وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون** ﴾ [4].

---

(١) آية رقم ٤٨ من سورة (إبراهيم) مكية.

(٢) آية رقم ١٥٢ من سورة (البقرة) مدنية.

(٣) فى (ط) : (تدعو السالك).

(٤) آية رقم ٢٤ من سورة (السجدة) مكية.

وتاسعها : المراقبة.

وهى الخروج عن حوله وقوته. كما هو بالموت مراقبا لمواهب الحق متعرضا لنفحات ألطافه معرضا عما سواه. مستغرقا فى بحر هواه. مشتاقا إلى لقياه. إليه قلبه يحن، ولديه روحه، بأنْ به يستعين عليه ومنه يستغيث إليه حتى يفتح الله باب رحمة لا ممسك لها. ويغلق عليه باب عذاب لا مفتح له.

فبنور سطع من رحمة الله على النفس تزول ظلمة أمارية النفس فى لحظة ما لا يزول بثلاثين سنة بالمجاهدات والرياضات. كما قال تعالى:

﴿ إلا ما رحم ربىّ﴾ (١).

وهم الأخيار، بل يبدل سيئات النفس بحسنات الروح. لقوله تعالى **﴿ يبدل الله سيئاتهم حسنات﴾** وهم الأبرار. بل يكون حسنات الأبرار سيئات المقربين فيبدل سيئات المقربين بحسنات ألطافه.

كقوله تعالى **﴿ للذين أحسنوا الحسنى وزيادة﴾** (٢) فهذه الزيادة حسنات ألطاف الحق. وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

وعاشرها: الرضا.

وهو الخروج عن رضاء نفسه بالدخول فى رضاء الله بالتسليم لأحكامه الأزلية، والتفويض إلى تدبيره الأبدى بلا أعراض، ولا اعتراض كما هو بالموت.

كما قال بعضهم.

وكلت للمحبوب أمرى كله * فإن شاء أحيانى وإن شاء أتلفا

فمن يموت بإرادته عن هذه الأوصاف الظلمانية يحييه الله بنور عنايته كما قال تعالى:

---

(١) آية رقم ٥٣ من سورة (يوسف) مكية.

(٢) آية رقم ٢٦ من سورة (يونس) مكية.

﴿ أومن كان ميتا فأحييناه وجلعنا له نورا يمشى به فى الناس كمن مثله فى الظلمات ليس بخارج منها﴾ [1].

أى من كان ميتا عن أوصافه الظلمانية فى الشجرة الإنسانية. أحييناه بأوصافنا الربانية، وجعلنا له نورا من أنوار جمالنا يمشى به. أى بذلك النور. كقوله: بى يمشى فى الناس. أى فى سرائر الناس. يمشى بالفراسة ويشاهد أحوالهم. كمن مثله فى الظلمات. أى كمن بقى فى ظلمات الشجرة الإنسانية ليس بخارج منها لا بزهرية المؤمنية [2]، ولا بثمارية الولاية [3] والنبوة.

(تفهم إن شاء الله تعالى، وتنتفع به)[4].. فمن دوامت بهذه الصفة خلوته. لازمت سلوته. وبعلاج الذكر انقطعت عنه مواد الآفات والفتن، وارتفعت الحجب، وانكشفت الغيوم عن شموس شواهد الحق، وشاهدت مشاهد الصدق. ثم دارت كؤوس المشاهدات. وسارت فى العروق، والأعصاب شراب المكاشفات، وتساكر حلاج [5] القلب، وتظاهر تغريده [6]. أنا الحق. وترادف هل من مزيد أنى يزيد الروح وتصاعدت منه صعداء سبحانى. ثم تجلى ربه بجبل النفس وجعله دكا، وخر موسى القلب صعقا، سكرانا من سطوة ورائح الشراب الطهور، الذى سقاه ربه. فلما أفاق من السكر قال أداءً للشكر بدل سبحانى : « سبحانك إنى تبت إليك»[7]. من أنانيتى التى اقتضت تجاسر أرنى أنظر إليك وأنا أول المؤمنين. الذين عرفوا وآمنوا بنور جمالك

---

(١) آئية رقم ١٢٢ من سورة (الأنعام) مكية.

(٢) فى (ط) : (الولاية).

(٣) فى (ط) : (ولا بثمارية النبوة).

(٤) ما بين القوسين سقط من (ط).

(٥) فى (ط) : (صاح).

(٦) فى (ز) : (يعربده)، وفى (ط) : (بوبده).

(٧) معنى جزء من آية رقم ١٤٣ من سورة (الأعراف) مكية.
وهو معنى الآية مع بعض ألفاظها.

أن سلطان جلالك لا تدركه الأبصار. وهو يدرك الأبصار. وبإدراكه إياها يطهرك عن لوث الحدوث ونورها بنور القدم، وتوجه مرآة القلوب[1] المصقوله المطهرة. المنورة بنور القدم الناظرة. عن وصمة الأنانية. إلى جمال الربوبية بتجلى جلال الألوهية فيكون وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة..

فهذه جملة ما سمح[2] به الوقت، وسنح[3] لى من الموقت. فيما التمسه[4] الطلبة منى، واقترح علىّ الأصحاب[5]. جمعته وألّفته: تذكرة لأولى الألباب. وهى الفرائض المكتوبة على مدعى الطلب، والسنن المرغوبة. لذوى الرغائب، وأهل الرتب. (فمن غلب سلب صفات مكارم الأخلاق. ولكن لعمرى) [6].

(صلاة مكارم الأخلاق فرض * وما غير الأذان على بلال)[7]

ولكن لعمرى. إنه لم يختصنى[8] (من هذا الكتاب)[9] إلاّ أولو [10] الألباب الذين لهم صدق شامل، وعشق كامل، ولا يتفطن لدقائقه، وحقائقه إلا من أوتى قريحة ذكية. ونفسا زكية، ونية صالحة مرضية، ونية خالية [11] بعد إمعان النظر، وجولان الفكر [12]. ولا ينتفع [13] به من كانت همته اصطياد الناس لشبكة مظنوناته،وفخ

---

(١) فى (ط)، (ز) : (القلب).

(٢) فى (ط) : (ما يسامح).

(٣) فى (ط) : (وسابح).

(٤) فى (ط) : (التمس)، وفى (ز) : (التمسوه).

(٥) فى (ط) : (لأصحابى).

(٦) ما بين القوسين سقط من (ت).

(٧) ما بين القوسين سقط من (ط) وهو بيت الشعر.

(٨) فى (ز) : (يخبط)، وفى (ط) : (يخطر).

(٩) ما بين القوسين سقط من (ز).

(١٠) فى (ط) : (إلا لأولى).

(١١) فى (ز)، (ط) : (خالصة صافية).

(١٢) فى (ط) : (وجودة الفجرة لأن الفكر لا ينفع).

(١٣) فى (ز) : (ولا نسفع).

مكنوناته، ولا من تهمته السمعة، والرياء لِيُـرىَ نفسه بأنه معدن هذه العلوم، ومنبع هذه الحكم [1].

بل يكون سببا لخسرانه[2]، ومظنة لنقصانه[3]. كما قال تعالى ﴿ **ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو قال أوحى إلى ولم يوح إليه شيء** ﴾ [4].

إلاّ من كان [5] جل مطلبه منه [6] درك حقائق علوم القوم بالاقتداء بهم [7] فى السلوك. والاهتداء.

كما قال تعالى لحبيبه، ونبيه (ﷺ):

﴿ **أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده** ﴾ [8].

ليعلم أنه ما بلغ أحد مرتبة الاهتداء إلا بالاقتداء.

﴿ **قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله** ﴾ [9].

وقد وجدت فى ضمن هذه الآية إشارة إلى بشارة قد اختصت بها هذه الأمة. وهى مقام المحبية والمحبوبية الذى مَـنَّ الله تعالى على نبيه (ﷺ) وقوله تعالى:

﴿ **فسوف يأتى الله بقوم يحبهم ويحبونه** ﴾ [10].

---

(١) فى (ط) : (ولا يهمه نعمته).
(٢) فى (ز) : (لخيرته).
(٣) فى (ط) : (وفطنة) نقصانه).
(٤) آية رقم ٩٩ من سورة (الأنعام) مكية.
(٥) فى (ت) : (يكونوا).
(٦) سقطت من (ط).
(٧) فى (ط) : (اللوم باقتدائهم).
(٨) آية رقم ٩٠ من سورة (الأنعام) مكية.
(٩) آية رقم ٣١ من سورة (آل عمران) مدنية.
(١٠) آية رقم ٥٤ من سورة (المائدة) مدنية.

ولهذا قال تعالى فيهم: ﴿ **كنتم خير أمة أخرجت للناس**﴾ [1]. ومع عظم شأنهم جعلهم للعزة طرائق قددا.

وأقول مناجيا، ولكرمه راجيا. يا من أنشأ شجرة العالم وأثمرها بثمار بنى آدم، واختار منهم محمدا المصطفى وجعله مجتبى مجتنيها. على أنه جعل أمته التى كانت خير أمة طرائق قددا. وجعل الناجى من حملهم أحدا والباقون ودّوا لو يردونكم من بعد إيمانكم كفارا حسداً [2] فافترقوا بددا [3] فتاهموا فى تيه الجهالة، وتمادوا فى الغى والضلالة سدى. ولم ينالوا من أمرهم رشادا. لقد خبّئت[4] مفاتيح قلوبهم فى خزانة الغيب. لا يعلمها إلا عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا.

إلهنا اهدنا الصراط [5] المستقيم، وثبتنا على دينك القويم، فى متابعة سيد المرسلين، وخاتم النبين (صلى الله عليه وعلى آله أجمعين).

ربنا لا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين، ولا أقل من ذلك. وأفرغ علينا سجال فضلك[6]، (وخذنا بك عنا) [7] وامنن علينا بجود وجودك منا [8]. مستغرقين فى

---

(١) آية رقم ١٠٠ من سورة (آل عمران) مدنية.

(٢) معنى آية رقم ١٠٩ من سورة (البقرة) مدنية.

ونصها : ﴿ **ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفاراً حسداً من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق فاعفوا واصفحوا حتى يأتى الله بأمره إن الله على كل شىء قدير**﴾.

(٣) فى (ز) : (فافترقوا على عدد حروف الجسد فرقاً بدداً) سقطت من (ت).

(٤) فى (ط)، (ز) : (خبأت).

(٥) فى (ز)، (ط) : (صراطك).

(٦) فى (ط) : (سجال عفوك فضلك).

(٧) سقط ما بين القوسين من (ط).

(٨) فى (ط) : (غواصا).

بحر فضلك ونوالك. بدوام تجلى جمالك وجلالك يا إله العالمين، وخير الناصرين[1]. برحمتك يا أرحم الراحمين. وأكرم الأكرمين.

الحمد لله الذى وفقنا لإنجاز ما وعدنا فى إتمام كتاب (منارات السائرين إلى الله، ومقامات الطائرين بالله).

فمن أمعن النظر، وأنعم الفكر[2]، ووفق لكشف أسراره، ومعانيه، ونشر ما فى مطاويه، ولم تردعه العصبية، والدخيلة الردية [3] أنصف، واعترف بأنى وإن كنت من المتأخرين لآت [4] بما لم يأت به أحد من المتقدمين تصحيحا لقول النبى (ﷺ):

« أمتى كالمطر لا يدرى أولهم خيراً أم آخرهم» [5].

ولا يعلم[6] قدر ما أودعت فيه إلاّ العلماء بالله، والراسخون فى العلم الذين هم أوتاد الأرض وعمد[7] السماء الذين هم أقطابالعالم، وحجج الله على الخلق عليهم سلام الله ورحمته وبركاته.

وأقول كما قال الله تعالى [8]:

﴿ **إن هذه تذكرة فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلا**﴾ [9].

---

(١) فى (ط) : (ويا خير الناصرين).
(٢) فى (ط) : فمن أمعن فيه النظر، وانضم إليه جودة الفكر).
(٣) فى (ط) : (والدخلة الرادية).
(٤) فى (ط) : (آت بما لم يأت به المتقدمون).
(٥) حديث : (أمتى كالمطر لا يدرى أولهم حيراً أم آخرهم) ينظر فى فهرس الأحاديث النبوية نهاية الكتاب.
(٦) فى (ط) : (ولم يعلم).
(٧) فى ٠ط) : (وعماد السماء).
(٨) فى (ط) : (فأقول كما قال الله تبارك وتعالى).
(٩) آية رقم ٢٩ من سورة (الإنسان) مدنية.

على أنني لم أدع فيه العصمة عن إمكان السهو والغلط فإن الإنسان معرض للنسيان.

كما قيل [1]:

وسميت إنسانا لأنك ناسيا * وأول ناس آدم أول الناس

فالمتوقع من كرم الناظرين المتأملين فيه. إن اطلع عالم منصف على موضع سهو أو غلط أن يصلحه بقلمه. بفضله وكرمه بشرط أن يكون على يقين. دون تحيز وظن[2] فإن الظن يخطئ ويصيب. ولا يكون ممن إذا رأى ألف صواب غطاه. وإذا وجد سهوا نادى عليه وأبداه. كما قيل:

صم إذا سمعوا خيرا ذكرت (به * وإن ذكرت) [3] بسوء عندهم أذنوا [4]

ختم[5] الله كتاب آجالنا بالخير والسعادة، وجعلنا ممن سبقت لهم من الله الحسنى وزيادة.

وكان الفراغ من نسخه في السادس والعشرين من شهر ربيع الأول سنة أربع وأربعين وثمانمائة. سنة ٨٤٤ هـ.

على يد العبد الفقير الراجي عفو ربه القدير بعد العصر بالتاريخ المشار إليه أعلاه محمد عبد الله الكناني الحنفي حامداً الله على نعمه ومصليا على نبيه ومسلما.

---

(١) في (ط) : (وكانت كنيته إنساناً لأنه ناس وأول الناس أول الناس) هكذا !

(٢) في (ط) : (دون ظن وتخمين).

(٣) ما بين القوسين سقط من (ز).

(٤) في (ز) : (ختمت الكتاب بالخير في ثامن ربيع الأول سنة أربع وتسعين وتسعمائة والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد النبي وآله وصحبه أجمعين، وعترته الطاهرين وسلم تسليما كثيرا. كاتبه مولانا إمام الدين بن نعمة الله بن محمد لاهوري غفر الله له ولوالديه ولجميع المؤمنين والمؤمنات إنك قريب مجيب الدعوات سنة ١٩٩٤ .

وفي (ط) : (ختم الكتاب بالخير، وختم الله آجالنا بالخير والله أعلم بالصواب وإليه المرجع والمآب).

تم وكمل

بحمد الله تعالى وعونه

ياخالق الخلق طورا بعد أطوار * وغافر من سر وإجهار
اغفر لكاتبه أيضا وناظره * والمستعير له إن رد والقارى[1] .

(١) فى ص ١٢٤ من النسخة (ت). تملكات هى :
(آل إلى نوبة فقير ربه بالوفاء الشفيع له نبيه المصطفى سيد العالمين عبده محمد أمين غرابيلى زاده فى سنة ١١٦٠ من الهجرة على صاحبها السلام) بخط رقعة جميل.
ثم كتب أسفلها بخط اعتيادى :
(ثم انتقل بالاشتراك الشرعى من فضل الله تعالى إلى نوبة العبد الفقير إلى مولاه الغنى السيد محمد شكعه ابن المرحوم حسن جلبى غفر الله له ولجميع المسلمين والمسلمات وصلى الله وسلم على أشرف المخلوقات سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم ما دامت الأرض والسموات أمين جارى ذلك فى شهر ربيع الأول سنة ١١٦٣).
ثم على أيسر ذلك كتب تملك آخر بخط سيئ يقرأ بصعوبة (ثم انتقل بالشراء الشرعى بعون الله تعالى إلى نوبة العبد الحقير السيد عمر بن السيد محمد حاتم الدهر مسريا فى ... الشيخ طه الحكيم الحلبى عفى الله عنهما وعن المسلمين أجمعين سنة ١١٨٧. (ثم كتب بيت شعر).

يا مستعير الكتب دعنى * فإن إعارتى للكتب عار
فمعشوقى في الدنيا كتاب * فهل رأيت معشوقا يعار

ثم أسفل ذلك كتب الآتى : زودعت فيه شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله (صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم) وأرجوك يا ناظر إليه الفاتحة لروحه ومشايخه وأخوانه ووالديه).
وجوار ذلك على اليمين كتب الآتى : داخل دائرة
(الله ربى ومحمد النبى قبلة فريضة والمسلمون الأولى قل هو الله أحد الله الصمد)
ثم أسفل ذلك كتب الآية الآتية :
﴿ إن الله وملائكته يصلون على النبى يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما﴾.
تمت
كل هذه التملكات والآيات وغير ذلك كتبت بخطوط مختلفة عن بعضها تدل على أن كل صاحب تملك يضيف ما يريد خارج نصوص الكتاب.
أما الصفحة ١٢٥ بعد ذلك فقد كتب فيها دعاء سمى دعاء الخضر عليه السلام. ولم أكتبه لعدم أهميته.

مجموعة الفهارس

فهرس الفهارس

١ ـ فهرس الآيات القرآنية مبينا اسم السورة ورقمها ورقم الآية. ومكية أو مدنية.

٢ ـ فهرس الأحاديث النبوية والقدسية. مرتباً ترتيباً أبجدياً ومخرجاً من مظانه.

٣ ـ فهرس الشعر القوافى وأنصاف الأبيات.

٤ ـ فهرس الأعلام.

٥ ـ فهرس البلدان والفرق والجماعات والطرق.

٦ ـ فهرس الكتب للمؤلف وغيره.

٧ ـ فهرس المراجع التى أعانت التحقيق.

٨ ـ فهرس لمحتوى الكتاب.

أولا:

فهرس الآيات القرآنية

الواردة بالكتاب موضحاً رقم السورة، واسم السورة، ونص الآية، ورقم الآية بالمصحف، ومكية أم مدنية، ورقم صفحة الكتاب.

علما بأن الأرقام المذكورة نظير كل آية معتمدة على مصحف الحرمين. متبعا تسلسل السور بأرقامها المبينة أمام كل سورة.

نص الآية	رقم الآية	مكية أو مدنية	رقم الصفحة
١ ـ الفاتحة :			
اهدنا الصراط المستقيم	٦	مكية	٤٤٩
٢ ـ البقرة :			
فى قلوبهم مرض فزادهم الله مرضاً.	١٠	مدنية	٣٥٩
صم بكم عمى فهم لا يرجعون.	١٨	مدنية	٥١٧
فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التى وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين.	٢٤	مدنية	١٦٤
وإذ قال ربك للملائكة إنى جاعل فى الأرض خليفة.	٣٠	مدنية	٢٦٣، ٢٦٥، ٢٦٨، ٢٩١، ٢٩٣
وعلّم آدم الأسماء كلها.	٣١	مدنية	١٩٧، ٢٥٧، ٢٧٢
قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم .	٣٣	مدنية	٢٧٤
إلاّ إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين.	٣٤	مدنية	٣٠٥، ٥٢٠
وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو.	٣٦	مدنية	٥٦٤، ٥٦٦
فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم.	٣٧	مدنية	٥٦٦
وإذ واعدنا موسى أربعين ليلة ثم اتخذتم العجل من بعده وأنتم ظالمون.	٥١	مدنية	٤٠٢
وأشربوا فى قلوبهم العجل بكفرهم .	٩٣	مدنية	١٧١
وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت.	١٠٢	مدنية	١٥٠
وما هم بضارين به من أحد إلاّ بإذن الله ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم.	١٠٢	مدنية	١٥١

نص الآية	رقم الآية	مكية أو مدنية	رقم الصفحة
ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفاراً حسداً من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق.	١٠٢	مدنية	٥٧٦
فاذكرونى أذكركم واشكروا لى ولا تكفرون.	١٥٢	مدنية	٨٨، ٢١٠، ٣٩٥، ٣٩٦، ٥٧١
ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حباً لله.	١٦٥	مدنية	٤٦٦
صم بكم عمى فهم لا يعقلون.	١٧١	مدنية	٥٦٥
والصابرين فى البأساء والضراء وحين البأس.	١٧٧	مدنية	٢٠١
ولكم فى القصاص حياة يا أولى الألباب.	١٧٩	مدنية	١٦٥
تلك عشرة كاملة.	١٩٦	مدنية	٢٩، ٢٥٣
وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون.	٢١٦	مدنية	٣٦٥، ٤١٨
إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين.	٢٢٢	مدنية	٣٤٨
تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض.	٢٥٣	مدنية	١٧٥، ٩٧٧
الله ولى الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور.	٢٥٧	مدنية	١٨٥، ١٨٨، ٢٦٤، ٣٤٤، ٤٤٨
للفقراء الذين أحصروا فى سبيل الله لا يستطيعون ضربا فى الأرض.	٢٧٣	مدنية	٤٨١، ٤٩٠

نص الآية	رقم الآية	مكية أو مدنية	رقم الصفحة
وأحل الله البيع وحرّم الربا.	٢٧٥	مدنية	١٧٠
٣ ـ آل عمران :			
وما يعلم تأويله إلاّ الله والراسخون فى العلم.	٧	مدنية	١٢٨
زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة.	١٤	مدنية	٣٢٣، ٤٦٦
ويحذركم الله نفسه.	٢٨، ٣٠	مدنية	٣٨١
قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم.	٣١	مدنية	٢١٧، ٢٢٢، ٢٢٣ ٢٢٧، ٤٦٥، ٥٧٥
كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقاً...	٣٧	مدنية	١٤٨
وإذا أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم .	٨١	مدنية	١٥٣، ٤٣٥
لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون.	٩٢	مدنية	١٧٠
يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلاّ وأنتم مسلمون.	١٠٢	مدنية	١٩١
كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله.	١١٠	مدنية	٥٧٦
إذ همّت طائفتان منكم أن تفشلا والله وليهما وعلى الله فليتوكل المؤمنون.	١٢٢	مدنية	١٦١

نص الآية	رقم الآية	مكية أو مدنية	رقم الصفحة
والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلاّ الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون.	١٣٥	مدنية	٣٩٦
والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين.	١٣٤	مدنية	٣٢٩
منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة.	١٥٢	مدنية	٢٤٢
إنما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين.	١٧٥	مدنية	٣٨٠
ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيراً لهم بل هو شر لهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة ولله ميراث السموات والأرض والله بما تعملون خبير.	١٨٠	مدنية	٣٣٥
يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون.	٢٠٠	مدنية	١٩٩
٤ ـ النساء :			
يوصيكم الله فى أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين.	١١	مدنية	١٧٠
إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد افترى إثما عظيما.	٤٨	مدنية	٣٨٥

نص الآية	رقم الآية	مكية أو مدنية	رقم الصفحة
ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا.	٦٩	مدنية	٢٢٢، ٣٧٨
وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما.	١١٣	مدنية	١٧٥، ٤٢٨
ليس بأمانيكم ولا أمانى أهل الكتاب من يعمل سوء يجز به ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيراً.	١٢٣	مدنية	١٧٠
ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك وكلم الله موسى تكليما.	١٦٤	مدنية	١٠٣، ٥١٨
يا أهل الكتاب لا تغلوا فى دينكم ولا تقولوا على الله إلاّ الحق إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته.	١٧١	مدنية	٣٦
٥ ـ المائدة :			
يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيراً مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفو عن كثير قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين.	١٥	مدنية	١١٧
وقالت اليهود والنصارى نحن أبناءُ الله وأحباؤه قل فلم يعذبكم بذنوبكم بل أنتم بشر ممن خلِق يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء ولله ملُك السموات والأرض وما بينهما	١٨	مدنية	١٩٣

نص الآية	رقم الآية	مكية أو مدنية	رقم الصفحة
وإليه المصير.			
قال رجلان من الذين يخافون أنعم الله عليهما ادخلوا عليهم الباب فإذا دخلتموه فإنكم غالبون وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين.	٢٣	مدنية	٣٦٤
فطوعت له نفسه قتل أخيه فقتله فأصبح من الخاسرين.	٣٠	مدنية	١٧٢
يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتى الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون فى سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم.	٥٤	مدنية	٢١٠، ٤٦٢، ٥٧٥
وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين.	٨٣	مدنية	٥٤٧
يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم إلى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم تعملون.	١٠٥	مدنية	١٨٩
وإذ أوحيت إلى الحواريين أن آمنوا بى وبرسولى قالوا آمنا واشهد بأننا مسلمون.	١١١	مدنية	١٠٥
تعلم ما فى نفسى ولا أعلم ما فى نفسك إنك أنت علام الغيوب.	١١٦	مدنية	٢٨٤
قال الله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم	١١٩	مدنية	٢٠٩، ٢٦٢

نص الآية	رقم الآية	مكية أو مدنية	رقم الصفحة
لهم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً رضى الله عنهم ورضوا عنه ذلك الفوز العظيم.			
٦ ـ الأنعام :			
الحمد لله الذى خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون.	١	مكية	٢٦٤
وما من دابة فى الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلاّ أمم أمثالكم ما فرطنا فى الكتاب من شىء ثم إلى ربهم يحشرون.	٣٨	مكية	١٦٢، ١٦٣
ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه ما عليك من حسابهم من شىء وما من حسابك عليهم من شىء فتطردهم فتكون من الظالمين.	٥٢	مكية	٤٤١، ٤٤٣، ٤٩٠
لكل نبأ مستقر وسوف تعلمون.	٦٧	مكية	١٧٠
وكذلك نرى إبراهيم ملكوت السموات والأرض وليكون من الموقنين.	٧٥		١٢٥، ٢٩٢، ٣٧٤
أولئك الذين هداهم الله فبهداهم اقتده قل لا أسألكم عليه أجراً إن هو إلاّ ذكرى للعالمين.	٩٠	مكية	٥٧٥
وما قدروا الله حق قدره إذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شىء قل من أنزل الكتاب الذى جاء به موسى نوراً وهدى	٩١	مدنية	٤٥، ٤٠٢

نص الآية	رقم الآية	مكية أو مدنية	رقم الصفحة
للناس تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيراً وعلمتم ما لم تعلموا أنتم ولا آباؤكم قل الله ثم ذرهم فى خوضهم يلعبون.			
ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو قال أوحى إلىّ ولم يوح إليه شيء ومن قال سأنزل مثل ما أنزل الله ولو ترى إذ الظالمون فى غمرات الموت والملائكة باسطو أيديهم أخرجوا أنفسكم اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحق وكنتم عن آياته تستكبرون.	٩٣	مدنية	١٦٨، ٥٧٥
ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وإنه لفسق وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم وإن أطعتموهم إنكم لمشركون.	١٢١	مكية	١٣٩
أومن كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نوراً يمشى به فى الناس كمن مثله فى الظلمات ليس بخارج منها كذلك زين للكافرين ما كانوا يعملون.	١٢٢	مكية	٣٥٦، ٥٧٣
وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون.	١٥٣	مدنية	٧٦
من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى إلاّ مثلها وهم لا يظلمون.	١٦٠	مكية	١٦٩

نص الآية	رقم الآية	مكية أو مدنية	رقم الصفحة
قل إننى هدانى ربى إلى صراط مستقيم ديناً قيما ملة إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين.	١٦١	مكية	٧٦
وهو الذى جعلكم خلائف الأرض ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم فى ما آتاكم إن ربك سريع العقاب وإنه لغفور رحيم.	١٦٥	مكية	٢٦٩
٧ ـ الأعراف :			
يا بنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين.	٣١	مكية	١٧٠، ٣٢٦
قل إنما حرم ربى الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغى بغير الحق وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون.	٣٣	مكية	٣١٦
ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين.	٥٤	مكية	٢٦٤، ٤٣١
أفأمنوا مكر الله فلا يأمن مكر الله إلاّ القوم الخاسرون.	٩٩	مكية	٣٨٢
وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتممناها بعشر فتم ميقات ربه أربعين ليلة وقال موسى لأخيه هارون اخلفنى فى قومى وأصلح ولا تتبع سبيل المفسدين.	١٤٢	مكية	٤٠٢

نص الآية	رقم الآية	مكية أو مدنية	رقم الصفحة
ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه قال رب أرنى أنظر إليك قال لن ترانى ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف ترانى فلما تجلى ربه للجبل جعله دكاً وخر موسى صعقا فلما أفاق قال سبحانك تبت إليك وأنا أول المؤمنين.	١٤٣	مكية	١٠٤، ٥١٩، ٥٧٣
قال يا موسى إنى اصطفيتك على الناس برسالاتى وبكلامى فخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين.	١٤٤	مكية	٥١٩
ولما سقط فى أيديهم ورأوا أنهم قد ضلوا قالوا لئن لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا لنكونن من الخاسرين.	١٤٩	مكية	١٧١
إن هى إلاّ فتنتك تضل بها من تشاء وتهدى من تشاء أنت ولينا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الغافرين.	١٥٥	مكية	٢٦٨
وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنّا كنا عن هذا غافلين.	١٧٢	مكية	٢٥٢، ٥١٤
أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون.	١٧٩	مكية	٤٠٨، ٥١٦، ٥٢٤
أولم ينظروا فى ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شىء وأن عسى أن يكون قد اقترب أجلهم فبأى حديث بعده يؤمنون.	١٨٥	مكية	٥٥، ٢٩٢، ٤٣٢

نص الآية	رقم الآية	مكية أو مدنية	رقم الصفحة
قل لا أملك لنفسى نفعا ولا ضراً إلاّ ما شاء الله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسّنى السوء إن أنا إلاّ نذير وبشير لقوم يؤمنون.	١٨٨	مكية	٧١
هو الذى خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن إليها.	١٨٩	مكية	٥٥٩
إن وليّـى الله الذى نزّل الكتاب وهو يتولى الصالحين.	١٩٦	مكية	١٨٥
وإن تدعوهم إلى الهدى لا يسمعوا وتراهم ينظرون إليك وهم لا يبصرون.	١٩٨	مكية	٥١٦
خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين.	١٩٩	مكية	٣٤١
٨ ـ الأنفال :			
وإذ يعدكم الله إحدى الطائفتين أنها لكم وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم ويريد الله أن يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين.	٧	مدنية	١٦٢
فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى وليبلى المؤمنين منه بلاءً حسنا إن الله سميع عليم.	١٧	مدنية	٦٠، ١٣٦، ١٩٣
يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئةً فاثبتوا واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون.	٤٥	مدنية	٨٤
يا أيها النبى حرّض المؤمنين على	٦٥	مدنية	٢٠٠

نص الآية	رقم الآية	مكية أو مدنية	رقم الصفحة
القتال إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وإن يكن منكم مائة يغلبوا ألفاً من الذين كفروا بأنهم قوم لا يفقهون.			
٩ ـ التوبة :			
فإذا انسلخ الأشهر الحرُمُ فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم إن الله غفور رحيم.	٥	مدنية	١٧١
هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون.	٣٣	مدنية	١٦١
إلاَّ تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثانى اثنين إذ هما فى الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هى العليا والله عزيز حكيم.	٤٠	مدنية	٥٠٤
والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضى الله عنهم ورضوا عنه وأعدّ لهم جنات تجرى تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً ذلك الفوز العظيم.	١٠٠	مدنية	٢٠٩، ٢١٤

نص الآية	رقم الآية	مكية أو مدنية	رقم الصفحة
يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين.	١١٩	مدنية	٣٧٧
١٠ ـ يونس :			
أكان للناس عجبا أن أوحينا إلى رجل منهم أن أنذر الناس وبشر الذين آمنوا أن لهم قدم صدق عند ربهم قال الكافرون إن هذا لساحر مبين.	٢	مكية	٣٧٧
للذين أحسنوا الحسنى وزيادة ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون.	٢٦	مكية	٥٧٢
قل لا أملك لنفسى ضراً ولا نفعاً إلاّ ما شاء الله لكل أمة أجل إذا جاء أجلهم فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون..	٤٩	مكية	٧١
ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون.	٦٢	مكية	١٨٥ ، ٣٨٢
لهم البشرى فى الحياة الدنيا وفى الآخرة لا تبديل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم..	٦٤	مكية	١١٩

نص الآية	رقم الآية	مكية أو مدنية	رقم الصفحة
١١ ـ هود :			
فإلّم يستجيبوا لكم فاعلموا أنما أنزل بعلم الله وأن لا إله إلاّ هو فهل أنتم مسلمون.	١٤	مكية	٦٧، ٨٣
فاستقم كما أمرت ومن تاب معك ولا تطغوا إنه بما تعملون بصير.	١١٢	مكية	٤٤٧
١٢ ـ يوسف :			
ولقد همّت به وهمّ بها لولا أن رأى برهان ربه كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء إنه من عبادنا المخلصين.	٢٤	مكية	٤٥٤
وما أبرئ نفسي إن النفس لأمارة بالسوء إلاّ ما رحم ربي إن ربي غفور رحيم.	٥٣	مكية	٢٩٧، ٣٤٥، ٤٤٧، ٥٧٢
فلما استيأسوا منه خلصوا نجيا.	٨٠	مكية	١٦٩
قل هذه سبيلى أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى وسبحان الله وما أنا من المشركين.	١٠٨	مكية	٧٦
١٣ ـ الرعد :			
له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله إن الله لا يغيرما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وإذا أراد الله بقوم سوءاً فلا مردّ له وما لهم من دونه من والٍ.	١١	مدنية	٣٥٨
الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا	٢٨	مدنية	٤١٠

نص الآية	رقم الآية	مكية أو مدنية	رقم الصفحة
بذكر الله تطمئن القلوب.			
ولقد أرسلنا رسلاً من قبلك وجعلنا لهم أزواجاً وذريّة وما كان لرسول أن يأتى بآية إلاّ بإذن الله لكل أجل كتاب..	٣٨	مدنية	١٧٠
١٤ - إبراهيم :			
وما أرسلنا من رسول إلاّ بلسان قومه ليبين لهم فيضل الله من يشاء ويهدى من يشاء وهو العزيز الحكيم.	٤	مكية	١٣٣
وإذا تأذن ربكم لئن شكرتم لأزيدنكم ولئِن كفرتم إن عذابى لشديد.	٧	مكية	٥١٩
تؤتى أكلها كل حين بإذن ربها ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون.	٢٥	مكية	٥٠٥
يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات وبرزوا لله الواحد القهار.	٤٨	مكية	٥٧١
١٥ - الحِجْر :			
ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الأمل فسوف يعلمون.	٣	مكية	٤٠٨
فإذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين.	٢٩	مكية	٢٥٤، ٢٦٥، ٢٨٤، ٤٣٠، ٤٣٧
إلاّ عبادك منهم المخلصين.	٤٠	مكية	٣٨٨
إن عبادى ليس لك عليهم سلطان إلاّ من اتبعك من الغاوين.	٤٢	مكية	٣٨٨
نبّئ عبادى أنى أنا الغفور الرحيم.	٤٩	مكية	٣٨٥

نص الآية	رقم الآية	مكية أو مدنية	رقم الصفحة
لا تمدّن عينيك إلى ما متعنا به أزواجا منهم ولا تحزن عليهم واخفض جناحك للمؤمنين.	٨٨	مكية	١٨١
فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين.	٩٤	مكية	١٧١
١٦ ـ النحل :			
إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون.	٤٠	مكية	٣٥
يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون.	٥٠	مكية	٣٨٠
وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذى من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون.	٦٨	مكية	١٠٤
وضرب الله مثلا رجلين أحدهما أبكم لا يقدر على شيء وهو كل على مولاه أينما يوجهه لا يأت بخير هل يستوى هو ومن يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم.	٧٦	مكية	٤٨١
والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون.	٧٨	مكية	٥١٧
ويوم نبعث فى كل أمة شهيداً عليهم من أنفسهم وجئنا بك شهيداً على هؤلاء ونزّلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين.	٨٩	مكية	١٦٢

نص الآية	رقم الآية	مكية أو مدنية	رقم الصفحة
ولا تكونوا كالتى نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثا تتخذون أيمانكم دخلا بينكم أن تكون أمة هى أربى من أمة إنما يبلوكم الله به وليبينن لكم يوم القيامة ما كنتم فيه تختلفون.	٩٢	مكية	٤٥٠
ما عندكم ينفد وما عند الله باق ولنجزين الذين صبروا أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون.	٩٦	مكية	٢٠٦
من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون.	٩٧	مكية	١٣١، ٣٩٦، ٥١٧
ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون.	١١٦	مكية	٥٣٨
واصبر وما صبرك إلا بالله ولا تحزن عليهم ولا تك فى ضيق مما يمكرون.	١٢٧	مدنية	١٩٩
١٧ ـ الإسراء :			
سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصا الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير.	١	مكية	٤٥٧، ٤٧٧، ٤٧٨
تسبح له السموات السبع والأرض ومن	٤٤	مكية	٥٢١

نص الآية	رقم الآية	مكية أو مدنية	رقم الصفحة
فيهن وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم إنه كان حليما غفورا.			
ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا.	٧٠	مكية	١٨٩، ٢٦٥، ٣١٠
ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا.	٧٩	مدنية	٨٧
قل كل يعمل على شاكلته فربكم أعلم بمن هو أهدى سبيلا.	٨٤	مكية	١٦٩
ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربى وما أوتيتم من العلم إلاّ قليلا.	٨٥	مكية	٣٩، ٢٨٠، ٤٢٧، ٤٩٢
قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً.	٨٨	مكية	١٧٢
١٨ ـ الكهف :			
فضربنا على آذانهم فى الكهف سنين عدداً.	١١	مكية	١٧١
نحن نقص عليك نبأهم بالحق إنهم فتية آمنو بربهم وزدناهم هدى وربطنا على قلوبهم إذ قاموا فقالوا ربنا رب السموات والأرض لن ندعو من دونه إلها لقد قلنا إذاً شططا * هؤلاء قومنا اتخذوا من دونه آلهة لولا يأتون عليهم بسلطان بين فمن أظلم	١٣، ١٤	مكيتان	٤٦٠

نص الآية	رقم الآية	مكية أو مدنية	رقم الصفحة
ممن افترى على الله كذبا.			
إلاَّ أن يشاء الله واذكر ربك إذا نسيت وقل عسى أن يهدينى ربى لأقرب من هذا رشداً.	٢٤	مكية	٥٦٧
ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا.	٢٨	مكية	٧٦
قل إنما أنا بشر مثلكم يُوحى إلىَّ أنما إلهكم إله واحد فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحدا.	١١٠	مكية	٣٨٣
١٩ ـ مريم :			
ذكر رحمت ربك عبده زكريا.	٢	مكية	٤٥٧
قال رب إنى وهن العظم منى واشتعل الرأس شيبا ولم أكن بدعائك رب شقيا..	٤	مكية	١٧١
قال كذلك قال ربك هو علىَّ هيِّن وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئا.	٩	مكية	٤٣١
وهُزِّى إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا.	٢٥	مكية	١٤٨
وإن منكم إلاَّ واردها كان على ربك حتماً مقضياً..	٧١	مكية	٥١٨
٢٠ ـ طه :			
إذ رأى ناراً فقال لأهله امكثوا إنى آنست	١٠	مكية	٥٦٠

نص الآية	رقم الآية	مكية أو مدنية	رقم الصفحة
ناراً لعلى آتيكم منها بقبس أو أجد على النار هدى.			
إنى أنا ربك فاخلع نعليك إنك بالواد المقدس طوى.	١٢	مكية	٥٥٩
منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجهم تارة أخرى.	٥٥	مكية	٢٥٠
فأكلا منها فبدت لهما سوءاتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة وعصى آدم ربه فغوى.	١٢١	مكية	٣٤٨
ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى.	١٢٢	مكية	٣٤٩
٢١ ـ الأنبياء :			
وكم قصمنا من قرية كانت ظالمة وأنشأنا بعدها قوماً آخرين..	١١	مكية	١٥٧
بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق ولكم الويل مما تصفون.	١٨	مكية	١٧١
لو كان فيهما آلهة إلاّ الله لفسدتا فسبحان الله رب العرش عما يصفون.	٢٢	مكية	١٦٩
خلق الإنسان من عجل سأريكم آياتى فلا تستعجلون.	٣٧	مكية	٢٠٠
قلنا يا نار كونى برداً وسلاماً على إبراهيم.	٦٩	مكية	٥١٣ ٢٢٠، ٥٦٣
إن الذين سبقت لهم منّا الحسنى أولئك عنها مبعدون.	١٠١	مكية	

نص الآية	رقم الآية	مكية أو مدنية	رقم الصفحة
٢٢ ـ الحج :			
ألم تر أن الله يسجد له من فى السموات ومن فى الأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدّواب وكثير من الناس وكثير حق عليه العذاب ومن يهن الله فما له من مكرم إن الله يفعل ما يشاء .	١٨	مدنية	١٧١
يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له وإن يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب.	٧٣	مدنية	١٧١
٢٣ ـ المؤمنون :			
قد أفلح المؤمنون * الذين هم فى صلاتهم خاشعون.	١ ، ٢	مكيتان	٥٤١
أولئك يسارعون فى الخيرات وهم لها سابقون.	٦١	مكية	٤٦٦
ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذاً لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحان الله عما يصفون.	٩١	مكية	١٦٩
٢٤ ـ النور :			
وتوبوا إلى الله جميعا أيه المؤمنون لعلكم تفلحون.	٣١	مدنية	٣٤٧

نص الآية	رقم الآية	مكية أو مدنية	رقم الصفحة
أو كظلمات فى بحر لجى يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكد يراها ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور.	٤٠	مدنية	٢٩١
٢٥ ـ الفرقان :			
الذى له ملك السموات والأرض ولم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك فى الملك وخلق كل شيء فقدره تقديرا.	٢	مكية	٧٠
وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباءً منثوراً.	٢٣	مكية	٧٨
٢٦ ـ الشعراء :			
يوم لا ينفع مال ولا بنون * إلاّ من أتى الله بقلب سليم.	٨٨، ٨٩	مكيتان	٣٥٧
نزل به الروح الأمين * على قلبك لتكون من المنذرين.	١٩٣، ١٩٤	مكيتان	١٠٥، ١٧٨
إنهم عن السمع لمعزولون.	٢١٢	مكية	٥١٦
٢٧ ـ النمل :			
قال الذى عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك.	٤٠	مكية	١٤٨
أمّن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض أإله مع الله	٦٢	مكية	٤٣٦

نص الآية	رقم الآية	مكية أو مدنية	رقم الصفحة
قليلا ما تذكرون.			
إنك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء إذا ولّوا مدبرين.	٨٠	مكية	٣٥٦
٢٨ ـ القصص :			
فلما أتاها نودى من شاطئ الواد الأيمن فى البقعة المباركة من الشجرة أن ياموسى إنى أنا الله رب العالمين.	٣٠	مكية	٦٠، ٥١٨
وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة سبحان الله وتعالى عما يشركون.	٦٨	مكية	٥٥٧
تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً فى الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين.	٨٣	مكية	٣٦٠
ولا تدع مع الله إلهاً آخر لا إله إلا هو كل شىء هالك إلاّ وجهه له الحكم وإليه ترجعون.	٨٨	مكية	٦٠، ٧٠، ٣٨٢
٢٩ ـ العنكبوت :			
يعذب من يشاء ويرحم من يشاء وإليه تقلبون.	٢١	مكية	٧١
وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلاّ العالمون.	٤٣	مكية	٤٢٨
والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين.	٦٩	مكية	٤٦١

نص الآية	رقم الآية	مكية أو مدنية	رقم الصفحة
٣٠ ـ الروم :			
الم * غلبت الروم * فى أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون.	١، ٢، ٣	مكية	١٦١
٣١ ـ لقمان :			
ومن الناس من يشترى لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم ويتخذها هزوا أولئك لهم عذاب مهين.	٦	مكية	٥٢٩
ولئِن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله قل الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون.	٢٥	مكية	٤٩
٣٢ ـ السجدة :			
ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين* ثم سواه ونفخ فيه من روحه وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلا ما تشكرون.	٨، ٩	مكيتان	٤٣٧
تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا ومما رزقناهم ينفقون.	١٦	مدنية	٣٠٨، ٣٨٠
وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لمّا صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون.	٢٤	مكية	١٨٩، ١٩٨، ٥٧١
٣٣ ـ الأحزاب :			
لا يحل لك النساء من بعد ولا أن تبدل بهن من أزواج ولو أعجبك حسنهن إلاّ ما	٥٢	مدنية	٣٩٠، ٤٧٥

نص الآية	رقم الآية	مكية أو مدنية	رقم الصفحة
ملكت يمينك وكان الله على كل شيء رقيباً.			
يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبى إلا أن يؤذن لكم إلى طعام غير ناظرين إناه ولكن إذا دعيتم فادخلوا فإذا طعمتم فانتشروا ولا مستأنسين لحديث إن ذلكم كان يؤذى النبى فيستحيى منكم والله لا يستحيى من الحق وإذا سألتموهن متاعاً فاسألوهن من وراء حجاب ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبداً إن ذلكم كان عند الله عظيما.	٥٣	مدنية	٤٥٢
٣٥ ـ فاطر :			
الحمد لله فاطر السموات والأرض جاعل الملائكة رُسُلاً أولى أجنحة مثنى وثلاث ورباع يزيد فى الخلق ما يشاء إن الله على كل شيء قدير.	١	مكية	١٠٤
يا أيها الناس اذكروا نعمت الله عليكم هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والأرض لا إله إلا هو فأنّى تؤفكون.	٣	مكية	٧٠
من كان يريد العزة فلله العزة جميعا إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه والذين يمكرون السيئات لهم عذاب	١٠	مكية	٦٨، ٢٨٧، ٣٩٦، ٤٦٥

نص الآية	رقم الآية	مكية أو مدنية	رقم الصفحة
شديد ومكر أولئك هو يبور.			
ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه كذلك إنما يخشى الله من عباده العلماء إن الله عزيز غفور.	٢٨	مكية	٣٨١
ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله ذلك هو الفضل الكبير.	٣٢	مكية	٤٨٨
٣٦ ـ يس :			
إنّا نحن نحيي الموتى ونكتب ما قدّموا وآثارهم وكل شيء أحصيناه في إمام مبين.	١٢	مكية	١٦٢
إن أصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون.	٥٥	مكية	٤١٥
٣٧ ـ الصافات :			
وقال إني ذاهب إلى ربّي سيهدين.	٩٩	مكية	٤٦٠
فلما بلغ معه السعي قال يا بني إنّي أرى في المنام أني أذبحك فانظر ماذا ترى قال يا أبت افعل ما تؤمر ستجدني إن شاء الله من الصابرين.	١٠٢	مكية	١٠٥
وأرسلناه إلى مائة ألف أو يزيدون.	١٤٧	مكية	١٣٣

نص الآية	رقم الآية	مكية أو مدنية	رقم الصفحة
٣٨ ـ ص :			
يا داود إنا جعلناك خليفة فى الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله إن الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب.	٢٦	مكية	٢٦١، ٢٦٣
ووهبنا لداود سليمان نعم العبد إنه أوّاب.	٣٠	مكية	٣٤٩
واذكر عبدنا أيوب إذ نادى ربه أنّى مسّنى الشيطان بنصب وعذاب.	٤١	مكية	٤٥٧
واذكر عبادنا إبراهيم وإسحاق ويعقوب أولى الأيدى والأبصار.	٤٥	مكية	٤٥٧
إذ قال ربك للملائكة إنى خالق بشراً من طين * فإذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين.	٧١، ٧٢	مكيتان	٢٤٧، ٢٦٥، ٤٣٠، ٤٣٧
قال يا إبليس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدى أستكبرت أم كنت من العالين.	٧٥	مكية	٧٠
قال فبعزتك لأغوينهم أجمعين.	٨٢	مكية	٣٤٢
٣٩ ـ الزمر :			
ألا لله الدين الخالص والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلاّ ليقربونا إلى الله زلفى إن الله يحكم بينهم فى ما هم فيه يختلفون إن الله لا يهدى من هو كاذب كفّار.	٣	مكية	٤٩

نص الآية	رقم الآية	مكية أو مدنية	رقم الصفحة
قل يا عبادِ للذين آمنوا اتقوا ربكم للذين أحسنوا فى هذه الدنيا حسنة وأرض الله واسعة إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب.	١٠	مكية	٢٠٦
والذين اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها وأنابوا إلى الله لهم البشرى فبشرّ عباد * الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب.	١٧، ١٨	مكيتان	١٣٨، ٥١٣، ٥٢٣، ٥٤٧
أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله أولئك فى ضلال مبين.	٢٢	مكية	٣٧٢، ٤٤٣
وأنيبوا إلى ربكم وأسلموا له من قبل أن يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون.	٥٤	مدنية	٣٤٨
وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون.	٦٧	مكية	٥٥٩
ونفخ فى الصور فصعق من فى السموات ومن فى الأرض إلاّ من شاء الله ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون.	٦٨	مكية	٥١٧
٤٠ ـ غافر :			
يوم هم بارزون لا يخفى على الله منهم شيء لمن الملك اليوم لله الواحد القهار.	١٦	مكية	٣٩٧

نص الآية	رقم الآية	مكية أو مدنية	رقم الصفحة
٤١ ـ فصلت :			
ثم استوى إلى السماء وهى دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعاً أو كرها قالتا أتينا طائعين.	١١	مكية	٣٥٠، ٥١٣، ٥٦٣
إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألاّ تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التى كنتم توعدون.	٣٠	مكية	٤٤٦
نحن أولياؤكم فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ولكم فيها ما تشتهى أنفسكم ولكم فيها ما تدعون.	٣١	مكية	٤١٥
نُزُلاً من غفور رحيم.	٣٢	مكية	٣٦٩
ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ادفع بالتى هى أحسن فإذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولىٌّ حميم.	٣٤	مكية	٣٣٢
سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أولم يكف بربك أنه على شىء شهيد.	٥٣	مكية	٥٦، ٦٠، ١٢٥، ٢٧١، ٤٢٩، ٥٥٥
ألا إنهم فى مرية من لقاء ربهم ألا إنه بكل شىء محيط.	٥٤	مكية	٦٠
٤٢ ـ الشورى :			
من كان يريد حرث الآخرة نزد له فى	٢٠	مكية	١٩٥

نص الآية	رقم الآية	مكية أو مدنية	رقم الصفحة
أمه كرها ووضعته كرها وحمله وفصاله ثلاثون شهراً حتى إذا بلغ أشده وبلغ أربعين سنة قال رب أوزعني أن أشكر نعمتك التى أنعمت عليّ وعلى والدى وأن أعمل صالحا ترضاه وأصلح لى فى ذريتى إنىّ تبت إليك وإنى من المسلمين.			
٤٧ ـ محمد :			
فاعلم أنه لا إله إلا الله واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات والله يعلم متقلبكم ومثواكم.	١٩	مدنية	٨٧، ٢٠٦
ها أنتم هؤلاء تُدعون لتنفقوا فى سبيل الله فمنكم من يبخل ومن يبخل فإنما يبخل عن نفسه والله الغنى وأنتم الفقراء وإن تتولوا يستبدل قوماً غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم.	٣٨	مدنية	٤٦٥
٤٨ ـ الفتح :			
هو الذى أنزل السكينة فى قلوب المؤمنين ليزدادوا إيمانا مع إيمانهم ولله جنود السموات والأرض وكان الله عليما حكيما.	٤	مدنية	٣٥٥
إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم فمن نكث فإنما ينكث على	١٠	مدنية	١٣٦

نص الآية	رقم الآية	مكية أو مدنية	رقم الصفحة
نفسه ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجراً عظيماً.			
سنّةَ الله التى قد خلت من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا.	٢٣	مدنية	٤١٦
إذ جعل الذين كفروا فى قلوبهم الحمية حمية الجاهلية فأنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وألزمهم كلمة التقوى وكانوا أحق بها وأهلها وكان الله بكل شيء عليما.	٢٦	مدنية	٣٩٩
لقد صدق الله ورسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين محلقين رءوسكم ومقصرين لا تخافون فعلم ما لم تعلموا فجعل من دون ذلك فتحا قريبا.	٢٧	مدنية	١٦١
هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيدا.	٢٨	مدنية	١٦١
محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجداً يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم فى وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم فى التوراة ومثلهم فى الإنجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار وعد الله	٢٩	مدنية	٢٦٧

نص الآية	رقم الآية	مكية أو مدنية	رقم الصفحة
الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجراً عظيما.			
٤٩ ـ الحجرات :			
يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير.	١٣	مدنية	١٩٠
٥٠ ـ ق :			
ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن أقرب إليه من حبل الوريد.	١٦	مكية	٢٨١
لقد كنت فى غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد.	٢٢	مكية	٣٧٦
من خشى الرحمن بالغيب وجاء بقلب منيب.	٣٣	مكية	٣٤٩
إن فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.	٣٧	مكية	٣٥٥، ٣٥٦، ٥١٤
٥١ ـ الذاريات :			
وما خلقت الجن والإنس إلاّ ليعبدون.	٥٦	مكية	٥٦٣
٥٣ ـ النجم :			
وما ينطق عن الهوى.	٣	مكية	٦٠
فأوحى إلى عبده ما أوحى.	١٠	مكية	١٠٣، ١٧٨

نص الآية	رقم الآية	مكية أو مدنية	رقم الصفحة
ما كذب الفؤاد ما رأى.	١١	مكية	٥٥، ٦٠، ٣٧٤
إذ يغشى السدرة ما يغشى * ما زاغ البصر وما طغى.	١٦، ١٧	مكية	٤٩٥، ٤٩٦، ٥١٨
وأنتم سامدون.			
فاسجدوا لله واعبدوا.	٦١، ٦٢	مكية	٥٢٩
٥٤ ـ القمر :			
سيهزم الجمع ويولون الدبر.	٤٥	مكية	١٦١
٥٥ ـ الرحمن :			
الرحمن * علم القرآن.	١، ٢	مدنيتان	١٧٨
خلق الإنسان من صلصال كالفخار.	١٤	مدنية	٣٣٠
مرج البحرين يلتقيان.	١٩	مدنية	٤٠١
يسأله من فى السموات والأرض كل يوم هو فى شأن.	٢٩	مدنية	٢٤٠
هل جزاء الإحسان إلاّ الإحسان.	٦٠	مدنية	١٧٠
٥٦ ـ الواقعة :			
وكنتم أزواجاً ثلاثة.	٧	مكية	١١٨، ٥٦٠
والسابقون السابقون * أولئك المقربون.	١٠، ١١	مكيتان	٥٦٢، ٥٦٣
أأنتم أنشأتم شجرتها أم نحن المنشئون.	٧٢	مكية	٥٥٧
٥٨ ـ المجادلة :			
يا أيها الذين آمنوا إذا قيل لكم تفسحوا	١١	مدنية	٤٩٩، ٢٠٩، ٢١٤،

نص الآية	رقم الآية	مكية أو مدنية	رقم الصفحة
فى المجالس فافسحوا يفسح الله لكم وإذا قيل انشزوا فانشزوا يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات والله بما تعملون خبير.			٣٥٦
أولئك كتب فى قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه ويدخلهم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها رضى الله عنهم ورضوا عنه أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون.	٢٢	مدنية	٤٤٧
٥٩ ـ الحشر :			
والذين تبوأوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون.	٩	مدنية	٤٥٦
٦١ ـ الصف :			
وإذ قال موسى لقومه يا قوم لم تُؤذوننى وقد تعلمون أنى رسول الله إليكم فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم.	٥	مدنية	٣٥٨
هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون.	٩	مدنية	١٦١

نص الآية	رقم الآية	مكية أو مدنية	رقم الصفحة
يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم* تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون فى سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون.	١٠، ١١	مدنية	٥٥٩
يا أيها الذين آمنوا كونوا أنصار الله كما قال عيسى ابن مريم للحواريين من أنصارى إلى الله قال الحواريون نحن أنصار الله فآمنت طائفة من بنى إسرائيل وكفرت طائفة فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين..	١٤	مدنية	١٠٥
٦٢ ـ الجمعة :			
هو الذى بعث فى الأميين رسولاً منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفى ضلال مبين.	٢	مدنية	٣٠٣
قل يا أيها الذين هادوا إن زعمتم أنكم أولياء لله من دون الناس فتمنوا الموت إن كنتم صادقين.	٦	مدنية	٣٧٩
فإذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون.	١٠	مدنية	٣٩٥، ٣٩٦
٦٥ ـ الطلاق :			
ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن	٣	مدنية	٣٦٤، ٣٦٥، ٥٦٩

نص الآية	رقم الآية	مكية أو مدنية	رقم الصفحة
يتوكل على الله فهو حسبه إن الله بالغ أمره قد جعل الله لكل شيء قدراً.			
٦٦ ـ التحريم :			
فنفخنا فيه من روحنا	١٢	مدنية	٤٣٧
٦٧ ـ المُلك :			
الذى خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا وهو العزيز الغفور.	٢	مكية	٢٨٢
وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا فى أصحاب السعير.	١٠	مكية	٥١٧
٦٨ ـ القلم :			
وإنك لعلى خلق عظيم.	٤	مكية	٣٩٣، ٣٩٤
٧٠ ـ المعارج :			
إن الإنسان خُلِق هلوعا.	١٩	مكية	٣٠٩
٧٢ ـ الجن :			
عالم الغيب والشهادة فلا يظهر على غيبه أحدا* إلا من ارتضى من رسول فإنه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا.	٢٦، ٢٧	مكيتان	٢٩٣
٧٣ ـ المزمل :			
واذكر اسم ربك وتبتل إليه تبتيلا.	٨	مكية	٤٠٢

نص الآية	رقم الآية	مكية أو مدنية	رقم الصفحة
٧٤ ـ المدثر :			
يا أيها المدثر* قم فأنذر* وربك فكبر وثيابك فطهر* والرجز فاهجر.	١ ـ ٥	مكية	١١٠، ٤٠٥
وما يذكرون إلاّ أن يشاء الله هو أهل التقوى وأهل المغفرة.	٥٦	مكية	١٩٠
٧٥ ـ القيامة :			
ولا أقسم بالنفس اللوامة.	٢	مكية	٣٤٥
٧٦ ـ الإنسان :			
إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاءً ولا شكورا.	٩	مدنية	٤٤٣
وجزاهم بما صبروا جنة وحريراً.	١٢	مدنية	٢٠٠
إن هذه تذكرة فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلا.	٢٩	مدنية	٥٧٧
٧٩ ـ النازعات :			
وأمّا من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى* فإن الجنة هى المأوى.	٤٠، ٤١	مكيتان	٤٤٩
٨٠ ـ عبس :			
عبس وتولى * أن جاءه الأعمى.	١، ٢	مكيتان	٤٩١
٨٢ ـ الانفطار :			
إن الأبرار لفى نعيم* وإن الفجار لفى جحيم.	١٣، ١٤	مكيتان	٣١٤

نص الآية	رقم الآية	مكية أو مدنية	رقم الصفحة
٨٩ ـ الفجر :			
يا أيتها النفس المطمئنة* ارجعي إلى ربك راضية مرضية* فادخلى فى عبادى * وادخلى جنتى.	٢٧، ٢٨، ٢٩، ٣٠	مكية	٢٨٢، ٢٨٣، ٢٨٤، ٣٤٥، ٣٤٩، ٣٧٨، ٣٥٠، ٤٧٩، ٥٢٤، ٥٦٧، ٥٦٨
٩٠ ـ البلد :			
فلا اقتحم العقبة * وما أدراك ما العقبة * فك رقبة.	، ١٢، ١٣	مكية	٤٥٦
٩١ ـ الشمس :			
ونفس وما سوّاها* فألهمها فجورها وتقواها *قد أفلح من زكاها* وقد خاب من دساها.	٧، ٨، ٩، ١٠	مكية	٢٩٨، ٣٠١، ٣٠٢، ٣٤٥، ٥٦١
٩٣ ـ الضحى :			
ووجدك عائلا فأغنى.	٨	مكية	١٨٢، ٤٨٢
٩٥ ـ التين :			
لقد خلقنا الإنسان فى أحسن تقويم* ثم رددناه أسفل سافلين* إلاّ الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم أجر غير ممنون.	٤، ٥، ٦	مكية	٢٧٩، ٢٨٠، ٢ ٧، ٤٤١، ٥٥٨
٩٦ ـ العلق :			
اقرأ باسم ربك الذى خلق* خلق	١ ـ ٣	مكية	١٠٩

نص الآية	رقم الآية	مكية أو مدنية	رقم الصفحة
الإنسان من علق * اقرأ وربك الأكرم.			
الذى علم بالقلم* علم الإنسان ما لم يعلم.	٤، ٥	مكية	١١٧
أرأيت الذى ينهى* عبداً إذا صلى.	٩، ١٠	مكية	٤٧٧
ألم يعلم بأن الله يرى.	١٤	مكية	٤٥١
٩٨ ـ البينة :			
وما أمروا إلاّ ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة.	٥	مدنية	٣٨٧
جزاؤهم عند ربهم جنات عدن تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا رضى الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشى ربه.	٨	مدنية	٢٠٩، ٢١٤، ٣٦٧
١٠٣ ـ العصر :			
والعصر* إن الإنسان لفى خسر* إلاّ الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر.	كاملة	مكية	٥٠٦
١٠٧ ـ الماعون :			
فويل للمصلين* الذين هم عن صلاتهم ساهون.	٤، ٥	مكية	٥٤١
١١٠ ـ النصر :			
فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا.	٣	مدنية	٣٤٨، ٣٥٢

نص الآية	رقم الآية	مكية أو مدنية	رقم الصفحة
١١٢ ـ الإخلاص :			
قل هو الله أحد* الله الصمد* لم يلد ولم يولد* ولم يكن له كفوا أحد.	كاملة	مكية	٣٥، ٦٥
١١٣ ـ الفلق :			
من شر النفاثات فى العقد.	٤	مكية	١٤٩
ومن شر حاسد إذا حسد.	٥	مكية	٣٠٩

ثانياً :

فهرس الأحاديث

مرتبة ترتيباً أبجدياً
ومخرجة تخريجاً من مظانها
ومصادرها .

١ ـ **حديث** : أبشروا يا أصحاب الصفة فمن بقى منكم على التعب الذى أنتم عليه اليوم ماضيا بما فيه فإنه من رفقائى فى الجنّــة.

رواه البخارى فى الصلاة (٥٨) والمواقيت (٤١) والمناقب (٢٥)

ورواه أحمد بن حنبل ١/١٩٧، ١٩٨، ١٩٩

* * *

٢ ـ **حديث** : أبيت عند ربى يطعمنى ويسقينى... الحديث.

متفق عليه من حديث أنس.

وله روايات أخرى من حديث عبد الله بن عمر وأبى هريرة.

انظر اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان

كتاب الصيام.

* * *

٣ ـ **حديث** : اجتنبوا النجوم فإنها تدعو إلى الكهانة..

رواه مسلم فى المساجد ٣٣

وأبو داود فى الصلاة ١٦٧

والنسائى فى السهو ٢٠

وأحمد بن حنبل ٥/ ٤٤٨، ٤٤٩

وانظر باب الكهانة فى البخارى طب ٤٦

* * *

٤ ـ **حديث** : أجوع يوماً وأشبع يوماً.

الحديث رواه الترمذى

انظر الحافظ العراقى: المغنى على هامش الإحياء جـ ٣ باب الجوع

* * *

٥ ـ **حديث** : أحب ما تعبّد به عبدى إلىّ: النصح لى.

رواه أحمد ابن حنبل فى مسنده

المجلد ٥ / ٢٥٤

* * *

٦ ـ **حديث** : الإحسان: أن تعبد الله كأنك تراه.. وإن لم تكن تراه فإنه يراك.. الحديث.

رواه البخارى فى تفسير سورة ٣١، والإيمان ٣٧

ورواه مسلم فى الإيمان ٥٧

وأبو داود فى السنّة ١٦

والترمذى فى الإيمان ٤

وابن ماجه فى المقدمة ٩

وأحمد بن حنبل: ٣٧/١، ٥١، ٥٢، ٢١٩

٣/ ١٠٧، ٤٣٦

٤/ ١٣٩، ١٦٤

* * *

٧ ـ **حديث** : أحياكم عثمان.. الحديث.

أورد المحب الطبرى فى «الرياض النضرة فى مناقب العشرة».

بلفظ قريب فقال: أصدق أمتى حياءً عثمان

من حديث أنس بن مالك

وقال أخرجه فى المصابيح الحسان

وعن ابن عمر أورد: عثمان أحيا أمتى وأكرمها

وقال أخرجه الملاء فى سيرته

انظر الرياض النضرة جـ٣ صـ١٥ وأحاديث أخرى عن حيائه

٨ ـ **حديث** : الإخلاص سر من أسرارى أودعه قلب من أحببت من عبادى..

قال الحافظ العراقى: رويناه فى جزء من مسلسلات القزوينى يقول كل واحد من رواته سألت فلانا عن الإخلاص فقال..

وهو من رواية أحمد بن عطاء الهجيمى عن عبد الواحد بن زيد عن الحسن عن حذيفة عن النبى (ﷺ) عن جبريل عن الله تعالى وأحمد ابن عطاء وعبد الواحد كلاهما متروك..

ورواه أبو القاسم القشيرى فى الرسالة من حديث على بن أبى طالب بسند ضعيف

انظر المغنى عن حمل الأسفار

* * *

٩ ـ **حديث** : أدبنى ربى فأحسن تأديبى.

* * *

١٠ ـ **حديث** : آدم ومن دونه تحت لوائى.

رواه الترمذى فى المناقب ١

وأحمد بن حنبل ٢٨١/١، ٢٩٥

* * *

١١ ـ **حديث** : إذا أحب الله عبداً نادى جبريل إنى أحببت فلاناً... الحديث.

رواه صاحب اللؤلؤ والمرجان

جـ٣ ص ٢٠٥ حديث رقم (١٦٩٢)

* * *

١٢ ـ **حديث** : إذا أحب الله عبداً لم يضره ذنب.

قال الحافظ العراقى: وتكملة الحديث:

«والتائب من الذنب كمن لا ذنب له».

رواه صاحب مسند الفردوس ولم يخرجه ولده فى مسنده

وروى ابن ماجه الشطر الثانى من حديث ابن مسعود

انظر المغنى عن حمل الأسفار جـ٣ صـ٣١٨

على هامش الإحياء للغزالى..

* * *

١٣ ـ **حديث** : إذا أراد الله بعبد خيراً بصّره بعيوبه..

قال الحافظ العراقى:

رواه أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس

من حديث أنس بإسناد ضعيف

وفيه زيادة.

* * *

١٤ ـ **حديث** : إذا رأى أحدكم ما يكره فلا يحدث به، وليقم فليصل..

البخارى فى التعبير ٣، ٤٦

ومسلم فى الرؤيا ٣

والترمذى فى الدعوات ٥٢

وابن ماجه فى الرؤيا ٣

وأحمد بن حنبل ٣/ ٨، ٣٥٠

* * *

١٥ ـ **حديث** : إذا رأيتم الرجل قد أوتى زهداً فى الدنيا فاقتربوا منه فإنه يلقى الحكمة..

أورده الحافظ العراقى بلفظ: «إذا رأيتم الرجل قد أوتى صمتاً وزهداً...

الحديث

وقال : رواه ابن ماجه.

* * *

١٦ ـ **حديث** : إذا كان آخر الزمان لم تكد رؤيا المؤمن تكذب. فأصدقهم رؤيا أصدقهم حديثا..

رواه البخارى فى التعبير ٢٦

ومسلم فى الرؤيا ٦

والترمذى ١، ١٠

وابن ماجه فى الرؤيا ٩

والدارمى رؤيا ٧

* * *

١٧ ـ **حديث** : إذا كان الغالب على عبدى الاشتغال بى جعلت نعمته ولذته فى ذكرى. عشقنى وعشقته، ورفعت الحجاب بينى وبينه لا يسهو إذا سها الناس.. أولئك كلامهم كالأنبياء. أولئك هم الأبطال حقا أولئك الذين إذا أردت بأهل الأرض عقوبة صرفتها بهم عنهم..

لم أقف عليه.

* * *

١٨ ـ **حديث** : إذا نودى بالصلاة أدبر الشيطان له ضراط حتى لا يسمع التأذين. فإذا قضى النداء أقبل..

متفق عليه من حديث أبى هريرة

وقال صاحب اللؤلؤ والمرجان: أخرجه البخارى فى كتاب الأذان ومسلم فى فضل التأذين.

انظر الحديث رقم ٢١٦ جـ١ صـ٧٩

١٩ ـ **حديث** : ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء..

رواه الطبراني في في معجمه الصغير بلفظ:

«ارحم من في الأرض يرحمك من في السماء»

وقال : لم يروه عن الأعمش إلا حفص، ولا عن حفص إلا موسى بن داود القاضي. تفرد به الصاغاني

انظر الحديث رقم ٢٧٣ في الصغير للطبراني

* * *

٢٠ ـ **حديث** : ارض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس..

قال الحافظ العراقي رواه الترمذي من حديث سعد بن أبي وقاص

«من سعادة ابن آدم رضاه بما قسم الله له»

وقال ثم ذكر هذا الحديث بنصه

* * *

٢١ ـ **حديث** : أريت الأمم بالموسم فرأيت أمتي قد ملأوا السهل والجبل...

فقام عكاشة: ادع الله أن يجعلني منهم. فقال له : أنت منهم وقام آخر فقال له: سبقك بها عكاشة

رواه ابن أبي منيع بإسناد حسن

واتفق عليه الشيخان من حديث ابن عباس

انظر اللؤلؤ والمرجان

وانظر المغني

* * *

٢٢ ـ **حديث** : استحيوا من الله حق الحياء... فليحفظ الرأس وما وعى، والبطن وما حوى..

رواه الطبرانى من حديث أم الوليد بنت عمر بن الخطاب بإسناد ضعيف

انظر المغنى

* * *

٢٣ ـ حديث : استغنوا بغنى الله. قالوا: ما هو ؟ قال: غداء يوم وعشاء ليلة.. الحديث.

قال الحافظ العراقى فى تخريجه لهذا الحديث. روى فى الزكاة من حديث سهل ابن الحنظلية. قالوا: ما يغنيه. قال: ما يغذيه، أو يعشيه..

ولأحمد من حديث على بإسناد حسن

قالوا: وما ظهر غنى؟ قال : عشاء ليلته

وأمّـا المغنى عن حمل الأسفار

* * *

٢٤ ـ حديث : استقيموا ولن تحصوا، واعلموا أن خير أعمالكم الصلاة ولا يحافظ على الوضوء إلاّ مؤمن...

رواه الطبرانى فى معجمه الصغير

حديث رقم (٨) ص٤٤

من حديث ثوبان

* * *

٢٥ ـ حديث : أعدى عدوك نفسك التى بين جنبيك.

قال الحافظ العراقى رواه البيهقى فى كتاب الزهد

من حديث ابن عباس، وفيه محمد بن عبد الرحمن بن غزوان أحد الوضّـاعين..

* * *

٢٦ ـ **حديث** : أفضل الذكر: لا إله إلاّ الله

رواه الترمذى، وحسّنه.

والنسائى فى اليوم والليلة

وابن ماجه، وابن حبان من حديث جابر

وقال: أفضل الذكر لا إله إلاّ الله، وأفضل الدعاء: الحمد لله.

* * *

٢٧ ـ **حديث** : أفضل الصيّام صيام أخى داود كان يصوم يوما ويفطر يوماً... الحديث

الحديث بطوله وهذا الجزء الأخير منه ورد فى اللؤلؤ والمرجان رقم ٧١٤ باب النهى عن صوم الدهر

انظر جـ٢ ص ٢١ وقال: أخرجه البخارى فى كتاب الصوم

ومسلم باب صوم الدهر

* * *

٢٨ ـ **حديث** : اقرأ.. قال: ما أنا بقارئ..

متفق عليه..

باب بدء الوحى حديث رقم ٩٩ جـ١ ص ٣٢

وقال أخرجه البخارى فى كتاب بدء الوحى

ومسلم باب حدثنا يحيى بن بكير

* * *

٢٩ ـ **حديث** : أكرموا عمتكم النخلة فإنها خلقت من بقية طينة آدم

لم أقف على نصه وإنما ذكر صاحب اللؤلؤ والمرجان من حديث ابن عمر:

إن من الشجرة شجرة لا يسقط ورقها وإنها مثل المؤمن ... الحديث

والحديث هو رقم ١٧٩٢ جـ٣ ص ٢٨٣

باب مثل المؤمن مثل النخلة

* * *

٣٠ ـ **حديث** : ألا أخبركم بملوك أهل الجنّـة. قالوا: بلى. قال: كل ضعيف مستضعف أغبر أشعث ذى طمرين لو أقسم على الله لأبّـره.

الحديث متفق عليه من حديث حارثة بن وهب مختصراً

قال الحافظ العراقى: ولم يقولا ملوك..

ولابن ماجه بسند جيّـد من حديث معاذ:

ألا أخبركم عن ملوك أهل الجنة.. دون قوله أغبر أشعث

وانظر الحديث رقم ١٨١٤ م اللؤلؤ والمرجان

* * *

٣١ ـ **حديث** : ألا أدلكم على أشرف أخلاق أهل الدنيا: تعفو عمن ظلمك، وتعطى من حرمك، وتصل من قطعك..

رواه ابن أبى الدنيا، والطبرانى فى مكارم الأخلاق والبيهقى فى الشُّـعَب بإسناد ضعيف

انظر المغنى عن حمل الأسفار

* * *

٣٢ ـ **حديث** : ألا أستحى من رجل تستحى منه الملائكة.

رواه المحب الطبرى فى «الرياض النضرة»

انظر الجزء ٣ ص ١٥، ١٦

* * *

٣٣ ـ **حديث** : ألا أنبئكم بخير أعمالكم، وأزكاها عند مليككم، وأرفعها في درجاتكم... الحديث.

رواه الترمذي، والبيهقي، والحاكم.

وصحح إسناده من حديث أبي الدرداء

المغني جـ١ ص ٢٩٦

* * *

٣٤ ـ **حديث** : «الذين يؤتون ما أتوا وقلوبهم وجلة» . عن عائشة قلت؛ يا رسول الله: أهو الرجل يسرق ويزني ويشرب الخمر.. قال: لا. ولكن يصوم ويصلي ويخاف ألاّ يقبل منه.. الحديث

رواه الترمذي، وابن ماجه، والحاكم. وقال: صحيح الإسناد

قال الحافظ العراقي: قلت بل منقطع بين عائشة، وبين عبد الرحمن ابن سعد بن وهب

قال الترمذي: وروى عن عبد الرحمن بن سعد عن أبي حازم عن أبي هريرة.

* * *

٣٥ ـ **حديث** : أمتي كالمطر لا يدرى أولهم خير أم آخرهم

لم أقف على نصه

* * *

٣٦ ـ **حديث** : إن خلق أحدكم يجمع في بطن أمه أربعين يوماً نطفة ثم يكون علقة، ثم يكون مضغة. ثم يبعث الله الملك... الحديث.

ورد في اللؤلؤ والمرجان كتاب القدر

باب كيفية خلق الآدمي في بطن أمه

الحديث رقم ١٦٩٥ جـ٣ ص ٢٠٧

وقال: أخرجه البخارى فى ٩٥ كتاب بدء الخلق

و(٦) باب ذكر الملائكة من رواية مسلم

* * *

٣٧ ـ **حديث** : إن دعامة البيت أساسه ودعامة الدين المعرفة بالله واليقين والعقل القامع..

قال الحافظ العراقى: الحديث لأبى سعيد. وقال: لكل شىء دعامة، ودعامة المؤمن عقله... الحديث

رواه ابن المحبر وعنه الحارث.

* * *

٣٨ ـ **حديث** : إن الرفق لا يكون فى شىء إلاَّ زانه، ولا ينزع من شىء...

الحديث رواه مسلم من حديث عائشة.

انظر الحافظ العراقى فى تخريجه لأحاديث الإحياء

* * *

٣٩ ـ **حديث** : إن الغضب من الشيطان، والشيطان خُلق من نار وإنما تطفأ النار بالماء..

قال الحافظ العراقى: رواه الترمذى من حديث أبى سعيد بسند ضعيف. وقال: الغضب جمرة فى قلب ابن آدم.

ولأبى داود من حديث عطية السعدى:

إن الغضب من الشيطان والشيطان خلق من نار

انظر جـ٣ ص ١٦٣ من هامش تخريجات الإحياء

* * *

٤٠ ـ **حديث** : إن فى جسد ابن آدم لمضغة إذا فسدت فسد سائر الجسد وإذا صلحت صلح الجسد كله ألا وهى القلب.

رواه البخارى فى باب الإيمان

ومسلم فى المساقاة

وابن ماجه فى الفتن

والدرامى فى البيوع

واتفق عليه من حديث النعمان بن بشير

* * *

٤١ ـ **حديث** : إن فيك خصلتان يحبهما الله ورسوله: الحلم والأناة

الحديث متفق عليه

قول الحافظ العراقى.. انظر المغنى عن حمل الأسفار

* * *

٤٢ ـ **حديث** : إن القلوب بين إصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء

قال الحافظ العراقى فى تخريجه لهذا الحديث:

رواه مسلم من حديث عبد الله بن عمر.

* * *

٤٣ ـ **حديث** : إن لكل آية ظاهراً وباطنا، ولكل حرف حداً ومطلعاً..

قال الحافظ العراقى: رواه ابن حبان فى صحيحه

من حديث ابن مسعود بنحوه

وبلفظ إن للقرآن ظاهراً وباطناً.

* * *

٤٤ ـ **حديث** : إن الله جعل الروح والفرح فى الرضا واليقين، وجعل الغل والحسد فى الشك والسخط..

قال الحافظ العراقى فى تخريجه لأحاديث الإحياء

جـ٤ ص ٣٣٧ رواه الطبرانى من حديث ابن مسعود إلاّ أنه قال: بقسطه.

* * *

٤٥ ـ **حديث** : إن الله تبارك وتعالى حرّم عليكم الخمر والميسر والكوبه (وهو الطبل) وقال: كل مسكر خمر وكل خمر حرام.

انظر ما رواه الطبرانى فى معجمه الصغير

حديث تم (١٣٧، ٩٠٤، ٩٦٢)

* * *

٤٦ ـ **حديث** : إن الله خلق آدم فتجلى فيه.. وخلق آدم على صورته..

رواه البخارى فى الاستئذان (١)

والإمام مسلم فى البر (١١٥) والجنّـة (٢٨)

وأحمد بن حنبل فى مسنده ٣/ ٢٤٤، ٢٥١، ٣٧٣، ٤٢٤، ٤٦٣، ٥١٩

* * *

٤٧ ـ **حديث** : إن الله خلق الأرواح قبل الأجساد بألفى عام.

* * *

٤٨ ـ **حديث** : إن الله خلق الخلق فى ظلمة ثم رش عليهم من نوره فمن أصابه ذلك النور..

انظر الأحاديث القدسية باب خلق آدم

بروايات مختلفة ليست بهذا اللفظ

انظر طبعة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية القاهرة

* * *

٤٩ ـ **حديث** : إن الله خمّــر طينة آدم بيده أربعين صباحاً.

قال الحافظ العراقى فى المغنى عن حمل الأسفار

رواه أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس

من حديث ابن مسعود وسلمان الفارسى

بإسناد ضعيف جداً..

ثم قال: وهو باطل..

* * *

٥٠ ـ **حديث** : إن الله رفيق يحب الرفق فى الأمر كله. ويعطى على الرفق ما لا يعطى على غيره..

متفق عليه من حديث عائشة

* * *

٥١ ـ **حديث** : إنّ الله عفُــوٌ يحب العفو.

رواه أحمد والحاكم وصححه من حديث ابن مسعود

انظر هامش الإحياء وتخريجات الحافظ العراقى

وفيه: لا ينبغى لوالى أمر أن يؤتى بحد إلاّ أقامه، والله عفو يحب العفو..

* * *

٥٢ ـ **حديث** : إن الله قد فرغ من الخَــلْــقِ والخُــلُــقِ والرزق والأجل.. فمن حسنت صورته حسن خلقه..

لم أجده بهذا اللفظ، وقال الحافظ العراقى فى تخريج نحوه: إنك امرؤ قد حسّــن الله خَــلْــقَــك فأحسن خُــلُــقك»

وقال: رواه الخرائطى فى مكارم الأخلاق، وأبو العباس الدغلى فى كتاب الآداب وفيه ضعف

انظر المغنى عن حمل الأسفار

٥٣ ـ حديث : إن لله سبعين ألف حجاب من نور وظلمة... الحديث.

له روايات مختلفة ومتشابهة.. قال الحافظ العراقى فى المغنى

رواه ابن حبان فى كتاب العظمة من حديث أبى هريرة:

«بين الملائكة وبين الله سبعون ألف حجاب من نور»

وإسناده ضعيف.

وفيه أيضا من حديث أنس قال رسول الله (ﷺ) لجبريل هل ترى ربك

قال: إن بينى وبينه سبعين حجابا من نور..

وفى الأكبر للطبرانى من حديث سهل بن سعد:

دون الله تعالى ألف حجاب من نور وظلمة.

ولمسلم من حديث أبى موسى: حجابه النور لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه.

ولابن ماجه: شيء أدركه بصره.

* * *

٥٤ ـ حديث : إن من خير معاشر الناس رجلا أخذ بعنان فرسه فى سبيل الله... الحديث

رواه الطبرانى من حديث أم مبشر

إلاّ أنه قال: نحو المشرق بدل المغرب

وفيه ابن إسحاق رواه بالعنعنة

وللترمذى والنسائى نحوه مختصرا من حديث ابن عباس

قال الترمذى حديث حسن

* * *

٥٥ ـ حديث : إن من الشجر شجرة لا تسقط ورقها، وإنها مثل المسلم..

متفق عليه. فى باب: مثل المؤمن مثل النخلة
حديث رقم ١٧٩٢ ص ٢٨٣
وقال: أخرجه البخارى فى كتاب العلم
ومسلم فى باب قول المحدث

* * *

٥٦ ـ حديث : إن المؤمن ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم..
روى أحمد من حديث عبد الله بن عمرو:
إن المسلم المسدد ليدرك درجة الصائم القائم بحسن خلقه
وانظر حديث: ما من شيء يوضع فى ميزان المؤمن
أثقل من حسن الخلق
وهو شطر الحديث.
وهو من رواية أبى هريرة.

* * *

٥٧ ـ حديث : أنا أحمد وأنا محمود
رواه الطبرانى فى معجمه الصغير حـ١ ص ٨٤
حديث رقم ١٥٠
وذكر: «أنا أحمد ومحمد والحاشر والمقفى والخاتم».
وفى حديث رقم ٢٠٩ قال:
أنا محمد وأحمد
وفى الأول قال الطبرانى: لم يروه عن سلمة إلاَّ أبو نعيم
ولا يُـروى عن ابن عباس إلا بهذا الإسناد.

* * *

٥٨ ـ حديث : أنا أعلمكم بالله وأخشاكم لله.. الحديث.

رواه البخارى من حديث أنس

وللشيخين من حديث عائشة: والله إنى لأعلمهم بالله وأشدهم له خشية

انظر جـ٤ ص ١٥٢ من هامش الإحياء

* * *

٥٩ ـ حديث : أنا أول الأنبياء بعثا وآخرهم خَلْقاً

رواه مسلم فى الحج ٥٠٧

والنسائى فى المساجد ٧

وابن ماجه فى الفتن ٣٣

* * *

٦٠ ـ حديث : أنا جليس من ذكرنى

ذكره العجلونى فى كشف الخفاء حديث رقم ٦١١. فى بعض تشكيك فى رواياته

وراه الديلمى فى مسند الفردوس من حديث عائشة مرفوعاً والبيهقى فى شُعَب الإيمان من حديث أبى بن كعب

قال: قال موسى (ع م) يا رب أقريب فأناجيك... فقال: يا موسى: أنا جليس من ذكرنى.. رواه أبو الشيخ فى الثواب عن كعب.

وانظر حديث أنا عند ظن عبدى بى..

* * *

٦١ ـ حديث : أنا دعوة إبراهيم وكرامة موسى، وبشارة عيسى، ورؤيا أمى آمنة..

رواه أحمد بن حنبل ٤/ ١٣٧، ١٣٨

٥/ ٣٦٢

٦٢ ـ **حديث** : أنا سيد ولد آدم ولا فخر..

رواه أبو داود فى السنة ١٣

وابن ماجه فى الزهد ٣٧

وأحمد بن حنبل ١/ ٥

* * *

٦٣ ـ **حديث** : أنا من الله والمؤمنون منى.

لم أقف عليه.

* * *

٦٤ ـ **حديث** : إنما الأعمال بالنيات.. الحديث.

متفق عليه من حديث عمر.

انظر اللؤلؤ والمرجان

وانظر أيضا المغنى عن حمل الأسفار

* * *

٦٥ ـ **حديث** : إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق...

رواه أحمد من حديث أبى هريرة

وقال الحاكم : صحيح على شرط

ورواه البيهقى أيضا.

* * *

٦٦ ـ **حديث** : إنما يكفى أحدكم ما قنعت به نفسه، وإنما يصير إلى أربعة أذرع وشبر..

لم أعثر عليه بنصه.. وإنما الشطر الأول

من الحديث أورده الحافظ العراقى فى المغنى عن حمل الأسفار

انظر باب الفقر والزهد

* * *

٦٧ ـ **حديث** : إنه ليغان على قلبى وإنى لأستغفره فى اليوم سبعين مرة..

رواه مسلم فى صحيحه من حديث الأغر المزنى إلاّ أنه قال: فى اليوم مائة مرة..

وكذا عند أبى داود.

وللبخارى من حديث أبى هريرة: إنى لأستغفر الله فى اليوم أكثر من سبعين مرّة.

وفى رواية للبيهقى فى الشُّعب: سبعين.. ولم يقل أكثر.

انظر: المغنى عن حمل الأسفار

* * *

٦٨ ـ **حديث** : أوحى الله إلى عيسى قال: تجوع ترانى.

لم أقف عليه

* * *

٦٩ ـ **حديث** : أوحى الله إلى موسى بن عمران قال: جعلت فيك عشرة آلاف سمع حتى سمعت كلامى، وعشرة آلاف لسان حتى أجبتنى.

لم أقف عليه

* * *

٧٠ ـ **حديث** : أوحى الله إلى موسى تريد أن يكون لك يوم القيامة مثل حسنات الخلق أجمع. قال عد المريض، وكن لثياب الفقراء فالياً. فحمل موسى على نفسه فى كل شهر سبعة أيام يطوف على الفقراء ويعود المريض.

لم أقف عليه

* * *

٧١ ـ حديث : أول ما بُـدئ به رسول الله الرؤيا الصالحة..

رواه الإمام البخارى بدء الوحى ٣

والتعبير ١

والإمام مسلم فى الإيمان ٢٥٢، ٢٥٤

وأحمد بن حنبل ٦/ ١٥٣، ٢٣٢

* * *

٧٢ ـ حديث : أول ما خلق الله روحى، نورى، العقل.

قال الصاغانى فى موضوعاته حديث رقم ٢٧: إنه موضوع الحديث بطوله..

وفى هامش ص ٣٤ رقم ٥. وردت أحاديث عديدة فى فضل العقل جمعها داود بن المحبر فى كتاب العقل الذى قال فيه الإمام الذهبى: «ليته لم يصنفه»

وقال ابن حجر: كلها موضوعة

وقال ابن تيمية فى هذا الحديث: إنه كذب، موضوع باتفاق

الموضوعات الكبرى ص ١٢٤، ١٢٥، ١٢٧، ١٢٨

وتبعه ابن القيم فى المنار المنيف، وانظر كشف الخفاء ١/ ٣٠٩

* * *

٧٣ ـ حديث : أول ما خلق الله نور نبيك يا جابر.

انظر ما قيل فى حديث

أول ما خلق الله روحى، نورى، العقل

وهى كلها عند المتصوفة تساوى الحقيقة المحمدية وكما شرح مؤلف هذا الكتاب مفهومه للحقيقة المحمدية..

* * *

٧٤ ـ **حديث** : إيّـاكم والظن فإن الظن أكذب الحديث.

متفق عليه من حديث أبى هريرة

وأورده صاحب اللؤلؤ والمرجان

حديث رقم ١٦٦٠ باب تحريم الظن جـ٣ ص ١٩٠

وقال فى تخريجه رواه البخارى كتاب الأدب

ومسلم ٨٥ باب يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن.

* * *

٧٥ ـ **حديث** : إيّـاكم ومجالسة الموتى. قيل: ومن هم ؟ قال: الأغنياء

لم أقف على نصّـه

وإنما حديث قال لعائشة: إن أردت اللحوق بى فعليك بعيش الفقراء، وإياك ومجالسة الأغنياء

قال الحافظ العراقى: رواه الترمذى وقال غريب.

والحاكم وصححه. نحوه من حديثها.

* * *

٧٦ ـ **حديث** : أى داء أدوى من البخل؟

انظر اخريج حديث السخى قريب من الله..

وتخريجه.. وراوية الدارقطنى

* * *

٧٧ ـ **حديث** : أى الإيمان أفضل: قال: الصبر والسماحة.

قال الحافظ العراقى حديث جابر سأله عن الإيمان

وقال رواه الطبرانى فى الكبير من رواية عبد الله بن عبيد بن عمير عن أبيه عن جده

انظر المغنى جـ٤ ص ٦٠ على هامش الإحياء

* * *

٧٨ ـ حديث : الإيمان نصفان: نصف صبر، ونصف شكر..

قال الحافظ العراقى : ذكره أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس

من رواية يزيد الرقاشى

عن أنس، ويزيد

قال: وهو حديث ضعيف

* * *

٧٩ ـ حديث : أىُّ المؤمنين أحسنهم إيماناً. قال: أحسنهم خلقا.

أورده الحافظ العراقى وقال: رواه الترمذى والنسائى واللفظ له.

والحاكم وقال رواته ثقات على شرط الشيخين من حديث أبى هريرة.

وللطبرانى من حديث أبى أمامة

أفضلكم إيمانا أحسنكم خلقاً

* * *

٨٠ ـ حديث : بينا أهل الجنة فى مجلس لهم إذ سطع لهم نور على باب الجنّة فرفعوا رءوسهم فإذا الله تعالى قد أشرف...

ورد فى الأحاديث القدسية عن جابر بن عبد الله

وأخرجه ابن ماجه فى سنته

حديث رؤية المسلمين ربهم.. بلفظ آخر.

* * *

٨١ ـ **حديث** : التائب من الذنب كمن لا ذنب له.

رواه ابن ماجه من حديث ابن مسعود

وانظر تخريج حديث إذا أحب الله عبداً لم يضره ذنب

وما قاله الحافظ العراقى.

* * *

٨٢ ـ **حديث** : تفتح أبواب الجنة يوم الاثنين ويوم الخميس. فيغفر الله لكل عبد مؤمن لا يشرك بالله إلا رجل كان بينه وبين أخيه شحناء فيقال: أنظروا هذين حتى يصطلحا..

ورد فى كتاب الأحاديث القدسية طبعة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ـ القاهرة. بروايات عديدة ومن طرق عديدة أيضا.

وقال أخرجه مسلم باب النهى عن الفحشاء جـ٩ ص ٤٥٨ هامش القسطلانى..

وكذا أخرجه من طريق أخرى

غير أنه قال فيه: «إلاَّ المتهاجرين». من رواية عبيدة..

وقال «قتيبة» : «إلاَّ المتهجريْـن».

وأخرجه الإمام مالك فى الموطأ من روايتين لأبى هريرة.

وأخرجه أبو داود فى سننه باب من يهجر أخاه المسلم جـ٤ ص ٢١٨.

انظر الأحاديث القدسية ص ٢٥٣، ٢٥٤

* * *

٨٣ ـ **حديث** : تعس عبد الدرهم ... الحديث.

رواه البخارى فى الجهاد (٧٠)

وفى الرقاق (١٠)

ورواه ابن ماجه فى الزهد (٨)

* * *

٨٤ ـ **حديث** : توبوا إلى الله فإنى أتوب إليه كل يوم مائة مرة..

انظر حديث: إنه ليغان على قلبى

للحديث روايات منها هذه الرواية.

* * *

٨٥ ـ **حديث** : ثلاث لا يعجزهن ابن آدم: الطيرة، والظن، والحسد.

قال الحافظ العراقى: ثلاث لا ينجو منهن أحد الظن، والطعن، والحسد

وقال: رواه ابن أبى الدنيا فى كتاب ذم الحسد

من حديث أبى هريرة، وضعّفه.

* * *

٨٦ ـ **حديث** : ثلاث هُـنّ أصل كل خطيئة فاحذروهن : الكبر، والحرص، والحسد

انظر هامش الإحياء وما قاله الحافظ العراقى أثناء تخريجه لأحاديث الإحياء ثلاث مهلكات ولم أجد ضبط النص.

انظر حديث ثلاث لا يعجزهن ابن آدم.

* * *

٨٧ ـ **حديث** : جاء رجل إلى رسول الله (ﷺ) فقال: عظنى

قال: لا تغضب.

رواه البخارى من حديث أبى هريرة

ويقول إن رجلاً قال يا رسول الله مُـرنى بعمل وأقلل. قال: لا تغضب

* * *

٨٨ ـ **حديث** : جاورت بحراء فلما قضيت جوارى...

من حديث جابر فى أول ما نزل عليه من القرآن.

متفق عليه حديث رقم ١٠١

انظر اللؤلؤ والمرجان جـ١ ص ٣٤

وقال: أخرجه البخارى فى كتاب التفسير

ومسلم سورة المدثر باب حدثنا يحيى

* * *

٨٩ ـ **حديث** : جذبة من جذبات الحق توازى عمل الثقلين.

لم أقف عليه

* * *

٩٠ ـ **حديث** : حبب إليه الخلاء، وكان يتحنث إلى غار حراء أسبوعاً أو أسبوعين.

متفق عليه

باب : بدء الوحى

انظر اللؤلؤ والمرجان ورواياته المختلفة

جـ١ من ص٧١ وما بعدها.

* * *

٩١ ـ **حديث** : حديث المعراج : ابن عباس، وابن مسعود.

انظر اللؤلؤ والمرجان حديث ابن مسعود رقم ١٠٤ ص ٣٨ جـ١

وحديث ابن مسعود فى ذكر سدرة المنتهى

حديث رقم (١١٠) جـ١ ص ٣٩، ٤١

* * *

٩٢ ـ **حديث** : الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلاّ الصوم فإنه لى، وأنا أجزى به.. ولخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك..

متفق عليه عدا الشطر الأول

انظر اللؤلؤ والمرجان

حديث (٧٠٦، ٧٠٧) ص ١٩

باب فضل الصيام

* * *

٩٣ ـ **حديث** : حفّت النار بالشهوات، وحفّت الجنة بالمكاره.

انظر فى هذه الأحاديث حديث

دعا الله جبريل فأرسله إلى الجنة

* * *

٩٤ ـ **حديث** : الحياء من الإيمان.. الحديث

متفق عليه

من حديث ابن عمر.. وقال فى اللؤلؤ والمرجان

حديث رقم (٢٢) أخرجه البخارى فى كتاب الإيمان

ومسلم فى باب الحياء من الإيمان

* * *

٩٥ ـ **حديث** : الخلافة بعدى ثلاثة وثلاثون سنة وبعدها مُلْك وجبروت..

لم أقف على نصّه.

وفى اللؤلؤ والمرجان من حديث أبى هريرة قال

الناس تبع لقريش فى هذا الشأن

وحديث آخر من رواية عبد الله بن عمر : لا يزال هذا الأمر فى قريش

ما بقى منهم اثنان

انظر جـ٢ ص ٢٣٩

* * *

٩٦ ـ حديث : خلق الله القلم من نور ومداده النور.

رواه أبو داود فى السّـنة ١٦

واستكمل حديث: لما خلق الله القلم قال له اكتب... إلخ

* * *

٩٧ ـ حديث : دعا الله جبريل فأرسله إلى الجنّـة فقال: انظر ماذا أعددت لأهلها.. ثم أرسله إلى النار... الحديث

الأحاديث القدسية باب فى ذكر ما حفّـت به الجنة والنار أحاديث رقم (٣٨٨، ٣٨٩) ص ٤٥٥، ٤٥٦. وقال: أخرجه الترمذى فى جامعه باب حفّـت الجنة بالمكاره جـ٢ ص ٩٢. وقال حديث حسن صحيح

وأخرجه أبو داود فى السنن باب خلق الجنة والنار جـ٤ ص١٨٥

وقال بسنده عن أبى هريرة.

كذلك أخرجه النسائى عن أبى هريرة فى باب الحلف بعزة الله

* * *

٩٨ ـ حديث : الدنيا حرام على أهل الآخرة، والآخرة حرام على أهل الدنيا والاثنان حرام على أهل الله.

لم أقف عليه. وإنما يبدو لى أنه قول لأحد المتصوفة فلا يقول هذا من قال:

اعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً!

* * *

٩٩ ـ حديث : الدين النصيحة..

له روايات مختلفة من طرق عديدة

رواه البخارى فى الإيمان ٤٢

ومسلم فى الإيمان ٩٥

والدارمى فى الرقائق ٤١

والترمذى فى البر ١٧

والنسائى فى البيعة ٣١

وابن حنبل فى مسنده ١/ ٣٥١

٢/ ٢٩٧

١٠٢/٤

* * *

١٠٠ ـ **حديث** : ذاق طعم الإيمان من رضى بالله ربا.

رواه الإمام النسائى فى الإيمان (٣)

فى الترجمة.

* * *

١٠١ ـ **حديث** : رأس الدين ترك الدنيا والقرب من الله وحب المساكين.

لم أعثر على نصه. وإنما قال الحافظ العراقى:

«إن لكل شيء مفتاحا، ومفتاح الجنة حب المساكين»

وقال: رواه الدارقطنى فى غرائب مالك

وأبو بكر بن لال فى مكارم الأخلاق

وابن عدى فى الكامل

وابن حبان فى الضعفاء

من حديث ابن عمر

* * *

١٠٢ ـ **حديث** : رأيت الرسول يسترنى بثوبه وأنا أنظر إلى الحبشة وهم يلعبون فى المسجد..

رواه البخارى ومسلم فى الصحيحين

فهو عند البخارى من رواية عقيل عن الزهرى

وعند مسلم من رواية عمرو بن الحارث

كما رواه مسلم من حديث أبى هريرة برواية أخرى

* * *

١٠٣ - **حديث** : ربى زدنى تحيراً..

لم أقف عليه

* * *

١٠٤ - **حديث** : رب قائم ليس من حظه من قيامه إلاّ السهر

وربّ صائم ليس له من صيامه إلاّ الجوع والعطش.

الشطر الأول من الحديث لأبى هريرة رواه النسائى

وروى عن أحمد بإسناد حسن أيضا

والشطر الثانى من حديث أبى هريرة أيضا

رواه النسائى بلفظ كم من صائم

* * *

١٠٥ - **حديث** : رصوا صفوفكم، وقاربوا بينهما وحاذوا بالأعناق فوالذى نفسى بيده إنى لأرى الشيطان يدخل من خلل الصف كأنه الحذف.

لم أقف عليه.

* * *

١٠٦ - **حديث** : رؤيا الأنبياء وحى.

رواه الإمام البخارى فى الوضوء ٥

وكذلك رواه فى الأذان ١٦١

* * *

١٠٧ ـ **حديث** : الرؤيا الحسنة جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة.

رواه البخارى فى التعبير ٢، ٤

وابن ماجه فى الرؤيا ١

والدارمى فى الرؤيا ٦

والموطأ فى الرؤيا ١

وأحمد بن حنبل ٣/ ١٢٦، ١٣٥، ١٤٩، ١٥٧

٥/ ٥٠، ٤٥٤

* * *

١٠٨ ـ **حديث** : الروح الأمين نفث فى روعى أنه لن تموت نفس حتى تستوفى رزقها..الحديث.

أورده الحافظ العراقى بلفظه وزاد عليه فى فضل الكسب.. وقال:

قال الرسول (ﷺ): إنى لا أعلم شيئا يبعدكم من الجنة، ويقربكم من النار إلاّ نهيتكم عنه. فإن الروح الأمين نفث فى روعى أن نفساً لن تموت حتى تستوفى رزقها..

وقال : رواه ابن أبى الدنيا فى القناعة

والحاكم من حديث ابن مسعود، وذكره شاهداً

لحديث ابن حميد، وجابر وصححهما على شرط الشيخين.

* * *

١٠٩ ـ **حديث** : زويت لى الأرض فأريت مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك أمتى ما زوى لى منها..

رواه أحمد بن حنبل ٤/ ١٢٣

٥/ ٢٧٨، ٢٨٤

ومسلم فى الفتن ١٩

وأبو داود في الفتن ١

والترمذى في الفتن ١٤

وابن ماجه في الفتن ٩

* * *

١١٠ ـ **حديث** : سبعة يظلهم الله فى ظله يوم لا ظل إلاّ ظلّـه..

الحديث متفق عليه من حديث أبى هريرة..

انظر اللؤلؤ والمرجان

والمغنى على هامش الإحياء

* * *

١١١ ـ **حديث** : السحر حق والعين حق.

رواه البخارى في الطب ٣٦، واللباس ٨٦

ومسلم في السلام ٤١، ٤٢

وأبو داود في الطب ١٥

والترمذى في الطب ١٩

والموطأ في العين ١

وأحمد بن حنبل ١/ ٢٧٤، ٢٩٤

٢/ ٢٢٢، ٢٨٩، ٣١٩، ٤٢٠، ٤٣٩، ٤٨٧

٤/ ٦٧

٥/ ٧٠، ٣٧٩

* * *

١١٢ ـ **حديث** : السّـخىُّ قريب من الله قريب من الناس بعيد عن النار والبخيل بعيد من الله بعيد من الناس قريب من النار.

قال الحافظ العراقى: رواه الترمذى وقال غريب
ولم يقل فيه وأدوأ الداء البخل
ورواه بهذه الزيادة: الدارقطنى
انظر حديث أى داء أدوى من البخل

* * *

١١٣ ـ حديث : الشيخ فى قومه كالنبى فى أمته...
رواه ابن حبان فى الضعفاء من حديث ابن عمر
وأبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس
عن حديث أبى رافع بسند ضعيف

* * *

١١٤ ـ حديث : صاحب الدرهمين أشد حساباً من صاحب الدرهم.
انظر المغنى عن حمل الأسفار على هامش الإحياء

* * *

١١٥ ـ حديث : طوبى لمن كان رزقه كفافا.
انظر حديث: قد أفلح من أسلم.
ورد فى المغنى أيضا طوبى لمن هدى إلى الإسلام وكان رزقه كفافا
وقنع به..
وقال رواه الترمذى وصححه.
والنسائى فى الكبرى من حديث فضالة بن عبيد
ومسلم من حديث عبد الله بن عمرو
قد أفلح من أسلم. انظره هنا.

* * *

١١٦ ـ **حديث** : عبادى وأصفيائى: ما زويت عنكم الدنيا لهوانكم علىّ ولكن أردت أن تتردد أصواتكم إلىّ، وأسمع منكم النداء فهذه دارى فانزلوها، وهذه جوارى فتبحبحوا..

رواه ابن الشيخ فى كتاب الثواب من حديث أنس بإسناد ضعيف

وقال رواه أبو نعيم فى الحلية

وانظر حديث: يقول الله يوم القيامة.

* * *

١١٧ ـ **حديث** : عبدى ما عبدتنى ورجوتنى ولم تشرك بى شيئا غفرت لك على ما كان منك ولو استقبلتنى بملء الأرض خطايا وذنوبا استقبلتك بملئها مغفرة... الحديث

متفق عليه، وله روايات مختلفة

فللترمذى من حديث أنس، ولمسلم من حديث أبى ذر

انظر اللؤلؤ والمرجان

والمغنى

* * *

١١٨ ـ **حديث** : عرضت نفسى على الدنيا فاستوى عندى حجرها وذهبها

من قول حارثة وردا على قول الرسول (ﷺ)

ما حقيقة إيمانك أو كيف أصبحت.

رواه البزار من حديث أنس

والطبرانى من حديث الحارث بن مالك

وكلا الحديثين ضعيفان

انظر الحافظ العراقى فى المغنى

* * *

١١٩ ـ **حديث** : عشرة من أصحابى فى الجنة... الحديث.

حديث مشهور انظر فى ذلك

الرياض النضرة فى مناقب العشرة للمحب الطبرى جـ١ طبعة الجندى

وانظر المعجم الصغير للطبرانى حديث رقم (٦٠)، (٦٢).

* * *

١٢٠ ـ **حديث** : علماء أمتى كأنبياء بنى إسرائيل..

المشهور هو : العلماء ورثة الأنبياء

رواه البخارى فى العلم ١٠

وأبو داود فى العلم ١

وابن ماجه فى المقدمة ١٧

والدارمى فى المقدمة ٣٢

وابن حنبل ٥/ ١٦٢

ولم أقف على النص الأول.

* * *

١٢١ ـ **حديث** : علمت ما كان وما سيكون.

ورد فى النسائى: ثم حدثنا بما هو كائن حتى تقوم الساعة

رواه فى المواقيت (٥٥)

* * *

١٢٢ ـ **حديث** : عليكم بسنتى وسنة الخلفاء المهديين من بعدى عضوا عليها بالنواجذ. فإن كل بدعة ضلالة..

رواه مسلم فى الجمعة ٤٣

وأبو داود فى السنة ٥

والنسائى فى العيدين ٢٣
وابن ماجه فى المقدمة ٧
والدارمى فى المقدمة ١٦ ، ٢٣
وأحمد بن حنبل ٣/ ٣١٠، ٣٧١
٤/ ١٢٦، ١٢٧

* * *

١٢٣ ـ حديث : الغناء ينبت النفاق فى القلب كما ينبت الماء البقل.

من حديث ابن مسعود
قال المصنف والمرفوع غير صحيح لأن فى إسناده من لم يسم. رواه أبو داود.. وهو فى رواية ابن عبد ليس فى رواية اللؤلؤى
وراه البيهقى مرفوعا وموقوفا

* * *

١٢٤ ـ حديث : فأخذ عزرائيل قبضة من تراب سلّها من جميع وجه الأرض وطرحها..

الشطر الثانى من حديث: إن الله خمّر طينة آدم
انظره

* * *

١٢٥ ـ حديث : فضّلت على الأنبياء بست، وأرسلت للخلق كافة، وجعلت لى الأرض مسجداً وطهورا..

رواه الإمام مسلم فى المساجد ٥
وأحمد بن حنبل فى مسنده : ٢/ ٤١٢،
٥/ ٢٥٦
والترمذى: (٥).

* * *

١٢٦ ـ حديث : الفقر على المؤمن أحسن من العذار الجيد على خد الفرس.

رواه الطبرانى من حديث شداد بن أوس

بسند ضعيف

قال الحافظ العراقى : والمعروف أنه من كلام عبد الرحمن بن زياد بن أنعم.. رواه ابن عدى فى الكامل هكذا

وما رواه هو : الفقر أزين بالمؤمن... الحديث.

انظر المغنى

* * *

١٢٧ ـ حديث : الفقر فخرى.. الحديث

قال عنه الصاغانى: موضوع

وقال ابن حجر العسقلانى: حديث باطل

انظر كشف الخفاء ٢/ ١٣

وأسنى المطالب ص ١٤٧

وانظر هامش موضوعات الصاغانى رقم (٥)

حديث ٧٧ ص ٤٦

* * *

١٢٨ ـ حديث : الفقراء الصُّبَّر هم جلساء الله يوم القيامة.

لم أقف على نصه

* * *

١٢٩ ـ حديث : فى جواب من سأله عن زرارى المشركين قال الله أعلم بما كانوا عاملين.

رواه البخارى فى الجنائز ٩٣

ومسلم فى القدر ٢٧
والنسائى فى الجنائز ٨، ٩
وأحمد بن حنبل ١/ ٣٢٨، ٣٤١، ٣٥٨
٥/ ٤١٠

* * *

١٣٠ ـ حديث : قد أفلح من أسلم ورزق كفافا وقنعه الله بما آتاه وإن الله جعل العز فى القناعة والذل فى الطمع.

رواه مسلم من حديث عبد الله بن عمرو
وانظر الروايات العديدة التى أوردها الحافظ العراقى فى هذا المعنى
وحديث طوبى لمن كان رزقه كفافا

* * *

١٣١ ـ حديث : قلب الشيخ شاب على حب اثنين : المال وطول الحياة.

ذكره صاحب اللؤلؤ والمرجان بنص : «لا يزال قلب الكبير شاباً فى اثنتين فى حب الدنيا وطول الأمل».
وقال أخرجه البخارى فى (٨١) كتاب الرقاف، (٥) باب من بلغ ستين سنة
فقد أعذر الله فى العمر
انظر جـ١ ص ٢٢٠

* * *

١٣٢ ـ حديث : القلوب بيد الله يقلبها كيف يشاء.

رواه مسلم فى القدر ١٧
وابن ماجه فى الدعاء ٢
وابن حنبل ٢/ ١٦٨، ٣/ ١١٢، ٢٥٧

* * *

١٣٣ ـ حديث : القناعة كنز لا يفنى..

لم أقف على نصه وإنما روى ابن ماجه فى الزهد ٢٤

ما نصّـه : كن قانعا تكن أشكر الناس

وقد ورد هذا الحديث، انظر فيما يلى

* * *

١٣٤ ـ حديث : قيل لرسول الله : إن عيسى كان يمشى على الماء. قال: لو ازداد يقينا لمشى فى الهواء.

قال الحافظ العراقى: وهذا حديث منكر. لا يُـعرف هكذا..

والمعروف ما رواه ابن أبى الدنيا فى كتاب اليقين من قول بكر بن عبد الله المزنى قال: فقد الحواريون نبيهم. فقيل له : توجه نحو البحر. فانطلقوا يطلبونه . فلما انتهوا إلى البحر إذا هو قد أقبل يمشى على الماء. فذكر حديثا فيه أن عيسى قال: لو أن لابن آدم من اليقين شعرة لمشى على الماء.

وروى أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس بسند ضعيف من حديث معاذ ابن جبل: «لو عرفتم الله حق معرفته لمشيتم على البحور، ولزالت بدعائكم الجبال».

انظر هامش الإحياء جـ٤ ص ٩٤، ٩٥

* * *

١٣٥ ـ حديث : كان (ﷺ) أشد حياءً من العذراء فى خدرها..

متفق عليه من حديث أبى سعيد الخدرى

انظر اللؤلؤ والمرجان حديث رقم ١٤٩٩

أورده ص ١٠٣

وقال: أخرجه البخارى فى كتاب المناقب

ومسلم فى باب صفة النبى (ﷺ)

* * *

١٣٦ ـ حديث : كان فى الأمم قبلكم محدثون. فإن كان فى هذه الأمة. فعمر بن الخطاب.

رواه مسلم من حديث عائشة (رضى الله عنها)

والبخارى من حديث أبى هريرة باختلافات فى الرواية

انظر المغنى جـ٣ ص ٢٣

* * *

١٣٧ ـ حديث : كلتا يدى ربى يمين.

رواه الإمام مسلم فى الإمارة ١٨

* * *

١٣٨ ـ حديث : كن قانعا تكن أشكر الناس.

رواه ابن ماجه فى الزهد ٢٤

وانظر حديث القناعة كنز لا يفنى

* * *

١٣٩ ـ حديث : كن ورعاً تكن أعبد الناس..

رواه ابن ماجه من حديث أبى هريرة

* * *

١٤٠ ـ حديث : كنّا جلوسا عند رسول الله فقال: يطلع عليكم من هذا الفج رجل من أهل الجنة. قد علق نعله فى يده الشمال.. فلما كان اليوم الثانى...والثالث...

رواه أحمد بن حنبل بإسناد صحيح على شرط الشيخين

وراه البزّار، وسمى الرجل فى رواية له : «سعد» ومنها : ابن لهيعة..

انظر الحافظ العراقى.

عن شداد بن أوس وعبادة بن الصامت.

* * *

١٤١ ـ **حديث** : كُنّـا عند رسول الله (ﷺ) فقال: ارفعوا أيديكم فرفعنا فقال: قولوا لا إله إلاّ الله.. ثم قال اللهم إنك بعثتنى بهذه ووعدتنى عليها الجنة.

ثم قال: أبشروا فقد غفر لكم... الحديث

عن شداد بن أوس وعبادة بن الصامت.

رواه ابن حنبل ٤/ ٤٠٢، ٤١١

* * *

١٤٢ ـ **حديث** : كنت له سمعا وبصراً، ويداً، وفؤادا.

أخرجه البخارى فى الرقاق ٣٨

وأحمد بن حنبل فى مسنده ٦/ ٢٥٦

* * *

١٤٣ ـ **حديث** : كنت نبياً وآدم بين الروح والجسد.

حول سؤال: متى وجبت لك النبوة؟

قال: وآدم بين الروح والجسد

رواه الترمذى فى المناقب ١

وأحمد بن حنبل ٤/ ٦٦،

٥/ ٥٩، ٣٧٩

* * *

١٤٤ ـ **حديث** : لا تسبوا أصحابى. فوالذى نفسى بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أُحد ذهبا ما أدرك مدّ أحدهم ولا نصيفه.

رواه الشيخان: انظر المغنى عن حمل الأسفار على هامش الإحياء للغزالى

* * *

١٤٥ - حديث : لا تستقبلوا رمضان بيوم أو يومين..

متفق عليه..

أورده صاحب اللؤلؤ والمرجان حديث رقم ٦٥٧

باب لا تقدّموا رمضان بيوم أو يومين.

وقال: أخرجه البخارى فى كتاب الصوم

ومسلم باب لا يتقدمن رمضان بصوم يوم ولا يومين

انظر جـ٢ ص ٤

* * *

١٤٦ - حديث : لا تنزع الرحمة إلاّ من شقى.

لم أعثر عليه بنصه، وإنما أورد صاحب اللؤلؤ والمرجان فى حديث رقم ١٤٩٦ بلفظ:

(أوأملك لك أن نزع الله من قلبك الرحمة)

انظر جـ٣ من اللؤلؤ والمرجان

وضعه محمد فؤاد عبد الباقى

طبعة دار الحديث القاهرة.

* * *

١٤٧ - حديث : لا حسد إلاّ فى اثنتين.

متفق عليه من حديث ابن عمر

ورد فى باب العلم وحقيقة الحسد

كما قال الحافظ العراقى فى المغنى عن حمل الأسفار

انظر هامش الإحياء جـ٣ ص ١٨٧

* * *

١٤٨ ـ **حديث** : لا يدخل الجنّـة من كان فى قلبه مثقال ذرّة من كبر

الحديث رواه مسلم من حديث من حديث ابن مسعود

قاله الحافظ العراقى ج٣١ ص ٣٢٧

وقال فى رواية أخرى: من كان فى قلبه مثقال حبة من كبر كبّـه الله فى النار على وجهه

وقال رواه أحمد، والبيهقى فى شعب الإيمان من طريقه بإسناد صحيح

* * *

١٤٩ ـ **حديث** : لا يزال العبد يصدق، ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقا..

أورده صاحب اللؤلؤ والمرجان بلفظ قريب

باب قبح الكذب وحسن الصدق وفضله حديث رقم ١٦٧٥ ص ١٢٨ جـ٣.

وقال: أخرجه البخارى فى كتاب الأدب

ومسلم باب قوله تعالى: ﴿ **يا أيها الذين آمنوا اتقو الله وكونوا مع الصادقين**﴾.

* * *

١٥٠ ـ **حديث** : لا يستقيم إيمان أحدكم حتى يستقيم قلبه... الحديث.

رواه أحمد بن حنبل فى مسنده

المجلد ٣/ ٦٩٨

* * *

١٥١ ـ **حديث** : لا يكون المؤمن بخيلا ولا جبانا

الحديث أورد الحافظ العراقى ما نصه:

«لا ينبغي لمؤمن أن يكون جبانا ولا بخيلا»

وقال: لم أره بهذا النص.

* * *

١٥٢ - حديث : لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه.

متفق عليه.. من حديث أنس.

انظر اللؤلؤ والمرجان

والمغنى عن حمل الأسفار

* * *

١٥٣ - حديث : لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به.

رواه مسلم فى الإيمان ٦٩، ٧٠، ٧١، ٧٣

والبخارى فى الإيمان ٧، ٨

والترمذى ـ القيامة ٥٩

والنسائى فى الإيمان ١٩، ٣٣

وابن ماجه فى المقدمة ٩

والدارمى فى الرقاق ٣٩

وأحمد بن حنبل ٣/ ١٧٦، ١٧٧، ٣٠٦، ٣٠٧، ٣٥١، ٣٧٣، ٣٧٥، ٣٧٨، ٣٧٩

٤/ ٣٢٣، ٣٣٦

* * *

١٥٤ - حديث : لما خلق الله القلم قال له اكتب قال وما أكتب قال اكتب : لا إله إلاّ الله.

انظر حديث: إن أول ما خلق الله القلم

رواه أبو داود فى السنّة ١٦

والترمذى فى القدر ١٧

وتفسير سورة ٦٨

وأحمد بن حنبل ٥/ ٣١٧

* * *

١٥٥ ـ **حديث** : لـمّـا خلق الله النفس قال لها : أقبلى فأدبرت وقال لها : أدبرى فأقبلت.

لم أقف عليه

* * *

١٥٦ ـ **حديث** : الله فى عون العبد ما دام العبد فى عون أخيه.

لم أقف عليه

* * *

١٥٧ ـ **حديث** : الله الله فى أصحابى لا تتخذوهم غرضا بعدى فمن أحبهم فبحبى ومن أبغضهم فببغضى..

رواه الترمذى من حديث عبد الله بن مغفل

انظر المغنى

* * *

١٥٨ ـ **حديث** : لهم البشرى فى الحياة الدنيا.. قال: الرؤيا الصالحة ــ عن عبادة بن الصامت..

رواه البخارى تفسير سورة ٩٦ ــ من ١ ــ٣ والتعبير ١، ٥ ومسلم فى الصلاة ٢، ٨، ٧٥ والرؤيا ٣، ٤، ٦

وأبو داود فى التفسير ٣، ١٠

وأحمد بن حنبل ١/ ٣١٥، ٣١٩

* * *

١٥٩ ـ حديث : اللهم اجعل حبك أحبَّ إليَّ من نفسي وسمعي وبصري ومالي وأهلي.

لم أقف عليه

* * *

١٦٠ ـ حديث : اللهم اجعل رزق آل محمد قوتا.

متفق عليه وأورده صاحب اللؤلؤ والمرجان

وقال أخرجه البخاري في الرقاق

ومسلم في باب كيف كان يعيش النبي

* * *

١٦١ ـ حديث : اللهم أسلمت نفسي إليك، وفوضت أمري إليك، وألجأت ظهري إليك...

متفق عليه من حديث البراء بن عازب

انظر اللؤلؤ والمرجان

والمغني.

* * *

١٦٢ ـ حديث : لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا، ولبكيتم كثيراً..

قال الحافظ العراقي : رواه الطبراني من حديث أبي الدرداء

وزاد الترمذي وابن ماجه من حديث أبي ذر

وأول الحديث متفق عليه من حديث أنس

وفي أفراد البخاري من حديث عائشة

المغني جـ ٣ ص ٢٠١

* * *

١٦٣ ـ **حديث** : لو قُســّم نور هذا على أهل الأرض لوسعهم.

قال الحافظ العراقى : لم أجده

* * *

١٦٤ ـ **حديث** : لو كان لابن آدم واديا من ذهب لابتغى إليهما الثالث.

الحديث متفق عليه.

وأورده أيضا الحافظ العراقى فى تخريجه

لأحاديث الإحياء من حديث ابن عباس وأنس. انظر جـ٣ ص ٢٣٢

* * *

١٦٥ ـ **حديث** : لولاك لما خلقت الكون.

ذكره الصاغانى فى موضوعاته بنص:

[لولاك لما خلقت الأفلاك]..

ووافقه العجلونى فى كشف الخفاء ٢٣٢/١ فى الحكم عليه بالوضع..

وكذلك الشوكانى فى الفوائد ص٣٢٦

والألبانى فى سلسلته جـ١ / ٢٨٢

انظر موضوعات الصاغانى وهامش ص ٤٦ حديث رقم ٧٨ وهامشه للأهمية

* * *

١٦٦ ـ **حديث** : لى مع الله وقت لا يسعنى فيه ملك مقرب ولا نبى مرسل.

لم أقف عليه

* * *

١٦٧ ـ **حديث** : ليس أحد أصبر على الأذى من الله..

ذكره صاحب اللؤلؤ والمرجان، وقال حديث أبى موسى عن النبى..
وذكره بلفظ
ليس أحد.. أو ليس شيء أصبر على أذى... الحديث
انظر اللؤلؤ والمرجان جـ٣ ص ٢٨١
حديث رقم ١٧٨٧

* * *

١٦٨ ـ **حديث** : ليس الشديد بالصرعة، وإنما الشديد الذى يملك نفسه عند الغضب

متفق عليه
وأورده صاحب اللؤلؤ والمرجان حديث رقم ١٦٧٦ جـ٣ ص ١٩٩
باب فضل من يملك نفسه عند الغضب
وقال: أخرجه البخارى فى كتاب الأدب
ومسلم: باب الحذر من الغضب

* * *

١٦٩ ـ **حديث** : ليس الغنى كثرة العرض، ولكن الغنى غنى النفس.

متفق عليه. أورده صاحب اللؤلؤ والمرجان
من حديث أبى هريرة. جـ٣ ص ٢٣٢
وقال رواه البخارى فى الرقاق ٨١
ومسلم (١٥) فى باب الغنى غنى النفس

* * *

١٧٠ ـ **حديث** : ما أنا بقارئ.. فأخذنى فغطنى حتى بلغ منى الجهد.

رواه أحمد بن حنبل ٦/ ١٥٠، ١٥٤
والبخارى فى فضائل القرآن ١، باب كيفية نزول الوحى ٢٨، وبدء

الوحى ٢، وبدء الخلق ٩
ومسلم فى فضائل القرآن ٨٧
والترمذى فى المناقب ٧
والنسائى فى الافتتاح ٣٧
والموطأ فى مس القرآن ٧٥

* * *

١٧١ ـ حديث : ما المبشرات؟ . قال: الرؤيا الصالحة..

من حديث أبى هريرة.
رواه البخارى فى التعبير ٥
ومسلم فى الصلاة ٢٠٧، ٢٠٨
وأبو داود فى الصلاة ١٤٣
والنسائى فى التطبيق ٩، ٦٣
وابن ماجه فى الرؤيا ١
والموطأ فى الرؤيا ٣وأحمد بن حنبل ١/ ٢١٩
٣/ ٣٦٧
٥/ ٤٥٤
٦/ ٢٨١

* * *

١٧٢ ـ حديث : ما ذئبان جائعان أرسلا فى غنم بأفسد من حرص المرء على المال والشرف... الحديث.

قال الترمذى حسن صحيح. والطبرانى فى الأوسط من حديث أبى سعيد: «ما ذئبان ضاريان فى زريبة غنم»
وللبزار من حديث أبى هريرة: ضاريان جائعان

وإسناد الطبرانى ضعيف

انظر المغنى عن حمل الأسفار

* * *

١٧٣ - **حديث** : ما من شىء يوضع فى ميزان المؤمن أثقل من حسن الخلق وإن صاحب حسن الخلق ليبلغ به درجة الصائم القائم...

رواه أبو داود والترمذى من حديث أبى الدرداء

وقال حسن صحيح. انظر باب الصحبة، وباب أخلاق النبى وتأديبه.

وانظر كذلك. حديث إن المؤمن ليدرك بحسن خلقه... من هذه الأحاديث وتخريجها.

* * *

١٧٤ - **حديث** : ما من نبىٍّ من الأنبياء إلاَّ وقد أعطى من الآيات ما آمن على مثله البشر.. وإنما كان الذى أوتيته وحيا أوحاه الله إلىَّ. فأرجو أن أكون أكثرهم أتباعاً يوم القيامة..

رواه البخارى فى فضائل القرآن ١ ، والاعتصام ١

ومسلم فى الإيمان ٢٣٩ ،

وأحمد بن حنبل ٢/ ٣٤١، ٤٥١

* * *

١٧٥ - **حديث** : مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد... الحديث.

«متفق عليه»

ورد فى اللؤلؤ والمرجان حديث رقم ١٦٧١ جـ٣ ص ١٩٦

وقال: أخرجه البخارى فى كتاب الأدب ومسلم باب رحمة الناس والبهائم

* * *

١٧٦ ـ **حديث** : المرء مع من أحب ... الحديث.

قال عنه صاحب اللؤلؤ والمرجان

رواه البخارى فى كتاب الأدب. باب علامة حب الله عز وجل

انظر جـ٣ ص ٢٠٦ حديث رقم ١٦٩٤

* * *

١٧٧ ـ **حديث** : مرَّ بالصخرة من الروحاء سبعون نبيّـا حفاة عليهم العباء يؤمون البيت الحرام.

لم أقف عليه

* * *

١٧٨ ـ **حديث** : مرَّ رجلان أحدهما فقير والآخر غنى فقال (ﷺ) :

هذا خير من ملء الأرض مثل هذا.

لم أجده

* * *

١٧٩ ـ **حديث** : ملاك الدين التعظيم لأمر الله، والشفقة على خلقه.

لم أقف عليه

* * *

١٨٠ ـ **حديث** : من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه.

ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه.

ورد فى الأحاديث القدسية بروايات متعددة.

وقال: أخرجه البخارى فى كتاب التوحيد عن أبى هريرة بلفظ صريح فى نسبته إلى الله تعالى

وكذا أورده البخارى فى الرقاق عن قتادة بسند عن أبى موسى

الأشعرى

وأخرجه مسلم فى صحيحه فى الدعوات عن عائشة

انظرَ الأحاديث القدسية ص ٣٠٢، ٣٠٣، ٣٠٤، ٣٠٥

وانظر اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان

* * *

١٨١ ـ حديث : من أعطى من الرفق أعطى خير الدنيا والآخرة.

قال مخرّجه العراقى: رواه أحمد، والعقيلى فى الضعفاء فى ترجمة عبد الرحمن بن أبى بكر المليكى وضعّـفه عن القاسم عن عائشة.

وفى الصحيحين من حديثهما : يا عائشة إن الله يحب الرفق فى الأمر كله.. وقد مضى تخريجه.

* * *

١٨٢ ـ حديث : من أهان لى وليا فقد بارزنى بالحرب، وإنى لأغضب لأوليائى كما يغضب الليث لجروه...

أورده صاحب الأحاديث القدسية بلفظ:

«من عادى لى ولياً... الحديث.

وقال أخرجه البخارى فى باب التواضع جـ٨ ص ١٠٥

انظر الحديث رقم (٨٠) ص ٨١

طبعة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ـ القاهرة.

* * *

١٨٣ ـ حديث : من تقرب إلىّ شبراً تقربت إليه ذراعاً... الحديث.

رواه البخارى فى التوحيد ١٥، ٥٠

ومسلم فى الذكر ٢٠، ٢١، ٢٢ ـ والتوبة ١

والترمذى فى الدعوات ١٣١ ـ

وابن ماجه فى الأدب ٥٨
وأحمد بن حنبل ٢/ ٤١٣، ٤٣٥، ٤٨٠، ٤٨٢، ٥٠٩، ٥٢٤، ٥٣٤
٣/ ٤٠، ١٢٢، ١٢٧، ١٣٠، ٣٧٣
٥/ ١٥٣، ١٥٢، ١٦٩، ٣٥١

* * *

١٨٤ ـ حديث : من تواضع لله رفعه.

قال الطبرانى فى معجمه الصغير حديث رقم ٦٣٧ :
من تواضع لى هكذا، وأشار بباطن كفه إلى الأرض رفعته هكذا وأشار بباطن كفّـه إلى السماء
وقال الحافظ العراقى من حديث ابن عباس: « إذا تواضع العبد رفع الله رأسه إلى السماء السابعة» وقال رواه البيهقى فى الشُّعَب بنحوه. وفيه زمْـعة بن صالح.
وفى رواية أخرى: إن التواضع لا يزيد العبد إلاّ رفعة الحديث للأصفهانى فى الترغيب والترهيب.
انظر معجم الطبرانى الصغير، والحافظ العراقى فى المغنى جـ٣ ص٣٣٢

* * *

١٨٥ ـ حديث : من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه...

رواه الترمذى
وابن ماجه من حديث أبى هريرة.
ورواه أحمد فى مسنده
والطبرانى فى الكبير عن الحسين بن على
ورواه الحاكم فى الكُـنى عن أبى بكر، وفى تاريخه عن على بن أبى

طالب.

ورواه الطبرانى فى الأوسط عن زيد بن ثابت.

ورواه ابن عساكر عن الحارث بن هشام

وصححه السيوطى فى الجامع الصغير حديث رقم ٨٢٤٣

* * *

١٨٦ ـ **حديث** : من خاف أدلج، ومن أدلج بلغ المنزلة ألا إن سلعة الله غالية.

رواه الترمذى وحسّنه من حديث أبى هريرة

انظر الحافظ العراقى

* * *

١٨٧ ـ **حديث** : من رآنى فى المنام فقد رآنى. فإن الشيطان لا يتمثل بى...

متفق عليه من حديث أبى هريرة.

أورده صاحب اللؤلؤ والمرجان رقم ١٤٦١

وقال : أخرجه البخارى فى كتاب التعبير

ومسلم فى باب من رأى النبى (ﷺ) فى المنام

انظر اللؤلؤ والمرجان جـ٣ ص ٨٠

* * *

١٨٨ ـ **حديث** : من صام يوم الشك فقد عصى أبا القاسم.

* * *

١٨٩ ـ **حديث** : من عرف نفسه فقد عرف ربه.

قال الصاغانى: موضوع.

وقال الإمام على القارى فى الموضوعات الكبرى ص ٨٣.

قال ابن تيمية: موضوع.

وقال السخاوى فى المقاصد ص ١٩٨

قال أبو مظفر السمعانى لا يُعرف مرفوعاً، وإنما يُحكى عن يحيى ابن معاذ الرازى من قوله وكذا قال النووى إنه ليس بثابت وقال الشيخ محمد الحوت البيروتى فى أسنى المطالب ص ٢١٤: ليس بحديث ونسبه بعضهم إلى أبى سعيد الخراز، وبعضهم إلى يحيى بن معاذ وقال الإمام السيوطى فى القول الأشبه ٢/ ٣٥١ من الحاوى للفتاوى
هذا الحديث ليس بصحيح.
انظر هامش ص ٣٤ من موضوعات الصاغانى، وتعليقات مخرّج الحديث..

* * *

١٩٠ ـ **حديث** : من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت.

متفق عليه من حديث أبى هريرة

وجاء بلفظ: أو ليسكت فى رواية أخرى

انظر أيضا المغنى

* * *

١٩١ ـ **حديث** : من لا يَرحم لا يُرحم.

رواه الطبرانى فى معجمه الصغير عن أسامة بن زيد

الحديث رقم ١٠٤١ ص ٣٧٦

ومتفق عليه من حديث أبى هريرة

جزء من حديث طويل

انظر اللؤلؤ والمرجان حديث رقم ١٤٩٧

* * *

١٩٢ ـ **حديث** : من لم يرض بقضائى، ويصبر على بلائى فليطلب رباً سواى.. الحديث.

انظر ما قاله الحافظ العراقى عن الأخبار الواردة فى الرضا بقضاء الله

وانظر حديث ارض بما قسم الله لك.

وانظر أيضا ما قيل: قال الله: أنا الله لا إله إلاَّ أنا من لم يصبر على بلائى... الحديث

رواه الطبرانى فى الكبير، وابن حبان فى الضعفاء من حديث أبى هند بالنص المذكور أعلاه

وقال إسناده ضعيف.

* * *

١٩٣ ـ حديث : المؤمن الذى يخالط الناس ويصبر على أذاهم خير من المؤمن الذى لا يخالط الناس... الحديث.

رواه الترمذى، وابن ماجه من حديث ابن عمر

قال الحافظ العراقى: ولم يسم الترمذى الصحابى.

قال شيخ من أصحاب النبى (ﷺ)

والطريق واحد.

* * *

١٩٤ ـ حديث : المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا.

من حديث أبى موسى ونصه : «إن المؤمن ...» الحديث.

متفق عليه

وقال صاحب اللؤلؤ والمرجان: أخرجه البخارى فى كتاب الصلاة ومسلم باب تشبيك الأصابع

انظر الحديث رقم ١٦٧٠ جـ٣ ص ١٩٥

* * *

١٩٥ ـ **حديث** : موتوا قبل أن تموتوا.

لم أقف عليه

* * *

١٩٦ ـ **حديث** : الناس يحتاجون إلى شفاعتى حتى إبراهيم..

رواه أحمد بن حنبل فى مسنده ٣/ ١١، ٢٥

والدارمى فى الرقاق ٩٦

* * *

١٩٧ ـ **حديث** : نحن الآخرون السابقون.

رواه أحمد بن حنبل فى مسنده

٢/ ٢٤٣، ٢٤٩، ٢٧٤، ٣١٢

٣٤١، ٤٧٣، ٥٠٤

* * *

١٩٨ ـ **حديث** : واشوقاه إلى لقاء إخوانى. قالوا : أولسنا بإخوانك

قال : بلى بل أنتم أصحابى وإنما إخوانى لم يأتوا بعد.

لم أعثر عليه

* * *

١٩٩ ـ **حديث** : وأن تؤمن بالقدر خيره وشرّه

الشطر الأخير من حديث الإيمان.

وهو : الجزء الخاص بالإيمان بالقدر.

* * *

٢٠٠ ـ **حديث** : يا رسول الله أوصنى.. قال: عليك بتقوى الله فإنها جماع كل خير، وعليك بالجهاد فإنه رهبانية المسلم، وعليك بذكر الله فإنه نور لك..

قال الحافظ العراقى: قال رجل أوصنى
وذكر الحديث..
من حديث أبى ذر وقال حسن صحيح

* * *

٢٠١ ـ **حديث** : يا رسول الله: متى الساعة؟ قال له: وما أعددت لها
قال : أحب الله ورسوله . قال: أنت مع من أحببت.

الحديث متفق عليه من حديث أنس
ومن حديث أبى موسى، وابن مسعود نحوه
انظر اللؤلؤ والمرجان
والمغنى جـ٣ ص ٢٨٧

* * *

٢٠٢ ـ **حديث** : يا طالب الدنيا لتبر فتركها أبر وأبر.

لم أجده

* * *

٢٠٣ ـ **حديث** : يا معاذ أوصيك بتقوى الله فإنها جماع كل خير.

رواه أبو نعيم فى الحلية، والبيهقى فى الزهد
انظر تخريجه على قول الحافظ العراقى
فى المغنى عن حمل الأسفار

* * *

٢٠٤ ـ **حديث** : يدخل الفقراء الجنة قبل الأغنياء بخمسمائة عام نصف يوم.

رواه الترمذى من حديث أبى هريرة
وقال حسن صحيح
انظر المغنى

* * *

٢٠٥ ـ حديث : اليسير من الرياء شرك.. الحديث.

روى بهذ النص

وفى حديث معاذ أيضا: أدنى الرياء شرك

وقال : رواه الطبرانى والحاكم فى مستدركه

وقال صحيح الإسناد.

قال الحافظ العراقى: قلت: بل ضعيفه، فيه عيسى بن عبد الرحمن وهو الزرقى متروك .

انظر المغنى عن حمل الأسفار.

* * *

٢٠٦ ـ حديث : يشربون ناس من أمتى الخمر. يسمونها بغير اسمها وتضرب على رءوسهم المعازف خسف الله بهم الأرض ويجعل منهم القردة والخنازير.

لم أقف عليه.

* * *

٢٠٧ ـ حديث : يقول الله لأهل الجنة: يا أهل الجنة

يقولون : لبيك ربنا وسعديك، والخير فى يديك.

قال الحافظ العراقى:

رواه البزار والطبرانى فى الأوسط

من حديث أنس فى حديث طويل

وانظر اللؤلؤ والمرجان فى صفة أهل الجنة.

* * *

٢٠٨ ـ حديث : يقول الله يوم القيامة: أين صفوتى من خلقى فتقول الملائكة من هم يا ربنا فيقول: فقراء المسلمين القانعون بطاعتى الراضون

بقدرى.. أدخلوهم الجنّـة. فيدخلون فيأكلون ويشربون. والناس فى الحساب يترددون..

رواه أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس

* * *

٢٠٩ ـ **حديث** : ينزل الله إلى السماء الدنيا.

رواه الإمام البخارى فى الدعوات ١٤
والتوحيد ٣٥

* * *

٢١٠ ـ **حديث** : يهرم ابن آدم ويشب معه اثنان: الحرص والأمل.

أورده الحافظ العراقى وقال متفق عليه من حديث
أنس.. انظر جـ٣ ص ٢٣٢

ثالثا :

فهرس الأشعار

وأنصاف الأبيات

مبينا رقم الصفحة فى الكتاب

ومرتبا ترتيبا ألف بائيا .

رقم الصفحة

قافية « الهمزة »

قافية « الباء »

قافية « الدال »

قافية « الراء »

قافية « الكاف »	رقم الصفحة

قافية «اللام»

قافية « الهاء »	رقم الصفحة
وقوم تاه فى أرض بقفر * وقوم تاه فى ميدان حبه	٤٢٣
فأفنوا ثم أفنوا ثم أفنوا * وأبقوا بالفناء بقرب ربه	

قافية « الياء »

فلما ادعيت الحب قالت كذبتنى * فما لى أرى الأعضاء منك كواسيا	٤٧٢
فما الحب حتى يلصق القلب بالحشا * وتذبل حتى لا تجيب المناديا	
وتنحل حتى لا يبقى لك الهوى * سوى مقلة تبكى بها وتناجيا	

أنصاف الأبيات

فى طلعة الشمس ما يغنيك عن زحل

وكفى بك داءً أن ترى الموت شافيا

رابعا:

فهرس الأعلام

خامساً :

فهرس الفرق والجماعات والبلدان

سادساً :

فهرس الكتب

للمؤلف وغيره

فهرس الكتب للمؤلف وغيره

سابعاً :

فهرس المراجع

التى أعانت التحقيق

١ ـ الأعلام : خير الدين الزركلى

٢ ـ اصطلاحات الصوفية : كمال الدين القاشانى بتحقيق د/ محمد كمال جعفر طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب١٩٨٢

٣ ـ البداية والنهاية : أبو الفداء الحافظ ابن كثير دار الفكر العربى

٤ ـ دول الإسلام : للذهبى، نشر الهيئة العامة للكتاب

٥ ـ الذيل على كشف الظنون : إسماعيل البغدادى

٦ ـ الرسالة القشيرية أبو القاسم القشيرى طبعة البابى الحلبى

٧ ـ رسائل ابن عربى : طبعة حيدر آباد الركن الهند

٨ ـ الرسائل والمسائل : لابن تيمية، طبعة دار الكتب العلمية، مجلدان

٩ ـ شرح مشكلات الفتوحات المكية : عبد الكريم الجيلى ـ تحقيق د/ يوسف زيدان الطبعة الأولى دار سعاد الصباح ١٩٩٢

١٠ ـ الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة : دار المتنبى ـ القاهرة. تأليف ابن قيم الجوزية.

١١ ـ طبقات الصوفية : أبو عبد الرحمن السلمى. تحقيق: نور الدين شريبة، مكتبة الخانجى القاهرة ١٩٨٦م

١٢ ـ الطبقات الكبرى : عبد الوهاب الشعرانى.. المكتبة التوفيقية ـ القاهرة.

١٣ ـ فصوص الحكم : محيى الدين بن عربى.. تحقيق وتعليق/ دكتور أبو العلا عفيفى. دار الفكر العربى ـ القاهرة

١٤ ـ فهرس دار الكتب المصرية جـ ١ الديانات

١٥ ـ فهرس مكتبة كوبريللى

١٦ ـ فهرس المخطوطات	تصنيف فؤاد سيد
١٧ ـ فهرس المخطوطات المصورة	تصنيف فؤاد سيد
١٨ ـ فهرس المكتبة الأزهرية	
١٩ ـ فهرس مكتبة برلين	
٢٠ ـ الكتاب التذكارى	لمحيى الدين بن عربى ١٩٦٩.
٢١ ـ كشاف اصطلاحات الفنون	للتهانوى
٢٢ ـ كشف الظنون فى أساس الكتب والفنون:	حاجى خليفة.
٢٣ ـ كشف المحجوب	للهجويرى
٢٤ ـ لسان العرب	جمال الدين ابن منظور
٢٥ ـ اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان:	محمد فؤاد عبد الباقى
٢٦ ـ المعارف :	لابن قتيبة الدينورى. تحقيق د/ ثروت عكاشة الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٢
٢٧ ـ المغنى عن حمل الأسفار :	للحافظ العراقى على هامش إحياء علوم الدين للغزالى
٢٨ ـ المعجم المفهرس لألفاظ الحديث :	مجموعة من العلماء
٢٩ ـ المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم:	محمد فؤاد عبد الباقى.
٣٠ ـ المعجم الصغير للطبرانى	
٣١ ـ معجم المؤلفين :	عمر رضا كحالة.
٣٢ ـ نشأة الفكر الفلسفى فى الإسلام	د/ على سامى النشار دار المعارف الطبعة الثامنة.
٣٣ ـ النجوم الزاهرة	طبعة دار الكتب المصرية

ثامناً :

فهرس محتوى الكتاب

الموضـــوع	الصفحة

الباب الأول
فى مقام المعرفة

الباب الرابع

الباب الخامس

الباب السادس

الباب السابع

الباب الثامن

الباب العاشر

فصل في

تمت الفهرسة

■ **دار سعاد الصباح**

للنشر والتوزيع

هي مؤسسة ثقافية عربية مسجلة بدولة الكويت وجمهورية مصر العربية وتهدف إلى نشر ما هو جدير بالنشر من روائع التراث العربي والثقافة العربية المعاصرة والتجارب الابداعية للشباب العربي من المحيط إلى الخليج وكذا ترجمة ونشر روائع الثقافات الأخرى حتى تكون في متناول أبناء الأمة فهذه الدار هي حلقة وصل بين التراث والمعاصرة وبين كبار المبدعين وشبابهم وهي نافذة للعرب على العالم ونافذة للعالم على الأمة العربية وتلتزم الدار فيما تنشره بمعايير تضعها هيئة مستقلة من كبار المفكرين العرب في مجالات الإبداع المختلفة .


مطابع
ت : ٩٣٢٧٠٦

كتاب

منارات السائرين ومقامات الطائرين

حتى يُعرفَ الحالُ من المقام ، والقبضُ من البسط ، والصحوُ من السُكْر . عليك أن تعرف السِّرّ من العلن ، والساكن من المتحرك ، والباطن من الظاهر . ولكى تصل إلى معرفة الأحوال ، والمقامات ، والمنازل فلا بد من الذوق كما ذاق العارفون ، الذين تاهوا فى الملكوت ؛ تسبح قلوبهم فى رضا الحضرة العليّة ، واسرارها ، ومكاشفاتها : تتجلى لهم آفاق الباطن وهم يصرّفون المعانى فى الظاهر . فيمتزج المبنى بالمعنى ، وتُنطقُ الحكمة فيما بين البين ، ولم يزالو فى عروة التمنى رغبة فى الاتصال والتواصل .

بين دفتى كتاب « منارات السائرين » طرح للمجتمع والناس ، وأفق للباطن والظاهر معاً بشفافية وقدرة فائقتين .

ومحقق الكتاب هو : سعيد عبد الفتاح أحد الذين عُنوا بالتصوف إبداعاً وبحثاً ؛ ليكون الاتصال والتواصل بين الحرف والمعنى ، والروح والجسد ، والدنيا والأخرى . كى يتمكن الطائر من التحليق نحو العمق بجناحين إثنين .

الناشر

